

التلخيص في علوم البلاغة

للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن
القزويني الخطيب

ضبطه وشرحه

الأديب الكبير الأستاذ

عبد الرحمن البرقوقي

منشئ البيان والماء ظف بمجلس النواب

دار الفکر العسکری

مقدمة الشارح للطبعة الأولى

التي طبعت سنة ١٩٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)

حياطة الدين مِلْأَك الخير ، والتفقه فيه قِوَام السعادة ؛ وإنما السبيل إلى هذا معرفة اللغة التي جاء بها ذلك الدين ، ومِسَاك اللغة علم البيان ، الذي لولاه لم تر براعة كاتب ، وخلاصة شاعر ، وذراية خطيب ، وما كنت تسمع نظاماً أنيق الظاهر ، عميق الباطن ، بل المعاني السوقية ، والألفاظ المبتذلة التي تعافها الطباع ، وتمجها الأسماع ؛ والذي لولاه لاستسر إعجاز القرآن ^(١) ، ولاستمر به يدّ الدهر ^(٢) السّرار ، فينجزم إذ ذاك جبل الدين ، وتتهار — معاذ الله — دعائم اليقين .

وهذا ما سدا إمام اللغة في عصره : الشيخ عبد القاهر الجرجاني إلى وضع كتابين في هذا العلم ، دار لهما فلك الفصاحة ، وبرقت أسارير البيان ، سمي أحدهما أسرار البلاغة ، والآخر دلائل الإعجاز .

(١) استسر : من قولهم : استسر القمر ، أي خفي ليلة السرار ، والسرار : آخر ليلة من الشهر .

(٢) يد الدهر : أبد الدهر .

كتب في هذا الفن قبل الإمام عبد القاهر : جماعة من البلغاء ، مثل : الجاحظ
وقدامة الكاتب وابن دريد ، بيد أن ذلك الإمام هو الذي أخذ بِضَبْعِيهِ^(١) ،
وأناف به على اليفاع^(٢) فهو الذي عين له رسوماً يُعْرَجُ عليها ، وسن له قوانين
يُعَمَدُ إليها ، وأبرز ذلك في كلام لا يقوم بفصاحته لسان ، ولا يَطَّلِعُ
فَجْهَهُ إنسان^(٣)

قام بعد هؤلاء أبو يعقوب يوسف السكاكي : إماماً فَتَّ في عضده حب
الفلسفة^(٤) ، فعمد إلى هذا العلم ، وقبع في كِسْرِ بَيْتِهِ^(٥) ، لا يرى إلا نفسه ،
ولا يسمع إلا حسه ، ووضع ما وضع مما نهج فيه أهل النظر من الحكماء ،
لأمنهج المطبوعين من البلغاء ، وهو وإن فاق عبد القاهر في التقسيم والتبويب
وتقريب الأحكام ؛ فلم يدرك شأوه في لطف الحس ، وصفاء الديباجة ، وبراعة
الكلام ؛ فكان وسطاً بين عبد القاهر وأضرابه من المتقدمين ، وبين
عبد الحكيم وأترابه من المتأخرين .

(١) الضبع : العضد .

(٢) اليفاع : ما ارتفع من الأرض ، وأناف به على اليفاع ، وأخذ
بضبعيه : يريد أنعشه ونوه به وسما .

(٣) اطلع الأرض : بلغها ، والقعج : الطريق الواسع بين جبلين في قبل
من أحدهما .

(٤) يقال : فت هذا الشيء في عضده : إذا كسر قوته ، والمراد بلغت منه
واستولت عليه .

(٥) قبع القنفذ : أدخل رأسه في جلده ، وكذلك الرجل إذا أدخل رأسه
في قميصه ؛ وكسر البيت : جانب الحباء .

نهض بعد ذلك جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب ، فهذب ما وضعه السكاكي ، وضم إليه تنقلاً مما وضعه عبد القاهر ، وأخرج للناس كتاباً هشت له النفوس ، وأصاب منها مواقع الماء من ذي الغلّة الصادي .

ظهر حوالى ذلك قوم درجوا من عس الفلسفة ، فوضعوا على هذا الكتاب الشروح والحواشى ، وسلكوا بهذا العلم مسلكاً تنكره اللغة ، ويستهجونه الباغاء ، فأغمضوا عن أبرار البلاغة ، وتشبثوا بالفلسفة ، وحمى بينهم وطيس المناظرة ، حتى أتوا على الذمّاء الباقى من هذا العلم ، وحتى أضحى وقد انهالت دعائمه ، وتنكرت معاملة :

كأن لم يكن بين الحججون إلى الصفا أنيس ولم يسر بمكة سامر أتى على ذلك حين من الدهر بلغ من هذا العلم نسيئة^(١) ، حتى أتيح له فى هذا العصر إمام^(٢) تولى الله تأديبه ، وأرضعه أفوايق حكيمته ، وأوحى إليه صالح العلم ، وأيده بآيات الحق : إمام أرسله الله رحمة للغة والدين ، رحمة للغة بما يدبجه يراعه ، وما يحويه من آثار المتقدمين ، ورحمة للدين بما يبين من صحيحه ، ويكشف عن صريحه ..

فينا تراه فى جحفل من البلاغة والبيان ، ينافح كتائب العمى بعصب يمان ، ويفزى أحشاء الفهاهة يبراع أحد من السنان^(٣) ، إذا هو فوق منبر

(١) النسيس : بقية الروح ، ويقال : بلغ منه نسيسه : إذا أشرف على التلف .

(٢) هو أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده .

(٣) الجحفل : الجيش ، وينافح : يضارب أشد المضاربة ، والكتائب

جمع كتيبة : وعى الجيش أيضاً ، والإعصب : السيف القاطع ، استعير هنا للسان ، ويفزى : يقطع ، والمراد ظاهر .

التذكير ، يسوق للناس الرشدي نوايغ الكلم ، وروائع الحكم ، فلا يلبث أن يقوم من أود المائل ، ويبحث من النفوس جذور الباطل^(١) ، وبيننا تراه ينقب في مناجم العلم ، ليلتقط من آثار الآباء ، ما تكون فيه عبرة الأبناء ، إذا هو يخرج للناس من منجم علمه ، جواهر تزرى بثلك الجواهر ، ويبرز بها شاو الأوائل والأوشح

كان من بين ما قرأناه عليه حفظه الله : كتابا أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لذلك الإمام ، فما هو إلا أن سطع فينا نور هذين الكوكبين ، حتى استبان لنا سوء ما كنا نعتسف فيه^(٢) ، ورحمنا أنفسا وأنصبتناها في غير طائل ، ومطايا من العمر أنضيناها في سبيل الباطل ، وحتى علمنا أن ما الدنيا من هذا العلم لم يكن إلا سبابة لا تنفع غاية^(٣) ، ولا تغني عن رواد البلاغة .

وهذا ما حرك النفس إلى شرح ذلك الكتاب ، الذي هو عمدة طلاب البلاغة في هذا العصر ، وقبلتهم التي يحجون إليها ، لولا ما يعترض سبيلهم من اختصار ألبأ المؤلف إليه رغبة أن تكون قواعد هذا العلم على طرف الثمام^(٤) ، والذي عقد عليه أولئك القوم سحبا من الألفاظ حجبت معانيه دون الطالب لتلك الأسرار ، كما تحجب الغيوم صفحة البدر دون الأنظار ، ولم نزل رَدَحًا من

(١) الأود : الأعوجاج ، ويبحث : يقتاع .

(٢) الركاب يعتسفن الطريق : يخبطنه على غير هداية .

(٣) نفع الماء العطش : سكنه ، وهذا الشيء لا يغني عنك : لا ينفعك .

(٤) الثمام : نبت ضعيف لا يطول ، ويقال : هو لك على طرف الثمام :

أى هين المتناول .

الزمن نستخير الله في أن نلج هذا المأزق المتلاحم ، حتى حار لنا سبحانه وديننا من الصبر درع مسرودة لا تنفذ فيها السهام^(١) ، ومن الثقة بالله قبس^(٢) يضيء لنا دُجَنَاتِ الظلام .

أسلفنا أن ثمرة هذا النوع من العلم هي إدراك إعجاز القرآن ، والوقوف على الأسرار التي بها يرتفع شأن الكلام ، ويفضل بعضه بعضاً . لكن لا بد للمرء قبل ذلك أن يحظى برس^(٣) من اللغة ، ويصيب ذرواً من النحو ، ويرشف الضرب من لسان العرب^(٤) ، ويكون له مع ذلك خاطر كدم في مكدم ، وذهن إذا لاقى الضريبة صمم^(٥) .

أما النحو : فهو معيار لا يتبين نقصان كلام ورجحانه ، حتى يعرض عليه ، ومقياس لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ، ومن شذفيه فقد خمش وجه الكلام ، وجعل نفسه غرضاً لسهام الملام ؛ انظر كيف نعى على أبي نواس حين غلط في قوله يصف الخمر^(٦) :

(١) الردح : المدة ، والمأزق : المضيق . ويقال : سرد الدرغ : نسجها ، وهو تداخل الحلق بعضها في بعض .

(٢) القبس : جذوة من نار ، والدجنة : الظللة .

(٣) يقال : بلغنى رس من خبر وذرو من قول : أي شيء منه .

(٤) الرشف : المص ، والضرب : العسل الأبيض الغليظ والمعنى ظاهر .

(٥) كدم في مكدم : طمع في مطمع ، وقوله وذهن إذا لاقى الضريبة صمم ،

فالضريبة : المضروب بالسيف وإنما دخلته الهاء - وإن كان بمعنى مفعول - لأنه صبار في عداد الأسماء كالنطيحة ، يشبهه الدهن بالسيف في المضاء .

(٦) لأن فعله أعمل لا يجوز حذف الألف واللام فيها ، وإنما يجوز

كأن صغرى وكبرى من فواقهما . حصباء در على أرض من الذهب
وكيف سلقه الناس بأستهم ، حين قال فى الأمين محمد^(١) :
ياخير من كان ومن يكون إلا النبي الطاهر المأمون
وقل لى بعيشك : هلى يمكن الحاهل به أن يزود عن القرآن فيما عساه
أن يخفى من وجوه الإعراب ، فيدرك ماقاله العلماء مثلافى قول الله جل شأنه :
«إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابثون^(٢)» وماستشهدوا به من قون الشاء :
وإلا فاعلموا . أنا وأتم بغاة ما بقينا فى شقاو
وأما اللغة والأدب فهما مسرح الفصاحة ، ومعنى البلاغة ، نعم ، وهل
يتسنى للقائل أن يعمد إلى ما كان من الكلمات عذب النطق ، سهل اللفظ ،
غير حوشى مهجور ، ولا سوقى مردود ، وما كان من الترا كيب جيد
السبك ، محكم الرصف ، غير مستكره فج ، ولا متكلف وخم ، وما كان من
التشبيه والمجاز والكناية قد أصاب المحز ، ووضع فيه الهداء مواضع الثقب ،

حذفها من فعلى التى لا أفعالها نحو : حبلى ، إلا أن تسكون فعلى أفعال مضافة .
وهنا عريت عن الإضافة .

(١) فإنه رفع الاستثناء من الموجب .

(٢) سيمر بك فى الشرح أن «الصابثون» مرفوع على الابتداء وخبره
محذوف والنية به التأخير عما فى حيز إن من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إن الذين
آمنوا والذين هادوا والنصارى ، حكمهم كذا ، والصابثون كذلك ، وإن فائدة
التقديم التنبيه على أن الصابثين مع كونهم أبين المذكورين ضلالا وأشد هم غيا ،
يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم .

إلا إذا ضرب في اللغة بسهم ، وجرى في أساليبها على عرق^(١) ، وهل يتأتى
للرجل أن يدرك إعجاز القرآن ، وتبريزه على سائر الكلام ، حتى يلم بجميع
خروبه ، ويسر سائر أساليبه .

ولقد أفضى الجود بقوم إلى أن بخشوا الأدب حقه ، ولم يوفوه من
الإعظام قسطه ، حتى صوّحت لديهم زهرته ، وذوّت بينهم نضرته^(٢) ،
وصار من يحاول العلم منهم ، فإنما يرتوي من آجن ، ويكتنز من غير طائل ،
ألم يعلموا أن العلوم عيال عليه ، وأن الشريعة مفتقرة إليه ، وأن مثلها ومثله
قول أبي الأسود الدؤلي :

فإِلَّا يَسْكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ أَخُوها غَدَتُهُ أُمّه بِلِيَانِهَا

وهل بلغ أئمة الدين هذه المنزلة : فهم أغراض القرآن ، ومعرفة أسرار
الشريعة ، إلا بعد أن قبضوا على خزائم الأدب ، وألقيت إليهم مقاليد اللغة ،
ألم يكن مما نجم عنه تعدد الآراء بينهم ، أن كان أحدهم يروي من كلام
العرب ما يروي الآخر غيره ؟ هذا لفظ القرء مثلا ، ذهب مالك رحمه الله إلى
أنه الطهر ، وحبته في ذلك قول الأعشى :

أَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمٌ غَزْوَةٌ تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

(١) يقال : فلان بصيب بكلامه المحز ، ويضع الهناء مواضع النقب :
إذا كان ماهراً مصيباً . والهناء : القطران ، والنقب جمع نقبة : وهي أول ما يبدو
من الحرب قطعاً متفرقة ، والعرق : الأصل ، والمعنى ظاهر .
(٢) صوّحت الزهرة : يبست ، وذوّت البقل : ذبل .

مُورَثَةٌ مَالًا وَفِي الْحَيِّ زِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرْوٍ نِسَاتِكَا
وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أنه الحيض ، ومستنده قول الراجز :
يَارِبَّ ذِي ضِعْنٍ عَلَيَّ قَارِضٍ يُرَى لَهُ قَرْوٌ كَقَرْوِ الْخَائِضِ
وبكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : قصوا الشارب وأعفوا اللحى ، قال
قوم معناه : وفروا وكثروا ، وقال آخرون : قصروا ونقصوا ؛ حجة من
ذهب إلى التكثير قول جرير :

وَلَكِنَّا نَعِضُّ السِّيفَ مِنْهَا بِأَسْوَقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كَوْمِ (٢)

وحجة من ذهب إلى التقصير : قول زهير .

تَحْمَلُ أَهَانًا مِنْهَا فَبَانُوا عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ

ومثل هذا كثير : لا يكاد يحصيه الاستقصاء ، حتى لقد اختصه العلماء
بالتأليف ، وأفردوه بالكتاب ؛ اللهم إنَّ الصادَّ عن معرفة اللغة وأسرار
العربية صاد عن تعرف كتابك ، وأسرار شريعتك ، فسواء من أعدم
الناس الدواء الذي يشفي من الداء ، وتستبقى به حشاشة الأنفس ، ومن
أعدمهم العلم بأن فيه شفاء ، وأن لهم فيه استبقاء .

أين أنت أيها القاروق الذي قلت حين تلت قول الله جل شأنه :
«أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون أو يأخذهم على تخوف » ثم قلت لإخوتك المؤمنين :

(١) منها : أي من النوق ، والأسواق : جمع ساق ، والكوم : جمع كوماه :

وهي الناقة العظيمة السنام . يقول إنه يعقر النوق العظيمة بالسيوف .

ما تقولون فيها ، فهض ذلك الهذلي وقال : هذه لغتنا . التخوف : التنقص ،
وأنشد قول أبي كبير يصف ناقته :

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخُوفَ عَوْدَ النَّبْعَةِ السَّقَنِ^(١)

فقلت عليكم بديوان العرب ، فإن فيه تفسير كتابكم .

من لى بك لتنظر حال القسائمين بأمر الدين الآن ، وازدراءهم للغة القرآن ،
حتى بلغ بهم الأمر أنهم يرمون البلغاء بالسخف ، وتهمونهم بالزيغ عن الجادة ،
اللهم إن هذا خذلان فأدر كنا برحمتك ، وهيء لنا من أمرنا رشدا .

إلى هنا علمت أن البلاغة لا يسلس قيادها ، إلا لمن شدا في الأدب
وعلم النحو والصرف واللغة ، وهذا النوع من العلم علم أسرار البلاغة ،
ولطائف الفصاحة ، المسمى بعضه : علم المعاني ، وبعضه الآخر : علم البيان ،
ومن ثم قال البيانيون : إن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ،
إذ لا يكون ذلك إلا بوساطة هذه العلوم ، كما ستعرف .

وحيث انتهى بنا الحديث إلى هذا الموضوع ، وجب علينا أن نوفي القول
في الفصاحة والبلاغة حقه من البيان .

ولع الناس قديماً بأمر الألفاظ ولو عاً صرفهم عن جادة الاعتدال ، وجار
بهم عن قصد السبيل ، فعكفوا على العبارات المزخرفة ، والألفاظ المفوفة ،
والتراكيب الضخمة ، واجمل الفخمة ، وكادوا يقصرون الفصاحة على هذا

(١) تامكاً : سناماً عظيماً ، والقرد : الذي أكله القراد ، والسفن : الحديد
الذي ينحت به وهو المبرد ، يقول : إن الرجل أثر في سنام الناقة وتنقص منها
كما ينقص السفن من العود .

النوع من الحسن ، ويذهبون إلى أن ذلك هو الذى يرتفع به شان الكلام ويفضل بعضه بعضاً ، ويبعد الشأن فى ذلك حتى ينتهى الأمر إلى الإعجاز ، وإلى أن يخرج من طوق البشر جميعاً ، فانبرى لهم الشيخ عبد القاهر رحمه الله ، وأرهف عليهم لساناً أحرص الشقاشق^(١) ، وأعدم نطق الناطق ، وأسأل الوادى عليهم مجزاً ، وأخذ منافد القول عليهم أخذاً ، فنادى بفساد مذهبهم هذا ، وإنه قد يفضى إلى إنكار إعجاز القرآن ، وإن ذلك وحده لا تثبت به فضيلة ، ولا يشف عن براعة خاطر ، وإنما الذى يدل على بعد الغور ، ودقة الفكر ، ويرتقى به الكلام حتى ينتهى إلى حيث تنقطع الأطماع ، وتحسر الظنون ، وتستوى الأقدام فى العجز ، هو تلك الأسرار والدقائق التى وضع لها كتابيه : أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز .

ذهب هذا الإمام إلى أن معترك البلاغة الذى تُظهِر فيه الخواطر براعتها ، والبلغاء مُنتها^(٢) ، هو عند توخى تلك الأسرار والمعانى فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام . فالبلغ هو الذى يضع كلامه الوضع الذى تقتضيه تلك المعانى ولا يخل بشيء منها . فينظر مثلاً إلى الوجوه التى تراها فى قولك : زيد منطلق ، وزيد ينطلق ، وينطلق زيد ، ومنطلق زيد ، وزيد المنطلق ، والمنطلق زيد ، وزيد هو المنطلق ، وفى الشرط والجزاء إلى

(١) الشقاشق : جمع شقشقة وهى شئ كالرثة يخرج به البعير من فيه إذا هاج ، ويقال للفصيح : هدرت شقاشقه ، يريدون قوة البيان ، ويقال : فى بخلاف ذلك : خرس الشقاشق .

(٢) المنة : القوة .

الوجوه التي تراها في قولك : إن تخرج أخرج ، وإن خرجت خرجت ، وإن تخرج فأنا خارج ، وأنا تخرج إن خرجت ، وأنا إن خرجت خارج ؛ وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : جاءني زيد مسرعاً ، وجاءني يسرع ، وجاءني وهو مسرع ، أو هو يسرع ، وجاءني قد أسرع وجاءني وقد أسرع ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويحيى به حيث ينبغي له ، وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضع كلاماً من ذلك في حاق معناه ، نحو أن يحيى بما في نفي الحال وبلا إذا أراد الاستقبال ، وبأن فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون ، وبأذا فيما علم أنه كائن ، وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه موضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع ثم ، وموضع أو من موضع أم ، وموضع لكن من موضع بل ؛ وينظر في التعريف والتكبير والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار ، فيصيب بكل من ذلك مكانه ، ويستعمله على وجهه ؛ ثم إنه ليست المزية بواجبة لهذه المعاني في أنفسها ، ومن حيث هي على الإطلاق ، ولكن تعرض بحسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها من بعض ، فليس إذا راقك التكبير مثلاً في سؤدد من قول البحترى :

تَنقَلَّ في خَلْقِ سُودٍ سَمَاحاً مُرَجِي وبِأَسَامِييَا

وجب أن يروقك أبداً وفي كل شيء ؛ بل ليس من فضل ومزية الإبحسب
الموضع ، وبحسب المعنى الذي تريد ؛ وإنما سبيل هذه المعاني : سبيل الأضباغ

التي تعمل منها الصور والنقوش ، فكما أنك ترى الرجل قد شهدي في الأصابع
التي عمل منها الصور والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخيير
والتدبير في أنفس الأصابع وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجها لها وترتيبه إياها :
إلى ما لم يهتد إليه صاحبه ، فحاء نقشه من أجزا ذلك أعجب ، وصورته أغرب ؛
كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيها معاني النحو ووجوهه .

وزبدة القول : إن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ، وكل ما شا كل
ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين عن بعض ، من حيث راموا أن
يعلموا السامعين ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم ، إنما هي ألفاظ
مترادفة لا معنى لها غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما لو كانت
دلالة ، ثم تبرحها في صورة هي أهي وأزين ، وآتق وأعجب ، وأحق بأن
تستولى على هوى النفس ، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب ، وأولى بأن
تطلق لسان الحامد ، وتطيل رغم الحاسد ، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير
أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، ويختار له اللفظ الذي هو
أخص به ، وأكشف عنه وأتم له ، وأحرى بأن يكسوه فضلا ويكسبه نبلا ،
وإذن فمرجعها النظم والكلام ، دون الألفاظ المجردة والكلمات المفردة .

وقد استظهر عبد القاهر لهذا بعدة أمور ، منها : أنك
تؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك في موضع آخر ، كلفظ
الأخذع في بيت الحماسة :

تأنت نمو الحى حتى وسدتنى وجمعت من الإصغاء لبيتاً وأخذعا

وبيت البحترى :

وإني وإن بلغتني شرف الغنى وأعتقت من رقي المطامع أهدعي
فإن لها في هذين المكانين مالا يخفى من الحسن : ثم إنك تتأملها
في بيت أبي تمام :

يادهر قوم من أهدعك فقد أضججت هذا الأنام من جرقك^(١)

فتجد لها من الثقل على النفس . ومن التنغيص والتكدير : أصعاف
ما وجدت هناك من الروح والخفة ، والإيناس والبهجة : وهذا باب واسع .
فإنك تجد الرجلين قد استعملا كما بأعيانها ، ثم ترى هذا قد فرع السماك ، فإنك
وترى ذلك قد لصق بالحضيض . سو كانت الكلمة إذا حسنت . حسنت
من حيث هي لفظ ، وإذا استحقت المزية والشرف ، استحقت في ذاتها وعلى
انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في
النظم لما اختلف بها الحال ، ولكانت إما أن تحسن أبدا ، أو لا تحسن أبدا .

ومنها أنك لا تشك إذا فكرت في قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابغى ماءك
وياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا
للقوم الظالمين » فتجلى لك منها الإعجاز ، وبهرك الذي ترى وتسمع . إنك لم
تجد ما وجدت من المزية الظاهرة إلا الأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها

(١) الخرق بالضم : العنف ، وكذلك الحق والجهل ، وضم الراء للشعر ،
ويريدون بتقويم الأهدعين — وهما عرقان في صفحتي العنق كالليتين : لإزالة
الكبر والعنف .

ببعض ، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية
والثالثة بالرابعة ، وهكذا إلى أن نستقر بها إلى آخرها ، وأن الفضل تنأج
ما بينها ، وحصل من مجموعها ؛ وكذلك إذا نظرت إلى قول ابن المعتز :

سألت عليه شعاب الحنى حين دعا أنصاره بوجه كالدنانير

فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها ، إنما تم لها الحسن ،
وانتهى إلى حيث انتهى بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها
ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها ، وإن شككت فانظر إلى الجارين
والظرف ، فأزل كلا منهما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه ، فقل سألت
شعاب الحنى بوجه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره . ثم انظر : كيف يكون
الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة ، وكيف تعدم أريحيتك التي كانت ،
والنشوة التي كنت تجدها ؟

ومنها غير ذلك مما أثبتناه في غير هذا الموضع من الكتاب .

أما المتأخرون كالسكاكي والخطيب وابن الأثير فهم — إذا ألفت
النظر وأنعمت الفكر — ممن سلكوا طريقة عبد القاهر وقفوا إثره ، ذاك لأنهم
لم يقصروا الفضيلة على هذا النوع من الحسن : تلاؤم الحروف وسلاسة الألفاظ
بل جعلوا ذلك وجهاً من وجوه الفضيلة ، وداخلاً في عداد ما يفاضل به بين
كلام وكلام ، وبينوا أن قوام الشرف والنبال هو تطبيق الكلام على مقتضى
الحال ، الذي عبر عنه الشيخ : بتوخي معاني النجوفيا بين الكلم على حسب
الأغراض التي يصاغ لها الكلام . بيد أنهم عمدوا إلى الفصاحة وأخرجوها

من حيز البلاغة ، وجعلوها : اسماً لما كان بنجوة من تنافر الحروف ، وغرابة الألفاظ ، ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد في النظم والمعنى ، ومخالفة القانون النحوي ؛ وجعلوا البلاغة اسماً لما كان مطابقاً لمقتضى الحال مع فصاحته ؛ وهذا غير قادح فيما ذهب إليه الشيخ .

هذا وما كلف الشيخ رحمه الله بشأن النظم ، والتنويه بتلك الأسرار . حتى طال بكلامه الأمد ، وحتى كاد يتجاوز غاية الإفصاح إلى نهاية الإملال ، إلا لما عني به ووضع لأجله كتابه دلائل الإعجاز من إزالة ما كان يعلق بالأذهان كافة في عصره من الخطأ في وجه إعجاز القرآن .

﴿ و بعد ﴾ فمن المعروف أن القرآن تحدى العرب إلى معارضته ، وأخدهم بالإتيان بمثل أقصر سورة منه ، فما كان إلا أن استولى عليهم العجز ، وبلغ منهم العي ، وخرست ألسنتهم فما تحير مقالا ، وخذلت قرومهم فما تستطيع صيالا : وآية ذلك فرارهم إلى شبا الأسنه ، واقتحامهم غمرات الموت ، ووكان لهم عنها محيص لا بتفوا إليه سيلا ؛ بيد أن للعلماء في وجه الإعجاز مذاهب لا تتعدى أربعا : فذهب بعض إلى أن الله سبحانه ما أنزل القرآن ليكون حجة للنبوة . بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام ، والعرب إنما لم يعارضوه لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب عيولهم به : وذهب فريق إلى أن إعجازه في أن له أسلوباً يختص به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد ، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام المنظوم ، تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ، وإلى الكلام الموزون المسجع ، وإلى ما يرسل إرسالا ، وأسلوب القرآن

مباين لهذه العارق . خارج عن هده الوجود : لا سيما في مقاطع الآيات ، مثل
يعلمون ويؤمنون . وذهب ثالث إلى أن إعجازه في أن اشتمل على الغيوب
ومالم تلم به علوم الناس : من أخبار من مضى ، وأحوال مستقبل الأيام .
وذهب آخرون إلى أنه معجز بفصاحته ، ووافقهم على ذلك الشيخ
عبد القاهر إلا أنه خالفهم فيما ذهبوا إليه من تفسير الفصاحة بالمزايا اللفظية
التي تتعلمور الكلام : كالتشبيات ، والاستعارات ، والكنائيات ، وإرسال المثل ،
والجناس ، والتورية ، وكل أنواع الصناعة اللفظية : وفسرها هو بتوخي معاني
النحو ، وأسرار التركيب ، وترتيب الكلام حسبما تقتضيه المقاصد والأغراض .
وقال : إن هذا هو وجد الإعجاز في القرآن ، وهده هي المزية التي امتاز بها عن
سائر الكلام . فأما التشبيات والاستعارات وأحوالها ، فمزايا يشاركه فيها كل
كلام العرب . وما سمع عن أحد من العرب ممن عجب بفصاحة القرآن أنه طرب
لتشبيده ، أو دهش لتمثيل . أو عجب لجناس أو تورية ، أو صعق لسطاع مثل
غريب ونكتة بديعة : وما كان يروعهم ويملك عليهم مشاعرهم : غير تلك
الأسرار والمعاني التي سلك فيها القرآن مسلكا خرج عن طوق البشر ، فما
تأرصه مغارض ، ولا حدث نفسه محدث ، بل ظلوا حيارى هائمين ، يقولون :
سحر ! نعم إنه السحر الذي يأخذ بمجامع القلوب ، ويملك الحواس ، ويختلب
الألباب : ولعل الإفاضة في هذا البحث ، وإيفاء حقه من البيان ، يخرج بنا
عن موضوع هذه المقدمة : فلنمسك بعنان القلم ، ونكته إلى كتبه الخاصة به ،
فهناك البيان الواضح . والإفاضة الوافية ، والله ولي التوفيق .

عبد الرحمن البرقوقي

تقریظ

أستاذنا الامام المغفور له الشيخ محمد عبده

بني عبده في الحقيقة ان ملحة البيان و قوة الكفر على سبيل التفسير
سماز به ان تفسيره من المعنى تبلغ من ساطع ما يزيد من الزمى و قد انه يحيل
بالى و حوسب الرنة ببارغم عنه او المرفة ما كان يحيل كيه او يقين ميل الى
الرجوب او غير برودر سكونه او تحير في اعتقاد التفسير لعمارة اربايبه
و لكن ما يقصد الكمال - انما يرتب كسبي . . . وقت النفس كذالك لما سن
نظرة ما تسمى . . . فلو لم يفتت بشا بين ميراث صدق الله في

حقيقة الامام

اسديك

و صفة الكمال بعد ما يظهر كماله الى ان يكون بين الله اتم التواضع له صاحب
الناحر الكرمى و تبعد من ما يده و على من رز الخبز و الفصح . . . و انما هو التواضع
يلجوا بينى بسبب النفس الى من اسر اربايبه ان لعمارة يكون الفصل كذالك لو كانت الجبل

على لغة من وجهه كسبي

و قد سبب التواضع من انما هو التواضع من الله . . . و انما هو التواضع من الله
الغاية من و صفة فخره الوقت فيه . . . فاستتم اللذة نفسا بجمع بقا لدها
فقد حسنته او اتسوا . . . و مع يقين سواد اظفورا . . . انما هو التواضع من الله

جو عبدا لخاصه معوه حال نفسه . . . و كذا من كونه

شرح الهمم عبدا من الرقوى . . . و انما هو التواضع من الله . . . و انما هو التواضع من الله
معنا من التواضع من الله . . . و انما هو التواضع من الله . . . و انما هو التواضع من الله
أمره منه على عونا رأيت . . . و انما هو التواضع من الله . . . و انما هو التواضع من الله
عنا ما جاز فيه و انما هو التواضع من الله . . . و انما هو التواضع من الله . . . و انما هو التواضع من الله
و كتب اناب العلى . . . و انما هو التواضع من الله . . . و انما هو التواضع من الله
منه من نفسه . . . و انما هو التواضع من الله . . . و انما هو التواضع من الله . . . و انما هو التواضع من الله
بعد و هو و صفة . . . و انما هو التواضع من الله . . . و انما هو التواضع من الله . . . و انما هو التواضع من الله

ليست البلاغة في الحقيقة إلا ملكة البيان ، وقوة النفس على حسن التعبير عما تريد من المعنى ، لتبلغ من مخاطبتها ما تريد من أثر في وجدانه -يميل به إلى الرغبة فيما رغب عنه ، أو النفرة مما كان يميل إليه ، أو تمكين ميل إلى مرغوب ، أو تقرير نفرة من مكروه . أو تحويل في اعتقاد ، أو تغيير لعادة ، أو ما يشبه ذلك مما يقصد بالخطاب ، وذوق النفس كذلك لمحاسن ما تسمعه ، أو وجوه النقد فيما يلقي إليها ؛ هذه هي البلاغة في حقيقة الأمر .

وضعوا علوماً ليصل محصلها إلى امتلاك تلك الملكة ، أحكم قواعدها عبد القاهر الجرجاني ، وتبعه من جاء بعده على نوع من التحرير والتنقيح . وجاء صاحب التلخيص تجمل ما ينبغي تنبيه النفس إليه ، من أسرار تأليف الألفاظ ، ليكون المحصل لذلك الجمل على بصيرة من وجوه التعبير .

شرحه كثير من الناظرين في الفن ، وتعلق الأغلب بلفظه ، ولم ينظروا الغاية من وضعه ، فصرفوا الوقت فيه ، وفاتهم البلاغة نفسها بجميع مقاصدها ، فلا هم يحسنون إذا كتبوا ، ولا هم يقنعون إذا خطبوا ، ولا هم يحسنون الاستماع إذا خوطبوا ، كما هو معروف لأنفسهم ، ولكل من يعرفهم .

شرحه الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ، واطلعت على نموذج من شرحه ، فوجدته كافياً في تبين معنى ما في الكتاب ، موجهاً نظر الناظر فيه إلى ما قصد منه : ولا حاجة بالسائر إلى الغاية من الفن إلى ما هو أكثر مما جاء فيه ،

وإنما الواجب عليه تحصيل الملكة بالعمل ، ومزاولة كلام البلغاء ، وكسب
أساليب الفصحاء ، حتى يتم له من شأنه ما يريد ، ويشهد له كلامه قبل
أن يشهد هو لنفسه ؛ وليس لكلامه أن يشهد حتى يروق العلم وأهله ،
وعدوه وخاله ؛ وأسأل الله أن ينتفع بهذا الشرح مطالعه ، ويستفيد
منه مراجعته ؟

محمد عده

فاتحة التلخيص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ على ما أنعم ، وعلم من البيان ما لم نعلم . والصلاة والسلامُ على سيدنا محمد ، خير من نطق بالصواب ، وأفضل من أوتى الحكمة^(١) . وفصل الخطاب . وعلى آله الأطهار ، وصحابه الأخيار .

« أما بعدُ » فلما كان علمُ البلاغةِ وتوابعها من أجلِّ العلومِ قدراً ، وأدقِّها سرّاً ، إذ به تُعرف دقائق العربيةِ وأسرارُها ، وتُكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها ؛ وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي : أعظم ما صنّف فيه من الكتب المشهورة نفعا ، لكه نه أحسنها ترتيباً ، وأتمها تحريراً ، وأكثرها للأصول جمعاً ؛ ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد ، قابلاً للاختصار ، مفتقراً إلى الإيضاح والتجريد^(٢) : ألّفَتْ مُختصراً يتضمّن ما فيه

(١) الحكمة : كمال العلم وإتقان العمل . وفصل الخطاب : الكلام البين الذي يذبه المخاطب إلى المقصود من غير التباس . أو الخطاب الذي يفصل بين الحق والباطل .

(٢) أي تجريده عما فيه من الحشو

مقدمة الشارح

للطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وسلام على عباده الذين اصطفى »

« وأما بعد » فإني أحمدُ الله سبحانه أن حاط هذا الشرح بالقبول ، وكتب له البقاء والخلود ، حتى رأيتَه يطبع للمرة الثانية ، بعد أن مضى على طبعته الأولى نحو من ثمان وعشرين حجة ، وبعد أن رأيتُ « نَعَامَ القلوب إليه زَفَافَةً ، ورياح الآمال حَوَّله هَفَافَةً ، ووعيون الأفاضل نحوه رَوَامِقَ ، وأستهم بتمنيهِ نواطق »

والكتاب فيما أظن ويظن معي أفاضلنا ، أكان المتن أم الشرح : يستحق هذا القبول . وطول الإفادة منه ، فإن المتن رضى الله عن صاحبه أنجمع كُنَاشَةً لعلوم البلاغة ، على صغر حجمه ، ووجازة كلمه ؛ والشرح من أوسط الشروح وأجملها ، جَلَوَتْ فيه هذا العلم كما تجلَى العروس .

على أن هذه الطبعة الثانية تمتاز عن الأولى بالكثير الكثير ، من الضبط والزيادة والتحوير .

وإلى الله أضرع أن يديم الانتفاع به ، ويجعله بسبب من مرضاته .
إنه سميع الدعاء .

عبد الرحمن البرقوقي

٢١ شعبان سنة ١٣٥٠ هـ الموافق أول يناير سنة ١٩٣٢

من القواعد ، وَيَشْتَعِلُ عَلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْثَلَةِ وَالشَّوَاهِدِ ، وَلَمْ آلِ
جَهْدًا^(١) فِي تَحْقِيقِهِ وَتَهْذِيبِهِ ؛ وَرَتَّبَتْهُ تَرْتِيبًا أَقْرَبَ تَنَاوُلًا مِنْ تَرْتِيبِهِ ، وَلَمْ أَبَالِغْ
فِي اخْتِصَارِ لَفْظِهِ تَقْرِيبًا لَتَعَاطِيهِ ، وَطَلَبًا لِتَسْهِيلِ فَهْمِهِ عَلَى طَالِبِيهِ ؛ وَأَضَفْتُ
إِلَى ذَلِكَ فَوَائِدَ عَثَرْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْقَوْمِ عَلَيْهَا ، وَزَوَائِدَ لَمْ أَظْفَرَ فِي كَلَامِ
أَحَدٍ بِالتَّصْرِيحِ بِهَا وَلَا الْإِشَارَةِ إِلَيْهَا ، وَسَمِيَتْهُ « تَلْخِيصُ الْمَفْتَاخِ » .
وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ : أَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ ، كَمَا نَفَعَهُ بِأَصْلِهِ ؛ إِنَّهُ
وَلِيُّ ذَلِكَ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) الألو : التقصير ، وأصله : أن يعدي بالحرف ، بيد أنه ضمن معنى
المنع ، فصار المعنى : لم أمنعك اجتهاداً .

م

﴿ الفصاحة ﴾ يُوصَفُ بِهَا الْمَفْرَدُ وَالْكَلَامُ وَالْتِكَلُّمُ .

« وَالْبَلَاغَةُ » يُوصَفُ بِهَا الْأَخِيرَانِ فَقَطُّ .

فَالْفَصَاحَةُ فِي الْمَفْرَدِ : خُلُوصُهُ مِنْ تَنَافُرِ الْحُرُوفِ ، وَالغَرَابَةِ ، وَتُخَالَفَةِ

الْقِيَاسِ . فَالتَّنَافُرُ ؛ نَحْوُ :

* غَدَائِرُهُ مُسْتَشْرِزَاتٌ إِلَى الْعُلَى *

(الفصاحة) إن للبيانين في الفصاحة والبلاغة أقوالا مضطربة ، وآراء

متباينة ، وهذا حديث فيهما يثابج الصدر إن شاء الله .

الفصاحة وضعتها العرب لمعان تشف عن الظهور والإبانة ، يقولون : فصح

اللبن وأفصح : إذا أخذت رغوته ، وأفصح الصبح : إذا بدا ضوؤه . ومنه

المثل : أفصح الصبح لذي عينين ، وأفصح الأعمى بالعربية ، وفصح لسانه بها :

بخلصت لفته من اللكنة ، وهذا يوم مفصح وفصح : لا غيم فيه ولا قر .

ومن هنا أطبق علماء البيان على أن الكلام الفصيح ما كان سهل اللفظ ،

واضح المعنى ، جيد السبك ، متلائم الحروف ، غير مستكره فح ، ولا متكلف

وخم ، ولا بما نبذته العرب ، وعدلت عن ألفاظه البليغاء ، أو ما كان بنجوة من

تنافر الحروف ، وغرابة الألفاظ ، ومخالفة ما ثبتت عن الواضع ، وتنافر الكلمات ،

والتعقيد في النظم والمعنى ، ومخالفة القانون النحوي .

أما تنافر الحروف : فهو وصف في الكلمة ينجم عنه ثقل حملها على اللسان ،

والحكم في ذلك هو الإحساس الروحاني ، والدوق السليم الذي يثمره التحفظ

والغرابة نحو: * وفاحماً ومرسناً مسرّجاً * أى كالسيف الشريجي
في الدقة والاستواء، أو كالسراج في البريق والمنان؛ والمخالفة نحو:
* الحمد لله العليّ الأجلل * قيل: ومن الكراهة في السمع نحو:

لكلام العرب، ومزاولة أساليب البلاغ. وما جاء متنافراً كلمة: مستشزات،
في قول امرئ القيس:

غداثره مستشزرات إلى العلاء تضلّ العقاص في مثنى ومرسل

الغداثر: الذوائب، والضمير يرتبط بفرع في قوله:

وفرع يزين المتن أسوداً فاحم أثيث كقنو النخلة المتشكل

والاستشزار: الارتفاع والرفع جميعاً، فيكون الفعل منه تارة لازماً إن
كسرت زاية، ومتعدياً إن فتحها، ولعلاء: جمع عليها: تأنيث الأعلى، وأراد
الجهات العلاء، والعقاص جمع عقيصه: الخصلة من الشعر تأخذها المرأة فتلويها
ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم تجعلها وسط رأسها كالرمانه وهي الغديرة
يقول: إن غداثره مشدودة على الرأس وأن مجموع الشعر منه عقاص أو غداثر
ومنه مثنى - مفتول، ومنه مرسل، وأن العقاص تغيب في الأخيرين والمراد أن
وقور شعرها وجمال وضعه.

والغرابة: أن يكون اللفظ حوشياً غير مألوف الاستعمال ولا ظاهر المعنى،
وذلك نوعان حسن لا يعاب استعماله على العربي الفصح، وهو في النظم أحسن منه
في النثر، وذلك مثل مشمخر: فإنها في قول البحترى يصف إيوان كسرى:

مشمخيرة تعلو آه شرفات رفعت في رؤس رضوى وقُدس

لا بأس بها، وقبيح حاس يعاب استعماله على سائر الفصحاء وهو أن يكون مع

* كَرِيمُ الْجَرِشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ * وفيه نظر .
وفي الكلام : خُلُوصُهُ مِنْ ضَعْفِ التَّأْلِيفِ ، وَتَنَافُرِ الكَلِمَاتِ ،
والتعقيد ، مع فصاحتها ؛ فالضعف نحو : ضَرَبَ غُلَامُهُ زَيْدًا ، والتنافر
كقوله : * وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ *

ذلك كزأ غليظاً ، مثل جحيش في قول تأبط شراً :

يَطَلُّ بِمَوْمَاءٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ (١)
ومثل اطلنخ في قول أبي تمام :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا أَطْلَخَمُ الْأَمْرَ وَأَنْبَعَثُ عَشْوَاهُ تَالِيَةً عُبْسًا دَهَارِيَسًا (٢)
ومثل جفخ في قول المتنبي :

جَفَخَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَغْرُ دَلَائِلُ (٣)
ومن هنا كان قول بعضهم : إن الكلام الفصيح ما كان في ألباطه عنجبية
الغرابية ، وبعد عن الاقنعة الإحاطة بمعناه ، وعز على الأفهام إدراكه : جهلا
بمحاسن الفصاحة وأوضاع البلاغة . قال الجاحظ - وهو من هو - : رأيت
الناس يديرون في كتبهم أن امرأة خاصمت زوجها إلى يحيى بن يعمر ، فأنتهرها

(١) الموماء : المفازة الواسعة : ويقال للرجل . إذا كان يستبد برأيه :
جحيش وحده : وهو ذم ، ويقال : اعروري الفرس ركبا عريانا . وهو
أفوعل ، مستعار هنا للهلكة .

(٢) اطلنخ الأمر : اشتد ، والدهاريس : النواهي .

(٣) جفخ : نخر وتكبر ، وشيم : فاعل ، والأغر : الشريف ، يقول جفخت
ونخرت بهم شيم ، وهم لا يفخرون بها ، وهذه الشيم دلائل على حسبهم الأغر

وقوله :

كريم متى أمدحه أمدحه وألورى معى وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحَدِي
والتعقيدُ : أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد ليحلل

براراً ، فقال له يحيى : آ إن سألتك ثمن شكرها وشبك أنشأت تطلبها
وتضهلها (١) ؛ ثم قال : فإن كانوا قد رووا هذا الكلام لكي يدل على فصاحة ،
فقد باعده الله من صفة الفصاحة .

هذا ، ومن الغريب الحوشى ما يحتاج إلى أن يخرج له وجه بعيد ، مثل :
مسرجا ، فى قول رؤية بن العجاج :

أَيَّامٌ أَبَدَتْ وَأَنْتَحَا مُفَلَّجًا أَغْرَبَ بَرَّاقًا وَطَرْفًا أَبْلَجًا

وَمُثَلَّةٌ وَحَاجِبًا مُزَجَّجًا وَفَاحِمًا وَمَرَسِنًا مُسْرَجًا

المرسن : الأنف . فلا يعلم ما أراد بقوله : مسرجا ، حتى اختلف فى تخريجه ،
فقيل : من قولهم للسيوف سريجية أى منسوبة إلى قين يقال له سريج ، يريد : أنه
فى الاستواء والدقة كالسيف السريجى ، وقيل : من السراج ، يريد : أنه فى البريق
كالسراج ، وهذا يقرب من قولهم : سرج وجهه بكسر الراء : أى حسن ، وسرج
الله وجهه : أى بهجه وحسنه .

هـ هذا ، وكما أن تهذيب الكلام من الغرابة شرط فى الفصاحة . كذلك
تهذيبه من الابتذال . فينبغى للفصيح أن يحتنب السوقى المبتذل الذى أبلاه
التكرار ، وتدل باستعمال العامة إلى الحضيض .

ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، مثل : الأجال ، فى قول أبى النجم :

هـ الحمد لله العلى الأجلل هـ

(١) الشكر بالفتح ويكسر : العرج ، وضهل فلاناً حقه ، كنع : نقصه إياه
وأبطله عليه ، وتطلها كتمدها : تطلها ، والشبر : حق النكاح أو النكاح نفسه .

إِنَّمَا فِي النَّظْمِ ، كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ فِي خَالِ هِشَامٍ :
وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُوكًا أَبْوَابُهُ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

القياس : الأجل بالإدغام ، ومثله قول المتنبي :
فَلَا يُبْرِمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُحْلِلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُبْرِمُ
ومخالفة القانون النحوي ، مثل : ضرب غلامه زيداً ، فإن رجوع الضمير إلى
المفعول المتأخر لفظاً ممتنع عند الجمهور ، لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر
لفظاً ورتبة ، ومثل ذلك قوله :

كَسَا حِلْمُهُ ذَا الْحِلْمِ أَتْوَابُ سُودِدٍ وَرَقِي نَدَاهُ ذَا النَّدَى فِي ذُرَى الْمَجْدِ
وتنافر الكلمات ما كان مثل قول القائل (١) :

وَقَبْرٌ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ
وقول ابن بشير يرثي أحمد بن يوسف :

لَا أَذِيلُ الْإِمَالَ بَعْدَكَ إِنِّي بَعْدَهَا بِالْأَمَالِ جِدُّ بِحِيلِ
كَمْ لَهَا مَوْقِفٌ بِبَابِ صَدِيقٍ رَجَعَتْ مِنْ نَدَاهُ بِالْتَّعْطِيلِ
لَمْ يَضِرْهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ وَأَنْتَنْتَ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولِ
فتفقد النصف الأخير من البيت الثالث ، فإنك ستجد بعض الفاظه تتبرأ
من بعض . ومن ذلك - بيد أنه أخف مما قبله - قول أبي تمام :
كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا ما لمته لمته وحدى
وقد أشد خلف الأحمر في هذا المعنى :

(١) زعموا أن قائل هذا البيت جنى صاحبه على حرب بن أمة فمات في
فلاة ، ويسمى هذا النوع من الجن هاتفاً .

أى : لبس مثله في الناس حتى يقاربه ، إلا مملكا أبو أمه أبوه ؛
وإما في الانتقال ، كقول الآخر :

وَبَعْضُ قَرِيبِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عَائِدٍ يَكْذِبُ لِسَانَ الْنَاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ
وأجود الكلام ما رأيت ملاحم الأجزاء ، سهل الخراج ، فكأنه أفرغ
إفراغا واحداً ، فهو يجرى على اللسان ، كما يجرى الدهان ؛ ومثله قول
أبي حية النميري :

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمُ
رَمِيمُ الَّتِي قَالَتْ لِحَارَاتِ يَتْبَا ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَتْبِمُ
أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتُهَا وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنُّضَالِ قَدِيمُ

يقول : رميتي بطرفها وأصابني بحاسنها ، ولو كنت شاباً لرميت كما رميت ،
وفتنت كما فتنت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب . فأنت إذا عمدت إلى مثل
هذا : وجدت له اهتزازاً في نفسك وأريحية في فؤادك .

والتعقيد أن يشبك المتكلم طريقك إلى المعنى ، ويوعر مذهبك نحوه ، حتى
يقسم فكرك ويشعب قلبك ، فلا تدري من أين تتوصل ، وأي طريق تسلك
إلى معناه ، مثال ذلك قول الفرزدق :

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمَّهُ مِنْ مُجَارِبٍ أَوْهُ وَلَا كَانَتْ كَلَيْبُ تُصَاهِرُهُ
يريد إلى ملك ما أمه من مجارب . وقوله أيضاً يمدح إبراهيم بن
هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان :

وما مثله في الناس إلا مسكا أبو أمه حتى أبوه يقاربه
يريد : وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه ، يعني : وما مثله

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لَتَقْرَبُوا^١ وَتَسْكِبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمَدَا
فَإِنَّ الإِثْتِقَالَ مِنْ جُحُودِ الْعَيْنِ إِلَى مُخْلِهَا بِالدَّمُوعِ ، لَا إِلَى مَا قَصَدَهُ مِنْ

في الناس أحد يشبهه في الفضائل إلا هشاماً ، فهو كما تراه في غاية التعقيد ، حتى
كانه لم يجمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَاراً^(١)

ومثله قول المتنبي .

وَفَاؤُكُمْ كَمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ بَأَنْ تُسْعِدَ أَوِ الدَّمْعُ أَشْفَاؤُ سَاجِمُهُ

يريد : وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاء طاسمه . يخاطب صاحبيه بأن
عدم وفائهما له بالمساعدة على البكاء ، مما يزيد في حزنه . كالربع كلما درست
معامله كان ذلك أدعى لحزنه ؛ ثم اعتذر بأن الدمع يشفي الباكي ، لأن من حزن
قلبه استراح بالبكاء . وهذا الضرب من التعقيد يرجع إلى اللفظ ، لأن منشأه
فساد النظم بما صنعه الشاعر من التقديم والتأخير وغيرهما مما ليس له أن
يصنعه ، ولا يسوغ أن يقدم عليه . وثمت ضرب آخر يرجع إلى المعنى ، وهو
أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى المعنى
الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً ، كقول العباس بن الأحنف :

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لَتَقْرَبُوا وَتَسْكِبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمَدَا

بدأ فدل بسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والسكد ، فأحسن
وأصاب ، لأن من شأن البكاء أبداً أن يكون أمانة للحزن ، وأن يجعل كناية
عنه كقولهم : أبكاني وأضحكني . على معنى : سامني وسرفني .

(١) بصيح : يظهر .

السُّرُورِ . قِيلَ : وَمِنْ كَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَتَتَابُعِ الإِضَافَاتِ ، كَقَوْلِهِ :

ثم ساق هذا القياس إلى نقيضه ، فالتمس أن يدل على ما يوجب دوام التلاقي من السرور بقوله : لتجمدا ، لظنه أن الجمود يخلو العين من البكاء من غير اعتبار شيء آخر ، وغلط فيما ظن ، لأن الجمود يخلو العين من البكاء ، مع أن الحال حال بكاء ، ومع أنه يراد منها أن تبكي فلا يكون كناية عن السرور ، وإنما يكون كناية عن البخل كما قال الشاعر :

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجُدْ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا جَمُودُ

ولو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال السرور ، لجاز أن يدعى به الرجل ، فيقال : لازالت عينك جامدة ، كما يقال : لأبكي الله عينك ، وذلك بما لا يشك في بطلانه ، وعلى ذلك قول أهل اللغة : سنة جماد : لا مطر فيها ، وناقاة جماد : لا ابن فيها ، فكما لا تجعل السنة والناقاة جماداً إلا على معنى أن السنة بخيلة بالقطر والناقاة لا تسخر بالدر ، لا تجعل العين جموداً إلا وهناك ما يقتضى إرادة البكاء منها ، وما يجعلها إذا بكت محسنة موصوفة بأنها قد جادت وإذا لم تبك مسيئة موصوفة بأنها قد ضنت .

هذا ، وببيت ابن الأحنف المذكور : نظير كلام ابن الربيع بن خيثم ، فإن رجلاً قال له - وقد صلى ليلة حتى أصبح - : أتعبت نفسك ، فقال : راحتها أطلب ، ومثله قوله :

تَقُولُ سَلِيمِي لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْمَقَامِ أُطَوِّفُ

وهو معنى كثير حسن جميل ، وقد زاد بعضهم على هذه الأمور المخلة بالفصاحة أمراً آخر وهو الكراهة في السمع بأن يمج اللفظ ويتبرأ من سماعه ، كالجرشي ، في قول أبي الطيب المتنبي بمدح سيف الدولة :

مِبَارَكُ الأَسْمِ أَغْرُ اللَّقَبِ كَرِيمُ الجِرْشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ

(الجرشى : النفس) وفيما ذكر هذا القائل نظر ، لأن الكراهة في السمع

* سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهِا شَوَاهِدُ * وَقَوْلِهِ :
* حَمَامَةٌ جَرَعِي حَوْمَةَ الْجَنْدَلِ اسْجَمِي * وَفِيهِ نَظْرٌ .
وَفِي الْمُتَكَلِّمِ : مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَقْصُودِ
بِلَفْظٍ فَصِيحٍ .

تشمها الغرابة ، وقد احترز عنها ؛ وزاد بعضهم أمراً آخر أيضاً وهو كثرة
التكرار وتتابع الإضافات ، وأنشد على الأول قول أبي الطيب :

وَتَسْعِدَنِي فِي عَمْرَةٍ بَعْدَ عَمْرَةٍ سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهِا شَوَاهِدُ
العمرة : الشدة ، والسبوح : الفرس الحسين العدو الذي لا يتعب راكبه ،
فكأنه يسبح في الماء . وعلى الثاني قول ابن بابك :

حَمَامَةٌ جَرَعِي حَوْمَةَ الْجَنْدَلِ اسْجَمِي فَأَنْتِ مَرَأَى مِنْ سَعَادٍ وَمَسْتَمِعِ
(الجرعاء تأنيث الأجرع : وهي رملة لا تنيث شيئاً ، والحومة : معظم الشيء ،
والجندل : الحجارة والسجع : هدير الحمام) وفيه نظر ، لأن ذلك إن أنضى باللفظ
إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم ، وإلا فلا يخل بالفصاحة .
قال الشيخ عبد الفاهر : قال صاحب : إياك والإضافات المتداخلة ، فإن
ذلك لا يحسن ؛ وذكر أنه يستعمل في الهجاء كقول القائل :

يَا بَعْلِي بِنَ حَمْرَةَ بِنَ عَمَّارِهِ أَنْتِ وَاللَّهِ ثَلِجَةٌ فِي خِيَارِهِ
ثم قال الشيخ : ولا شبهة في ثقل ذلك في الأكثر ، لكنه إذا سلم من
الاستكراه فليح ولفظ ؛ وبما حسن فيه قول ابن المعتز .

وَوَخَّلَتْ تَدِيرُ الرَّاحَ أَيْدِي جَادِرٍ عِتَاقِ دَنَائِيرِ الْوَجْوهِ مِلَاحِ

(وَالبَلَاغَةُ) فِي الكَلَامِ مُطَابَقَتُهُ لِلمُقْتَضَى الحَالِ مَعَ فصاحته ؛ وَهُوَ

ومنه قول أبي تمام :

خُذْهَا ابْنَةُ الفِكْرِ المَهْدَبِ فِي الدَّجَى وَالنَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةٍ الجِلْبَابِ
(وَأما البلاغة) نَهَى فِي اللغة تَفِيءَ عَنِ الوَصُولِ وَالاْتِهَاءِ ، قَالَ فِي
القَامُوسِ بَلَغَ الرَّجُلُ بِلَاغَةً : إِذَا كَانَ يَبْلُغُ بِعِبَارَتِهِ كُنْهَ مَرَادِهِ مِنْ إِيجَازِ بِلَا
إِخْلَالٍ أَوْ إِطَالَةٍ بِلَا إِمْلَالٍ ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ البَيَانِيُّونَ : لِأَنَّهَا تَطْبِيقُ الكَلَامِ عَلَى
مُقْتَضَى الحَالِ مَعَ فصاحته ، وَتَطْبِيقُ الكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الحَالِ : هُوَ الَّذِي يَسْمِيهِ
الشَّيْخُ عَبْدُ القَاهِرِ بِالنِّظْمِ ، حَيْثُ يَقُولُ : النِّظْمُ تَوْخِيٌّ مَعَانِي النُّحُوِّ فِيمَا بَيْنَ
الكَلِمِ عَلَى حَسَبِ الأَغْرَاضِ الَّتِي يَصَاحُ لَهَا الكَلَامُ . فَالشَّاعِرُ البَازِلُ ، أَوِ الكَاتِبُ
المُجِيدُ ، هُوَ الَّذِي يَضَعُ كَلَامَهُ المَوْضِعَ الَّذِي تَقْتَضِيهِ تِلْكَ المَعَانِي ، وَهناك مُعْتَرِكُ
البَلَاغَةِ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ الخَوَاطِرُ بِرَاعَتِهَا ، وَالبَلْغَاءُ مِنْهَا ، فَأَنْتَ إِذَا عَمِدْتَ
إِلَى مَا تَوَاصَفُوهُ بِالحَسَنِ ، وَشَهِدُوا لَهُ بِالفَضْلِ ، مِثْلَ قَوْلِ الأَوَّلِ :

تَمَنَّائًا لِيَلْقَانَا بِقَوْمٍ تَخَالُ بِيَاضَ لَأْمِهِمُ السَّرَابَا
فَقَدْ لَاقَيْتَنَا فَرَأَيْتَ حَرْبًا عَوَانًا تَمْنَعُ الشَّيْخَ الشَّرَابَا

ومثل قول ابن الدمينه :

أَبِيئِي أَفِي يُمْنِي يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرِحَ أُمَّ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ
أَبِيئِي كَأَنِّي بَيْنَ شَقِيئِينَ مِنْ عَصَا حِذَارِ الرَّدَى أَوْ حَيْفَةً مِنْ زِيَالِكَ
تَعَالَلْتِ كَيُّ أَشْجَى وَمَا بِكَ عَاةٌ تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَهَرْتَ بِذَلِكَ

فإنك لا تجد سبياً لهذا الحسن الذي يهجم عليك ، ويملا عينيك : إلا توخى
تلك المعاني . وتوفية حقوقها ، ثم إنه ليست المزية بواجبة لهذه المعاني في أنفسها ،

مُخْتَلِفٌ ، فَإِنَّ مَقَامَاتِ الْكَلَامِ مُتَفَاوِتَةٌ ، فَمَقَامُ كُلِّ مِنَ التَّنْكِيرِ ،
وَالْإِطْلَاقِ ، وَالتَّقْدِيمِ ، وَالذِّكْرِ ، يُبَيِّنُ مَقَامَ خِلَافِهِ ؛ وَمَقَامُ الْفَصْلِ يُبَيِّنُ
مَقَامَ الْوَصْلِ ، وَمَقَامُ الْإِعْجَازِ يُبَيِّنُ مَقَامَ خِلَافِهِ ؛ وَكَذَا خِطَابُ الذِّكْرِ مَعَ
خِطَابِ الْعَبِيٍّ . وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ صَاحِبَتِهَا مَقَامٌ ، وَارْتِفَاعٌ شَأْنٌ

ولكن تعرض بحسب الأغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها
من بعض ، فرب تنكير مثلاً له مزية في لفظ ، وهو في لفظ آخر في غاية الفبح
(فظهر) لك أن البلاغة صفة في الكلام بها يقع التفاضل ويثبت الإعجاز ، وإذا
كان ذلك كذلك فلا يكون مرجعها الألفاظ من حيث هي ألفاظ مفردة ، بل
الألفاظ باعتبار إفادتها المعاني : أي الأغراض والمزايا التي يصاغ لها الكلام
(وكثيراً ما) تسمى تلك الصفة فصاحة أيضاً وهذا هو مراد الشيخ عبد القاهر
بما يكرره في دلائل الإعجاز من أن الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى دون اللفظ
(قال) وما يشهد لذلك أنك لا تشك إذا فكرت في قوله تعالى : (وقيل يا أرض
ابلعى ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي
وقيل بعداً للقوم الظالمين) فتجلى لك منها الإعجاز ، وبهرك الذي ترى وتسمع ،
أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة إلا الأمر يرجع إلى تركيبها ، وأن
الفضل نتائج ما بينها وحصل من مجموعها ، فإن ارتبت في ذلك فتأمل هل ترى
لفظة منها لو أنردت من بين أخواتها لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها
من الآية ؟ وما يؤيد ذلك أنك ترى للكلمة تؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها
تثقل عليك في موضع آخر . وهاك مثالا يشهد بصحة ذلك ، وهو أنه قد جاءت
لفظة الشيء مقبولة حسنة في قول أبي حية :

إِذَا مَا تَقَاضَى الرَّءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

الْكَلَامِ فِي الْحُسْنِ وَالْقَبُولِ بِمُطَابَقَتِهِ لِلإِعْتِبَارِ الْمُنَاسِبِ ، وَانْحِطَاطُهُ
بِعَدَمِهَا : فَمَقْتَضَى الْحَالِ هُوَ الإِعْتِبَارُ الْمُنَاسِبُ ؛ فَالْبَلَاغَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى اللَّفْظِ
بِإِعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ الْمَعْنَى بِالْتَّرْكِيبِ : وَكَثِيرًا مَا يُسَمَّى ذَلِكَ فَصَاحَةً أَيْضًا وَهِيَ
طَرَفَانِ : أَعْلَى وَهُوَ حَدُّ الإِعْجَازِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ ، وَأَسْفَلَ وَهُوَ مَا إِذَا
غَيَّرَ الْكَلَامُ عَنْهُ إِلَى مَا دُونَهُ التَّحَقُّقَ عِنْدَ الْبُلْغَاءِ بِأَصْوَاتِ الْحَيَوَانَاتِ ؛
وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَتَتَّبِعُهَا وَجُوهٌ أُخْرَى تُورِثُ الْكَلَامَ حُسْنًا .

وجاءت ضعيفة مستكرهة في قول المتنبي :

لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَارُ أَبْغَضْتَ سَعِيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوْرَانِ

فلو كانت الكلمة إذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى
انفرادها لما اختلفت بها الحال ، ولكانت إما أن تحسن أبدأ أو لا تحسن أبدأ .
وهناك دليل ثالث ، وهو أنا نعلم أن النبي عليه السلام تحدى العرب بفصاحة
القرآن ، ولو كانت عائدة إلى الألفاظ لكان قد تحدام بالموجود عندهم في الماضي
والحاضر . ودليل رابع وهو أن العالم بلغة من اللغات لا يحتاج في التلغظ بفرداتها
إلى الروية . هذا هو لباب كلام عبد القاهر رحمه الله (تكلمة) هذه . نتف
في البلاغة لثلة من البلغاء . قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغة تقرير المعنى في الأفهام
من أقرب وجوه الكلام . وقال الرماني : البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن
صورة من اللفظ . وقال ابن المعتز : البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطال سفر الكلام .
وقال إعرابي : البلاغة التقرب من البعيد والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل
على كثير ، هذا والبلوغ عمر لك الله من تراها يعبك بالكلام ويقوده بالين زمام .
ومن إذا أنشدته مثل قول البحتری :

وَفِي الْمُشْكَلِ مَلَكَهٖ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَى تَأْلِيفِ كَلَامٍ بَدِيعٍ . فَعَلِمَ أَنَّ كَلِمَةَ بَلِيغٍ
فَصِيحٍ ، وَلَا عَكْسَ ، وَأَنَّ الْبَلَغَةَ مَرَّجِعَهَا إِلَى الْإِحْتِرَازِ عَنِ الْخَطَا فِي تَأْدِيَةِ
الْمَعْنَى الْمُرَادِ ، وَإِلَى تَمْيِيزِ الْفَصِيحِ مِنْ غَيْرِهِ ، وَالثَّانِي مِنْهُ مَا يَبِينُ فِي

بَلَوْنَا نَارَ آئِبٍ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيحًا
هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَا تَعَزَّمَا وَشِيكََا وَرَأْيَا صَبِيحًا
تَنْقَلَّ فِي خَلْقٍ سُودِدِ سَمَاحًا مُرَجِيٍّ وَبَأْسًا مَهِيحًا
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِثَّتْ صَارِخًا وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِثَّتْ مُسْتَشِيحًا

أَنقَ لَهُ ، وَأَخَذَتْهُ الْأَرِيحِيَّةُ عِنْدَهُ ؛ لِإِذْ يَرَى شَعْرًا دَنَا حَتَّى أَطْمَعُ ، وَنَأَى حَتَّى
أَمْتَنِعُ ، وَلَا غُرُوبًا فَالْبَحْتَرِيُّ هُوَ الَّذِي ضَرَبَ فِي قِدَاحِ الشَّعْرِ بِأَعْلَى السَّهَامِ ، وَأَخَذَ
فِي عِيُونِ الْفَضْلِ بِأَوْفَى الْأَقْسَامِ ، وَشَعْرُهُ هُوَ الَّذِي يَتَرَقَّرُ فِيهِ مَاءُ الطَّبِيعِ وَيَرْتَفِعُ
لَهُ حِجَابُ الْقَلْبِ وَالسَّمْعِ (مَلَكَهٖ) الْمَلَكَاتُ هِيَ الصِّفَاتُ الرَّاسِخَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِتَكَرُّرِ
الشَّيْءِ (وَهُوَ) أَيْ مَقْتَضَى الْحَالِ (مَقَامَاتُ الْكَلَامِ) أَيْ أَحْوَالُهُ (فَقَامَ كُلُّ مَنْ
التَّنْكِيرِ الْخ) أَيْ فَالْحَالِ الَّذِي يَنْسَبُ بِهِ التَّنْكِيرُ يَبَيِّنُ الْحَالِ الَّذِي يَنْسَبُ بِهِ التَّعْرِيفُ
وَهَكَذَا (وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ صَاحِبَتِهَا مَقَامٌ) وَإِذَا فَلَا يَنْبَغِي لِلْبَلِيغِ أَنْ يَصْنَعَ مَا يَخَالِفُ
ذَلِكَ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَعْشَى لَوْ اسْتَبَدَلَ بِقَوْلِهِ :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عِيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحَوَّقُ
قَوْلُهُ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ مَتَحَرِّقَةٌ ، لِنَبَا عَنهُ الطَّبِيعُ ، وَأَنْكَرَتْهُ النَّفْسُ كُلَّ الْإِنْكَارِ ،
وَمَا ذَلِكُ إِلَّا لِأَنَّهُ لَا يَشْبَهُهُ الْغَرَضُ وَلَا يَلِيْقُ بِالْحَالِ ، حَيْثُ أَنَّ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّ هُنَاكَ
مَوْقِدًا يَتَجَدَّدُ مِنْهُ الْإِلْهَابُ وَالْإِشْعَالُ حَالًا لِحَالًا . وَإِذَا قِيلَ مَتَحَرِّقَةٌ كَانَ الْمَعْنَى

عِلْمٌ مَتْنِ اللُّغَةِ ، أَوْ التَّعْرِيفِ ، أَوْ النَّحْوِ ، أَوْ يُدْرِكُ بِالْحَسِّ ، وَهُوَ مَا عَدَا
التَّعْقِيدَ الْمَعْنَوِيَّ . وَمَا يُحْتَرَزُ بِهِ عَنِ الْأَوَّلِ عِلْمُ الْمَعَانِي ، وَمَا يُحْتَرَزُ بِهِ عَنِ
التَّعْقِيدِ الْمَعْنَوِيِّ عِلْمُ الْبَيَانِ ، وَمَا يُعْرَفُ بِهِ وَجُوهُ التَّحْسِينِ عِلْمُ الْبَدِيعِ .
وَكَثِيرٌ يُسَمَّى الْجَمِيعَ عِلْمَ الْبَيَانِ ، وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّي الْأَوَّلَ عِلْمَ الْمَعَانِي ،
وَالْأَخِيرَيْنِ عِلْمَ الْبَيَانِ ، وَالثَّلَاثَةَ عِلْمَ الْبَدِيعِ .

الفن الأول علم المعاني

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ أَحْوَالُ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي يَطَابِقُ مُقْتَضَى
الْحَالِ . وَيَنْحَصِرُ فِي ثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ : أَحْوَالُ الْإِسْنَادِ الْخَبْرِيِّ ، أَحْوَالُ
الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ، أَحْوَالُ الْمُسْنَدِ ، أَحْوَالُ مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ ، الْقَصْرُ ، الْإِنْشَاءُ

على أن هناك نارا قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة فحسب . وقس على هذا مثله
(للاعتبار المناسب) ألا الذي اعتبره المتكلم مناسباً بحسب السليقة ، أو بحسب
تتبع تراكيب الباغاء ، وهو الخصوصيات (وما يقرب منه) ظاهر عبارة المفتاح
أنه معطوف على هو والضمير في منه عائد إلى الأعلى ويكون حد الإعجاز خيراً
عنهما . وهو صحيح ، فإن التنزيل فيه ما هو متناه في البلاغة وما هو دون ذلك ،
وكلاهما وقع به الإعجاز (وأسفل) قال الرازي : وليس من البلاغة في شيء
(التحق الخ) وإن كان صحيح الإعراب (إن كل بليغ فصيح ولا عكس)
أما عبدالقاهر فإنه يرى أن المصاححة والبلاغة والجزالة والبراعة ألفاظ مترادفة
(والثاني) أي تمييز الفصيح من غيره (بالحس) هو الذوق (الأول) يعني الخطأ
في تأدية المعنى المراد (أحوال اللفظ) أي الأمور العارضة له من التقديم

الفصل والوصل ، الإيجاز والإطناب والساواة . لأن الكلام إما خبر
أو إنشائي ؛ لأنه إن كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه خبر ، وإلا
فإنشائي . والخبر لا بد له من مسند إليه ومسند وإسناد ، والمسند قد يكون
له متعلقات إذا كان فعلاً أو في معناه ؛ وكل من الإسناد والتعاقب إما
بقصر أو بغير قصر ، وكل جملة قرئت بأخرى إما معطوفة عليها
أو غير معطوفة ، والكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة ،
أو غير زائد .

« تنبيه » صدق الخبر مطابقتة للواقع ، وكذبه عدمها ؛ وقيل
مطابقتة لا اعتقاد المخبر ولو خطأ ، وعدمها ؛ بدليل قوله تعالى إن
المنافقين لكاذبون .

والتأخير ، والتعريف والتكثير ، والفصل والوصل ، وغير ذلك مما سيأتي تفصيله
(لأنه إن كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه خبر) يعجبنى قول بعضهم :
الخبر هو القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو بالإثبات
(أو في معناه) كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وما أشبه ذلك .
(تنبيه) بين فيه حقيقة الصدق والكذب حيث تقدم إشارة ما إلى ذلك
في قوله تطابقه أو لا تطابقه (مطابقتة للواقع الخ) وهذا هو المشهور وعليه
التعويل (وقيل) القائل النظام (ولو أخطأ) أي غير مطابق للواقع (بدليل
إن كان المنافقين لكاذبون) فكذبهم جل شأنه في قولهم إنك لرسول الله وإن
كان مطابقاً للواقع لأنهم لم يعتقدوه . وللنظام دليل آخر وهو أن من اعتقد

ورد بأن المعنى الكاذبون في الشهادة ، أو في تسميتها ، أو في المشهود به ،
في زعمهم .

« الجاحظ » مطابقتة مع الاعتقاد ، وعدمها مع ، وغيرهما ليس
بصدق ولا كذب ، بدليل : أفترى على الله كذبا أم به جنة ، لأن المراد

أمراً فأخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال ما كذب ولكنه أخطأ كما روى
عن عائشة أنها قالت فيمن شأنه كذلك : ما ذب ولكنه وهم ، ورد بأن المنفى
تعهد الكذب لا الكذب ، بدليل تكذيب الكافر كاليهودي إذا قال الإسلام
باطل وتصديقه إذا قال الإسلام حق كذا في الإيضاح (في الشهادة) لأن المعنى
نشهد شهادة واطأت فيها قلوبنا ألسنتنا ، كما يترجم عنه إن واللام وكون الجملة
اسمية ، فالتكذيب في قولهم نشهد وادعائهم المواطأة لافي قولهم إنك لرسول الله
(أو في تسميتها) أي في تسميتهم إخبارهم شهادة . لأن الإخبار إذا خلا عن
المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة (أو في المشهود به) يعني قولهم إنك لرسول الله
(في زعمهم) لأنهم يعتقدون أنه خبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فكأنه
قيل إنهم يزعمون أنهم كاذبون في هذا الخبر الصادق (الجاحظ) حاصل ما ذهب
إليه أن الخبر ثلاثة أقسام : صادق ، وكاذب ، وغير صادق ولا كاذب ، لأن
الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه ، وإما غير مطابق مع
الاعتقاد أو عدمه ، فالأول أي المطابق مع الاعتقاد هو الصادق ، والثالث أي
غير المطابق مع الاعتقاد هو الكاذب ، والثاني والرابع أي المطابق مع عدم
الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد كإخبارهم ليس بصادق ولا كاذب ،
فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده ، والكذب عدم مطابقتة مع
اعتقاده ، وغيرهما ضربان مطابقتة مع عدم اعتقاده وعدم مطابقتة مع عدم

مالذاني غير الكذب . لأنه قسيمه ، وغير الصدق ، لأنهم لم يعتقدوا
ورد بأن المعنى أم لم يفتر ، فغير عنه بالجنة ، لأن المجنون لا افتراء له .

﴿أحوال الإسناد الخبري﴾

لأشك أن قصد المخبر بخبره : إفادة المخاطب . إما الحكم ، أو كونه

اعتقاده (بالثاني) أي الإخبار حال الجنة (بأن المعنى أم لم يفتر) فيكون التقسيم
للخبر الكاذب في نوعيه الكاذب عن عمد ولا عن عمد (المخبر) أي من يريد
الإخبار لا من ينطق بالجملة الخبرية فإنه قد يقصد التحسير والتحزن . في القرآن
حكاية عن امرأة عمران : رب إني وضعتها أنثى . وفيه حكاية عن زكريا عليه
السلام : رب إني وهن العظم مني . ومثل هذا كثير ومنه قوله :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمَّيْمٍ^(١) أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ أَصَابِنِي سَهْمِي
فَأَنْتِ عَفْوَةٌ لِأَعْفُونَ جَلَّالًا وَلَنْ سَطَوْتُ لِأَوْهَنْ عَظْمِي

(الحكم) المراد به الثبوت أو الانتفاء وكون ذلك مقصوداً للخبر بخبره
لا يستلزم تحققه في الواقع وهذا مغزى قول من قال : إن الخبر لا يدل على
ثبوت المعنى أو انتفائه وليس مغزاه أنه لا يفهم الثبوت منه ولا الانتفاء فإن
ذلك هو مفهوم الكلام بلاريب ولا يصح إنكاره ، فإننا إذا قلنا زيد قائم
فمفهومه ثبوت القيام زيد ، وأما احتمال عدم الثبوت فليس مفهوماً للفظ أصلاً
بل احتمال عقلي من جهة صحة تخالف الدلالة لكونها وضعية (كونه) أي

(١) أميم : منادى مرخم .

عالمًا به ؛ وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ فَائِدَةَ الْخَبَرِ ، وَالثَّانِي لَازِمِيًّا ، وَقَدْ يُنَزَّلُ الْعَالِمُ
بِهِمَا مَنْزِلَةَ الْجَاهِلِ لِعَدَمِ جَرِيهِ عَلَى مُوجِبِ الْعِلْمِ : فَيَنْبَغِي أَنْ يَقْتَصَرَ مِنْ
التَّرْكِيبِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ ، فَإِنْ كَانَ خَالِي الذَّهْنِ مِنَ الْحُكْمِ وَالتَّرَدُّدِ فِيهِ
أَسْتَفْنِي عَنْ مَوْكِدَاتِ الْحُكْمِ ، وَإِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِيهِ طَالِبًا لَهُ ، حَسَنَ
تَقْوِيَّتِهِ بِمَوْكِدٍ ، وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا وَجَبَ تَوْكِيدُهُ بِحَسَبِ الْإِنْكَارِ ،

الخبر (ويسمى الأول فائدة الخبر والثاني لازمها) قال السكاكي : والأولى
بدون هذه تمتنع وهذه بدون الأولى لا تمتنع كما هو حكم اللازم المجهول
المساواة ، أي تمتنع أن لا يحصل العلم الثاني من الخبر نفسه عند حصول الأول
منه لا تمتنع حصول الثاني قبل حصول الأول مع أن سماع الخبر من الخبر
كاف في حصول الثاني منه ، ولا تمتنع أن لا يحصل الأول من الخبر نفسه عند
حصول الثاني منه لجواز حصول الأول قبل حصول الثاني وامتناع حصول
الخاص (وقد ينزل العالم بهما منزلة الجاهل) فيلحق إليه الكلام كما يلقى إلى
الجاهل . وقد ورد كثيرًا تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لأغراض ترجع إلى
التسوية بينه وبين الجاهل . تعبيراً له وتقييماً لحاله . وإن شئت فعليك بكلام
رب العزة . ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا
به أنفسهم لو كانوا يعلمون . وانظر كيف تجرد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم
على سبيل التوكيد القسبي وآخره ينفية عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم (فينبغي)
أي إذا كان الغرض الأصلي من الكلام ما تقدم فينبغي الخ (فإن كان الخ) أصل
هذا الكلام ما أجاب به أبو العباس عن قول الكندي المتفلسف إنى لأجد في
كلام العرب حشواً ، يقولون عبد الله قائم وأن عبد الله قائم وأن عبد الله لقائم
والمعنى واحد بأن قال بل المعاني : مختلفة فعبد الله قائم إخبار عن قيامه ، وإن
عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وإن عبد الله لقائم جواب عن إنكار

كما قال تعالى حكاية عن رسالِ عيسى عليه السلام ، إذ كذبوا في المرّة
الأولى : إنا إليكم مرسلون ، وفي الثانية إنا إليكم لمرسلون ، ويسمى
الضرب الأول ابتداءً ، والثاني طلبياً ، والثالث إنكارياً ؛ وإخراج
الكلام عليها إخراجاً على مقتضى الظاهر ، وكثيراً ما يخرج الكلام على
خلافه ، فيجعل غير السائل كالسائل ، إذا قدم إليه ما يلوح له بالخبر
فيستشرف له استشراف المتردد ، الطالب ، نحو : ولا تخاطبني في الدين
ظلموا إنهم مغرّقون . وغير المنكر كالمُنكر ، إذا لاح عليه شيء
من أمارات الإنكار ، نحو :

منكر (لإخراج الكلام عنها) على الوجوه المذكورة وهي الخلو من التأكيد
في الأول والتقوية بمؤكد استحساناً في الثاني ووجوب التأكيد بحسب الإنكار
في الثالث (يلوح) يشير (له) أي لغير السائل (فيستشرف له) أي فيتطلع
غير السائل للخبر ، وأصل الاستشراف أن ينظر الإنسان إلى الشيء رافعاً رأسه
بسطاً كفه على عينه كالمتقي لشعاع الشمس (نحو ولا تخاطبني) الخطاب لنوح
أي لا تكلمني يا نوح في شأن قومك ولا تشفع في دفع العذاب عنهم ، فهذا يلوح
بالخبر تلويحاً ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام أن يتردد
المخاطب في أنهم صار محكوماً عليهم بالإغراق أم لا . فقيل إنهم مغرّقون مؤكداً
ونحوه : وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء وصل عليهم إن صلاتك سكن
لهم ، ومثل هذا قول بعض العرب :

فَعَنَّبَ وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْخُدَاءُ

جاء شقيق عارض رُحمة إن بني عمك فيهم رماح
والمكبر كغير المنكر إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع ، نحو :
لا ريب فيه .

ومنه قول بشار بن برد :

بكر اصاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاج في التبيكير

وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض (نحو جاء شقيق) فإن بجيئه هكذا مدلا بشجاعته قد وضع رُحمة عرضاً دليل على إعجاب شديد منه واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم ربح . والبيت لحجل بن فضلة أحد بني عمرو بن عبد القيس بن معن وهو أحد أولاد عم شقيق الذي جاء لمحاربتهم ، ومثل البيت قوله تعالى : ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، مؤكداً بأن واللام وإن كان مما لا ينكر لأن تمامهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده من أمارات الإنكار (نحو لا ريب فيه) أي ليس مظن للريب لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه . ومقتضى صنيعة في الإيضاح إن ذلك تنظير لتزليل الشيء منزلة عدمه فينتفي كما نزل الإنكار منزلة عدمه فنفي مقتضاه وهو التأكيد (تكملة) قال الشيخ عبد القاهر : قد تدخل كلمة إن للدلالة على الظن قد كان منك أي المتكلم في الذي كان أنه لا يكون . كقولك للشيء هو برأي من المخاطب ومسمع : إنه كان من الأمر ما ترى ، وكان مني إلا فلان إحسان ثم إنه جعل جزائي ما رأيت ، فتجعلك كأنك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين الخطأ الذي توهمت . ومن خصائصها أن لضمير الشأن معها حسناً ولطفاً ليس بدونها بل لا يصلح إلا بها وذلك في مثل قول رب العزة : إنه من يتق

وهكذا اعتبارات النفي « ثم الإسناد » شبه حقيقة عقلية . وهي

ويصبر . فإنها لاتعمى الأبصار ، ومن لطيف ذلك ما تجده في آخر هذه الأبيات التي أنشدها الجاحظ لبعض الحجازيين :

إِذَا طَمَعُ يَوْمًا نَحْرَانِي قَرَيْتُهُ كَتَاتِبَ يَأْسٍ كَرَّهَا وَأَطْرَادَهَا
أَكْدُ ثِمَادِي وَأَمِيَاءَ كَثِيرَةٍ أَعَالِجُ مِنْهَا حَفْرَهَا وَآكُتِدَادَهَا (١)
وَأَرْضِي بِهَا مِنْ بَحْرِ آخِرِ إِيَّاهُ هُوَ الرَّيُّ أَنْ تُرَضِيَ النُّفُوسَ ثِمَادَهَا

وما تصنعه إن في الكلام أنك تراها تهيه النكرة لأن تكون مبتدأ كقوله :

إِن شِوَاءٍ وَشِوَاءٍ وَخَبَبَ الْبَازِلِ الْأُمُونِ (٢)

وإن كانت النكرة موصوفة تراها مع أن أحسن كقوله :

إِنَّ دَهْرًا يَنْفُ شَمْلِي بِسُعْدِي لَزَمَانٌ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ

ومن تأثير إن في الجملة أنها تغني عن الخبر نحو :

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مَرَّتْ حَلًّا وَإِنْ فِي النَّفْسِ إِنْ مَضَوْا مَهَلًا

فلو أسقط إن لم يحسن الجذف أو لم يسغ (وهكذا اعتبارات النفي) فيستغنى عن التأكيد في الابتدائي ويحسن تأكيده في الطلبي ، ويجب تأكده بحسب الإنكار في الإنكارى ويخرج الكلام فيه على خلاف مقتضى الظاهر والمثل ظاهرة (ثم الإسناد منه الخ) اعلم أن سبب تسمية الإسناد في هذين القسمين من الكلام عقلياً هو استناده إلى العقل دون الوضع ، لأن إسناد الكلمة إلى الكلمة شيء يحصل بقصد المتكلم دون واضح اللغة ، فلا يصير

(١) الثماد جمع ثم : وهو الماء القليل :

(٢) المطية الموثقة الخلق المأمونة العشار .

إِسْنَادُ الْعَمَلِ أَوْ مَعْنَاهُ إِلَى مَا هُوَ لَهُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ فِي الظَّاهِرِ كَقَوْلِ الْمُؤْمِنِ :
أَنْبَتَ اللَّهُ الْبَقْلَ ، وَقَوْلِ الْجَاهِلِ : أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ ، وَكَقَوْلِكَ :
تَجَاءَ زَيْدٌ وَأَنْتَ تَقَامُ أَنَّهُ لَمْ يَجِيءْ ، وَمِنْهُ تَجَازَى عَقْلِي وَهُوَ إِسْنَادُهُ إِلَى

ضَرْبِ خَيْرٍ عَنْ زَيْدٍ بِوَضْعِ اللَّغَةِ بَلْ يَمُنُّ قَصْدُ إِثْبَاتِ الضَّرْبِ فَعَلَا لَهُ وَإِنَّمَا
الَّذِي يَعُودُ إِلَى وَاضِعِ اللَّغَةِ إِنْ ضَرْبُ إِثْبَاتِ الضَّرْبِ لِإِثْبَاتِ الْخُرُوجِ وَأَنَّهُ
لِإِثْبَاتِهِ فِي زَمَانٍ مَاضٍ وَليْسَ لِإِثْبَاتِهِ فِي زَمَانٍ مُسْتَقْبَلٍ ، فَأَمَّا تَعْيِينُ مَنْ ثَبَتَ لَهُ
فَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ مِنَ الْمُخْبِرِينَ وَلَوْ كَانَ لَغَوِيًّا لَسَكَانَ حَكْمَنَا بِأَنَّهُ بِمَجَازٍ
فِي مِثْلِ قَوْلِنَا خَطَّ أَحْسَنُ بِمَا وَشَى الرَّبِيعُ مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْفِعْلَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مِنَ الْحَيِّ
الْقَادِرِ حَكْمًا بِأَنَّ اللَّغَةَ هِيَ الَّتِي أَوْجِبَتْ أَنْ يَخْتَصَّ الْفِعْلُ بِالْحَيِّ الْقَادِرِ دُونَ الْجَمَادِ
وَذَلِكَ عَمَّا لَاشَكَ فِي بَطْلَانِهِ (أَوْ مَعْنَاهُ) الْمُرَادُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ نَحْوِ الْمَصْدَرِ وَاسْمِ
الْفَاعِلِ وَاسْمِ الْمَفْعُولِ وَالصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ وَاسْمِ التَّفْضِيلِ وَالظَّرْفِ (فِي الظَّاهِرِ) مُتَعَلِّقٌ
بِقَوْلِهِ لَهُ وَإِنَّمَا قَالَ فِي الظَّاهِرِ لِيَشْمَلَ مَا لَا يَطَابِقُ اعْتِقَادَ الْمُتَكَلِّمِ بِمَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ
وَمَا لَا يَطَابِقُهُ ، فَأَقْسَامُ الْحَقِيقَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَرْبَعَةٌ مِثْلُ ثَلَاثَةٍ مِنْهَا وَهِيَ مَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ
وَالْإِعْتِقَادَ جَمِيعًا ، وَمَا يَطَابِقُ الْإِعْتِقَادَ فَقَطْ ، وَمَا لَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ وَالْإِعْتِقَادَ .
أَمَّا مِمَّا لَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ فَقَطْ فَقَوْلُ الْمُعْتَزَلِيِّ مَنْ لَا يَعْرِفُ حَالَهُ وَهُوَ يَخْفِيهَا مِنْهُ :
خَلَقَ اللَّهُ الْأَفْعَالَ كُلَّهَا (أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ) مِثْلُهُ قَوْلُ الْكُفَّارِ : وَمَا يَهْلِكُنَا
إِلَّا الدَّهْرُ ، فِهَذَا وَنَحْوَهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ قَائِلُهُ عَلَى أَنَّهُ مُتَأَوَّلٌ بَلْ أَطْلَقَهُ بِجِهَلِهِ
وَعَمَاهُ إِطْلَاقٌ مِنْ يَضَعُ الصِّفَةَ فِي مَوْضِعِهَا لَا يَوْصَفُ بِالْمَجَازِ ، وَاسْكَنْ بِقَالَ عِنْدَ
قَائِلِهِ إِنَّهُ حَقِيقَةٌ وَهُوَ كَذِبٌ وَبَاطِلٌ (بِمَجَازِ عَقْلِي) وَبِسْمِي مَجَازًا حَكْمِيًّا وَمَجَازًا
فِي الْإِثْبَاتِ وَإِسْنَادًا بِمَجَازِيًّا (إِسْنَادُهُ) أَيِ الْفِعْلِ أَوْ مَعْنَاهُ (بِتَأْوِيلِ) مُتَّصِلٌ

مَلَابِسٍ لَهُ غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ بِتَأْوِيلٍ ؛ وَهُوَ مَلَابَسَاتِ شَتَّى ، يَلَابِسُ الْفَاعِلُ
وَالْمَفْعُولَ بِهِ ، وَالْمَصْدَرُ ، وَالزَّمَانَ وَالْمَكَانَ ، وَالسَّبَبَ ؛ فإِسْنَادُهُ إِلَى الْمَفْعُولِ
وَالْمَفْعُولِ بِهِ ، إِذَا كَانَ مَبْنِيًّا لَهُ ، حَقِيقَةً ، كَمَا مَرَّ ، وَإِلَى غَيْرِهِمَا لِلْمَلَابَسَةِ

بإسناده ، والتأويل من آل إلى كذا يرجع إليه ومعناه تطيب المال من الحقيقة
أو الموضع الذي إليه من العقل وحاصل . ذلك أن تنصب قرينة صارفة للإسناد
على أن يكون إلى ما هو (وله) أي للفعل . . واعلم ، أن هذا الضرب من المجاز
على حدته كثر من كنوز البلاغة وذخر يعتمد إليه الكاتب البليغ والشاعر المنلق
والخطيب المصقع ، وربما يدور بخلدك أن الإبداع فيه أمر يستطيعه كل الناس
وينجم هذا الظن من أنك ترى الرجل يقول أتى بي الشوق إلى لفائفك ، وسارني
الحنين إلى رؤيتك ، وأشبه ذلك مما تجده لشهرته يجرى مجرى الحقيقة التي
لا يشك أمرها ، وهو عمرك الله على خلاف ما تظن . فإنك لتراد يدق ويلطف
حتى يمتنع مثله على الفحول البزل ، وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأثق
لها . . هذا ، وليس كل شيء يصلح لأن تتعاطى فيه انجازه العقلي بسهولة بل
تجدك في كثير من الأمر وأنت تحتاج إلى أن تهيب الشيء وتصلحه له بشيء
توخاه في النظر كقول من يصف جملاً :

تَنَاسَ طِلَابَ الْعَامِرِيَّةِ إِذْ بَاتَ بِأَسْجَحِ مِرْقَالِ الضُّحَى قَلِقَ الضَّفَرُ (١)

(١) الأسيح : الرقيق المشفر . ومرقال الضحى : أي يسرع السير في الضحى

وهو وقت الحر . والضفر : حزام الرجل .

مجاز . كَقَوْلِهِمْ عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ ، وَسَيِّئٌ مُفْعَمٌ ، وَشِعْرٌ شَاعِرٌ ، وَنَهَارَةٌ
حَسَّامٌ ، وَنَهْرٌ جَارٌ ، وَبَنَى الْأَمِيرُ الْمَدِينَةَ : وَقَوْلُنَا بِتَأْوِيلِ يُخْرِجُ مَا مَرَّ
مِنْ قَوْلِ الْجَاهِلِ ، وَهَذَا لَمْ يُحْمَلْ نَحْوُ قَوْلِهِ :

إِذَا مَا أَحْسَنَهُ الْأَفَاعِي تَحَيَّرَتْ شَوَاةُ الْأَفَاعِي مِنْ مُثَلِّمَةِ سُمرٍ (١)
تَجُوبُ لَهُ الظَّلْمَاءُ عَيْنٌ كَأَنَّهَا زُجَاجَةٌ شَرِبَ غَيْرُ مَلَأَى وَلَا صِفِرَ
يريد أن يهتدى بنور عينه في الظلمات ويمكنه بها أن يخرقها ويمضي فيها
ولولاها لكانت الظلماء كالسد الذي لا يجد السائر شيئاً يفرجه به ويجعل لنفسه
فيها سبيلاً ، فلولا أنه قال تجوب له فعلق له بتجوب لما صلحت العين لأن يسند
«تجوب» إليها ولكان لا يتبين جهة التجوز في جعل تجوب فعلا للعين كما ينبغي ،
وكذلك لو قال تجوب له الظلماء عينه لم يكن له هذا الموقع ولا اضطرب عليه
معناه . وانقطع السلك من حيث كان يعيبه حينئذ أن يصف العين بما وصفها به
الآن (مفعم) أي نملوه « سائحة » قال الشيخ عبد القاهر : وبما طريق المجاز فيه
الحكم قول الخنساء :

تَرَوَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا أَدَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
وذلك أنها لم ترد بالإقبال والإقبال غير معناها فتكون قد تجوزت في نفس
الكلمة وإنما المجاز في أن جعلتها لكثرة ما تدبر وتقبل كأنها تجسمت من الإقبال
والإدبار ، وليس أيضاً على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وإنما
كانوا يذكرونه منه ، إذ لو قلنا أريد إنما هي ذات إقبال وإدبار أفسدنا الشعر

(١) يقول إذا سار ليلاً واحست به الافاعي وهي بعيدة عن جحورها
تحيّرت : أي تلوت ، شواتها : أي أطرافها أو انقبضت جلدها وتنحّت ، والمثلية :
السمر . يريد أخفافها التي تلبها السير على الحجازة :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَرَّرَ الْغَدَاةَ وَمَرَّ الْعَشَى
عَلَى الْمَجَازِ ، سَأَلَمَ يُعَلِّمُ أَوْ يُظَنُّ أَنَّ قَائِلَهُ لَمْ يَرِدْ ظَاهِرُهُ ، كَمَا اسْتَدَلَّ
عَلَى أَنَّ إِسْنَادَ مَيْزٍ فِي قَوْلِ أَبِي النَّجْمِ :

مَيْزٌ عَنْهُ قُنْزُعًا عَنْ قُنْزِعِ جَذَبُ اللَّيَالِي أَبْطَى أَوْ أَسْرَعِي
مَجَازٌ بِقَوْلِهِ عَقِيْبَهُ : * أَفْنَاهُ قِيلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ اِطْلَعِي * (وَأَقْسَمَهُ

على أنفسنا وخرجنا إلى شيء مغسول وإلى كلام عامي مرذول لا مساغ له عند
من هو صحيح الذوق ، صحيح المعرفة ، نسابة للبعاني (نحو قوله أشاب) وقول
أبي الإصبع :

أَهْلَكْنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَعَا وَالذَّهْرُ يَغْدُو مُصَمَّمًا جَدْعًا
(أشاب) هو للصلتان العبدى الشاعر الحماسى وبعده :

إِذَا لَيْلَةٌ أَهْرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فِتِي
فَرُوحٌ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
(ميز) قبله :

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدْعِي عَلَى ذَنْبًا كَلَّهُ لَهَا أَصْنَعِ
مِنْ أَنْ رَأَيْتُ رَأْسِي كَرَأْسِ الْأَصْنَعِ

ميز : أى فصل عنه أى عن رأسه ، والقنزع : الشعر المجتمع فى نواحي الرأس -
وجذب الليالى : مضيتها وتعاقبها ، وقوله أبطى أو أسرعى : حال من الليالى على
تقدير القول أى مقولا فيها ويجوز أن يكون الأمر بمعنى الخير (أفناه) تمامه

أربعة) لأن طرفيه إما حقيقتان ، نحو : أنبت الربيع البقل ، أو مجازان
نحو : أحيا الأرض شباب الزمان ، أو مختلفان ، نحو أنبت البقل شباب
الزمان ، وأحيا الأرض الربيع : وهو في القرآن كثير : وإذا تليت عليهم
آياته زادتهم إيماناً ، يذبح أبناءهم . ينزع عنهم لباسهما ، يوماً يجعل

* حتى إذا وازك أفاق فارجمي *

(لأن طرفيه) وهما المسند والمسند إليه (حقيقتان) لغويان (نحو أنبت
الربيع البقل) مثله قوله :

* وشيب أيام الفزاق مفارقي *

وقول جرير :

لقد لمتيناً يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بناهم
(مجازان) لغويان (نحو أحيا الأرض شباب الزمان) فإن المراد بإحياء
الأرض إحداث النضرة والخضرة الناشئة عن تهييج القوى المنمية فيها ،
والإحياء في اللغة : إعطاء الحياة ، وهي صفة تقتضي الحس والحركة الإرادية .
والمراد بشباب الزمان : زمان ازدياد قواها المنمية ، والشباب في اللغة : كون
الحيوان في زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة (وأحيا الأرض الربيع)
مثله قول أبي الطيب :

وتحبي له المال الصوارم والقنن ويقتل ما تحبي التبسم والجدا
جعل الزيادة والوفور حياة للسال ، وتفريقه في العطاء قتلا له ، ثم أنبت
الإحياء فعلا للصوارم ، والقتل فعلا للتبسم ، مع أن الفعل لا يصح منهما ، ونحوه
قولهم : أهلك الناس الدينار والدرهم ، جعلت الفتنة إهلاكاً ثم أنبت الإهلاك
فعلا للدينار والدرهم (وإذا تليت الخ) فأثبت الفعل في جميع ذلك لما لا يثبت له .

الْوِلْدَانَ شَيْبًا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَغَيْرُ مُخْتَصِرٍ بِأَخْبَرِ بَانَ
يَجْرِي فِي الْإِنشَاءِ نَحْوُ : يَا هَامَانَ ابْنَ لِي صَرْحًا . وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَرِينَةٍ
لَفْظِيَّةٍ ، كَمَا مَرَّ ، أَوْ مَعْنَوِيَّةٍ ، كَأَسْتَحَالَةَ قِيَامِ الْمُسْنَدِ بِالْمَذْكُورِ عَقْلًا
كَقَوْلِكَ : مَحَبَّتِكَ جَاءَتْ بِي إِلَيْكَ ، أَوْ عَادَةَ نَحْوِ : هَزَمَ الْأَمِيرُ الْجُنْدَ ،
وَصُدُوهُ عَنِ الْمَوْحِدِ فِي مِثَالِ : أَشَابَ الصَّغِيرَ . وَمَعْرِفَةَ حَقِيقَتِهِ إِمَّا

فَعَل . إِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْمَعْقُولِ ، عَلَى مَعْنَى السَّبَبِ (أَثْقَالَهَا) مَا كُنْزَ فِيهَا وَأَوْدَعَ
جَوْفَهَا (نَحْوُ يَا هَامَانَ ابْنَ لِي صَرْحًا) فَأَثْبَتَ الْبِنَاءَ لِهَامَانَ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْعَمَلِ
وَهَامَانَ أَمْرٌ (كَمَا مَرَّ) يَرِيدُ قَوْلَ أَبِي النَّجْمِ : أَفْنَاهُ قِيلَ اللَّهُ : (بِالْمَذْكُورِ) أَيْ
بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ الْمَذْكُورِ مَعَ الْمُسْنَدِ (وَمَعْرِفَةَ حَقِيقَتِهِ) قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ :
أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ فِي هَذَا الْحِجَازِ أَنْ يَكُونَ لِلْفِعْلِ فَاعِلٌ فِي التَّقْدِيرِ إِذَا أَنْتَ
أَسْنَدْتَ الْفِعْلَ إِلَيْهِ عَدْتَ بِهِ إِلَى الْحَقِيقَةِ ، مِثْلَ أَنْتَ تَقُولُ فِي رِجْحَتِ تِجَارَتِهِمْ :
وَيَحْوَى فِي تِجَارَتِهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَتَأْتِي فِي كُلِّ شَيْءٍ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يُمْكِنُكَ
أَنْ تَثْبِيتَ لِلْفِعْلِ فِي قَوْلِكَ أَقْدَمَنِي بِذَلِكَ حَقٌّ لِي فَاعِلًا سِوَى الْحَقِّ ، وَكَذَا
لَا يَسْتَطِيعُ فِي قَوْلِهِ

وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي لِحَيِّنِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ

وَقَوْلُهُ يَزِيدُكَ وَجْهَهُ ، أَلْبَيْتُ ، أَنْ تَزْعُمَ أَنْ لَهُ فَاعِلًا قَدْ نَقَلَ عَنْهُ الْفِعْلَ فَعَمِلَ
لِلْهَوَى وَلِوَجْهِهِ ؛ فَالاعتبار إذن بأن يكون المعنى الذي يرجع إليه الفعل موجوداً
في الكلام على حقيقته . معنى ذلك أن القُدوم موجود على الحقيقة ، وكذلك
الضرورة والزيادة موجودتان على الحقيقة ، وإذا كان معنى اللفظ موجوداً

ذاهراً كما في قوله تعالى : مَا رُبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ، أَي هُم رَجَحُوا فِي تِجَارَتِهِمْ ،
وَإِنَّمَا خَفِيَّةٌ ، كما في قولك : سَرَّتْني رُؤْيَتُكَ ، أَي سَرَّتْني اللهُ عِنْدَ رُؤْيَتِكَ
وَقَوْلِهِ : يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حَسَنًا * إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرًا

على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه فيكون في الحكم . قال الرازي : فيه نظر
لأن الفعل لا بد من أن يكون له فاعل حقيقة لامتناع صدور الفعل لا عن
فاعل . فهو إن كان ما أسند إليه الفعل فلا مجاز وإلا فيمكن تقديره . فزعم
السكاكي أن الحق في جانب الرازي ، وأن فاعل هذه الأفعال هو الله تعالى
. تبعه المصنف في ذلك ، قال التفتازاني : وفي ظني أن هذا تكلف والحق ما ذكره
الإمام : وهذا صحيح لأن تقدير الفاعل الموجد ، وهو الله تعالى ، في مثل هذه
الأفعال تقدير آلم لا يقصد في الاستعمال . ولا يتعلق به الغرض في التراكيب
(يزيدك) هو لآبي نواس من قصيدة يهجو فيها الأعراب لتعشقهم النساء
دون الغلمان ، ومثله قول حاجز بن عوف :

أَي عَبْرَ الْفُؤَارِسِ يَوْمَ دَاجٍ وَعَمَى مَالِكٌ وَضَعَ ابْنَيْهَا^(١)
فَلَوْ صَاحَبْتِنَا لَرَضِيَتْ عَنَّا إِذَا لَمْ تَغْبِقِ الْمِائَةَ الْغُلَامَا^(٢)

يزيد إذا كان العام عام جذب ، وجفت ضروع الإبل ، حتى إن حلب منها
مائة لم يحصل من لبنها ما يكون غبوق غلام واحد . فالفعل هو الذي غبق

(١) عبر الفوارس : وزنها وعرف عددها وقوتها ، واحتمال بعد ذلك

بالهزيمة عندما عرفه العدو حتى رجع إلى قومه وكانوا كامنين ، فثاروا على
أعدائهم وقتلواهم . ويوم داج : أي يوماً داغياً ، أي مظلماً بالسحاب .

(٢) أي إذا لم يكف لبن مائة ناقة لغبوق غلام واحد ، أي عند الجذب

أى يزيدك الله حسناً في وجهه : وأنكره السكاكي ذاهباً إلى أن
ما مرّ ونحوه استعارة بالكناية ، على أن المراد بالربيع الفاعل الحقيقي
قرينة نسبة الإنبات إليه ، وعلى هذا التماس غيره . وفيه نظر : لأنه
يستأنم أن يكون المراد بعيشة في قوله تعالى : في عيشة راضية ، صاحبها
كما سيأتي . وأن لا تصح الإضافة في نحو نهارة صائم ، لبطلان إضافة
الشيء إلى نفسه ، وأن لا يكون الأمر بالبناء لهامان ، وأن يتوقف نحو :

مستعمل في نفسه على حقيقته ، والمجاز في إسناده إلى الإبل وجعله فعلاً لها
(وأنكره السكاكي) وهاك ما قاله : الذي عندي هو نظم هذا النوع في سلك
الاستعارة بالكناية بجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي ،
بوساطة المبالغة في التشبيه وجعل نسبة الإنبات إليه قرينة للاستعارة ، ويجعل
الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو ، استعارة بالكناية عن الجند الهازم
وجعل نسبة الهزم إليه قرينة للاستعارة (وفيه نظر) إن ما أورده المصنف
على مذهب السكاكي لا يتم إلا إذا كان المراد بالمشبه نفس المشبه به حقيقة
والسكاكي صرح بأن المراد المشبه به ادعاء فاعرف هذا حتى تكون على بصيرة
من الأمر ، نعم قد ردوا مذهبه في الاستعارة بالكناية بما يصعب دفعه
وسير بك في محله (أن يكون المراد بعيشة صاحبها) وهو باطل إذ لا معنى
لقولنا فهو صاحب عيشة (كما سيأتي) يريد تفسير الاستعارة بالكناية
على مذهب السكاكي (وأن لا تصح الإضافة) لأن المراد بالنهار حينئذ فلان
نفسه . يعنى وقد وقعت هذه الإضافة في البليغ من الكلام : فأربحت تجارتهم
(وأن لا يكون الأمر بالبناء لهامان) لأن المراد به حينئذ هو العملة أنفسهم
واللازم باطل ، لأن النداء له والخطاب معه (وأن يتوقف) لأن أسماء الله

أثبت الربيع البقل على السمع : وَاللَّوْازِمُ كُلُّهَا مُشْتَفِيَةٌ ؛ وَلِأَنَّهُ يَنْتَقِضُ
بِنَحْوِ : نَهَارُهُ عَسَائِمٌ ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى ذِكْرِ طَرَفِي التَّشْبِيهِ .

﴿أحوال المسند إليه﴾

أما حذفه : فَلِلْإِحْتِرَازِ عَنِ الْعَبَثِ بِنَاءٍ عَلَى الظَّاهِرِ ، أَوْ تَخْيِيلِ
الْعُدْوَانِ إِلَى أَقْبَوَى الدَّلِيلَيْنِ مِنَ الْعَقْلِ وَاللَّفْظِ كَقَوْلِهِ :

توقيفية ، يعني وليس كذلك ، لأن مثل هذا التركيب صحيح شائع ، سمع من
الشارع أو لم يسمع (لاشتماله الخ) وذلك يمنع من حمل الكلام على الاستعارة
كما صرح به السكاكي ، لكن أجابوا عن هذا بأن ذلك إنما يكون مانعاً إذا كان
ذكرهما على وجه ينبيء عن التشبيه مثل زيد أسد ، وبعد ، فقط اعتاد السكاكي
أن يخالف أئمة البلاغة فيما لاغناء في مخالفتهم فيه ، وما كان أغنانا عن معرفة
مذهبه هذا . وحبذا عمل المصنف لو أنه جعله دبر أذنه (أما حذفه) قال
عبد القادر يصف الحذف : إنه لعجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به
ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجردك
أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين (فلاحتراز الخ)
يقول : إن المسند إليه — بعد أن تدل عليه القرينة — تختلف مقاصد البلغاء
من حذفه ، فتارة يكون الغرض التجرّز عن العبث ، لأن ذكره يعد عبثاً
لدلالة القرينة عليه وعلم السامع به ، وأخرى يكون لتخييل أن في تركه تعويلاً
على شهادة العقل ، وفي ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، وكما بين
الشهادتين ، إلى آخر ما ذكره ، هذا . وإنما قال تخييل لأن الدال حقيقة

٥ قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيٌّ * أَوْ اخْتِيارِ تَنْبِئِهِ السَّامِعِ عِنْدَ
الْقَرِيْنَةِ ، أَوْ مِقْدَارِ تَنْبِئِهِ ، أَوْ إِيهَامِ صَوْتِهِ عَنِ لِسَانِكَ ، أَوْ عَكْسِهِ ، أَوْ
تَأْتِي الْإِنْكَارِ لَدَى الْحَاجَةِ ، أَوْ تَعْيِينِهِ ، أَوْ ادِّعَاءِ التَّعْيِينِ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ،

عند الحذف هو اللفظ المدلول عاينه بالقرائن (قال لي) تمامه :

٥ سهر دائم وحزن طويل * فلم يقل أنا علي للاحتراز أو التخجيل . وربما
يكون الحذف لغير ذلك لأن لكل امرئ في باب البلاغة مانوي (أو إيهام صوته
عن لسانك) تعظيماً له (أو عكسه) أي إيهام صون لسانك عنه تحقيراً له
(أو تأتي) أي تيسر الإنكار عند الحاجة إلى الإنكار ، نحو نذل لثيم ، عند
قيام القرينة على أن المراد زيد ، ليتأتى لك أن تقول ما أردت زيدا بل غيره
(أو نحو ذلك) كاتباع الاستعمال الوارد على تركه مثل رمية من غير رام
وشنشنة (١) أعرفاً من أخزم ، أو على ترك نظائره كما في الرفع على المدح أو
الذم أو الترحم ، فإنهم لا يكادون يذكرون فيه المبتدأ ، قال :

هُمْ حَلَوُ مِنَ الشَّرَفِ الْمُعَلَّى وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاؤُوا
بُنَاةُ مَبْكَارِمٍ وَأُسَاةُ كَلِمٍ دِمَاؤُهُمْ مِنْ الْكَلْبِ الشِّفَاءِ
وقال الحماسي :

رَأَى عَلَى مَا بِي نَعْمِيَّةٌ فَاشْتَكَى إِلَى مَا لِي حَالِي أَسَمٌ كَمَا - هَرَّ

(١) هو لأبي أخزم الطائي وكان له ابن عاق يقال له أخزم . فبات وترك

بنين ، فوثبوا يوماً على جدهم أبي أخزم فأدموه فقال :

إن بني ضرجوني بالدم شنشنة أعرفاً من أخزم

يعنى أن هؤلاء أشبهوا أباهم في العقوق ، والشنشنة : الطيبة والعادة .

وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلِكُونِهِ الْأَصْلَ وَلَا مُقْتَضَى لِلْعُدُولِ عَنْهُ ، أَوْ لِلِاحْتِيَاظِ

غَلَامًا رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَافِعًا لَهُ سِيمَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ
وقال الأقبشر في ابن عم له موسى سأله فذمه ، فشكاه إلى القوم وذمه ،
فوثب إليه ابن عمه ولطمه :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعٍ
حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيعٌ لِدِينِهِ وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضِيعٍ
ومنه قولهم - بعد أن يذكروا الرجل - فتي من شأنه كذا وكذا ، وأغر
من صفته كيت وكيت كقوله :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَخْتُ مَنِيَّتِي أَيَادِي لَمْ تُتَمَنَّ وَأِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهِرِ الشُّكُورِ إِذَا النُّعْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ
وقوله :

فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ أَسْتَفَنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ
فَتَى لَا يَعُدُّ الْمَالَ رَبًّا وَلَا تَرَى بِهِ جَفْوَةً إِنْ نَالَ مَا لَا وَلَا كِبْرُ
فَتَى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فِي الرَّوْعِ حَقَّهُ إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِيَ وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزْرُ

وقول جميل :

وَهَلْ بُدِينَةُ يَا لِلنَّاسِ قَاضِيَتِي دِينِي وَفَاعِلَةٌ خَيْرًا فَأَجْزِيهَا
تَرُونُو عَيْنِي مَهَا أَقْصَدْتُ بِهِمَا قَلْبِي عَشِيَّةً تَرْمِيَنِي وَأَرْمِيهَا

لِضَعْفِ التَّعْوِيلِ عَلَى الْقَرِينَةِ ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى غِبَاوَةِ السَّمِيعِ ، أَوْ زِيَادَةِ
الإيضاحِ وَالتَّفْرِيرِ ، أَوْ إِظْهَارِ تَعْظِيمِهِ ، أَوْ إِهَانَتِهِ ، أَوِ التَّبَرُّكِ بِذِكْرِهِ ، أَوْ
اسْتِلْذَازِهِ ، أَوْ بَسْطِ الْكَلَامِ حَيْثُ الإِصْغَاءُ مَطْلُوبٌ ، نَحْوُ : هِيَ عَصَايَ .

هَيْفَاءٌ مُقْبَلَةٌ عَجَزَاءٌ مُدْبِرَةٌ رِيًّا الْعِظَامِ بِلَيْنِ الْعَيْشِ غَاذِيهَا

وبعد أن يذكروا الديار والمنازل : ربع كذا وكذا ، قال :

اعْتَادَ قَلْبِكَ مِنْ لَيْلَى عَوَائِدُهُ وَهَاجَ أَهْوَاءُكَ الْمَكْنُونَةَ الطَّلَلُ

رَبْعٌ قَوَائِدُ أَذَاعِ الْمُعْصِرَاتِ بِهِ وَكَلُّ حَيْرَانَ سَارِ مَأْوُهُ خَضِيلٌ (١)

وهذه طريقة مستمرة عندهم . « هذا ، ومن لطيف الحذف قول بكر

ابن النطاح :

الْعَيْنُ تُبْدِي الْحُبَّ وَالْبُغْضَا وَتُظْهِرُ الْإِبْرَامَ وَالنَّقْضَا

دُرَّةٌ مَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْهَوَى وَلَا رَحِمْتَ الْجَسَدَ الْمُنْضَى

غَضْبِي وَلَا وَاللَّهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَطْعَمُ الْبَارِدَ أَوْ تَرْضَى

التقدير هي غضبي . وهذا شعر يمتزج بأجزاء النفوس ، ويصل إلى القلوب

بلا آذان (أو إظهار تعظيمه أو إهانتته) كما في بعض الأسماء المحمودة أو المذمومة

(حيث الإصغاء مطلوب) أي في مقام يكون لإصغاء السامع مطلوباً للتكلم

(١) أذاع المعصرات : أنزلت ماها بكثرة . والحيران السارى : هو

المزن يجرى ليلاً .

وَأَمَّا تَعْرِيفُهُ فَبِالإِضْمَارِ : لِأَنَّ الْمَقَامَ لِلتَّكْلِيمِ أَوْ الْخُطَابِ أَوِ الْغَيْبَةِ . وَأَصْلُ
الْخُطَابِ أَنْ يَكُونَ لِمَعَيَّنٍ ، وَقَدْ يُشْرَكُ إِلَى غَيْرِهِ لِيَعْمَ كُلَّ مَخَاطَبٍ نَحْوُ :
وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، أَى تَنَاهَتْ حَالَهُمْ
فِي الظُّهُورِ ، فَلَا يَخْتَصُّ بِهَا مَخَاطَبٌ . وَبِالْعَلَمِيَّةِ لِإِحْضَارِهِ بَعِيْنَهُ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ

لشرفه ، ولذلك يطال الكلام مع الأحياء (للتكلم) كقول بشار :

أَنَا الْمُرْعَثُ لَا أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ذَرَّتْ بِي الشَّمْسُ لِلْقَاصِي وَلِلدَّانِي (١)
(أَوْ الْخُطَابِ) كَقَوْلِ الْخَمَاسِيِّ :

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي . وَأَشْمَتَ بِي مِنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
(أَوْ الْغَيْبَةِ) لِكَوْنِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ مَذْكُورًا ، أَوْ فِي حِكْمِ الْمَذْكُورِ لِقَرِينَتِهِ ،
كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

بِيَمْنِ أَبِي إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ الْعُلَى وَقَامَتْ قَنَاةُ الدِّينِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَى النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
وقوله تعالى : ولأبويه لكل واحد منهما السدس . أَى ولأبوي الميت (لمعين)
واحدًا أو كثيرًا (ليعم كل مخاطب) على سبيل البدل لأعلى سبيل التناول دفعة
واحدة (نحو : ولو ترى) وكما تقول : فلان لئيم إن أكرمه أهانك ، وإن
أحسن إليه أساء إليك ، فلا تريد مخاطباً بعينه بل تريد إن أكرم أو أحسن إليه
قصدًا إلى أن سوء معاملته لا يختص بواحد دون واحد (ناكسواره وسهم)
من : خياء والحزى (بها) أَى برؤية حالهم (وبالعلية) أَى تعريف المسند إليه

(١) كَانَ بَشَّارٌ يُقَالُ بِالْمُرْعَثِ لِرَعْتِهِ كَانَتْ لَهُ فِي صَفْرِهِ ، وَالرَّعْتَةُ : الْقِرْطُ

الْبَيْتِيُّ يَسْتَقِي فِي شُعْمَةِ الْأُذُنِ . وَذَرَّتْ الشَّمْسُ : طَاعَتْ .

ابتداءً بِاسْمٍ مُخْتَصٍّ بِهِ ، نحو : قل هو الله أحد ؛ أو تعظيم أو إهانة أو
كناية ، أو إيهام استلذاذه ، أو التبرُّك به أو نحو ذلك . وبالموصولية
لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به في صيغة الصلوة ، كقولك : الذي
كان معنا أمس رجلاً عالمًا . أو استهجان التصريح بالاسم ، أو زيادة

بإيراده علماً (نحو : قل هو الله أحد) هو ضمير الشأن مبتدأ أول والله مبتدأ
ثان والجملة خبره ، فقد ورد المسند إليه علماً لأجل إحضاره في الذهن ابتداءً
بجميع مشخصاته التي قام عليها الدليل كالقدرة ونحوها ، باسم خاص به تعالى ،
ونحوه قول الشاعر :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ
وقول الآخر :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكَتْ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشَقَرٍ مُزِيدٍ
(أو تعظيم أو إهانة) كما في الكنى والألقاب المحمودة والمذمومة (أو كناية)
حيث الاسم صالح لها ، وبما ورد صالحاً للكناية من غير باب المسند إليه
قوله تعالى : تبت يدا أبي لهب ، كناية عن كونه جهنمياً (أو إيهام استلذاذه)
نحو قوله :

يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَى مَسْكُنَ أُمِّ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ
(أو نحو ذلك) مما يناسب اعتباره في الإعلام كالتفاؤل والتطير ،
(أو استهجان التصريح بالاسم) قال السكاكي : والعدول عن التصريح
باب من البلاغة يصار إليه كثيراً ، وإن أوردت تطويلاً . يحكى عن
شريح أن عدى بن أرطاه أتاه ومعه امرأة له من أهل الكوفة يخاصمها ،

التقرير نحو : وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ، أَوْ التَّفْخِيمِ نَحْوُ :
فَفَشِيهِمْ مِنَ الِيمِّ مَا تَشِيهِمْ ، أَوْ تَنْبِيهِ الْمُخَاطَبِ عَلَى خَطَايَا نَحْوُ :

فلما جلس بين يدي شريح قال عدى : أين أنت ؟ قال بينك وبين الحائط . قال : إني
امرؤ من أهل الشام ، قال : بعيد سحيق ، قال وأنى قدمت العراق ، قال : خير
مقدم ، قال : وتزوجت هذه ؟ قال : بالرفاء والبنين ، قال : وإنها ولدت
غلاماً ، قال : ليهنك الفارس ، قال : وأردت أن أنقلها إلى داري ، قال : المره
أحق بأهله ، قال : قد كنت شرطت لها وكرها ، قال الشرط أملك . قال :
أقض بيننا ، قال : فعانت ، قال : فعلى من قضيت ؟ قال : علي ابن أملك : عدل
شريح عن لفظ عليك لئلا يواجهه بالصريح على ما يشق على المخاضم من القضاء
عليه (نحو وروادته) فالكلام مسوق لزهارة يوسف وطهارة ذيله والمذكور
أدل عليه من امرأة العزيز أو زليخا . ومما هو نص في زيادة تقرير الغرض
المسوق له الكلام في غير المسند إليه بيت السقط :

أَعْبَادَ الْمَسِيحِ يَخَافُ صَحْبِي وَنَحْنُ عَبِيدُ مَنْ خَلَقَ الْمَسِيحًا

فإيه أدل على عدم خوفهم النصارى من أن يقول نحن عبيد الله (نحو :
فَفَشِيهِمْ) وقوله تعالى : وَالمُؤْتَفِكَةَ أَمْرًا فَغَشَاهَا مَا أَعْشَى : ومثله قوله :

مَضَى بِهَا مَا مَضَى مِنْ عَقْلِ شَارِبِهَا وَفِي الرَّجَاجَةِ بَاقٍ يَطْلُبُ الْبَاقِ

ومنه في غير هذا الباب بيت الحماسة :

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَالَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَأَمَّا عِلَاةٌ قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعَدِ

فإن ما مفعول ، وقول أبي نواس :

وَلَقَدْ نَهَرْتُ مَعَ الْعَوَاقِبِ بَدْلَهُمْ وَأَسْمَتُ سَرِحَ اللّهُو حَيْثُ أَسَامُوا

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ ۖ يَشْفِي غَدِيانَ ضُدُورِهِمْ أَنْ نَضْرَعُوا
أَوْ الْإِيمَاءَ إِلَى وَجْهِ بِنَاءِ الْخَيْرِ نَحْوُ : إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ : ثُمَّ إِنَّهُ رَبَّمَا جَعَلَ ذَرِيعةً إِلَى التَّعْرِيفِ بِالْمَعْظِمِ
لشأنه نَحْوُ :

وَبَلَغَتْ مَا بَلَغَ أَمْرٌ بِشَبَابِهِ فَإِذَا نَضْرَعَةٌ كُلُّ ذَلِكَ أَثَمٌ (١)

(نحو : إن الذين) ففيه من التنبية على خطئهم في هذا الظن ما ليس في
قولك إن القوم الفلاني . والبيت لعبدة بن الطيب من قصيدة يعظ فيها بنيه
(أو الإيماء إلى وجهه : بناء الخير) يقول : قد يعرف المسند إليه بالموصولية لما
في صلته من الإشارة إلى نوع الخير من ثواب أو عقاب أو مدح أو ذم مثلاً .
وحاصله أن يؤتى بالفاتحة على وجه ينبه الفطن على الخاتمة نحو : إن الذين
يستكبرون الآية ، ففي مضمون الصلة الذي هو الاستكبار إيماء إلى أن الخير
أمر من جنس الإذلال والعقوبة : قال السكاكي : ثم يتفرع على هذا اعتبارات
لطيفة ، ربما جعل ذريعة إلى التعريض بالمعظيم كقولك : الذي يرافقك يستحق
الإجلال والرفع والذي يفارقك يستحق الإذلال والصفع ، ومنه قولهم جاء (٢)
بعد اللتيا والتي ، أو بالإهانة كما إذا قامت الخبر في الصورتين ، وربما جعل

(١) أثم : كسلام ، جزاء الإثم .

(٢) قال السكاكي في فصل الإيجاز : وقول العرب جاء بعد اللتيا والتي
بترك صلة الموصول إثارة للإيجاز تنبيهاً على أن المشار إليهما باللتيا والتي وهي
المحنة ، والشدائد بلغت من شدتها وفضاعة شأنها ، مبلغاً يهت الواصف معها
حتى لا يحير بدنت شفة .

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَانِمَهُ أَعَزُّ وَأُضْوَلُ
أَوْ شَأْنٍ غَيْرِهِ نَحْوُ : الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ
وَبِالإِشَارَةِ لِتَمْيِيزِهِ أَكْبَرَ تَمْيِيزٍ نَحْوُ قَوْلِهِ :
هَذَا أَبُو الصَّقْرِ فَرَدًّا فِي تَحَاسِينِهِ

ذريعة إلى تعظيم شأن الخبر كقول الفرزدق : إن الذي سمك السماء البيت
فإن فيه إيماء إلى أن الخبر المبني عليه أمر من جنس الرفعة والبناء ؛ ثم في هذا
الإيماء تعريض لتعظيم بناء بيته من حيث أنه فعل من رفع السماء ، أو تعظيم
شأن غير الخبر نحو : الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين ، ففيه إيماء إلى أن
الخبر المبني عليه أمر من جنس الخسران ، وفيه مع ذلك تعظيم لشأن شعيب ،
وفي هذه الاعتبارات كثرة ، فخم لها حول ذكائك . وهذا ، وقد يقصد بالموصول
الحث على التعظيم نحو : جاء الذي عليك ، أو التحقير نحو : جاء الذي سألك
أو النهك كقوله تعالى : يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون . ولطائف هذا
الباب لا تكاد تضبط (لتمييزه أكبر تمييز) لغرض من الأغراض كأن يكون
في مقام المدح وفي حال إجراء أوصاف الرفعة ونعوت الأثرة (نحو هذا
أبو الصقر) مثله قوله :

وَإِذَا تَأَمَّنَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُّقْبِلٍ مُتَسَرِّبٍ سِرِّبَالٍ لَيْلٍ أُغْبِرِ

أَوْ مَا إِلَى الْكَوْمَاءِ هَذَا طَارِقٌ نَحَرْتَنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْحَرِي

وقول المتلبي :

أَوْلَيْكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

أَوْ التَّعْرِيضِ بِغَبَاوَةِ السَّامِعِ كَقَوْلِهِ :

أَوْلَيْكَ آبَائِي فَجِئْتَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ
أَوْ بَيَانِ حَالِهِ فِي الْقُرْبِ أَوْ الْبُعْدِ أَوْ التَّوَسُّطِ : كَقَوْلِكَ : هَذَا أَوْ ذَلِكَ
أَوْ ذَلِكَ زَيْدٌ ؛ أَوْ تَحْقِيرِهِ بِالْقُرْبِ نَحْوُ : أَهَذَا الَّذِي يَذُكُرُ آلِهَتَكُمْ ؛ أَوْ
تَعْظِيمِهِ بِالْبُعْدِ نَحْوُ : أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ ؛ أَوْ تَحْقِيرِهِ كَمَا يُقَالُ : ذَلِكَ اللَّعِينُ
فَعَلَ كَذَا ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ عِنْدَ تَعْقِيبِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ بِأَوْصَافٍ عَلَى أَنَّهُ جَدِيرٌ
بِمَا يَرِدُ بَعْدَهُ مِنْ أَجْلِهَا نَحْوُ : أَوْلَيْكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأَوْلَيْكَ هُمْ .

والبيت لابن الرومي وتماثله من نسل شيبان بين الضال والسلم . الضال :
هو السدر ، والسلم : شجر ذو شوك ، وهما من شجر البوادي ، وأشار بذلك إلى
ما تتماذج به العرب من سكنى البادية لأن العز مفقود في الحضر (أو التعريض
بغباوة السامع) وأنه لا يتميز الشيء عنده إلا بالحس (أولئك آباء) هو للفرزدق
من قصيدة يفتخر فيها على جرير (نحو هذا أو ذلك أو ذاك) فهذا زيد في حال
القرب وذلك في حال البعد وذاك في حال التوسط ، وإنما أخر لأنه إنما يتحقق
بعد تحقيق الطرفين (أهذا الذي يذكر آلهتكم) مثله قوله تعالى : وما هذه الحياة
الدنيا إلا لهو ولعب ، وقوله تعالى ، وهو من غير باب المسند إليه : ماذا أراد
الله بهذا مثلا . وقول الشاعر :

تَقُولُ وَدَقَّتْ صَدْرَهَا بِيَمِينِهَا أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَا الْمُتَقَاعِسِ (١)

(نحو ذلك الكتاب) ذهاباً إلى بعد درجته ، ونحوه : فذلكن الذي لمتنني
فيه ، لم تقل فهذا — وهو حاضر — رفعا لمنزلته في الحسن وتمهيدا للعدر
في الافتتان به (نحو : أولئك على هدى) فقد عقب المشار إليه وهو المتقين

(١) المتقاعس : الذي يخرج صدره ويدخل ظهره .

الْمُفَاعِحُونَ . وَبِاللَّامِ الْإِشَارَةُ إِلَى مَعْنَى نَحْوٍ : وَلَيْسَ الذِّكْرُ كَالْأُنْثَى

بأوصاف هي الإيمان بالغيب وإقام لصلاة وغير ذلك ، ثم عرف المسند إليه بالإشارة تنهياً على أن المشار إليهم أحقاء بما يرد بعد أولئك وهو كونهم على الهدى عاجلاً والفوز والفلاح آجلاً من أجل اتصافهم بالأوصاف المذكورة .
ومثل ذلك قول عروة بن الورد :

لَمَّا اللَّهُ ضَعَلُوا كَمَا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمَشَاشِ ^(١) أَلِفًا كُلُّ مَجْزَرٍ
يَنَامُ ثَقِيلًا ثُمَّ يُضِيحُ قَاعِدًا نَحْتُ الْخَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفَّرُ
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَى مَا يَسْتَعِينَهُ فَيُضِحِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحَسَّرِ
وَلَكِنْ ضَعَلُوا كَمَا صَفِيحَةٌ وَجْهِهِ كَضَوْءِ سِرَاجِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوَّرِ
مُطَلًّا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ الْمَنِيحِ الْمُشَهَّرِ
وَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوَّفَ أَهْلَ الْغَائِبِ الْمُتَنْظَرِ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَعْنِي يَوْمًا فَأَجْدِرِ

عدد له خصالا فاضلة كما ترى ثم عقب هذا بقوله ، فذلك فأفاد أنه جرى بما ذكر بعده لأجل اتصافه بتلك الخصال (معهود) بين المتكلم والمخاطب لتقدم ذكره صريحا أو كناية كما في الآية ، أو لعلم المخاطب به نحو : إذ هما في الغار

(١) المشاش جمع مشاشة : قيل هي رهوس المفاصل مثل الركبتين ، وفي إضافة مصافي إلى المشاش من التهمك ما لا يخفى . والمجزر : موضع جزر الإبل . والمتعفر : المترب . والبعير المحسر : هو المعنى . وقوله وإن بعدوا الخ : على التقديم والتأخير ، أراد لا يأمنون اقترابه وإن بعدوا .

أَي لَيْسَ الَّذِي طَلَبْتَ كَالَّتِي وَهَبْتُ لَهَا ، أَوْ إِلَى نَفْسِ الْحَقِيقَةِ كَقَوْلِكَ :
الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ ؛ وَقَدْ يَأْتِي لِوَاحِدٍ بِإِعْتِبَارِ عَهْدِيَّتِهِ فِي الذَّهْنِ كَقَوْلِكَ :
أَدْخُلِ السُّوقَ حَيْثُ لَا عَهْدَ ؛ وَهَذَا فِي الْمَعْنَى كَالنَّكْرَةِ ، وَقَدْ يُفِيدُ

ونحو : إذ يباعدونك تحت الشجرة ، وكقولك لمن فوق سهما : القرطاس .
أو لحضوره نحو هذا الرجل ، يأياها الرجل (أي ليس الذي الخ) أي ليس الذكر
الذي طلبته امرأة عمران كالأثني التي وهبت لها ، أي فاللام في الأثني إشارة إلى
معهود تقدم في قوله تعالى : قالت رب إنني وضعتها أنثى ، ولكنه ليس مسنداً إليه
لأنه مجرور بالكاف ، واللام في الذكر إشارة إلى ما سبق ذكره كناية في قوله
تعالى : رب إنني نذرت لك ما في بطني محرراً ، فإن لفظ ما وإن كان يعم الذكور
والإناث إلا أن التجريد ، وهو أن يعتق الولد لخدمة بيت المقدس ، إنما كان
للذكور دون الإناث (إلى نفس الحقيقة) بصرف النظر عن عمومها وخصوصها
(الرجل خير من المرأة) مثله الدينار خير من الدرهم وقول المعري :

وَإِخْلُ كَلِمَاءَ يُبْدِي لِي ضَمَائِرَهُ مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ السَّكَدِ

وقوله تعالى ، وهو من غير هذا الباب : وجعلنا من الماء كل شيء حي .
أي جعلنا مبدأ كل شيء حي هذا الجنس الذي هو الماء (يأتي) أي المعروف
بلام الحقيقة (باعتبار عهديته في الذهن) لمطابقتها الحقيقة (أدخل السوق)
فأشير باللام إلى الحقيقة لكن في ضمن بعض الأفراد لقياس القرينة على ذلك
ومثله قوله تعالى : وأخاف أن يأكله الذئب (في المعنى) وأما في اللفظ فتجري
عليه أحكام المعارف من وقوعه مبتدأ وذا حال ووصفاً للعرفة وموصوفاً بها
ونحو ذلك (كالنكرة) فيعامل معاملةها ويوصف بالجملة كقوله :

* وَقَدْ أَمَرَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانِي *

الاستغراق ، نحو : « إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسْرٍ » وَهُوَ ضَرْبَانِ : حَقِيقِيٌّ ، نحو :

° وإنما لم يقل نكرة لما بينهما من تفاوت ما ، وهو أن النكرة معناها بعض غير معين من جملة أفراد الحقيقة وهذا معناه نفس الحقيقة ، وإنما تستفاد البعضية من القرينة كالدخول والأكل فيما مر (نحو إن الإنسان) فأشير باللام إلى الإنسانية في ضمن كل فرد من أفرادها بدليل الاستثناء الذي هو معيار العموم لأن شرطه دخول المستثنى منه لو لم يذكر هذا . والحاصل أن المراد باسم الجنس المعرف باللام إما نفس الحقيقة لا ما يصدق عليه من الأفراد وهو تعريف الجنس والحقيقة ، ونحوه علم الجنس كأسماءه ، وإما فرد معين وهو العهد الخارجي . ونحوه العلم الخاص كزيد ، وإما فرد غير معين وهو العهد الذهني ونحوه النكرة كرجل ، وإما كل الأفراد وهو الاستغراق . ونحوه لفظ كل مضافاً إلى النكرة كقولنا كل رجل . (وبعد) فقد قال أستاذنا الشيخ محمد عبده في تفسير سورة والعصر : إن الاستغراق بأل في لسان العرب ليس كالاستغراق بلفظ كل وإيست أل مساوية لكل التي تضاف إلى النكرة ويراد بها تعميم الحكم في جميع أفراد الجنس ، وإنما يراعى في أل استغراق المعهود عند المخاطبين ، لأنها في لسانهم للعهد . وتعريف الجنس إما في فرد أو أفراد وإن تفارق العهد أبداً وكذلك التي يسميها النحاة العهد الذهني ويتحiron في الفرق بينها وبين النكرة ثم يقول فريق منهم إن الفرق في اللفظ وإجراء أحكامه أما المعنى فلا فرق فيه ، وهو وهم فاسد . وهذا كلام من قتل اللغة علماً وأحاط بأسرارها خبراً (وهو) أي الاستغراق (حقيقي) وهو أن يراد كل فرد مما يتناول اللفظ لغة .

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَيُّ كُلِّ غَيْبٍ وَشَهَادَةٍ : وَعُرْفِي كَقَوْلِنَا : جَمَعَ
الْأَمِيرُ الصَّاعَةَ ، أَيُّ صَاعَةً بَلَدِهِ أَوْ مَمْلَكَتِهِ . وَاسْتِغْرَاقُ الْمَفْرَدِ أَشْمَلُ :
بِدَلِيلِ صِحَّةِ لَأَرْجَالَ فِي الدَّارِ ، إِذَا كَانَ فِيهَا رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ، ذَوْنِ
لَأَرْجُلٍ . وَلَا تَنَافٍ بَيْنَ الْإِسْتِغْرَاقِ وَإِفْرَادِ الْأِسْمِ ، لِأَنَّ الْحَرْفَ إِثْمًا يَدْخُلُ
عَلَيْهِ مُجَرَّدًا عَنْ مَعْنَى الْوَحْدَةِ ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى كُلِّ فَرْدٍ لَا مَجْمُوعِ الْأَفْرَادِ ، وَهَذَا

(وعرفي) وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب متفاهم العرف (أى
صاعاً بلده أو مملكته) لاصاعه الدنيا (واستغراق المفرد أشمل) هذه العبارة
قد أشار إلى مغزاها جار الله الزمخشري في كشافه ، ومعناها أن اسم الجنس
المفرد إذا دخلت عليه أداة الاستغراق كحرف التعريف أو النفي كانت شموله
للأفراد أكثر من شمول المثنى والجمع الداخل عليهما تلك الأداة وذلك أن المفرد
يتناول كل واحد من الأفراد ، والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين ، ولا ينافيه
خروج الواحد ، والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة ، ولا ينافيه خروج الواحد
والاثنين . ودليل ذلك صحة : لأرجال في الدار إذا كان فيها رجل أو رجلان
وعدم صحة لأرجل إذا كان فيها رجل أو رجلان . وهذا ، وقد قالوا إن كلام
المصنف مسلم في النكرة المنفية دون المعرف باللام ، لأن الجمع المعرف باللام
الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد بل هو في ذلك أقوى من المفرد
(ولا تنافي) هذا جواب عن سؤال أورده السكاكي وهو أن إفراد الاسم ينافي
أن تكون الأداة الداخلة عليه للاستغراق ، لأن الإفراد يدل على الوحدة ،
والاستغراق على التعدد (الحرف) الدال على الاستغراق كحرف النفي ولام
التعريف (عليه) أى على الاسم المفرد .

امتنع وصفه بنعت الجمع . وبالإضافة لأنها أخصر طريق نحو :
* هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ * أَوْ تَضْمِينًا تَعْظِيمًا لِشَأْنِ
الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، أَوْ الْمُضَافِ أَوْ غَيْرِهَا ، كَقَوْلِكَ عَبْدِي حَضَرَ ، وَعَبْدُ
الْخَلِيفَةِ رَكِبَ ، وَعَبْدُ السُّلْطَانِ عِنْدِي ؛ أَوْ تَحْقِيرًا نَحْوُ : وَلَدُ الْحَجَّامِ حَاضِرٌ .

(امتنع وصفه بنعت الجمع) ولا اكثرث بما حكاه الاخفش في الدينار الصفر
والدرهم البيض (لأنها الخ) أو لإغنائها عن تفصيل متعذر كقوله :

نَمْرٌ مَطَرٌ يَوْمَ الْلِقَاءِ كَأَنَّهِمْ أَسْوَدَ لَهَا فِي غَيْبِ خَفَانِ أَشْبَلُ

أو لتضمنها اعتباراً لطيفاً مجازياً كقوله :

إِذَا كَوَّرْتُ الْخُرْقَاءَ لَأَحْبَسُ خُرْقَةً سَهِيلاً أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي الْقَرَائِبِ

(لأنها أخصر طريق) والمقام مقام اختصار (هوى) هو لجعفر بن عتبة
الحارثي من أبيات قالها وتماه :

* جَنِيْبٌ وَجَنَانِي بِسَكَّةٍ مُؤْتَقٌ *

ولعمري :

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنِّي تَخَلَّصْتُ	إِلَى وَبَابِ السَّجْنِ دُونِي مَغْلَقُ
أَلَمْتُ فَحَيْتُ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعْتُ	فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَ كَمِّ	لِسَيِّئٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
وَلَا أَنَّ قَلْبِي يَزْدَهِيهِ وَعَيْدُهُمْ	وَلَا أَنِّي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ
وَأَكُنْ عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكَ ضَمَانَةٌ	كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذَا أَنَا مُطْلَقُ

وَأَمَّا تَنْكِيرُهُ فَلِلْإِفْرَادِ نَحْوُ : وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى . أَوْ

النَّوْعِيَّةِ نَحْوُ : وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ . أَوْ التَّعْظِيمِ أَوْ التَّخْقِيرِ كَقَوْلِهِ :

لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ

والضمانه الحب والعشق ، وهو انى بمعنى مهوى ، فهو أخصر من الذى أهواه ، ونحوه ، ومصعد : مبعده ذاهب فى الارض .

(فللافراد) وقد ينكر لسكون المقام غير صالح للتعريف إما لانك لا تعلم جهة من التعريف حقيقة أو تتجاهل ، وباب التجاهل فى البلاغة عريق ، وإن شئت فانظر لفظ كان فى قول الخارجية :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكٌ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

ماذا ترى ؟ وإما لأنه يمنع من التعريف مانع كقوله :

إِذَا سَمِمَتْ مُهَنْدَةٌ يَمِينٌ لَطُولِ الْخَمَلِ بَدَلَهُ شِمَالًا

لم يقل يمينه احترازاً عن التصريح بنسبة السامة إلى يمين الممدوح (رجل) أى فرد من أشخاص الرجال (غشاوة) أى نوع من الأغلبية غير مايتعارفه الناس وهو غطاء النعمى عن آيات الله ، ورأى السكاكى أن التنكير للتعظيم أى غشاوة عظيمة تجب أبصارهم بالكلية وتحول بينها وبين الإدراك ، وهذا أليق (له حاجب) أى له حاجب أى حاجب وليس له حاجب ما ومثله قوله :

وَلِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أُضِيئُهُ وَلِللَّهِ مِنِّي وَأَخْلَاعَةٌ جَانِبٌ

والبيت لابن أبي السمط من آيات منها :

فَتَى لَا يُبَالِي الْمُدْلِجُونَ بِنُورِهِ إِلَى بَابِهِ أَنْ لَا تُضِيءَ الْكَوَاكِبُ

يَضْمٌ عَنِ الْفَحْشَاءِ حَتَّى ضَكَاهُ إِذَا ذُكِرَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ غَائِبٌ

أَوِ التَّكْثِيرِ كَقَوْلِهِمْ : إِنَّ لَهُ لَأَبْلًا وَإِنَّ لَهُ لَعَنًا . أَوِ التَّقْيِيلِ نَحْوُ :
وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ؛ وَقَدْ جَاءَ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّكْثِيرِ نَحْوُ : وَإِنَّ
يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلًا ، أَيْ ذُرُوعًا عَدَدًا كَثِيرًا وَآيَاتٍ عِظَامًا .
وَمِنْ تَنْكِيرٍ غَيْرِهِ لِلْأَفْرَادِ أَوِ النَّوْعِيَّةِ نَحْوُ : وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ
مَاءٍ ، وَالتَّعْظِيمِ نَحْوُ : فَأَذْنُونا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالتَّحْقِيرِ نَحْوُ : إِنَّ
نَظْمًا إِلَّا ظَنًّا * وَأَمَّا وَصْفُهُ : فَالِكُونِهِ مُبَيَّنًّا لَهُ كَاشِفًا عَنِ مَعْنَاهُ ،

(ورضوان من الله أكبر) أى وشىء من رضوانه أكبر مما ذكر قبل من
الجنة ونعيمها لأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراه
من النعم ، وإنما تنها له برضاه ، كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة
وإن عظمت (للتعظيم والتكثير) معاً (غيره) أى غير المسند إليه (كل دابة
من ماء) أى كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة أو كل نوع من أنواع
الدواب أو كل من نوع من أنواع المياه . وهذا ، ومن تنكير غير المسند إليه للنعارة
وعدم التعيين قوله تعالى : أو اطرحوه أرضاً ، وللتقيل قول المتنبي :

فَيَوْمًا نَخِيلُ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ وَيَوْمًا يَجُودُ تَطْرُدُ الْفُقَرَاءَ وَالْجُدْبَا

أى بعدد نور من خيولك وشىء يسير من فيضان جودك . وواعلم ، أنه
كما أن التنكير لإبهامه يفيد التعظيم والتحقير والتقليل ، كذلك لمعظ البعض
كما في قوله :

تَرَكَ أَمْكِنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضَ النُّفُوسِ حَمَامًا

كقولك : الجِسْمُ الطَّوِيلُ العَرِيضُ العَمِيقُ ، يَحْتَاجُ إِلَى فَرَاغٍ يَشْغَلُهُ
وَنَحْوُهُ فِي الكَشْفِ قَوْلُهُ :

الأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
أَوْ مَخْصَصًا نَحْوُ : زَيْدُ النَّاجِرِ عِنْدَنَا ، أَوْ مَدْحًا أَوْ ذَمًّا نَحْوُ : جَاءَنِي
زَيْدُ العَالِمِ أَوْ الجَاهِلِ حَيْثُ يَتَعَيَّنُ المَوْصُوفُ قَبْلَ ذِكْرِهِ . أَوْ تَأْكِيدًا

أراد نفسه ، ونحو هذا كلام ذكره بعض الناس . ونحو قولهم : كفى هذا
الأمر بمضاهية (في الكشف) وإن لم يكن وصفاً للسنند إليه (الألمعي)
فالألمعي الحديد اللسان والقلب وقد أبانه بقوله : الذي يظن بك الظن . حكى أن
الأصمعي سئل عن الألمعي فأئشند البيت ولم يزد : وهو لأوس بن حجر التيمي
من قصيدة يرثي بها فضالة بن كعدة وأولها :

أَيْتَهَا النَّسْنُ أَتَجَلِي جَزَعًا إِنْ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّجَاةَ وَالنَّجْدَةَ وَالْبِرَّ وَالتَّقَى جَمَعَا
أَوْدَى فَمَا تَنْفَعُ الإِشَاحَةَ مِنْ شَيْءٍ لَمَنْ قَدْ يُخَاوِلُ البِدْعَا

الإشاحة : الحذر ، والبدع : الأمور الغريبة . ومثل البيت قوله : إن الإنسان
خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً . قال الزخشرى : الهلع :
سرعة الجزع عند مس المـكروه ، وسرعة المنع عند مس الخير . من قولهم ناقة
هلوع : سريعة السير . وعن أحمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر :
فما الهلع ؟ قلت قد فسره الله تعالى (حيث يتعين الخ) وإلا صار الوصف مخصصاً
هـذا ، وقد يكون الوصف لبيان المقصود وتفسيره ومنه قوله تعالى : وما من دابة

نحو: أَمْسِ الدَّابِرَ كَانَ يَوْمًا عَظِيمًا . وَأَمَّا تَوَكِيدُهُ : فَلِلتَّقْرِيرِ أَوْ دَفْعِ
تَوَهُمِ التَّجَوُّزِ أَوِ السَّهْوِ ، أَوْ عَدَمِ الشُّمُولِ * وَأَمَّا بَيَانُهُ : فَلِإِضَاحِهِ بِاسْمِ

في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه . قال في الكشاف : فإن قلت هلا قيل
وما من دابة ولا طائر إلا أم أمثالكم ، وما معنى زيادة قوله في الأرض ويطير
بجناحيه ؟ قلت : معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة كأنه قيل وما من دابة قط
في جميع الأرضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه
إلا أم أمثالكم بحفظة أحوالها غير مهمل أمرها ، فللتقرير ، أي جعل المسند إليه
مستقراً محققاً ثابتاً بحيث لا يظن به غيره نجو جاءني زيد زيد إذا ظن المتكلم
غفلة السامع عن سماع لفظ المسند إليه أو عن حمله على معناه (التجوز) أي التكلم
بالمجاز (أو عدم الشمول) أي أو لدفع توهم عدم الشمول ، فأنت إنما : تقول
جاء القوم كلهم ، لأنك لو قلت جاء القوم وسكت لكان يجوز أن يتوهم السامع
أنه قد تخلف بعضهم إلا أنك لم تعتد به ، أو أنك جعلت الفعل الواقع من
البعض كالواقع من الجميع لكونهم في حكم الشخص الواحد كما يقال للقبيلة :
فعلتم وصنعتهم . يراد فعل قد كان من بعضهم . وربما يجمع بين كل وأجمعين
بحسب اقتضاء المقام كقوله تعالى : فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، بناء على كثرة
الملائكة واستبعاد وجود جميعهم مع تفرقهم واشتغال كل منهم بشأن وبهذا يزداد
التعبير والتفريع على ما ليس . واعلم أنهم لم يعنوا بقولهم التوكيد يفيد الشمول
أنه يوجه من أصله وأنه لولاه لما فهم الشمول من اللفظ وإلا لم يسم توكيداً
ولأنما المبنى أنه يمتنع أن يكون اللفظ المقتضى للشمول مستعملاً على خلاف
ظاهراً ومتجوزاً فيه (بيانه) أي تعقيبه بعطف البيان (فلايضاحه) وقد يجيء

مُخْتَصِّ بِهٍ نَحْوُ : قَدِمَ صَدِيقُكَ خَالِدًا . وَأَمَّا الْإِبْدَالُ مِنْهُ :
فَلِزِيَادَةِ التَّقْرِيرِ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ أَخُوكَ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ أَكْثَرُهُمْ ،
وَسَلِبَ عَمْرُو ثَوْبُهُ . وَأَمَّا العَطْفُ : فَتَفْصِيلُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ مَعَ
اِخْتِصَارٍ ، نَحْوُ : جَاءَ زَيْدٌ وَعَمْرُو . أَوِ الْمُسْنَدِ كَذَلِكَ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ

عطف البيان لغير الإيضاح كما في قوله تعالى : جعل الله الكعبة البيت الحرام
قياماً للناس . فقد ذكر الزمخشري أن البيت الحرام عطف بيان للكعبة جيء به
للإيضاح لا للإيضاح ، كما تجيء الصفة لذلك . وذكر في قوله تعالى : ألا بعداً لعاد
قوم هود ، إنه عطف بيان لعاد ، وفائدته — وإن كان البيان حاصلًا بدونه —
أن يوسموا بهذه الدعوة وسماً ، وتجعل فيهم أمراً محققاً لا شبهة فيه بوجه من
الوجوه (فلزيادة التقرير) إنما عبر بذلك لإيحاء إلى أن البديل هو المقصود بالنسبة
والتقرير زيادة تحصل تبعاً وضمناً ، أما التوكيد فإن الغرض منه نفس التقرير
(نحو جاءني زيد أخوك) مثال لبديل الكل والتقرير فيه ظاهر لما فيه من التكرير
ومثله — وهو من غير المسند إليه — قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم . قال في الكشف : وفائدة البديل التوكيد لما فيه من
التكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين (وجاء
القوم أكثرهم) مثال لبديل البعض ، وقد حصل التقرير فيه بذكر ما اشتمل
عليه الأول بالدلالة الكلية ، فإن الأكبر بعض القوم (وسلب زيد ثوبه)
مثال لبديل الإشتمال ، وبيان التقرير فيه أن المبدل منه يشعر به في الجملة ،
فالنفس قبل ذكره تتشوف لشيء يطلبه المبدل منه ، فإذا ذكر كان
تسكراً (كذلك) أي مع اختصار (نحو جاءني زيد فعمر و الخ)

فَعَمْرُو أَوْ ثُمَّ عَمْرُو ، أَوْ جَاءَنِي الْقَوْمُ حَتَّى خَالِدًا ؛ أَوْ رَدَّ السَّامِعُ إِلَى الصَّوَابِ
نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ لِأَعْمُرُو ، أَوْ صَرَفِ الْحُكْمِ إِلَى آخَرَ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ
بَلْ عَمْرُو ، وَمَا جَاءَنِي عَمْرُو بَلْ زَيْدٌ ؛ أَوْ الشَّكِّ ، أَوْ التَّشْكِيكِ لِلْسَّامِعِ
نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ أَوْ عَمْرُو * وَأَمَّا فَصْلُهُ : فَلِتَخْصِيصِهِ بِالْمُسْنَدِ .

فالفاء و ثم وحتى تشترك في تفصيل المسند وتختلف من جهة أن الفاء
تدل على أن ملابسة الفعل للتابع بعد ملابسته للمتبوع بلا مهلة ، و ثم كذلك مع
مهلة وحتى مثل ثم إلا أن فيها دلالة على أن ما قبلها ما ينقض شيئاً فشيئاً إلى
أن يبلغ ما بعدها (جاءني زيد لا عمرو) تقول ذلك لمن زعم أن عمراً جاءك دون
زيد أو أنهما جاآك جميعاً . ومثل أن تقول : ما جاءني زيد لكن عمرو ، فإنك
تخاطب به من يعتقد أن زيدا جاءك دون عمرو (آخر) أي محكوم عليه آخر
(نحو جاءني زيد بل عمرو) . اعلم أن بل إذا تقدمها لإيجاب جماعت ما قبلها
كالمسكوت عنه عند الجمهور أو مقطوعاً بنفي الحكم عنه عند ابن الحاجب وأثبتت
الحكم لما بعدها عند الجميع ، وإن تقدمها نفي أو نهي فهى لتقرير ما قبلها على
حالته وجعل ضده لما بعدها . وعند المبرد أنها تنقل معنى النفي والنهي لما بعدها
(أو الشك) أي شك المتكلم (أو التشكيك للسامع) إلى إيقاعه في الشك . بقى
الإيهام كقوله تعالى : وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين . والإباحة
والتخيير مثل قولك : ليدخل الدار زيد أو عمرو ، والفرق بينهما واضح ، فإن
الإباحة لا تمنع من الإتيان بالشئين أو الأشياء جميعاً (فصله) أي تعقيبه بضمير
الفصل (فلتخصيصه بالمسند) أي لقصر المسند على المسند إليه ؛ وقد يكون الفصل
للتأكيد فحسب وذلك إذا كان التخصيص حاصلًا بدونه بأن يكون في الكلام

وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ : فَسَكُونِ ذِكْرِهِ أَهَمُّ ، إِمَّا لِأَنَّهُ الْأَصْلُ وَلَا مُقْتَضَى
لِلْعُدُولِ عَنْهُ ، وَإِمَّا لِإِتِمَّكَانِ الْخَبَرِ فِي ذِهْنِ السَّامِعِ ، لِأَنَّ فِي الْمُبْتَدَأِ
تَشْوِيقًا إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ :

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةَ فِيهِ حَيَوَانَ مُسْتَحْدَثٍ مِنْ جَمَادٍ
وَإِذَا لَتَعْمَجِيلِ الْمَسْرَةِ أَوْ الْمَسَاءَةِ لِلتَّفَاوُلِ أَوْ التَّطْيِيرِ ، نَحْوُ : سَعْدٌ فِي دَارِكَ ،
وَ : السَّفَاحُ فِي دَارِ صَدِيقِكَ ، وَإِذَا لِإِيْهَامِ أَنَّه لَا يَزُولُ عَيْنِ الْخَطِيطِ أَوْ

ما يفيد قصر المسند على المسند إليه نحو : إن الله هو الرزاق ، أو قصر المسند
إليه على المسند كقول أبي الطيب :

إِذَا كَانَ الشَّبَابُ الشُّكْرَ وَالشَّيْبُ هَمًّا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ

« واعلم ، أن مثل هذه المباحث المذكورة في العطف والفصل ولو بينت
في النحو فإنها تذكر في البيان باعتبار استعمالها لمناسبة الحال . وهكذا كل ما
ماثلها في ذلك (تقديمه) اعلم أن التقديم في باب البلاغة القدح المعلى فإنه
لا يزال يفترك عن بدعيته ، ويفضى بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً
يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعة ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف
عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان (والذي) البيت
لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري ، من أبيات يرثي بها فقيهاً
جنفياً والمقصود بالحيوان في البيت هو الإنسان كما لا يخفى ، والخيرة الوافعة فيه
من وجهة نياط النفس بالجسم « هنا ، وقد جعل السكاكي البيت شاهداً لتكون

أَنَّهُ يُسْتَلَدُّ بِهِ ؟ وَإِنَّمَا لِنَحْوِ ذَلِكَ . عَبْدُ الْقَاهِرِ : وَقَدْ يُقَدَّمُ لِيُفِيدَ تَخْصِيصَهُ
بِالْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ إِنَّمَا وَرَى حَرْفَ النَّفْيِ نَحْوُ : مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا ، أَيْ لَمْ أَقُلْهُ مَعَ
أَنَّهُ مَقُولٌ لِغَيْرِي ، وَلِهَذَا لَمْ يَصِحَّ مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا وَلَا غَيْرِي ، وَلَا : مَا أَنَا

المسند إليه موصولا وهو أحسن (ولما لنحو ذلك) مثل الدلالة على أن المطلوب
إنما هو اتصافه بالخبر لا نفس الخبر ، كما إذا قيل لك : كيف الزاهد ؟ فتقول :
الزاهد يشرب ويطرب ، ومثل إفادة زيادة تخصيص كقوله :

مَتَى تَهْزُرُ بَنِي قَطَانَ تَجِدُهُمْ سِيُوفًا فِي عَوَانِقِهِمْ سِيُوفُ
جَنُوسٍ فِي تَجَالِسِهِمْ رِزَابٌ وَإِنْ ضَيَّفَ أَلَمَ فَهَمْ خُفُوفُ

قاله السكاكي (وقد يقدم الخ) هذا مغزى كلام عبد القاهر لا لفظه .
(تخصيصه بالخبر الفعلي) أي قصر الخبر الفعلي عليه (ولى حرف النفي) أي وقع
بعد حرف النفي بلا فصل (أي لم أقله الخ) فأفاد التقديم نفي الفعل عنك وثبوته
لغيرك ، فلا تقول ذلك إلا في شيء ثبت أنه مقول وأنت تريد نفي كونك
قائلا له ، ومن ذلك قوله :

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

المعنى على أن السقم ثابت موجود وليس المقصد بالنفي إليه ولكن إلى أن
يكون هو الجالب له ويكون قد جره إلى نفسه ، ومثله قوله :

« وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشُّعْرِ كَلَّةٌ »

الشعر مقول على القطع والنفي لأن يكون هو وحده القائل له (لم يصح
ما أنا قلت هذا ولا غيري) لمناقضة منطوق الثاني مفهوم الأول . والذي يصح
عند قصد هذا المعنى أن يقال : ما قلت أنا ولا أحد غيري (ولا ما أنا رأيت

رَأَيْتُ أَحَدًا، وَلَا : مَا أَنَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا، وَإِلَّا فَقَدْ يَأْتِي لِلتَّخْصِصِ رَدًّا
عَلَى مَنْ زَعَمَ انْفِرَادَ غَيْرِهِ بِهِ، أَوْ مُشَارَكَتَهُ فِيهِ نَحْوُ : أَنَا سَعَيْتُ فِي حَاجَتِكَ
وَيُؤَكِّدُ عَلَى الْأَوَّلِ بِنَحْوِ لَا غَيْرِي، وَعَلَى الثَّانِي بِنَحْوِ وَحْدِي ؛ وَقَدْ يَأْتِي

أحداً) لأنه يقتضى المحال وهو أن يكون إنسان غير المتكلم قد رأى كل أحد
من الناس لأنه قد نفي عن المتكلم الرؤية على جهة المموم في المفعول لأن النكرة
في سياق النفي تعم فيجب أن تثبت انفراده على جهة المموم في المفعول (ولا بما أنا
ضربت إلا زيداً) لأن نقض النفي بالإلا يقتضى أن يكون الفاعل له قد ضرب
زيداً وإيلاء الضمير حرف النفي يقتضى أن لا يكون ضربه وذلك تناقض .
(وإلا) قد علمت أن المسند إليه المقدم إن ولى حرف النفي فهو يفيد التخصيص
ألبتة وإن لم يل حرف النفي بأن لا يكون ثم نفي أصلاً أو يكون حرف النفي
متأخراً عن المسند إليه فقد يفيد التخصيص وقد يفيد التقوى (غيره) أى غير
المسند إليه (به) أى بالخبر الفعلى (ويؤكد على الأول) وهو أن يكون الكلام
للرد على من زعم انفراد الغير . (وعلى الثاني) وهو أن يكون للرد على من زعم
المشاركة ، فإن قلت أنا فعلت كذا وحدى فى قوة أنا فعلته لا غيرى فلم يختص
كل منهما بوجه من التوكيد دون وجه ؟ فإننا نقول لأن جدوى التوكيد لما كانت
إمالة شبهة خالجت قلب السامع وكانت فى الأول أن الفعل صدر من غيرك
وفى الثانى أنه صدر منك بشركة الغير أكدت وأمطت الشبهة فى الأول بقولك
لا غيرى والثانى بقولك وحدى لأنه محزه ولو عكست أحلت . وهذا ، ومن البين
ببى ذلك قولهم فى المثل :

قِتْقَوِيَّةِ الْحُكْمِ نَحْوُ : هُوَ يُعْطَى الْجَزِيلَ . وكذا إذا كان الفعل منفيًا

* أَنْتُ عَلِمْتَنِي ^(١) بِصَبِّ أَنَا حَرَشْتُهُ *

(نحو هو يعطى الجزيل) فأنت لا تريد أن غيره لا يعطى الجزيل ولا أن تعرض بإنسان ولكن تريد أن تقرر في ذهن السامع وتحقق أنه يفعل إعطاء الجزيل . وسلب التقوى على ما ذكره الشيخ عبد القاهر هو أن الاسم لا يؤتى به معرى من الموامل إلا بالحديث قد نوى إسناده إليه فإذا قلت عبدالله فقد أشعرت قلب السامع بذلك أنك تريد الحديث عنه فهذا توطئة له وتقدمة للإعلام به ، فإذا جئت بالحديث فقلت : قام مثلاً دخل على القلب دخول المانوس به وذلك لا محالة أشد لثبوته وأنى للشبهة وأمنع للشك . وجملة الأمر أنه ليس بإعلامك بالشبه بعبارة مثل الإعلام به بعد التنبيه عليه لأن ذلك يجرى مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والأحكام . قال : ويشهد لما قلنا أنا إذا تأملنا وجدنا هذا الضرب من الكلام يجرى فيما سبق فيه إنكار من منكر أن يقول الرجل : ليس لي علم بالذي تقول ، فتقول : أنت تعلم أن الأمر على ما أقول ولكنك تميل إلى تخصمي ، ويجيء فيما اعترض فيه شك نحو أن تقول للرجل : كأنك لا تعلم ما صنع فلان ولم يبلغك ، فيقول : أنا أعلم ولكني أداريه ، وفي تكذيب مدع كقوله عز وجل : وإذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، فإن قولهم آمنا دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به

(١) المثل يقوله العالم بالشئ لمن يريد تعليمه إياه ، وحرش الضب واحترشه : صاده بالحيلة المعروفة . وهي أن يحرك يده على باب جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربه فيأخذه .

فالموضع موضع تكذيب ، وفيما القياس في مثله أن لا يكون كقوله تعالى : والذين
اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، وذلك أن عبادتهم لها
تقتضى أن لا تكون مخلوقة ، وفيما يستغرب من الأمر نحو أن تقول : ألا تعجب
من فلان يدعى العظيم وهو يعنى باليسير ويزعم أنه شجاع وهو يفرع من أدنى
شيء . وفي الوعد والضمان كقول الرجل : أنا أعطيك أنا أكفيك ، وذلك أن
من شأن من تعده وتضمن له أن يعترضه الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به فهو
من أحوج شيء إلى التأكيد ، وفي المدح والافتخار كقول الحماسي :

هُمْ يَفْرُشُونَ^(١) اللَّبْدَ كُلَّ طَيْرَةٍ وَأَجْرَدَ سَبَّاحٍ يَبْدُ الْمَغَالِبِ
وقوله :

هُمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ أَحْسَنَ لِبْسَةٍ شَجِيحَانِ مَا اسْطَاعَا عَلَيْهِ كَلَامَهُمَا
وقوله :

هُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ

عَلَى وَجْهِهِ مِنْ الدَّمَاءِ سَبَابِ^(٢)

وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ويبعدهم
عن الشبهة ، وكذلك المفتخر كقول طرفة :

(١) اللبد : الصوف ، وقد جرت العادة بوضع قطعة منه على ظهر الفرس
تحت السرج للينه . والظمرة : الفرس الجواد . والأجرد : الفرس القصير الشعر .
والسباح : الذي يشبه عدوه السباحة ويبد : يغاب .
(٢) الكبش : رئيس الجيش يتركونه قنبلاً . والسباب جمع سببية :
الثوب ، يشبهون بها طرائق الدم .

نحو: أَنْتَ لَا تَكْذِبُ ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ لِنَفِي الْكُذْبِ مِنْ لَا تَكْذِبُ ، وَكَذَا
مِنْ لَا تَكْذِبُ أَنْتَ ، لِأَنَّهُ لِنَأْ كَيْدِ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ لَا الْحُكْمَ ؛ وَإِنْ
بَنِيَ الْفِعْلُ عَلَى مُنْكَرٍ أَفَادَ تَخْصِيصَ الْجِنْسِ أَوْ الْوَاحِدِ بِهِ ، نَحْوُ رَجُلٍ

* نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى *

المشتاة : مكان الشتاء أو زمانه . والجفلى : الدعوة العامة إلى الطعام (نحو أنت
لا تكذب) مثله قوله تعالى : والذين هم بربهم لا يشركون ، فإنه يفيد من التأكيد
في نفي الإشراك ما لا يفيد في قولنا والذين لا يشركون بربهم ولا قولنا والذين
بربهم لا يشركون (لأنه) أى لفظ أنت في لا تكذب أنت (لتأكيد المحكوم
عليه) لئلا يتوهم أنه غير ضمير المخاطب وأسند الحكم للضمير تجاوزاً أو سهواً
أو نسياناً (وإن بنى الفعل على منكر) يعنى إن أخبر بالفعل عن منكر أفاد
تخصيص الجنس أو الواحد به نحو ، رجل جاءنى أى لا امرأة أو لا رجلان ،
وذلك لأن أصل النكرة أن تكون لواحد من الجنس فيقع القصد بها تارة
إلى الجنس فقط . كما إذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف أن قد أتاك آت
ولم يدر جنسه أرجل هو أم امرأة ، أو اعتقد أنه امرأة . وتارة إلى الواحد
فقط ، كما إذا عرف أن قد أتاك من هو من جنس الرجال ولم يدر أرجل هو
أم رجلان أو اعتقد أنه رجلان . وبعد ، فحاصل كلام عبد القاهر أن الاسم إذا
قدم على الفعل فإن ولى حرف النفي أفاد التقديم أن نفي الفعل مخصوص بهذا
الاسم ، وإن لم يلى حرف النفي اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل إلا أن
المعنى من هذا القصد ينقسم قسمين : أحدهما ما يفيد تخصيص فحوى الفعل بالاسم
للرد على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه ، الثانى ما لا يفيد إلا تقوى

جاءني ، أَيْ لَامْرَأَةً أَوْ لَا رَجُلَانِ . وَوَافَقَهُ السَّكَاكِيُّ عَلَى ذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهُ
قَالَ : التَّقْدِيمُ يَفِيدُ الْإِخْتِصَاصَ ، إِنْ جَازَ تَقْدِيرُ كَوْنِهِ فِي الْأَصْلِ مُؤَخَّرًا
عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ مَعْنَى فَقَطْ نَحْوُ : أَنَا قَمْتُ ، وَقَدَّرَ ، وَإِلَّا فَلَا يَفِيدُ إِلَّا تَقْوَى
الْحُكْمِ ، سِوَا جَازِ كَمَا مَرَّ وَلَمْ يَقْدَرْ ، أَوْ لَمْ يَجْزُ نَحْوَ زَيْدٌ قَامَ ؛ وَاسْتَنْثَى
الْمُنْكَرَ بِجَعْلِهِ مِنْ بَابِ : وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ، أَيْ عَلَى الْقَوْلِ

الحكم وتقريره في ذهن السامع وهكذا أيضاً الفعل المنفي فإذا قلت أنت لا تحسن
هذا كان أشد لثني إحسان ذلك عنه من أن تقول لا تحسن هذا حتى لو أتيت
بأنت فيما بعد تحسن فقلت لا تحسن أنت لم يكن له تلك القوة هذا كله إذا بنى
الفعل على معرف ، فإن بنى على منكر أفاد التقديم تخصيص الجنس أو الواحد
بالفعل كما علت (على ذلك) أي على أن التقديم يفيد التخصيص والتقوى
(إلا أنه قال) حاصل مذهبه أن المسند إليه المقدم إن كان نكرة فهو للتخصيص
إن لم يمنع منه مانع وإن كان معرفة فإن كان مظهراً فلا يكون للتخصيص ألبته
وإن كان مضمراً فإن قدر كونه في الأصل مؤخراً فهو للتخصيص وإلا فالتقوى
(نحو أنا قمت) فإنه يجوز أن تقدر أصله قمت أنا ، على أن أنا تأكيد للفاعل
الذي هو التاء في قمت فيكون فاعلاً في المعنى وإن كان تأكيداً في اللفظ (وقدر)
معطوف على جاز يقول إن إفادة التخصيص تتوقف على شيئين أحدهما جواز
التقدير ، والآخر حصول ذلك التقدير من المتكلم (نحو زيد قام) فإنه لا يجوز
أن يقدر أن أصله قام زيد فقدم ، لأنه يلزم عليه تقديم الماعل اللفظي وهو
لا يجوز (واستثنى الخ) لما كان مغزى كلامه قبل أن لا يكون نحو رجل

بالإبدال من الضمير لئلا يبتغى التخصيص إذ لا سبب له سواه ، بخلاف
المعرف ؛ ثم قال : وشروطه أن لا يمنع من التخصيص مانع ، كقولنا
رجل جاءني ، على ما مر ، دون قولهم : شر أهر ذا ناب ، أما على التقدير
الأول فلا ممتناع أن يراد المهر شر لا خيراً ، وأما على الثاني فلنبوه عن
مضان استعماله ؛ إذ قد صرح الأئمة بتخصيصه حيث تأولوه بما أهر
ذا ناب إلا شر ، فالوجه تفضيع شأن الشر بتكبيره . وفيه نظر ، إذ الفاعل

جاءني مفيداً للتخصيص لأنه إذا أخر فهو فاعل لفظاً لا معنى استثناءه بأن قدر
أصله جاءني رجل ، لا على أن رجل فاعل جاءني بل على أنه بدل من الفاعل
الذي هو الضمير المستتر في جاءني ، فيكون فاعلاً معنى ، كما قيل في قوله تعالى :
وأسروا النجوى الذين ظهروا : إن الذين ظهروا بدل من الواو في أسروا ، وفرق
بينه وبين المعرف بأنه لو لم يقدر ذلك فيه انتفى تخصيصه إذ لا سبب لتخصيصه
سواه ، ولو انتفى تخصيصه لم يقع مبتدأ بخلاف المعرف لوجود شرط الابتداء
فيه وهو التعريف (وشروطه) أي شرط جعل المنكر من هذا الباب واعتبار
التمديد والتأخير فيه (على ما مر) من أن معناه رجل جاءني لا امرأة أو لا
رجلان (شر أهر ذا ناب) هذا مثل يضرب في ظهور أمارات الشر ومخايله ،
وأهره : حمله على الهرير وهو التصويت ، وذو الناب : السبع (الأول) يعني
تخصيص الجنس (الثاني) يعني الواحد (فلنبوه) لأنه لا يقصد به أن المهر شر
لاشرا (تفضيع شأن الشر بتكبيره) لأن التكبير كما يخفى يفيد التعظيم والتهويل
فيكون المعنى شر عظيم أهر ذا ناب لا شر حقير ، فيكون تخصيصاً نوعياً وهذا

اللفظي والمعنوي سواء في امتناع التقديم ما بقيا على حالهما ، فتحوير
تقديم المعنوي دون اللفظي تحكّم ؛ ثم لا نسلم انتفاء التخصيص لولا
تقدير التقديم ، لحصوله بغيره كما ذكره ؛ ثم لا نسلم امتناع أن يراد
المهر شر لاخير . ثم قال : وَيَقْرُبُ مِنْهُ هُوَ قَامَ ، زَيْدٌ قَامَ ، فِي التَّقْوَى
لِتَضْمِنِهِ الضَّمِيرَ ؛ وَشَبَّهَ بِالْحَالِي عَنْهُ مِنْ جِهَةِ عَدَمِ تَغْيِيرِهِ فِي التَّكْلِمِ .

ولاني لأعجب من السكاكي عفا الله عنه حيث أسمع جمعجة ولا أرى طحناً .
وليت شعري ما الذي حدا به إلى مخالفة الإمام عبد القاهر حتى وقع في ذلك
الخطب الظاهر ، وبعد ، فإذا على المصنف لو أنه ثبت مذهبه هذا بين سطور
كتابه (والمعنوي) كالتأكيد والبدل (ما بقيا على حالهما) أي مادام الفاعل فاعلا
والتابع تابعا (تحكّم) أي حكم بلا موجب (انتفاء التخصيص) يعني في نحو
رجل جاءني (كما ذكره) أي السكاكي في بيان وجه الخصوص في قولهم شراهر
ذا ناب من التهويل والتفطيع (ثم لا نسلم امتناع أن يراد المهر شر لاخير) قال
الشيخ عبد القاهر إنما قدم شر لأن المراد أن يعلم أن الذي أهر ذا ناب هو من
جنس الشر لا من الخير ، فجري مجرى أن تقول رجل جاءني ، تريد أنه رجل
لا امرأة ، وقول العلياء إنه إنما صلح لأنه يعني ما أهر ذاناب إلا شر بيان
لذلك ، وهذا صريح في خلاف ما فكره السكاكي (ثم قال) هاك ما قاله
السكاكي في مفتاحه بعد تقرير التقوى في نحوه وهو قام لما فيه من الإسناد مرتين .
ويقرب من قبيل أنا عرفت وأنت عرفت وهو عرف في اعتبار تقوى الحكم
زيد عارف ؛ وإنما قات يقرب دون أن أقول نظيره لأنه لما لم يتفاوت في التكلم

وَالْخُطَابِ وَالْغَيْبَةِ : ولهذا لم يحكم بأنه جملة ، ولا عومل معاملةً لها في البناء .
ومما يرى تقديمه كاللازم ، لفظ مثل وغير ، في نحو : مثلك لا يبخل ، وغيرك
لا يجود ، بمعنى أنت لا تبخل وأنت تجود ، من غير إرادة تعريض لغير

والخطاب والغيبة في أنا عارف وأنت عارف وهو عارف أشبه الخالي عن
الضمير ، ولذلك لم يحكم على عارف بأنه جملة ولا عومل معاملةً لها في البناء حيث
أعرب في نحو رجل عارف رجلاً عارفاً رجل عارف (مثل وغير) إذا استعملوا
على سبيل الكناية (في نحو مثلك لا يبخل) مما لا يراد بلفظ مثل إنسان غير
مأضيف إليه ولكن أريد أن من كان على الصفة التي هو عليها كان من مقتضى
القياس أن يفعل ما ذكر أو أن لا يفعل ولكون المعنى هذا قال الشاعر :

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أُعْنِي بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا فِي مَحَاسِنِهِ

وعائنه قول المتنبي :

مِثْلَكَ يَبْنِي الْمِزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ

(وغيرك لا يجود) مثله قول المتنبي :

* غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ *

فإنه معلوم أنه لم يرد أن يعرض بواحد هناك فيصفه بأنه ينخدع ، بل أراد

أنه ليس ممن ينخدع ، وكذا قول أبي تمام :

وَعَيْرِي يَا كَلَّ الْمَعْرُوفِ سُحْتًا وَتَشَحَّبُ عِنْدَهُ بِيضُ الْأَيْدِي

فإنه لم يرد أن يعرض بشاعر سواه ، فيزعم أن الذي قرف به عند المدوح

من أنه هجاء كان من ذلك الشاعر لا منه بل أراد أن ينبئ عن نفسه أن يكون

المخاطب ، لِكَوْنِهِ أَعْوَنَ عَلَى الْمُرَادِ بِهِمَا « قِيلَ » وَقَدْ يُقَدَّمُ لِأَنَّهُ دَالٌّ
عَلَى الْعُمُومِ نَحْوُ : كُلُّ إِنْسَانٍ لَمْ يَقُمْ ، بِخِلَافِ مَا لَوْ أُخِّرَ نَحْوُ : لَمْ يَقُمْ كُلُّ
إِنْسَانٍ ، فَإِنَّهُ يُفِيدُ نَفْيَ الْحُكْمِ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ ، لِأَنَّ كُلَّ فَرْدٍ ، وَذَلِكَ
لثَلَا يَأْزِمُ تَرْجِيحُ النَّاسِ عَلَى التَّأْسِيسِ ، لِأَنَّ الْمَوْجِبَةَ الْمَهْمَلَةَ الْمَعْدُولَةَ

من يكفر بالنعمة ويلوم « هذا ، واستعمال مثل وغير هكذا مركوز في الطباع
وإذا تصفحت الكلام وجدتهما يقدمان أبدأ على الفعل إذا نحى بهما نحو .
ما ذكرناه ولا يستقيم المعنى فيهما إذا لم يقدم ، والسر في ذلك أن تقديمهما يفيد
تقوى الحكم كما سبق تقريره ، وسيأتى أن المطلوب بالكناية في مثل قولنا مثلك
لا ينخل وغيرك لا يوجد هو الحكم ، وأن الكناية أبلغ من التصريح فيما قصدت بها ،
فكان تقديمهما أعون للمعنى الذى جلبنا لأجله (قيل) القائل ابن مالك وجماعة
(نحو كل إنسان لم يقم) فتقديم كل إنسان على لم يقم يفيد نفي القيام عن كل
الناس (وذلك لثلا يلزم الخ) يقول هذا القائل : إنه لو لم يكن التقديم مفيداً
لعموم النفي والتأخير مفيداً لنفي العموم للزم ترجيح التأكيد على التأسيس .
ومعلوم أن التأسيس الذى هو إنشاء معنى لم يكن حاصلًا قبل أرجح من
التأكيد الذى هو إفادة ما قد حصل ، لأن الإفادة خير من الإعادة . وبيان
اللزوم في التقديم ، أن قولنا إنسان لم يقم ، موجبة مهملة معدولة المحمول ،
أما أنها موجبة فلأنه حكم فيها بثبوت عدم القيام لإنسان ، وأما أنها مهملة فلأنه
أهمل فيها بيان كمية أفراد المحكوم عليه ، وأما أنها معدولة المحمول فلأن حرف
السلب قد جعل جزءاً من المحمول ، وإذا كانت كذلك كان معناها السلب عن
جملة الأفراد من غير تعرض لكليتها ولاجزئيتها والمحقق منها السلب عن البعض

المحمول في قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفي الحكم عن الجملة دون كل فرد ، والسالبة المهملة في قوة السالبة الكليّة المقتضية للنفي عن كل فرد ، لورود موضوعها في سياق النفي ، وفيه نظر ، لأن النفي عن الجملة في الصورة الأولى وعن كل فرد في الثانية ، إنما أفادته الإسناد

فهي في قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفي الحكم عن الجملة ألبتة ، لأن مفهومها سلب الحكم عن بعض الأفراد ، كقولنا ليس بعض الإنسان بقائم . وهذا المعنى يصدق عند انتفاء الحكم عن بعض الأفراد دون بعض وعند انتفائه عن كل فرد وعلى كل حال يصدق النفي عن جملة الأفراد أي عن مجموعها على طريق السلب المساط على الإثبات الكلي وإذا كان ذلك كذلك كانت المهملة والجزئية متلازمين لأنه كلما صدق الساب عن البعض الذي هو مفاد الجزئية صدق ثبوت الساب للمصدوق في الجملة الذي هو مفاد المهملة ، وكلما صدق ثبوت الساب المصدوق في الجملة صدق الساب عن البعض .

فيتحقق بهذا أن الموجبة المهملة المعدولة المحمول للساب عن الجملة لا عن كل فرد . فلو كان إنسان لم يقم بعد دخول كل أيضاً معناه كذلك كان كل مفيداً للمعنى الحاصل قبله ، فيجب أن يحمل على نفي الحكم عن كل فرد ليكون كل لتأسيس معنى آخر ترجيحاً للتأسيس على التأكيد . وبيان اللزوم في التأخير ، أن قولنا لم يقم إنسان سالبة مهملة والسالبة في قوة السالبة الكليّة المقتضية للنفي عن كل فرد مثل لا شيء من الإنسان بقائم وإنما كانت تلك في قوة هذه لورود موضوعها وهو نسكرة في سياق النفي ، والنسكرة في سياق النفي تعميم . فمعنى لم يقم إنسان نفي الحكم عن كل فرد ، فلو كان بعد دخول كل أيضاً كذلك كان كل

إِلَى مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ كُلُّ ، وَقَدْ زَالَ ذَلِكَ بِالِسْتِنَادِ إِلَيْهِ ، فَيَكُونُ تَأْسِيسًا
لَا تَأْكِيدًا ، وَلِأَنَّ الثَّانِيَةَ إِذَا أَفَادَتِ النَّفْيَ عَنْ كُلِّ فَرْدٍ فَقَدْ أَفَادَتِ
النَّفْيَ عَنِ الْجُمْلَةِ ، فَإِذَا مَحَلَّتْ عَلَى الثَّانِي لَا يَكُونُ كُلُّ تَأْسِيسًا ، وَلِأَنَّ
النِّكَرَةَ الْمُنْفِيَّةَ إِذَا عَمَّتْ كَانَ قَوْلُنَا : لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ ، سَالِبَةً كَلِمَةً
لَا مُهْمَلَةً . . . عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنْ كَانَتْ كُلُّ دَاخِلَةً فِي حَيْزِ النَّفْيِ بَأَنَّ أُخْرَتِ

لِتَأْكِيدِ مَعْنَى حَصَلَ قَبْلَ فَيَجِبُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى نَفْيِ الْقِيَامِ عَنِ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ لِيَكُونَ
كُلُّ لَتَأْسِيسِ مَعْنَى آخِرٍ ، إِذِ التَّأْسِيسُ أَرْجَحُ مِنَ التَّأْكِيدِ (وَفِيهِ) أَيْ فِيمَا اسْتَدَلَّ
بِهِ هَذَا الْقَائِلُ أَمَا أَوَّلُ قَوْلِهِ فَصَحِيحٌ (الْأَوَّلَى) يَعْنِي الْمَوْجِبَةَ الْمُهْمَلَةَ الْمَعْدُولَةَ
الْمَحْمُولَ كَقَوْلِنَا إِنْسَانٌ لَمْ يَقُمْ (الثَّانِيَةَ) يَعْنِي السَّالِبَةَ الْمُهْمَلَةَ كَقَوْلِنَا لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ
(مَا أُضِيفَ . إِلَيْهِ كُلُّ) وَهُوَ لَفْظُ إِنْسَانٍ (فَيَكُونُ تَأْسِيسًا لَا تَأْكِيدًا) لِأَنَّ
التَّأْكِيدَ لَفْظٌ يَفِيدُ تَقْوِيَةً مَا يَفِيدُهُ لَفْظُ آخِرٍ وَمَا نَحْنُ فِيهِ لَيْسَ كَذَلِكَ ، وَبَعْدَ ،
فَقَدْ قَالُوا إِنْ هَذَا الْمَنْعُ لَا يَصِحُّ إِلَّا عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَرَادَ التَّأْكِيدُ الْأَصْطِلَاحِيُّ ، أَمَا
لَوْ أُرِيدَ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ لِإِفَادَةِ مَعْنَى كَانَ حَاصِلًا بِدُونِهِ فَاَنْدِفَاعُ الْمَنْعِ ظَاهِرٌ
(الثَّانِيَةَ) يَعْنِي السَّالِبَةَ الْمُهْمَلَةَ (حَمَلَتْ) أَيْ كُلُّ (الثَّانِيَةَ) وَهُوَ النَّفْيُ عَنِ جُمْلَةِ
الْأَفْرَادِ (لَا يَكُونُ تَأْسِيسًا) بَلْ تَأْكِيدٌ لِأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى كَانَ حَاصِلًا بِدُونِهِ وَحَيْثُئِذْ
قَلْبُ جَعَلْنَا لَمْ يَقُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ لِعَمُومِ النَّفْيِ مِثْلَ لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ لَمْ يَلْزَمْ تَرْجِيحُ التَّأْكِيدِ
عَلَى التَّأْسِيسِ إِذْ لَا تَأْسِيسَ أَصْلًا بَلْ يَلْزَمْ تَرْجِيحُ أَحَدِ التَّأْكِيدِينَ عَلَى الْآخَرِ
(وَلِأَنَّ النِّكَرَةَ) هَذَا بَحْثٌ فِي التَّسْمِيَةِ يَقُولُ إِنْ النِّكَرَةَ الْمُنْفِيَّةَ إِذَا عَمَّتْ كَانَتْ
لِقَضِيَةِ الْمَحْتَوِيَةِ عَلَيْهَا سَالِبَةً كَلِمَةً لَا مُهْمَلَةً ، فَتَسْمِيَةُ ذَلِكَ الْقَائِلِ لَهَا بِالْمُهْمَلَةِ
لَا يَصِحُّ (وَعَبْدُ الْقَاهِرِ) كَلَامُهُ هُوَ مَفَادُ كَلَامِ ابْنِ مَالِكٍ وَجَمَاعَتِهِ وَلَكِنْ أَيْنَ

عَنْ أَدَاتِهِ نَحْوُ * مَا كُلُّ مَا يَتَمَسَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ * أَوْ مَعْمُولَةٌ لِلْفِعْلِ
الْمَنْفِيِّ نَحْوُ : مَا جَاءَ الْقَوْمَ كَلْبُهُمْ ، أَوْ مَا جَاءَ كُلُّ الْقَوْمِ ، وَلَمْ آخِذٌ كُلَّ

الماء من السماء وموقع السيل من مطلع سهيل ، ثم إن ما ذكره المصنف هو مغزى
كلام عبد القاهر لا لفظه (نحو ما كل) مثله قول الآخر :

* مَا كُلُّ رَأْيِي الْفَتَى يَدْعُو إِلَى رَشْدٍ *

والبيت للسنبي وتماه :

* تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ *

(أو معمولة للفعل المنفي) الذي يظهر أن ذلك معمول لفعل مقدر معطوف
على أخرت أي أو جعلت معمولة . وهالك عبارة الشيخ عبد القاهر مع تصرف ما :
واعلم أنك إذا أدخلت كلا في حيز النفي بأن تقدم النفي عليه لفظاً أو تقديراً ،
يعنى كما إذا قدمته على الفعل المنفي العامل فيه فإنه مؤخر تقديراً لأن مرتبة
المعمول التأخر عن العامل ، فالمعنى على نفي الشمول دون نفي الفعل والوصف
نفسه . والسبب في ذلك أنك إذا قلت أتاني القوم مجتمعين ، فقال قائل لم يأتك
القوم مجتمعين ، كان نفيه ذلك متوجهاً إلى الاجتماع الذي هو تقييد في الإتيان
من أصله كان من سبيله أن يقول إنهم لم يأتوك أصلاً ، فما معنى قولك مجتمعين ،
وإذا كان هذا حكم النفي إذا دخل على كلام فيه تقييد ، فإن التأكيد ضرب من
التقييد فتنفيته كلاماً فيه تأكيد فإن نفيك ذلك يتوجه إلى التأكيد خصوصاً .
فإذا قلت لم أر كل القوم كنت عمدت بنفيك إلى معنى كل خاصة ، وإذن يجب
أن يكون قد أتاك بعض القوم . وإذا أخرجت كلا من حيز النفي ولم تدخله فيه
لإلفظاً ولا تقديراً كان المعنى على أنك تتبعت الجملة فنفيته الفعل والوصف عنها

الدَّرَاهِمِ ، أَوْ كَلَّ الدَّرَاهِمَ لَمْ آخُذْ ، تَوَجَّهَ النَّفْيُ إِلَى الشُّمُولِ خَاصَّةً وَأَفَادَ
ثُبُوتَ الْفِعْلِ أَوْ الْوَصْفِ لِبَعْضٍ ، أَوْ تَعَلُّقَهُ بِهِ ، وَإِلَّا عَمَّ ، كَقَوْلِ

واحدًا وواحدًا ، والعلة في أن كان ذلك كذلك أنك إذا بدأت بكل كنت قد
بنيت النفي عليه وسلطت الكلية على النفي وأعملتها فيه وإعمال معنى الكلية في النفي
يقتضى أن لا يشذ شيء عن النفي فاعرفه (توجه النفي إلى الشمول خاصة) فإن
قلت فما تصنع في قوله تعالى : والله لا يحب كل مختال فخور ، والله لا يحب كل
كفار أثيم . فإننا نقول قد عرضنا ذلك على شيخنا الإمام الشيخ محمد عبده فأجاب
— حفظه الله — بما يشرح الصدر ويملا النفس ارتياحاً ، قال : قد يعدل عما يدل
على عموم السلب إلى ما يفيد سلب العموم ، والسلب عام على الحقيقة ، للتعريض
بالمخاطب والإيماء إلى أنه شر صنفه ، مثلاً إذا قلت لسفيه ، تعرض بأنه شر
السفهاء : أنا لا أحب كل سففيه ، فالمعنى أنه لو فرض أن محبتي تتعاق بسففيه
لكنت غير موضع لها ، وكذلك الذي جاء في الآية الكريمة أريد به والله أعلم
التعريض بمن نزلت فيهم من أعداء الله وأنهم شر أصنافهم ، فقوله تعالى : والله
لا يحب كل مختال فخور ، معناه أن محبة الله لا تعم المختالين الفخجورين حتى تشمل
هؤلاء فكأنه سبحانه يقول لو أن محبتنا تعلقت بمختال فخور لما تعلقت بأولئك
لأن مختالهم وفخورهم شر مختال وفخور ، وهكذا يقال في سائر الآيات وما يكون
ظاهره أنه من سلب العموم وحقيقته أنه من عموم السلب (وأفاد ثبوت
الفعل أو الوصف لبعض أو تعلقه به) أما إفادته ثبوت الفعل أو الوصف
ففيها إذا كانت كل فاعلاً معنى أو لفظاً للفعل أو الوصف ، وأما إفادته تعلق
الفعل أو الوصف ففيها إذا كانت مفعولاً لفظاً أو معنى لها وإطلاق الثبوت
على نسبة أحدهما للفاعل والتعلق على نسبه للمفعول اصطلاح شائع (وإلا)

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا قَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ : أَقْصَرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ
نَسِيتَ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ :

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمَّ الْخِيَارِ تَدْعِي * عَلَى ذَنْبًا كُفَّهُ لَمْ أَصْنَعِ
وَأَمَّا تَأْخِيرُهُ فَلَا قِتْضَاءَ الْمَقَامِ تَقْدِيمَ الْمَسْنَدِ . . هَذَا كَلَهُ مُقْتَضَى

أى وإن لم تكن داخلة في حيز النفي بأن قدمت عليه لفظاً ولم تكن معمولة للفعل
المنفي (كل ذلك لم يكن) فالمعنى لا محاولة على نفي الأمرين جميعاً وعلى أنه عليه
السلام أراد أنه لم يكن واحد منهما لا القصر ولا النسيان . والدليل على ذلك
وجهان : أحدهما أن السؤال بأمر عن أحد الأمرين لطلب التعمين بعد ثبوت
أحدهما عند المتكلم على الإبهام ، فجوابه إما بالتعمين أو بنفي كل واحد منهما ،
وثانيهما ما روى أنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل ذلك لم يكن ،
قال له ذو اليدين بعض ذلك قد كان ، والإيجاب الجزئي تقيضه السلب الكلى
(وعليه قوله) أى قول أبي النجم وقد تقدم ، ومثله قول دعبل :

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي بِأَيِّ سِهَامِيَا رَمَتْنِي وَكُلُّ عِنْدَنَا لَيْسَ بِالْمَسْكَدِي (١)
أَبِ الْجَيْدِ أَمْ مَجْرَى الْوِشَاحِ وَإِنِّي لِأَتُهُمْ عَيْنِيهَا مَعَ النَّاحِمِ الْجَفْدِ
المعنى على نفي أن يكون في سهامها مكدم على وجه من الوجوه ، ومن البين
في ذلك قوله :

فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَمْدُو حَمَامَةَ . وَلَا لِأَمْرِي : عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَزْحَلُ
(كله لم أصنع) برقع كله على معنى لم أصنع شيئاً مما تدعيه على من الذنوب
ولهذا عدل عن النصف (فلا قِتْضَاءَ الْمَقَامِ تَقْدِيمَ الْمَسْنَدِ) وسيأتي بيان ذلك

(١) المسكدي : الذى يحفر ولا يجد الماء ، أى وليس من سهامها ما يخطى .

الظاهر ، وقد يُخَرِّجُ الكلامَ عَلَى خِلَافِهِ ، فَيُوضَعُ المضمَرُ مَوْضِعَ المظهرِ
كقولهم : نَعَمَ رَجُلًا زَيْدًا ، مَكَانَ نَعَمَ الرَّجُلِ ، فِي أَحَدِ القَوْلَيْنِ .
وَقَوْلِهِمْ هُوَ أَوْ هِيَ زَيْدٌ عَالِمٌ ، مَكَانَ الشَّيْءِ أَوِ القِصَّةِ ، لِتَمَكُّنِ مَا يَعْقِبُهُ
فِي ذَهْنِ السَّامِعِ ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَعْنَى التَّنْظَرِ وَقَدْ يَعْكَسُ ،
فَإِنْ كَانَ اسْمُ إِشَارَةٍ فَيَكْمُلُ العُنْيَةَ بِتَمْيِيزِهِ ، لِإِخْتِصَاصِهِ بِنَكْمَةِ
إِبْدَاعِ كَقَوْلِهِ :

إِنْ شَاءَ اللهُ (كَقَوْلِهِمْ) ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ جَرِي ذِكْرٍ أَوْ قَرِينَةٍ حَالٍ (فِي أَحَدِ القَوْلَيْنِ)
وَهُوَ القَوْلُ بِأَنَّ المخصوصَ خَبَرٌ مَبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ ، وَأَمَّا مَنْ يَجْعَلُ المخصوصَ مَبْتَدَأً
وَنَعَمَ رَجُلًا خَبَرَهُ فَيَحْتَمِلُ عِنْدَهُ أَنْ يَكُونَ المضميرُ عَائِدًا إِلَى المخصوصِ وَهُوَ
مَتَقَدِّمٌ تَقْدِيرًا (وَقَوْلِهِمْ هُوَ أَوْ هِيَ زَيْدٌ عَالِمٌ) وَيَخْتَارُ تَأْنِيثُ هَذَا المضميرِ إِذَا
كَانَ فِي الكَلَامِ مُؤَنَّثٌ غَيْرَ فَضْلَةً نَحْوُ : هِيَ هُنْدٌ مَاهِجَةٌ ، وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ : فَإِنَّهَا
لَا تَعْنِي الأَبْصَارَ ، قَصْدًا إِلَى المِطَابَقَةِ لِأَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى ذَلِكَ المَوْثُوتِ ، وَنَحْوُ يَسْمَعُ
نَحْوُ : هِيَ زَيْدٌ عَالِمٌ ، وَإِنْ كَانَ القِيَّاسُ يَقْتَضِي قِيَّاسَهُ هَذَا ، وَمِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ
مِنْ غَيْرِ بَابِ المَسْنَدِ إِلَيْهِ قَوْلِهِمْ : يَا لَهْ رَجُلًا ، وَيَا لَهَا قِصَّةً ، وَرَبُّهُ رَجُلًا ، وَقَوْلُهُ
تَعَالَى : فَفَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ (لِتَمَكُّنِ) تَعْلِيلُ لَوْضَعِ المضميرِ مَوْضِعَ المظهرِ
هَذَا ، وَقَدْ يَكُونُ وَضَعُ المضميرِ مَوْضِعَ المظهرِ لِإِشْتِهَارِهِ وَوَضُوحِ أَمْرِهِ مِثْلَ
قَوْلِهِ تَعَالَى : إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ أَوْ لَادْعَاءِ أَنْ الذَّهْنَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهِ كَقَوْلِهِ فِي المِطَالَعِ :

« زَارَتْ عَيْنِيَا لِلظَّلَامِ زَوَاقٍ »

لِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَغْرَاضِ وَالمَقَاصِدِ (يَعْكَسُ) فَيُوضَعُ المظهرُ مَوْضِعَ

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أُعْيِتَ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلَقَّاهُ مَرْزُوقًا
هَذَا الَّذِي تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النَّحْرِيرَ زَنْدِيقًا

المضمير (كقوله كم عاقل الخ) فقوله في أول البيت الثاني هذا إشارة إلى حكم سابق غير محسوس وهو كون العاقل محروماً والجاهل مرزوقاً ، فكان القياس فيه الإضمار بأن يقال هما مثلاً ، فعدل إلى اسم الإشارة لكمال العناية بتمييزه يرى السامعين أن هذا الشيء المتميز المتعين هو الذي له الحكم العجيب ، وهو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقاً ، فالحكم البديع هو الذي أسند للسند إليه المعبر عنه باسم الإشارة ، والبيتان لأحمد بن يحيى بن إسحق الراوندى وعاقل الثانى صفة لعاقل الأول بمعنى كامل العقل متناه فيه ، وأعيت مذاهبه : أعجزته وصعبت عليه طرق معاشه ، والنحرير : الخاذق الماهر المتقن ، كأنه ينحر العلم نحرأ ، والزنديق : الذى لا يؤمن بالربوبية ولا باليوم الآخر . وكلام ابن الراوندى هذا إحدى حماقاته وهو بالجهال أليق ، وما أبدع ما يقول أبو تمام :

بَيْنَ الْفَقْرِ مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيَكْدِي الْفَقْرَ فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَابِ هَلْ كُنَّ إِذَنْ مِنْ جَيْبَيْهِ الْبِهَائِمُ
وما أجمل قول الصابي :

إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ صِنَاعَةً فَأَحْبَبْتِ أَنْ تَدْرِي الَّذِي هُوَ أَحْذَقُ
فَلَا تَتَفَقَّدُ مِنْهُمَا غَيْرُ مَا جَرَّتْ بِهِ لَهُمَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تَفَرَّقُ
خَيْثُ يَكُونُ الْجَهْلُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ وَحَيْثُ يَكُونُ الْعِلْمُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقٌ
وأنت إذا أردت فلسفة هذا الباب فعليك بكتاب الفلاكة والمفلوكين

أَوْ التَّهَكُّمِ بِالسَّمْعِ ، كَمَا إِذَا كَانَ فُقِدَ الْبَصَرُ ، أَوْ الْبِدَاءِ عَلَى كَمَالِ
بِلَادَتِهِ ، أَوْ فُطَانَتِهِ ، أَوْ ادِّعَاءِ كَمَالِ ظُهُورِهِ : وَعَدَيْهِ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ
تَعَالَتْ كَيْهِ أَشْجَى وَمَا بِكَ عَائَةٌ بِ تَرْيِدِينَ قَتَلِي قَدْ ظَفَرْتِ بِذَلِكَ
وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ فَمِنْ بَادَةِ التَّمَكُّنِ ، نَحْوُ : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ

(كما إذا كان فاقد البصر) ولم يكن ثم مشار إليه أصلا (والنداء على كمال بلادته)
لأن في اسم الإشارة إيماء إلى أن السامع لا يدرك إلا المحسوس (أو فطانتته)
ففي استعمال اسم الإشارة الذي أصله المحسوس في المعنى الغامض إيماء إلى أن
السامع لذكائه صارت المعقولات لديه كالمحسوسات (تعاللت) أي أظهرت العلة
ومعنى أشجى : أحزن ، فأنت تراه عمدا إلى اسم الإشارة مع أن المشار إليه غير
محسوس ، وذلك لادعائه ظهور القتل وأنه كالمحسوس ، والبيت لعبد الله بن
الدمينة من قصيدة مطلعيا :

ففي قبل وشك البين يابنت مالك ولا تحرميني نظرة من جمالك
(وإن كان غيره) أي وإن كان المظهر الذي وضع موضع المضمرة غير اسم
الإشارة (فلزيادة التمكن) ومن هنا كان لإعادة اللفظ في مثل قوله :

وَإِنْ طَارَتْ رَأْفَتُكَ فَاظْفُرْ فَرِيْمًا أَمْرًا مَذَاقِ الْعُودِ وَالْعُودِ أَخْضَرُ
وقول المتنبي :

بَعْنُ نَضْرِبِ الْأَمْثَالِ أَمْ مِنْ نَقِيصِهِ إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ ذُو الْكَ وَالِدَّهْرِ

وبيت الحماسة : شَدَّ ذَنْبًا شِدَّةَ اللَّيْتِ غَدَا وَاللَّيْتُ غَضْبَانُ

من الحسن والبهجة ومن الفخامة والنبل ما لا يخفى موضعه ، وكان لو ترك
فيها الإظهار إلى الإضمار لعدم الذي أنت واجده الآن (نحو قل هو الآية)

وَنظِيرُهُ مِنْ غَيْرِهِ : وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ ، أَوْ إِدْخَالَ الرُّوحِ فِي خَمِيرِ السَّبَاعِ وَتَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ ، أَوْ تَقْوِيَةَ دَاعِي الْمَأْمُورِ : مِثَالُهُمَا قَوْلُ الْخُلَفَاءِ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا مُرَّكَ بِكَذَا ، وَعَلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِ : فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، أَوْ الْإِسْتِعْظَافِ كَقَوْلِهِ : إِنْهُ عَبْدُكَ الْعَاصِي أَنَا كَمَا :

فلم يقل هو الصمد لزيادة التمكن (الصمد) أي الذي يقصد في الحوائج ولا يقضى فيها غيره (وبالحق) مثله قول عبد الله بن عزمة :

« إن تسألوا الحق نعط سائله » (داعي المأمور) أي ما يكون داعياً لمن أمرته بشيء إلى الامتثال والإتيان به (أمير المؤمنين يا مرَّك بكذا) مكان أنا أمرك (وعليه) أي على وضع المظهر موضع المضمرة تقوية داعي المأمور (من غيره) أي من غير اب المسند إليه (فتوكل على الله) فلم يقل فتوكل على لما في لفظ الجلالة من تقوية الداعي إلى التوكل لدلالته على ذات موصوفة بالأوصاف الكاملة من القدرة وما إليها (كقوله: إلهي عبدك العاصي أنا كما) فلم يقل أنا العاصي أتيتك ، لأن في لفظ عبدك من الخضوع الموجب للعظم والسفينة ما ليس في لفظ أنا ، وفيه مع ذلك تمكن من وصفه للعاصي ، ونظير هذا قوله تعالى : قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً - إلى قوله - فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ، لم يقل فأمنوا بالله وبني ليتمكن من إجراء الصفات المذكورة عليه ، ويشعر بأن الذي وجب الإيمان به بعد الإيمان بالله هو الرسول الموصوف بتلك الصفات كائناً من كان أنا أو غيره إظهاراً للصفة وبعداً عن النعصب لنفسه وتام البيت :

مُقِرًّا بِالذَّنْبِ وَقَدْ دَعَا كَا *

السكاكي : هذا غير مُختصِّ بالمسندِ إليه ، ولا بهذا القدر ، بل كلٌّ من
التَّكَلُّمِ وَالْحِطَابِ وَالغَيْبَةِ مُطْلَقًا يُنْقَلُ إِلَى الْآخِرِ : وَيَسْمَى هَذَا النُّقْلُ
التَّفَاتًا كَقَوْلِهِ : * تَطْلُو لَيْلِكَ بِالْأَمْدِ *

وبعده :

فَإِنْ تَفَقَّرْنَا فَانْتَ إِذْكَ أَهْلُ وَإِنْ تَطَّرَدَ فَمَنْ يَرَحِمُ سِوَاكَ
(السكاكي) عبارته : واعلم أن هذا النوع أعنى نقل الكلام عن الحكاية
إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه ولا هذا القدر ، بل الحكاية والخطاب والغيبة
ثلاثها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ، وهذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني
والعرب يستأثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل
في القبول عند السامع ، وأحياناً تطرية للشاطه ، وأمثلاً باستدراج إصغائه وهم
أحرياء بذلك ، أليس قرى الأضياف جيتهم ، ونحو العشار للضيف دأهم
وهجيراهم (١) ، لا مزقت أيدي الأدوار لهم أديماً ، ولا أباحت لهم حرماً ، أفتراهم
يحسنون قرى الأشباح ، فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون
قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد (كقوله تطاول)
لامرئ القيس الكندي الصحابي من فصيحة يرثي بها أباه وتماهه : . نام الخلى ولم
يرقد ه الأمد : اسم مكان ، والخطاب في ليلك لنفسه ومقتضى الظاهر ليلي ، فهو
التفات على مذهب السكاكي ، وعند الجمهور تجريد ومثله قول ربيعة بن عمرو :

بَانَتْ سَعَادُ فَامَسَى الْقَلْبُ مَعْمُودًا وَأَخْلَفْتِكِ ابْنَةَ الْحُرِّ الْمَوَاعِيدَا

(١) عاداتهم .

والمشهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الثلاثة بعد التعبير عنه بأخر منها وهذا أخص . مثال الالتفات من التكم إلى الخطاب : وَمَا بِي لَأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؛ وَإِلَى الْغَيْبَةِ : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكِبْرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . ومن الخطاب إلى التكم :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبٌ بَعِيدَ الشَّبَابِ عَصْرٌ حَانَ مَشِيبٌ
يُكَلِّفُنِي نَيْلِي وَقَدْ شَطَّ وَلِيهَا وَعَادَتْ عَوَادِي بَيْنَنَا وَخُطُوبٌ

فالتفت كما ترى حيث لم يقل وأخلفتني (والمشهور) هذا من كلام المصنف (وهذا أخص) من تفسير السكاكي ، لأن السكاكي أراد بالنقل أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها فشكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس (ومالي الآية) أي ومالك لا تمهدون الذي فطركم ، تلتطف في الإرشاد بإبرازه في معرض المناصحة لنفسه وإحاض النصيح حيث أراد لهم ما أرادوا لها . وإذا عمد إلى التكم لذلك كان مقتضى الظاهر أن يجري الكلام على طريقة ويقول وإليه أرجع ، فلما قصد إلى الخطاب حيث قال وإليه ترجعون كان التفاتاً (طحا بك) البيتان لعاقبه بن عمارة الفحل ، طحا بك : ذهب بك كل مذهب ، وطروب : له طرب في طلب الحسان ونشاط في مراودتهن ، وبعيد الشباب : يعني حين ولي وكاد ينصرم ، ومعنى عصر حان مشيب : زمان قرب المشيب واهتمامه بالهجوم ، وفاعل يكلفني : ضمير يعود إلى القلب ، وشط : بعد ، والولي : القرب ، والعوادي : الصوارف ، وعوادي الدهر : عوائقه ، والخطوب : الأمور الشديدة تنزل ، فالتفت كما ترى في قوله يكلفني عن قوله بك ، وبعد ، فقد اشترطوا في الالتفات أن يكون

وَإِلَى الْغَيْبَةِ : حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِمْ ، وَمِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى
التَّكْلِمْ : وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْبَاهُ ، وَإِلَى الْخُطَابِ :
مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ . وَوَجْهَهُ أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا نُقِلَ مِنْ أُسْلُوبٍ
إِلَى أُسْلُوبٍ كَانَ أَحْسَنَ تَطْرِيْقًا لِغَيْبَةِ النَّشَاطِ السَّمْعِ وَأَكْثَرَ إِيقَاطًا لِلِاصْغَاءِ
إِلَيْهِ ؛ وَقَدْ تَخَصَّصَ مَوَاقِعُهُ بِطَائِفِ كَمَا فِي الْفَاتِحَةِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا ذَكَرَ
الْحَقِيقَ بِالْحَمْدِ عَنْ قَدْبِ حَاضِرٍ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ مَحْرَجًا كَاللِّاقِبِ عَلَيْهِ
وَكَمَا أُجْرَى عَلَيْهِ صِفَةٌ مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الْعِظَامِ قَوِي ذَلِكَ الْمَجْرُورِ ،
إِلَى أَنْ يَبْرُؤَ الْأَمْرَ إِلَى خَاتِمَتِهِ مُنْبِئَةً ، أَنَّهُ مَالِكُ الْأَمْرِ كُلِّهِ

المخاطب بالكلام في الحالين واحداً ومن هنا كان قول جرير :

أَغْنِي يَا فِدَاكَ أَيْ وَأَمِي بِسَيْبِ مِينِكَ إِنَّا ذُو رِيحٍ
ثِقَى بِاللَّهِ نَيْبٍ لَهُ شَرِيكَ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

ليس من الالتفات في شيء لأن المخاطب بالبيت الأول امرأته ، والمخاطب
بالبيت الثاني هو الخليفة كما لا يخفى (ووجهه) أي وجه حسن الالتفات (نظرية)
تجديداً (كما في الفاتحة) وكما في قوله تعالى : ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ، لم يقل واستغفرت لهم ، وعدل عنه إلى
طريقة الالتفات تفخيماً لثبات الرسول وتعظيماً لاستغفاره وتذبيراً على أن شفاعة
من اسمه الرسول من الله يمكن (من تلك الصفات) الدال أولها على أنه المتولى
تدبير جميع العالمين ، وثانيتها على أنه المنعم بأنواع النعم جلائلها ودقائقها .
(خاتمتها) وهي قوله مالك يوم الدين ، تنكلمة ، قد يطلق الالتفات على معنيين

في يوم الجزاء : فحينئذ يوجب الاقبال عليه ، والخطاب بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات . ومن خلاف المقتضي تلقي المخاطب بغير ما يترقب ، بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه هو الأولى .

آخرين ، فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى ، فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به قال تعالى : وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ، وقال جل شأنه : ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ، وقال جرير :
حرب الحمائم بذي الأرائق فشاقي
لا زلت في علك وأيك ناضير
وقال :

مَنْ كَانَ الْخَيْمَةَ بِيَدِي طُوحَ سَقَيْتِ الْغَيْثَ أَيَّتَهَا الْخِيَامُ
أَبْدُ كُرِّيَّوْمَ تَصْقَلُ عَرِضِيَّ بِفِرْعَ بِشَامَةٍ سَقَى الْبَشَامُ

والثاني أن تذكر معنى فتوهم أن السامع اختلجه شيء فتلقت إلى كلام يزيل اختلجه ثم ترجع إلى مقصودك كقول ابن ميادة .

فَلَا حَرَمَهُ يَبْدُو وَفِي الْيَسْرِ رَاحَةٌ وَلَا وَصْلَهُ يَصْفُو لَنَا فَنُكَارِمُهُ
(تلقي المخاطب) هذا هو الذي سماه السكاكي الأسلوب الحكيم وقال فيه :
إن هذا الأسلوب لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور ، وأبرزه في معرض المسحور وهل الآن شكيمة الحجاج لذلك الخارجي وسئل شيخه (١) حتى آثر أن يحسن على أن يسمى غير أن سحره بهذا الأسلوب ؟ وسماه الشيخ عبد الفاهر مغالطة : وعن سلوك هذه الطريقة في جواب المخاطب عن من قال مفنخراً :

بِالْقَصْدِ ، كَقَوْلِ الْقَبْعَثِيِّ لِلْحِجَّاجِ - وَقَدْ قَالَ لَهُ مُتَوَعِّدًا لِأَحْمَلَنَّكَ عَلَى
الْأَدْمِ - مِثْلُ الْأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَى الْأَدْمِ وَالْأَشْهَبِ ، أَيْ مَنْ كَانَ مِثْلَ
الْأَمِيرِ فِي السُّلْطَانِ وَبَسْطَةِ الْيَدِ فَجَدِيرٌ بَأَنْ يُصْفَدَ لِأَنْ يُصْفَدَ ، أَوِ السَّائِلِ
بِغَيْرِ مَا يَنْتَظَبُ بِتَنْزِيلِ سُؤَالِهِ مَنْزِلَةَ غَيْرِهِ تَنْبِيهَا عَلَى أَنَّهُ الْأُولَى بِحَالِهِ
أَوِ الْمَهْمُ لَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ
وَالْحَجِّ ، وَاقْوَلْهُ تَعَالَى : يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ

أَتَتْ تَشْتَكِي عِنْدِي مَرْأُوْلَةَ الْقَرِي وَوَقَدْ رَأَتْ الضَّيْفَانَ يَنْحُونُ مَنزِلِي
فَقُلْتُ كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا هُمُ الضَّيْفُ جِدِّي فِي قِرَاهِمُ وَعَجَلِي

(لأحملنك على الأدم) والحجاج يريد القيد (مثل الأمير الخ) فأنت ترى
القبعثي أبرز وعيد الحجاج في معرض الوعد وتلقاه بنير ما يترقب بحمل الأدم
في كلامه على الفرس الأدم، وأكد ذلك بذكر الأشهب تنبيها على أن ذلك هو
الأولى أن يقصد الأمير (يصفد) أي يعطى (لا أن يفسد) يقيد (أو السائل)
أي أو تلقى السائل الخ (يسألونك عن الأهلة الآية) روى أن ثلة من الصحابة
قالوا ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يتراد قليلاً قليلاً حتى يمتلي
ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ . وهذا سؤال عن السبب فأجيبوا
ببيان الحكمة تنبيهاً على أن الأولى أن يسألوا عن ذلك . وبعد ، فالمحققون من
المفسرين على أنه سؤال عن الحكمة والكلام آت على مقتضى الظاهر (يسألونك
ماذا ينفقون الآن) سألوا عن بيان ما ينفقون ، فأجيبوا ببيان المصروف قال

وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ؛ وَمِنَهُ التَّعْبِيرُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ
بِلَفْظِ الْمَاضِي تَنْبِيْهًا عَلَى تَحَقُّقِ وَقُوعِهِ نَحْوُ : وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَمِثْلُهُ : وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ، وَنَحْوُهُ :
ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ؛ وَمِنَهُ الْقَلْبُ نَحْوُ : عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى

في الكشاف إن قوله من خير تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير إلا أنه بنى
الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع
موقعها ، قال الشاعر :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً . حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ
(نحو ويوم ينفخ في الصور فصعق) ومقتضى الظاهر فيصعق وهذا ، ونظم
القرآن ففرع . وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسهه زنبور وهو طفل فجاء
إليه يبكي فقال له : يا بني مالك ، قال : لسعني طوير كأنه ملتف في بردى حبرة
فضمه إلى صدره وقال : يا بني قد قلت الشعر (ومثله) أي ومثل التعبير عن
المستقبل بغير انطه اسم الفاعل واسم المفعول لأن كلا منهما ليس حقيقة للاستقبال
(لواقع) ومقتضى الظاهر يقع (القاب) هو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان
الآخر والآخر مكانه وهو مما يؤيد إثبات الكلام ملاحظة ولا يشجع عليه إلا كمال
البلاغة (نحو عرضت الخ) ومقتضى الظاهر عرضت ، الحوض على الناقة لأن
المعروض عليه يجب أن يكون ذا شعور حتى يميل بالمعروض أو يحجم عنه ،
وفد أخذ المصنف هذا من جعل الزمخشري قوله تعالى : ويوم يعرض الذين
كفروا على النار ، من القاب ، والسبب في هذا هو أن الأصل أن يجاء بالمعروض
إلى المعروض عليه ، وهذا حتى بالمعروض عليه وهو الناقة إلى المعروض وهو

الْحَوْضِ ، وَقَبَاةُ السَّكَاكِي مُطْلَقًا ، وَرَدَّةٌ غَيْرُهُ مُطْلَقًا ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِنْ
تَضَمَّنَ اعْتِبَارًا لَطِيفًا قَبْلَ ، كَقَوْلِهِ
وَمَهْمَةٌ مُغْبِرَةٌ أَرْجَاؤُهُ * كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ
أَي لَوْنُهَا ، وَإِلَّا زَدَّ ، كَقَوْلِهِ * كَأَطْيَنْتَ بِالْقَدَنِ السِّيَاعَا *

الحوض فاعتبر ذلك ، فبزل أحدهما منزلة الآخر (ومهمه) البيت لرؤية بن
العجاج . المهمه : المفاضة ، ومغبرة . مملوءة بالغبرة ، والأرجاء : الأطراف ، وقوله
كأن الخ : أي كأن لون سمانه لغبرتها لون أرضه فهو من القلب والاعتبار اللطيف
هو المبالغة في وصف لون السماء بالغبرة ، ومثله قول أبي تمام يصف قلم المدوح :
لَعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لَعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَائِلِ
(أي لونها) يريد أن الكلام على حذف مضاف والتقدير كأن لون أرضه
لون سمانه (كاطينت) صدره :

* فَلَمَّا أَنْ جَرَى سَمْنٌ عَلَيْهَا *

وهو للقطامي من قصيدة يمدح بها زفر بن حارث الكلابي وقد أنفذه من
أعدائه وأعطاه مائة ناقة وقبلة :

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِائَةَ الرَّثِيئَا
وبعده :

أَمَرْتُ بِهِ الرِّجَالَ لِيَأْخُذُوهَا وَنَحْنُ نَخْبِي أَنْ لَنْ نُسْتَضَاعَا

فقد شبه النساء في سمنها بالقدن ، وهو القصر المطين بالسياع ، وهو الطين
بالتين ، وقد عكس فجعل المطين هو للسياع ، والمطير به هو القدن ، وليس فيه

﴿أحوال المسند﴾

أما تركه فلما مرَّ كقولهِ * فإني وقيَّارٌ بها لغريبٌ * وقوله :

اعتبار لطيف وفيه نظر لأن القلب ههنا يدل على كثرة السباع حتى صار كأنه الأصل وسمن النساقه مشبه به ، فيدل حينئذ على عظم السمن حتى صار الشحم أكثرته بالنسبة للعظم كأنه الأصل وإنما هو مردود لعدم تضمنه اعتباراً لطيفاً
قول حسان :

* يَكُونُ مِزَاجِيَا عَسَلًا وَمَاءً *

وقول عروة بن الورد :

* فَدَيْتُ بِنَفْسِي وَمَالِي *

وقول القطامي :

* وَلَا يَأْتُ مَوْقِفًا مِثْلَكَ الْوَدَاعُ *

، حق الاستعمال يكون مزاجياً عسلاً وماءً . فديت بنفسي نفسه وماله .
ولا يأت موقفاً منك الوداع (فلما مر) في حذف المسند إليه ، وإنما يقتضى تركه
نباع الاستعمال كقولهم ضرب في زيدا قائماً وأكثر شربي السويق ملتوتاً وأخطب
ما يكون الأدير قائماً وهو لهم كل رجل وضيعته وقولهم لولا زيد لكان كذا
(كقولهِ فإني وقيَّار) فإنه حذف المسند إلى قيَّار كما ترى ، وتقدير الكلام فإني
لغريب وقيَّار كذلك ، وما هذا إلا لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث مع
ضيق المقام بسبب الترجيع والمحافظة على الوزن والسر في تقديم قيَّار على خبر إن
قصد التسوية بينهم في التحمير على الاغتراب ، كأنه أثر في غير ذوى العقول
أيضاً . ومن هنا قال الزمخشري عند قوله تعالى : إن الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون الآية . الصابئون : مبتدأ وهو مع خبره الخذوف جملة معطوفة على

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ
وَقَوْلِكَ : زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وَعَمْرٌو ، وَقَوْلِكَ : خَرَجْتُ فَإِذَا زَيْدٌ ، وَقَوْلِهِ

جملة إن الذين آمنوا إلى آخره لا محل لها من الإعراب وفائدة تقديم الصابئون
التنبيه على أنهم مع كونهم أبين المذكورين ضلالاً وأشدهم غيياً يتاب عليهم إن
صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم « هذا » وقد أنشد البيت
صاحب الكامل أفاني وقياراً بالنصب ثم قال ولو رفع لكان جيداً تقول إن
زيداً منطلقاً وعمراً وعمرو فمن قال عمراً فإنما رده على زيد ومن قال عمرو فله
وجهان : جيد وهو أن تحمل عمراً على الموضع ، وجائز وهو أن يعطف على المضمر
في الخبر ، والبيت لضانيه بن الحارث البرهمي من أبيات قالها وهو محبوب في
المدينة أيام الخليفة الثالث وصدوره :

« وَمَنْ يَلِكُ أُنْسِي بِالْمَدِينَةِ رَحَلٌ »

الرحل : المنزل ، وقيار : اسم فرس أو جمل للشاعر ولفظ البيت خبر ومعناه
التوجه من الغربة (بقوله نحن بما عندنا) أي نحن بما عندنا راضون فالمسند إلى
نحن محذوف كما ترى للاختراز عن العبث مع ضيق مقام الوزن قيل وبما حذف
فيه المسند للاختراز عن العبث قوله تعالى : والله ورسوله أحق أن يرضوه ، أي
والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ويعجبني أن يكون جملة واحدة وتوحيد التفسير
لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضى واحد ، والبيت
لقيس بن الخطيم من فحول شعراء الجاهلية (وقولك زيد منطلق وعمرو) ومن هذا
الباب قوله تعالى : واللاتي يئسن من المحضن من نساءكم إن ارتبتم وعدتهن ثلاثة أشهر
واللاتي لم يحضن أي واللاتي لم يحضن مثلهن (وقولك خرجت فإذا زيد) حذف

* إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مَرْتَحَلًّا * أَيْ إِنْ لَنَا فِي الدُّنْيَا ، وَلَنَا عَنْهَا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :
قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : فَصَبِّرْ بِجَمِيلٍ ،

المسند إلى زيد الاحتراز عن العبت مع اتباع الاستعمال وإنما كان ذكره هنا
عيباً لأن إذا المجازية تدل على ، بطلق الوجود وقد انضم إليها ما يدل على الخبر
المختص وهو خرجت المشعر باز، المراد ، فإذا ريد بالباب أو موجود مثلاً
(وقوله إن محلاً) إذ التقدير - كما في المصنف - إن لنا في الدنيا محلاً ولنا عنها
إلى الآخرة مرتحلاً ، فالمسند محذوف كما ترى لقصد الاختصار مع اتباع الاستعمال .
ومن هذا قول الرجل للرجل : هل لكم أحد إن الناس ألب علمكم ، فيقول إن
زيداً وإن عمراً أي لنا وقد وضع سيبويه في ذلك باباً فقال : هذا باب ما يحسن
عليه، السكوت في هذه الأحرف الخمسة لإضمارك ما يكون مستقراً لها وموضعا
لو أظهرته وليس هذا المضمير بنفس المظهر . وذلك إن مالا وإن ولداً وإن
عددأ ، قال عبد القاهر : لو أسقطت إن لم يحسن الحذف أو لم يجز لأنها الحاضنة
له والمتكفلة بشأته والمترجمة عنه . والبيت للأعشى وتامه :

* وَإِنَّ فِي السَّفَرِ إِذْ سَوَّوْا مَهَلًا *

في الصحاح : السفر جمع سافر كصحب وصاحب ، وفي القاموس : السافر
المسافر لا فعل له (وقوله تعالى قل لو أنتم تملكون) قال صاحب الكشاف
وتقديره لو تملكون تملكون مكرراً لفائدة التأكيد فأضمر تملك الأول إضماراً
على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو
أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ ، فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره
قال وهذا ما يقتضيه علم الإعراب ، فأما ما يقتضيه علم البيان فهو إن أنتم
تملكون ففيه دلالة على الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون ، بالشع البالغ

يَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ ، أَيْ أَجْمَلُ ، أَوْ فَأَمْرِي : وَلَا أَبَدٌ مِنْ قَرِينَةٍ ، كَوُفُوعِ
الْكَلَامِ جَوَابًا لِسُؤَالِ - مُحَقِّقِ نَحْوِ : وَتَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ ، أَوْ مُقَدَّرِ نَحْوِ : لِيَبْكُ يَزِيدُ ضَارِعٌ إِخْصُومَةً *

ونحوه قول حاتم :

* لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي *

وقول المتلبس :

* وَلَوْ غَيْرُ إِخْوَانِي أَرَادُوا تَقْيِيصَتِي *

وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ
والخبر (يحتمل الأمرين) يعني حذف المسند إليه وحذف المسند ، والتقدير
فأمرى صبر جميل ، أو فصبر جميل أجمل . وما يحتمل الأمرين قوله تعالى :
سورة أنزلناها ، وطاعة معروفة ، أي هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة ،
والمطلوب منكم طاعة معروفة ، معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخالص
من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم
وقلوبكم على خلافها ، أو طاعتكم معروفة بأنها بالقول دون الفعل ،
أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة قاله الزمخشري ، ومن
هذا الباب قوله تعالى : وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً . أَيْ وَلَا تَقُولُوا لَنَا آلِهَةٌ ثَلَاثَةٌ
أَوْ وَلَا تَقُولُوا اللَّهُ وَعِيسَى وَمَرْيَمُ آلِهَةٌ ثَلَاثَةٌ ، ففي الحذف تكثير فائدة التوسعة
بالاحتمال . تنكلمة ، قال صاحب المفتاح : وقد يكون حذف المسند بناء على أن
ذكره يخرج إلى ما ليس بمراد كقولك أزيد عندك أم عمرو فإذاك لو قلت
أم عندك عمرو أو أم عمرو عندك لخرج أم عن الاتصال إلى الانقطاع (نحو
ليبك يزيد) وتماهه . ومختبب بما تطيح الطوائج . فأنت ترى أنه لما قال

وَفَضْلُهُ عَلَى خِلَافِهِ بِتَكَرُّرِ الْإِسْنَادِ إِجْمَالًا ثُمَّ تَفْصِيلاً ، وَبِوُقُوعِ نَحْوِ :
يَزِيدٌ غَيْرَ فَضْلٍ ، وَبِكَوْنِ مَعْرِفَةِ الْفَاعِلِ كَحُصُولِ نِعْمَةٍ غَيْرِ مُتَرَقِّبَةٍ .

ليبيك يزيد إذا كان سائلاً سأل من يبيكه فقال ضارع أي يبيكه ضارع ، وقد روى البيت بفتح ياء يبيك فيكون يزيد مفعولاً وضرارع فاعلاً والضرارع المستكن الخاشع وقوله لخصومة أي لأجل خصومة نالته لأنه كان ملجأ للعائدين ، والمختبط الذي يطالب المعروف من غير آصرة والطوائح جمع مطيحة وهي القواذف على غير قياس كل واقع جمع ملحمة يقال طوحته الطوائح أي نزات به الممالك والبيت لضرار بن شمائل يرثي أخاه يزيد (وفيه) يعني هذا التركيب وهو بناء لبيك لله ول على الرواية المشهورة (على خلافه) يعني لبيك يزيد ببناء الفعل للفاعل ونصب يزيد (إجمالاً ثم تفصيلاً) أي بأن أسند أولاً إجمالاً أي إسناد إجمال ثم أسند ثانياً تفصيلاً أي إسناد تفصيلي ، وبعد ، فقد قال السكاكي إن مثل هذا التركيب متى وقع موقعه رفع شأن الكلام في باب البلاغة إلى حيث ينسأطح السماكين وباري الفرقدين وموقعه أن يصل من بليغ عالم بجهات البلاغة بصير بمقتضيات الأحوال ساحر في اقتضاب الكلام ماهر في أفانين السحر إلى بليغ مثله مطلع من كل تركيب على حاق معناه وفصوص مستبعماته . ومن هذا الأسلوب قوله تعالى : وجعلوا لله شركاء الجن ، على وجه فإن لله شركاء إن جعلوا مفعولين لجعلوا فالجن يحتمل وجهين أحدهما ما ذكره الشيخ عبد القاهر أن يكون منصوباً بمحدوف دل عليه سؤال مقدر كأنه قيل من جعلوا لله شركاء فقيل الجن فيفيد الكلام إنكار الشرك مطلقاً فيدخل اتخاذ الشرك من غير الجن في الإنكار دخول اتخاذ من الجن ، والثاني ما ذكره صاحب الكشف أن ينتصب الجن بدلاً من شركاء فيفيد إنكار الشرك مطلقاً أيضاً ، قال : وإن جعلت لله لغواً

لأنَّ أوَّلَ الكلامِ غيرُ مُطْمَعٍ في ذِكْرِهِ . وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلَمَّا مرَّ ، أَوْ أَنْ
يَتَعَيَّنَ كَوْنُهُ اسْمًا أَوْ فِعْلًا . وَأَمَّا إِفْرَادُهُ فَلِكَوْنِهِ غَيْرَ سَبَبِيٍّ مَعَ

كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الأول وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ
لله شريك من كان ماسكاً أو جنياً أو غيرهما ، ولذلك قسم اسم الله على الشركاء
(فلما مر) في ذكر المسند إليه من أن الذكر هو الأصل ولا مقتضى للعدل
عنه ومن الاحتياط لضعف التحويل على القرينة ومن التبريض بغياوة السامع
مثل قوله تعالى : بل فعله كبيرهم هذا بعد ، وقوله : أنت فعنت هذا بالهتينا يا إبراهيم
وغير ذلك (أو أن يتعين كونه اسماً) فيستفاد منه الشيء من (أو فعلاً) فيستفاد
منه التجدد (فلذكوره غير سببي إلى آخره) إليك عبارة السكاكي مع شيء من
التصرف قال : وأما الحالة المقتضية لأفراد الاسم فهي إما أن كان فعلياً ولم يكن
المقصود من نفس التركيب تقوى الحكم والمراد بالفعل ما يكون مفهوماً محكوماً
به بالثبوت للمسند إليه أو بالانتفاء عنه كقولك أبو زيد منطلق والكفر من البريستين
وضرب أخو عمرو ويشكرك عمرو أن تعطه وفي الدار حاله إذ تقديره واستقر
أو حصل في الدار على أقوى الاحتمالين لتمام الصلة بالظرف وبما يقتضي أن يكون
جملة أن يراد تقوى الحكم بنفس التركيب كقولك (١) أنا من فذ ، وأنت عرفت وهو

(١) بينا لك سبب التقوى في مثل هذه المثل عند الكلام على تقديم المسند
إليه على ما ارتآه الشيخ عبد القاهر ، أما على ما ذكره السكاكي فسبب التقوى أن
المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء ، وهذا جاء بعده ما بصاح
أن يسند إليه صرفه إلى نفسه فينعتق بينهما حكم سواء كان خالياً عن الضمير
أو متضمناً له ثم إذا كان متضمناً لضميره صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانياً
فيكتسب الحكمة قوة .

عَدَمِ إِفَادَةِ تَقْوَى الْحُكْمِ ؛ وَالْمُرَادُ بِالسَّبَبِيِّ نَحْوُ : زَيْدٌ أَبُوهُ مُنْطَلِقٌ ،
وَأَمَّا كَوْنُهُ فِعْلاً فَلِالتَّنْبِيْهِ بِأَحَدِ الْأَزْمِنَةِ الثَّلَاثَةِ عَلَى اخْتِصَرِ وَجْهِهِ ، مَعَ
إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ كَقَوْلِهِ :

أَوْ كَلِمًا وَرَدَتْ عُنَاظَ قَبِيلَةٍ * بَعَثُوا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتَوَسَّمُ

عرف وزيد عرف أو أن يكون المسند سببياً وهو أن يكون مفهومه مع الحكم عليه بالثبوت لما هو مبني عليه أو بالانتفاء عنه مطاوب التعليق بغير ما هو مبني عليه تعليق لإثبات لذلك الغير بنوع ما أو نفي عنه بنوع ما أو يكون المسند فعلاً يستدعي الاستناد إلى ما بعده بالإثبات أو بالنفي فيطالب تعليقه على ما قبله بنوع إثبات أو نفي ليكون ما بعده بسبب ما قبله ، فالأول نحو زيد أبوه منطلق فإن مفهوم منطلق مع الحكم عليه بثبوته لمبتدئه يعني أبوه قد عاق بزید بالإثبات له وزيد غير مبني منطلق عليه ، والثاني نحو عمرو ضرب أبوه ، فإن ضرب فعل أسند إلى ما بعده وهو أخوه ثم عاق على ما قبله وهو عمرو بالإثبات لان الأخ متعاق به ومضاف إلى ضميره (كقوله) أي قول طريف بن تميم العنبري من أبيات يصف بها نفسه بالشجاعة (أو كلما إلى آخره) فالمعنى على توهم وتأمل ونظر يتجدد من العريف هناك حالاً فحالا ، وتصفح منه لوجوده واحداً بعد واحد ، ولو قيل متوسماً لم يفد ذلك حق الإفادة . ومن البين في ذلك قوله جل شأنه : هل من خالق غير الله يرزقكم ، إذ لو قيل هل من خالق غير الله رازق لكم لكان المعنى غير ما أريد ، وقول الأعشى :

وَأَمَّا كَوْنُهُ اسْمًا فَلِإِفَادَةِ عَدَمِهِمَا كَقَوْلِهِ :

لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ ضَرْبَنَا لَكِنَّ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقٌ
وَأَمَّا تَقْيِيدُ الْفِعْلِ بِمَقْمُولٍ وَنَحْوِهِ فَمِنْ تَرْبِيَةِ الْفَائِدَةِ ، وَالتَّقْيِيدُ فِي نَحْوِ

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عِيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحْرُقُ (١)
تُشَبُّ لِمَقْرُودَيْنِ يَصْطَلِيَانِيهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ

المعنى على أن هناك موقداً يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالا بخالا ، وإذا
قيل إلى ضوء نار متحركة كان المعنى أن هناك ناراً قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة
وجرى ذلك مجرى أن يقال إلى ضوء نار عظيمة في أنه لا يقيد فعلا يفعل
« هذا ، وعكاظ متسوق للعرب يجتمعون فيه فيتناشدون ويتفاخرون . يقول
الشاعر : إن لسكل قبيلة على جناية فني وردوا عكاظ طابني الكافل بأمرهم ،
(فإفادة عدمهما) أي عدم التقييد المذكور وإفادة التجدد ، لأن الاسم وجمع
لأجل أن ثبت به المعنى للشيء فحسب (كقولاه) أي قول النضر بن جثوية يتهدح
بالمعنى والكرم — فالمعنى أن الانطلاق من الصرة ثابت لدرهم دائماً ، كما هو
ظاهر في ذلك قوله تعالى : وكابهم باسط ذراعه بالوصيد ، فإن أحداً لا يشك
في امتناع الفعل ههنا كما لا يخفى (ونحوه) كالحال والتميز (فلتربية الفائدة)
لأن الحكم العاري عن الفيود لا يزيد عن فائدة نسبة المحكوم به للمحكوم
عليه بل ربما كان ذلك الحكم معلوماً عند السامع ، فلا يقيد فإذا زيد قيد كان

(١) لاحت : لمعت ، واليفاع : ما ارتفع من الأرض ، وتشب : توفد ،

والمقرور : المضاب بالقر وهو البرد ، والندى : الكرم ، والمحلق : اسم رجل

كريم من ولد أبي بكر بن كلاب من بني عامر

كان زَيْدٌ مُنْطَلِقًا هُوَ مُنْطَلِقًا لَا كَانَ . وَأَمَّا تَرْكُهُ فَلَمَّا نَعِيَ مِنْهَا . وَأَمَّا تَقْيِيدُهُ بِالشَّرْطِ ، فَلِإِعْتِبَارَاتٍ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا بَيْنَ أَدْوَاتِهِ مِنَ التَّفْصِيلِ ، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي عِدِّ النَّحْوِ ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ هَهُنَا فِي إِنْ وَإِذَا وَنَوْ . . . فَنُ وَإِذَا لِشَرْطٍ فِي الإِسْتِقْبَالِ ، لَكِنْ أَصْلُ إِنْ عَدَمُ الْجُزْمِ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ ، وَأَصْلُ إِذَا الْجُزْمُ بِوُقُوعِهِ ، وَإِذَلِكَ كَانَ النَّادِرَ مَوْقِعًا لِإِنْ ، وَغَابَ لِنَظَرِ الْمَاضِي مَعَ إِذَا نَحْوُ : فَإِذَا جَاءَتْهُمْ

فِيهِ فَائِدَةٌ غَرِيبَةٌ : وَكَلِمَا كَثُرَتْ فَيُرَدُّ كَثُرَتْ فَوَائِدُهُ (هُوَ مُنْطَلِقًا لَا كَانَ) لِأَنَّ مُنْطَلِقًا هُوَ الْمُسْتَدْحَقُ حَقِيقَةً وَكَانَ قَبْدٌ لَهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى زَمَانِ النِّسْبَةِ (تَرْكُهُ) أَيْ تَرْكُ تَقْيِيدِ الْمُسْتَدْحَقِ (فَلَمَّا نَعِيَ مِنْهَا) أَيْ مِنْ تَرْبِيَةِ الْفَائِدَةِ كَعَدَمِ الْعِلْمِ بِالْمَقْيِدَاتِ أَوْ عَدَمِ الْإِحْتِيَاحِ إِلَيْهَا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ (تَقْيِيدُهُ) أَيْ الْفِعْلُ (أَدْوَاتُهُ) أَدْوَاتُ الشَّرْطِ (لِلشَّرْطِ فِي الإِسْتِقْبَالِ) أَيْ التَّعْلِيقِ حُصُولِ الْجُزْمِ بِحُصُولِ الشَّرْطِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ (وَلِذَلِكَ كَانَ النَّادِرَ مَوْقِعًا لِإِنْ) لِأَنَّهُ غَيْرُ مَقْطُوعٍ بِهِ فِي نَهَابِ الْأَمْرِ (١) (وَغَابَ لِنَظَرِ الْمَاضِي مَعَ إِذَا) لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْقَطْعِ بِالْوُقُوعِ نَظَرًا إِلَى الْمَاضِي وَبَعْدُ ، فَلَا بُدَّ لِلْبَلِيغِ مِنَ الْعِلْمِ بِوُقُوعِ أَنْ وَإِذَا حَتَّى يَكُونَ بِنَجْوَةٍ مِنَ الْخَطَا وَمَعَاذَةَ مِنَ اللَّوْمِ ، أَوْ مَا تَرَى كَيْفَ أَنْحَوْنَا بِاللَّامَةِ عَلَى عِبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَمَّانٍ إِذْ أَخْطَأَ بِهِمَا الْمَوْمِعُ فِي قَوْلِهِ يُخَاطَبُ بَعْضُ الْوَالِدَةِ وَقَدْ سَأَلَهُ سَابِقًا فَلَمْ يَقْضِهَا ثُمَّ شَفَعْنَا لَهَا فِيهَا فَقَضَاهَا :

(١) قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّ النَّادِرَ - وَهُوَ مَا وَقُوعُهُ قَلِيلٌ - قَدْ يَجُزْمُ بِوُقُوعِهِ كَمَا جُزْمَ بِوُقُوعِ الْيَوْمِ الْآخِرِ مَعَ نَدْوَرِ وَقُوعِهِ إِذْ لَا يَحْصُلُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً .

الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ
الْحَسَنَةَ الْمُطْلَقَةَ ، وَلِهَذَا عُرِّفَتْ تَعْرِيفَ الْجِنْسِ ، وَالسَّيِّئَةُ نَادِرَةٌ بِالنِّسْبَةِ
إِلَيْهَا ، وَلِهَذَا نُكِّرَتْ ؛ وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ إِنْ فِي الْجَزْمِ تَجَاهُلًا أَوْ لِعَدَمِ جَزْمِ

ذُمَّتْ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكْتَ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا
أَبَى لَكَ كَسْبَ الْحَمْدِ رَأْيٌ مُقَصَّرٌ وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللَّهُ بِالتَّخْيِيرِ بِأَعْمَارِهَا
إِذَا هِيَ حَيْثُ تَلَى التَّخْيِيرَ مَرَّةً عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا

(جاءتهم) قريم موسى (الحسنه) من الخصب والرخاء (لنا هذه) لاجلنا
ونحن مستحقوها (سيئه) جذب وبلاء (لأن المراد إلى آخره) أصل هذا
الكلام لصاحب الكشاف غفر الله له وهالك عبارته : فإن قلت كيف قيل فإذا
جاءتهم الحسنه فإذا وتعريف الجنس وإن تصبهم سيئه بأن وتذكير السيئه ، قلت
لأن جنس الحسنه وقوعه كالواجب لكثرة واتساعه ، وأما السيئه فلا تقع
إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها ، انتهى كلامه . أما قوله تعالى : إذا مس
الناس ضر ، بلفظ إذا مع الضر فللنظر إلى لفظ المس وإلى تنكير الضر المفيد
في المقام التوبيخي القصد إلى اليسير من الضر وإلى الناس المستحقين أن يلحقهم
كل ضرر وللتنبيه على أن مناس قدر يسير من الضر لأشغال هؤلاء حقه أن
يكون في حكم المقطوع به ، وأما قوله تعالى : وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ،
بعد قوله عز وجل : وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، أي أعرض
عن شكر الله وذهب بنفسه وتكبر وتعظم ، فالذي تقتضيه البلاغة أن يكون
الضمير في مسه للعرض المتكبر ، ويكون لفظ إذا للتنبيه على أن مثله يحق أن
يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعاً به (تجاهلاً) لاستدعاء المقام إياه كما إذا استطاعت

فَلِخَاطِبِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُكَذِّبُكَ : إِنْ صَدَقْتُ فَمَاذَا تَفْعَلُ ، أَوْ تَنْزِيلِهِ
مَنْزِلَةَ الْجَاهِلِ لِخَالَفَتِهِ مُقْتَضَى الْعِلْمِ أَوِ التَّوْبِيخِ ، وَتَصْوِيرِ أَنَّ الْمَقَامَ لِاشْتِهَالِهِ
عَلَى مَا يَقْتَضِي الشَّرْطُ عَنْ أَحَدٍ لَا يَصَاحُحُ إِلَّا لِفَرْضِهِ كَمَا يَفْرَضُ الْحَالُ نَحْوُ :
أَفَنْضُرِبُ عَنْكُمْ الَّذِي كَرَّ صَفْحًا إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ، فِيمَنْ قَرَأَ إِنْ
بِالْكَسْرِ ، أَوْ تَغْلِيْبِ غَيْرِ الْمُتَّصِفِ بِهِ عَلَى الْمُتَّصِفِ ؛ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَإِنْ كُنْتُمْ

ليانتك فتقول إن يطلع المسبح وينقض الليل أفعال كذا فتجاهل تولها وتضجراً
(أو تنزيله إلى آخره) كما يقول الأب لابن لا يراعى حقه ، أفعال ما شئت إلى
إن لم أكن لك أباً كيف تراعى حق (كما يفرض المحال) متى تعلق بفرضه
غرض من الأغراض نحو إرخاء العنان لإلزام الخصم والتبكيك كما ذكر الزمخشري
في قوله تعالى : فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ، أَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّبَكِيكِ
لأن دين الحق واحد لا يوجد له مثل ، فقليل فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل
الفرض والتقدير ، أي فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مساوياً له في الصحة
والسداد فقد اهتدوا . وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له
غير مماثل لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ، ونحو هذا قولك الرجل
تشير عليه هذا هو الرأي والصواب فإن كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به
وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ، وإمكانك تريد تبكيك صاحبك وتوقيفه
على أن مارأيت لا رأى وراه (نحو أفنضرب الآية) فأنت ترى أن الإسراف
مقطوع به لكن جنىء بالفظ إن لقصد التأنيب والتجهيل في ارتكاب الإسراف ،
وتصوير أن الإسراف من العاقل في هذا المقام — مقام ظهور الآيات ونزول
القرآن — حري أن لا يكون ثبوته له إلا على مجرد الفروض والتقدير (به) أي

فِي رَبِّبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ، يَحْتَمِلُهُمَا . وَالتَّغْلِيْبُ يُجْرَى فِي فَنُونٍ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى : وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ، وَمِنْهُ أَيْوَانُ

بالشرط (يَحْتَمِلُهُمَا) أى يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلتَّوْبِيخِ عَلَى الرَّبِيبَةِ وَتَصْوِيرِ أَنَّ الرَّبِيبَةَ
عَمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ تَتَّبَعَتْ لَهُمْ إِلَّا عَلَى الْفَرْضِ لِاشْتِمَالِ الْمَقَامِ عَلَى مَا يَرِيهَا وَهِيَ الْآيَاتُ
وَأَنْ يَكُونَ لِلتَّغْلِيْبِ غَيْرَ الْمَرْتَابِينَ مِنَ الْمَخَاطِبِينَ عَلَى الْمَرْتَابِينَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُ كَانَ فِيهِمْ
مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَإِنَّمَا يَشْكُرُ عِنَادًا (وَالتَّغْلِيْبُ) وَهُوَ أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الشَّيْءِ مَا لَيْسَ بِهِ
لِتَنَاسُبِ بَيْنَهُمَا أَوْ اخْتِلَاطِ ، وَهُوَ أَمْرٌ يَجْرَى فِي كُلِّ مَتَنَاسِبِينَ وَمَخْتَلِطِينَ بِحَسَبِ
الْمَقَامَاتِ لَكِنْ غَابَ أَمْرُهُ دَائِرَ عَلَى الشَّرْفِ وَالْحَفْظِ (وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ)
فَعَدَّتِ الْإِثْنِي مِنَ الذِّكُورِ بِحُكْمِ التَّغْلِيْبِ ، لِأَنَّ الْقِنُوتَ عَمَّا يُوصَفُ بِهِ الذِّكُورُ
وَإِلَائِنَاتُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقِيلَ وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِمَاتِ (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) فَكَانَ
الْقِيَاسُ يَجْهَلُونَ لِأَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى قَوْمٍ وَلَفْظُهُ لِنِظَرِ الْغَائِبِ لِكِرَاهِهِ اسْمًا مَظْهَرًا
لِكُنْهِ فِي الْمَعْنَى عِبَارَةً عَنِ الْمَخَاطِبِينَ ، فَغَلِبَ جَانِبُ الْمَخَاطَبِ عَلَى جَانِبِ الْغَيْبَةِ ،
(وَمِنْهُ أَيْوَانُ) وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : لِنُجْرِحَنَّكَ يَا شَعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ
قَرِيْبَتِنَا أَوْ لِنَعُوْدَنَّ فِي مِلَّتِنَا ، أَدْخَلَ شَعِيبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي لِنَعُوْدَنَّ فِي مِلَّتِنَا بِحُكْمِ
التَّغْلِيْبِ إِذْ لَمْ يَكُنْ شَعِيبٌ فِي مِلَّتِهِمْ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : فَسَجِدُوا إِلَّا لِإِبْلِيسَ ، عَسَى
إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِحُكْمِ التَّغْلِيْبِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوْكُمْ فِيهِ ، فَإِنَّ الْمَخَاطَبَ فِيهِ شَامِلٌ لِلْعُقُلَاءِ وَالْأَنْعَامِ فَغَلِبَ
فِيهِ الْمَخَاطَبُونَ عَلَى الْغَائِبِينَ وَالْعُقُلَاءَ عَلَى الْأَنْعَامِ ، وَقَوْلُهُ يَذُرُّوْكُمْ فِيهِ : أَيْ يَبْشِكُمْ
وَيَسْكُرُكُمْ فِي هَذَا التَّدْبِيرِ ، وَهُوَ أَنْ جَعَلَ لِلنَّاسِ وَالْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا حَتَّى كَانَ بَيْنَ
ذِكُورِهِمْ وَإِنَائِهِمُ التَّوَالِدَ وَالنَّاسِلَ ، فَعَمِلَ هَذَا التَّدْبِيرُ كَالْمَعْدِنِ وَالْمَنْبَعِ لِلْبَيْتِ وَالتَّكْثِيرِ
وَلِذَلِكَ قِيلَ يَذُرُّوْكُمْ فِيهِ وَلَمْ يَقُلْ بِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَاسْكُنْ فِي الْقِصَاعِ حَيَاةً .

ونحوه ، وَلِكَوْنِهِمَا لِتَعْلِيْقِ أَمْرٍ بغيرِهِ فِي الْاِسْتِقْبَالِ كَانَ كُلٌّ
مِنْ جُمَلَتِي كُلِّ فِعْلِيَّةٍ اِسْتِقْبَالِيَّةٍ ، وَلَا يُخَالَفُ ذَلِكَ لَفْظًا

(ونحوه) كالمشرقين للمشرق والمغرب ، والقمرين ، للشمس والقمر ، والحسينين
للحسن والحسين وما أشبه ذلك بما غالب أحد المتصاحبين أو المتشابهين على الآخر
بأن جعل متفقاً له في الاسم ، ثم أتى ذلك الاسم وقصد إليهما جميعاً (ولكونيهما)
إن وإذا (لتعليق أمر) وهو حصول مضمون الجزاء (بغيره) وهو حصول
مضمون الشرط (في الاستقبال) مرتبط بالفظ غيره على معنى جعل حصول
الجزاء مترتباً على حصول الشرط في الاستقبال (كان كل من جماتي كل فعالية
استقبالية) ذاك لأن الشرط كما لا يخفى مفروض الحصول في الاستقبال فيمتنع
ثبوته ومضيه ، والجزاء معاق حصوله على حصول الشرط في الاستقبال ، ويمتنع
كما هو ظاهر تعليق حصول الحاصل الثابت على حصول ما يحصل في المستقبل
(لفظاً) وأما معنى فلا يسكن التخالف بحال ، وقوله تعالى : وإن يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك ، معناه فاصبر ولا تحزن فقد كذبت رسل من قبلك ،
وقوله : إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ، ومعناه ينصره
من نصره قبل ذلك . وقس على هذا بقدر ما يناسب المقام وهذا ، وقد تستعمل (١)
إن في غير الاستقبال قياساً إذا كان الشرط لفظ كان مثل قوله تعالى : وإن كنتم
فريب مما نزلنا على عبدنا الآية ، وفي غير ذلك قايلاً ، كقول أبي العلاء المعري :

(١) يكون ذلك إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط في الماضي
ولا يقال إن هذا يناه ما قدمناه آنفاً من أن الشرط مفروض الحصول في
الاستقبال لانا نقول هذا حين استعمال إن للتعليق في المستقبل كما هو غالب أمرها .

إِلَّا لِنُكْتَةٍ ، كإبراز غير الحاصل في معرض الحاصل ، لقوة الأسباب
أو كون ما هو للوقوع كالواقِع أو التَّفَاوُل ، أو إظهار الرَّغْبَةِ في وقوعه

وَإِنْ ذَهَلَتْ عَمَّا أُجِنُّ صُدُورُهَا فَقَدْ أَهْبَتَ وَجَدًا نَفُوسَ رِجَالٍ (١)

الظهور أن المعنى على المضي دون الاستقبال ، وقد تستعمل إذا للضی مثل قوله
تعالى : حتى إذا بلغ بين السدين . حتى إذا ساوى بين الصدفين . حتى إذا جعله
ناراً ، وللإستمرار مثل قوله جن شأنه : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا .
(إلا لنكتة) فإن قلت فأى نكتة في قوله تعالى : إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء
ويبدسوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لتكفرون ، وقد ذكر في موضع
جزاء هذا الشرط ثلاث جمل متعاطفة وعدل في الثالثة إلى لفظ الماضي ، فإننا
تقول الغرض من ذلك كما قال الزمخشري الدلالة على أنهم وودوا قبل كل شيء
ككفر المؤمنين وارتدادهم ، يعني أنهم يريدون أن ياجتقوا بكم مضار الدنيا
والدين جميعاً من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض ورددكم كفاراً ، ورددكم كفاراً
تسبق المضار عندهم وأولها لعدهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون
لها دونه والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه (لقوة الأسباب)
بذلك كما تقول حال انعقاد أسباب الإشتراء إن اشترينا كذا كان كذا (أو كون
ما هو للوقوع كالواقِع) هذا كما هو ظاهر معطوف على قوة الأسباب يعني أنه يعبر
بالماضى عن المستقبل في جملة الشرط لقصد إبراز غير الحاصل في العرض الحاصل
لكون المعنى شأنه الوقوع فهو كالواقِع في ترتب ثمرة الوقوع في الجملة على كل
منهما وذلك مثل أن تقول إن مت كان كذا وكذا (في وقوعه) أى وقوع الشرط أو

(١) يقول : إن هذه الإبل قد أحرقت بحنينها قلوب رجال ، يعني

راكبها وإن خلعت صدورها عن اللوجد الذي أضمره .

نحو: إن ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام ، فإن الطالب إذا عظمت رغبته
في حصول أمر يتكرر تصوره إياه ، فرُبما يُخيّل إليه حصلاً ، وعليه :
إن أردن تحصناً . الشكاي : أو للتعريض نحو : لئن أشركت ليحبطن

غير الحاصل (إن ظفرت إلى آخره) هو مثال للأمرين قبله (فرُبما يُخيّل إليه
حصلاً) وقد يقوى هذا التخيل عند الطالب حتى إذا وجد حكم المس بخلاف
حكمه غلطه تارة واستخرج له محملاً أخرى وعليه قول أبي العلاء المعري :

مَا سِرْتُ إِلَّا وَطَبْتُ مِنْكَ يَصْحَبُنِي سُرِّي أُمَامِي وَتَأْوِيًا عَلَى أَثْرِي .

يقول لكثرة ماناجيت نفسي بك انتقشت في خيالي فأعدك بين يدي مغالطاً
للبصر بعملة الظلام إذا لم يدركك ليلاً أمامي وأعدك خلفي إذا لم يتيسر لي تغليط
حين لا يدركك بين يدي نهراً (وعليه) أي على إظهار الرغبة في الوقوع قوله
تعالى : ولا تكررهما فتيتاكم على البغاء إن أردن تحصناً ، فلم يقل إن يردن
وجيء بلفظ الماضي للدلالة على توفر الرغبة في إرادتهن التحصن ، وإنما قال
وعليه لأن الله منزّه عن الرغبة ، والمراد ههنا لازمها وهو كمال الرضا به .
هـ . هذا ، وفائدة قوله إن أردن تحصناً أن يدشع عند المخاطب الوقوع في الإكراه
لكني يعرف أنه كان ينبغى له أن يأنف من هذه الرذيلة ، وإن لم يكن ثم زاجر
شرعي ، ذلك لأن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه لأنها آثرت
التحصن عن الفاحشة وهو يابى الإكراه عليها (نحو لئن أشركت) فالخطاب
لمحمد عليه السلام وعدم إشرائه مقطوع به . لكن جيء بلفظ الماضي لإبراز
للإشراك في معرض الحاصل على سبيل الفرض والتقدير تعريضاً لمن صدر عنهم
الإشراك بأنهم قد حبطت أعمالهم ، وبما هو بين في ذلك قوله تعالى : ولئن
اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ، قال صاحب الكشاف .

عَمَّاكَ ، وَنَظِيرُهُ فِي التَّعْرِيضِ : وَمَالِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ؟ أَيُّ وَمَا لَكُمْ
لَا تَعْبُدُونَ الَّذِي فَطَرَكُمْ ، بِدَلِيلٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؛ وَوَجْهُ حُسْنِهِ إِسْمَاعُ
الْمُخَاطَبِينَ الْحَقَّ عَلَى وَجْهِ لَا يَزِيدُ غَضَبَهُمْ ، وَهُوَ تَرْكُ التَّصْرِيحِ بِنِسْبَتِهِمْ
إِلَى الْبَاطِلِ ، وَيُعِينُ عَلَى قَبُولِهِ لِكَوْنِهِ أَدْخَلَ فِي إِمْحَاضِ التَّصْحِحِ ، حَيْثُ
لَا يُرِيدُ إِلَّا مَا يُرِيدُ لِنَفْسِهِ . وَلَوْ لِلشَّرْطِ فِي الْمَاضِي مَعَ الْقَطْعِ بِإِنْتِفَاءِ
الشَّرْطِ فَيَلْزِمُ عَدَمُ الثَّبُوتِ وَالْمَاضِي فِي جَمَلَتَيْهَا ، فَدُخُولُهَا عَلَى الْمَضَارِعِ

هذا كلام ورد على سبيل الفرض والتقدير ، وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير
واستفطاع لحال من يترك الدليل بعد إرازته ومقتبع الهوي (ونظيره في التعريض
ومالي لا أعبد الذي فطرنى) ومثل ذلك قوله تعالى : أَلْتَأْتُونَ آلِهَةَ إِنْ
يُرَدُّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شِفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يَنْقُذُونَ إِنْ إِذَا لَقِيَ ضَلَالٌ مُبِينٌ
إِذِ الْمُرَادُ أَلْتَأْتُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةٌ إِنْ يُرَدُّكُمْ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شِفَاعَتُهُمْ
شَيْئاً وَلَا يَنْقُذُونَكُمْ إِنْ لَقِيَ ضَلَالٌ مُبِينٌ وَلِذَلِكَ قِيلَ آمَنَّا بِرَبِّكُمْ دُونَ بَرِيٍّ
وَأَتَّبَعَهُ فَاسْمَعُونَ (بدليل وإليه ترجعون) إِذْ لَوْلَا التَّعْرِيضُ لَكَانَ الْمُنَاسِبُ وَإِلَيْهِ
أَرْجَعُ لِأَنَّهُ الْمُوَافِقُ لِلسِّيَاقِ (حُسْنُهُ) أَيِ التَّعْرِيضِ (المُخَاطَبِينَ) الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ
الْمُتَكَلِّمِ (وَيُعِينُ) عَنَّفَ عَلَى قَوْلِهِ لَا يَزِيدُ أَيُّ أَنَّ ذَلِكَ الْوَجْهَ لَا يَزِيدُ غَضَبَهُمْ وَهُوَ
عَلَى ذَلِكَ يُعِينُ عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ (وَلَوْ لِلشَّرْطِ فِي الْمَاضِي إِلَى آخِرِهِ) يَقُولُ أَصْلُ
لَوْ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجُزْءَ كَانَ فِيمَا مَضَى بِحَيْثُ يَقَعُ عَلَى تَقْدِيرِ وَقُوعِ الشَّرْطِ
مَعَ الْقَطْعِ بِإِنْتِفَاءِ الشَّرْطِ الْمَقْتَضَى انْتِفَاءُ الْجُزْءِ وَأَنْتِ إِذَا قَالَتْ لَوْ جِئْتَنِي لَا كَرَمَتِكَ
فَهِيَ أَنَّ الْمَجْمُوعَ شَرْطٌ فِي الْإِكْرَامِ وَأَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ وَقُوعِهِ يَقَعُ وَفَهْمٌ مَعَ هَذَا
أَنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَقَعْ فَيَلْزِمُ — حَيْثُ كَانَ الْمَجْمُوعُ شَرْطاً وَانْتَفَى — انْتِفَاءُ الْمَشْرُوطِ
الَّذِي هُوَ الْجُزْءُ ، وَمِنْ هُنَا قِيلَ إِنْ لَوْ لَامْتِنَاعِ الشَّيْءِ لَامْتِنَاعِ غَيْرِهِ وَتَوْفِيْقُهُ
ذَلِكَ حَقُّهُ مِنَ الْبَيَانِ أَمْسَ بِعِلْمِ اللُّغَةِ (وَالْمَاضِي) وَذَهَبَ الْمُرَدُّ إِلَى أَنَّهَا تَسْتَعْمَلُ

فِي نَحْوٍ : لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنْتُمْ ، لِقَصْدِ اسْتِمْرَارِ الْفِعْلِ
فِيمَا مَضَى وَقْتًا فَوْقًا ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ، وَفِي نَحْوٍ :
وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفَّيْنَا عَلَى النَّارِ ، لِتَنْزِيلِهِ مَنْزِلَةَ الْمَاضِي لِصُدُورِهِ تَعَمُّنٌ

فِي الْمُسْتَقْبَلِ اسْتِمَالِ إِنْ وَأَنْشُدْ قَوْلَ الْهَذَلِيِّ :

وَلَوْ تَلْتَقَى أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا

وَمِنْ دُونَ رَمْسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ سَبَسَبٌ (١)

أَطْلَعَ صَدَى صَوْتِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً لِيَصُوتِ صَدَى لَيْسَلِي يَهْشُ وَيَطْرَبُ
(لعنتم) أى لوقعتهم فى العنت والهلاك ، يقال فلان يتعنن فلاناً : أى يطلب
ما يؤديه إلى الهلاك ، وقد أعنت الأنظم إذا هيض بهد الجبر (لقصد استمرار
الفعل إلى آخره) قال الزمخشري : إنما قيل يطيعكم دون أطاعكم للدلالة على أنه
كان فى إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه ، وإنه كلما عن لهم رأى
فى أمر كان معمولاً عليه بدليل قوله : فى كثير من الأمر ، كقولك فلان يقرى
الضيف ويحمى الحریم : تريد أنه بما اعتاده ووجد منه مستمراً (كما فى قوله
الله يستهزى بهم) قال فى الكشاف : فإن قلت هلا قيل الله يستهزى بهم ليكون
طبقاً لقوله إنما نحن مستهزؤن ، قلت لأن يستهزى يفيد حدوث الاستهزاء
وتجدده وقتاً بعد وقت وهكذا كانت نكيات الله فيهم وبلاياهم النازلة بهم
(وفى نحو ولو ترى إلى آخره) من هذا الباب قوله : ولو ترى إذ الظالمون
موقوفون عند ربهم ، وقوله : ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم . هذا

(١) الأصداء جمع صدى : ظل الصوت ، يرجع مثله فى الجبل ونحوه ،

والرمس : القبر ، والسبب : المفازة ، ويهش : يرتاح ويميل .

لا خِلافَ في إخبارِهِ ، كما في : رَبِّمَآ يَؤُدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ! أَوْ لِاسْتِحْضَارِ
الصُّورَةِ كما قال تعالى : فَتُشِيرُ سَحَابًا ، اسْتِحْضَارًا لِتِلْكَ الصُّورَةِ البَدِيعَةِ
الدَّالَّةِ عَلَى القُدْرَةِ البَاهِرَةِ . وَأَمَّا تَنْكِيرُهُ : فَالإِرَادَةُ عَدَمِ الحَضَرِ وَالْعَهْدِ ،
مَكْفُولِكَ : زَيْدٌ كَاتِبٌ وَعَمْرٌو شاعِرٌ ، أَوْ لِلتَّنْجِيمِ ، نَحْوُ : هَدَى

ويجوز أن تكون لو في هذه الآيات للتمنى ، كأنه قال وليتك ترى ، وحينئذ
لا استشهاد لأن التي للتمنى تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي (كما
في ربما يود) قال صاحب الكشاف : فإن قلت لم دخلت ربما على المضارع
وقد أبوا دخولها إلا على الماضي ؟ قلت لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة
الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود (أو لاستحضار الصورة)
هو معطوف على قوله لتنزيله يعني صورة رؤية الكافرين موقوفين على النار
قائلين ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ، وكذا صورة رؤية الظالمين موقوفين
عند ربهم والمجرمين ناكسي رؤسهم متقارنين بتلك المقالات وصورة ودادة
الكافرين لو أسلموا (كما في قوله تعالى فتشير سحاباً) وكما في قول تأبط شرأ :

أَلَا مَنْ مَبْلِغٌ فِتْيَانَ فَهَمَّ بِمَا لَأَقَيْتُ عِنْدَ رَحَا بَطَّانِ

بَأَيْ قَدْ لَقَيْتُ الْغَوْلَ تَهْوَى بِسَبَبِ كَالصَّحِيفَةِ صَحَّحَانَ

فَقُلْتُ لَهَا كَلَانَا نِضْوُ أَرْضِ أَخُو سَفَرٍ فَجَلَى لِي مَكَانِي

فَشَدَّتْ شِدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَتْ دَا كَفَى بِتَصْقُولِ يَمَانِي

فَأَضْرِبَهَا بِأَلَا دَهْشِ فَخَرَّتْ حَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ

إذ قال فأضربها ليصور لقومه للحالة التي تشجع فيها على ضرب الغول كأنه

بِمُتَقِينٍ ، أَوْ لِلتَّحْقِيرِ . وَأَمَّا تَخْصِيصُهُ بِالْإِضَافَةِ أَوْ الْوَصْفِ : فَلِتَكُونَ
الْفَائِدَةُ أَتَمَّ كَمَا مَرَّ . وَأَمَّا تَرْكُهُ فظَاهِرٌ مِمَّا سَبَقَ . وَأَمَّا تَعْرِيفُهُ : فَلِإِفَادَةِ
السَّمْعِ حَكْمًا عَلَى أَمْرٍ مَعْلُومٍ لَهُ بِإِحْدَى طَرِيقِ التَّعْرِيفِ بِآخِرِ مِثْلِهِ ،

يُبَصِّرُهُمْ إِنَاهَا وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ مَشَاهِدَتَهَا تَعْجِيبًا مِنْ جِرَامَتِهِ عَلَى كُلِّ هَوْلٍ وَثَبَاتِهِ
عِنْدَ كُلِّ شِدَّةٍ ، تَكْمَلَةٌ ، قَدْ يَكُونُ دُخُولُ لَوْ عَلَى الْمُضَارِعِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ
مِنَ الْمُنْطَاعَةِ بِحَيْثُ يَحْتَرِزُ عَنِ أَنْ يُعْبَرَ عَنْهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي لِكُونِهِ مِمَّا يَذَلُّ عَلَى
الْوُقُوعِ فِي الْجُمْلَةِ ، كَمَا تَقُولُ : لَقَدْ أَصَابَتْنِي حَوَادِثٌ لَوْ تَبَقِيَ إِلَى الْآنَ لَمَا بَقِيَ مِنِّي
أَثَرٌ . وَقَدْ يَعْدَلُ عَنِ عَدَمِ الثَّبُوتِ إِلَى جَعْلِ الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ اسْمِيَّةً مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَلَوْ
أَنْتُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ، دَلَالَةٌ عَلَى ثَبُوتِ الْمَثُوبَةِ وَاسْتِقْرَارِهَا
أَمَّا الْجُمْلَةُ الْأُولَى فَلَا تَقَعُ إِلَّا فِعْلِيَّةً أَلْبَتَّةَ (نَحْوُ هَدَى لِلْمُتَّقِينَ) عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ
مَبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ أَوْ خَبَرٌ ذَلِكَ الْكِتَابِ ، أَيْ هَدَى لَا يَكْتَنُهُ كُنْهَهُ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ
اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ : إِنْ زَلْزَلْنَا السَّاعَةَ شَيْءَ عَظِيمٍ (أَوْ لِلتَّحْقِيرِ) كَمَا تَقُولُ الْحَاصِلُ لِي
مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ أَيْ حَقِيرٌ (كَمَا سَرَّ) مِنْ أَنْ زِيَادَةَ الْخُصُوصِ تَوْجِبُ أَتْمِيَّةَ
الْعَائِدَةِ (تَرْكُهُ) أَيْ تَرْكُ تَخْصِيصِ الْمُسْنَدِ بِالْإِضَافَةِ أَوْ الْوَصْفِ (مِمَّا سَبَقَ) فِي تَرْكِ
تَقْيِيدِ الْمُسْنَدِ لِمَنْعِهِ مِنْ تَرْبِيَةِ الْفَائِدَةِ (وَإِلِفَادَةِ السَّمْعِ إِلَى آخِرِهِ) قَالَ فِي الْإِبْرَاحِ
تَفْسِيرٌ هَذَا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ لِلشَّيْءِ صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ التَّعْرِيفِ وَيَكُونُ السَّمْعُ عَالِمًا
بِاتِّصَافِهِ بِإِحْدَاهُمَا دُونَ الْآخَرِي ، فَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تُخْبِرَهُ بِأَنَّهُ يَتَّصِفُ بِالْآخَرِي فَإِنَّكَ
تَعْمَدُ إِلَى اللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى الْأُولَى وَتَجْعَلُهُ مَبْتَدَأً وَتَعْمَدُ إِلَى اللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى الثَّانِيَةِ
وَتَجْعَلُهُ حَبْرًا ، فَتَفِيدُ السَّمْعَ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ مِنْ اتِّصَافِهِ بِالثَّانِيَةِ ، كَمَا إِذَا كَانَ لِلسَّمْعِ
أَخٌ يُسَمَّى زَيْدًا وَهُوَ يَعْرِفُهُ بِعَيْنِهِ وَاسْمِهِ ، وَلَكِنْ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ أَخُوهُ ،
وَإُرِدْتَ أَنْ تَعْرِفَهُ أَنَّهُ أَخُوهُ فَتَقُولُ لَهُ : زَيْدُ أَخُوكَ ، سِوَاهُ عَرَفَ أَنَّ لَهُ

أَوْ لَازِمَ حُكْمٍ كَذَلِكَ ، نَحْوُ : زَيْدٌ أَخُوكَ وَنَمَرُو المُنْطَلِقُ ،
باعتبار تعريف العهد أو الجنس وعكسهما ، والثاني قد يفيد قصر

أخاً ، ولم يعرف أن زيدا أخوه أو لم يعرف أن له أخاً أصلاً ، وإن عرف أن له أخاً في الجملة وأردت أن تعينه عنده قلت : أخوك زيد ، أما إذا لم يعرف أن له أخاً أصلاً فلا يقال ذلك لامتناع الحكم بالتعيين على من لا يعرفه المخاطب أصلاً ، فظهر الفرق بين قولنا زيد أخوك وقولنا أخوك زيد ، وكذا إذا عرف السامع إنساناً يسمى زيدا بعينه واسمه ، وعرف أنه كان من إنسان انطلق ولم يعرف أنه كان من زيد أو غيره . فأردت أن تعرفه أن زيدا هو ذلك المنطلق ، فتقول زيد المنطلق ، وإن أردت أن تعرفه أن ذلك المنطلق هو زيد ، قلت المنطلق زيد ، وكذا إذا عرف السامع إنساناً يسمى زيدا بعينه واسمه وهو يعرف معنى جنس المنطلق ، وأردت أن تعرفه أن زيدا متصف به فتقول زيد المنطلق ، وإن أردت أن تعين عنده جنس المنطلق ، قلت المنطلق زيد ، انتهى . فقوله هنا بآخر مثله مرتبط بقوله حكماً أي لإفادة السامع حكماً على أمر معلوم بأمر آخر ، مثل ذلك الأمر المحكوم عليه في أنه معلوم للسامع بإحدى طرق التعريف ، وقوله أو لازم حكم كذلك معطوف على حكماً أي أو لإفادة السامع لازم حكم على أمر معلوم بإحدى طرق التعريف بأمر آخر مثله ، وفي هذا إشارة إلى أن كون المبتدأ والخبر معلومين لا ينافي كون الكلام مفيداً للسامع فائدة مجهولة ، لأن ما يستفيد السامع من الكلام هو انتساب الخبر إلى المبتدأ ، أو كون المتكلم عالماً به ، والعلم بنفس المبتدأ والخبر لا يوجب العلم بانتساب أحدهما إلى الآخر ، وقوله باعتبار متعلق بمحذوف حال من المنطلق (والثاني) أي اعتبار تعريف الجنس (قد يفيد) وقد لا يفيد القصر كقول الخنساء .

الجنس على شيء ، تحقيقاً نحو : زيد الأمير ، أو مبالغة لِكَماله فيه ؛ نحو :
عمر والشجاع ، وقيل : الأسمُ مُتَعَيْنٌ لِلإبتداءِ لِذِلالاتِهِ عَلَى الذَّاتِ وَالصَّفَةِ
لِلخبريةِ لِذِلالاتِهَا عَلَى أمرِ نِسْبِيٍّ ؛ وَرُدَّ بِأَنَّ المَعْنَى الشَّخْصُ الَّذِي

إِذَا قَبِحَ البُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ * رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الحَسَنَ الجَمِيلًا
لم ترد أن ما عدا البكاء عليه فليس بحسن ولا جميل ، ولكنها أرادت أن
تقره في جنس ما حسنه الحسن الظاهر الذي لا ينكره أحد ومثله قول الآخر :
أَسُوذُ إِذَا مَا أَبَدَّتِ الحَرْبُ نَابِهَا وَفِي سَائِرِ الدَّهْرِ الغُيُوثُ المَرَاطِرُ
وقول حسان :

وَإِنَّ سَنَامَ المَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بِنْتِ مَخْزُومٍ وَوَالِدِكَ العَبْدُ
أراد أن يثبت له العبودية ثم يجعله ظاهر الأمر فيها معروفاً بها (نحو
زيد الأمير) إذا لم يكن أمير سواء (لِكَماله فيه) أى لِكَمال ذلك الجنس
في المقصور عليه أو لِكَمال المقصور عليه في الجنس (نحو عمرو والشجاع)
أى الكمال في الشجاعة ، فتخرج الكلام في صورة توهم أن الشجاعة لم توجد
إلا فيه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال . . . وبعد ،
فالمقصود قد يكون نفس الجنس مطلقاً ، أى من غير اعتبار تقييده بشيء كما
في الأمثلة المذكورة قبل ، وقد يكون الجنس باعتبار تقييده بظرف أو غيره ،
كقولك هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيراً ، ومثله قول الأعشى :

هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المِصْطَفَاةَ إِمَّا مَخَاضًا وَإِمَّا عِشَارًا

فإنه قصر عليه هبة المائة من الإبل حال كونها مخاضاً أو عشاراً لا هبة
المائة بأى حال كانت ولا الهبة مطلقاً ، سواء كانت هبة الإبل أو غيرها ، هذا .

لَهُ الصِّفَةُ صَاحِبُ الْإِسْمِ . وَأَمَّا كَوْنُهُ جَمَّةً : فَلِتَقْوَى أَوْ لِكَوْنِهِ سَبَبِيًّا

وقد ذكر الشيخ في دلائل الإعجاز للخبر المعرف باللام معنى غير ما ذكر دقيقاً ،
وذلك مثل قولك : هو البطل المحامي ، لا تريد أنه البطل المعهود ولا قصر جنس
البطل عليه مبالغة ونحو ذلك ، بل تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل
المحامي ، وهل حصلت معنى هذه الصفة ، وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى
يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟ فإن كنت قتله عدواً وتصورته حق تصوره
فعلبك صاحبك واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك ، وطريقه كطريق
قولك ، هل سمعت بالأسد ، وهل تعرف ماهو ؟ فإن كنت تعرفه فزيد هو هو
بعينه . ويزداد هذا المعنى ظهوراً بأن تكون الصفة التي تريد الإخبار بها عن
المبتدأ مجرأة على موصوف ، وإن أردت أن تسمع في ذلك ما تسكن للنفس إليه
سكون الصادي إلى برد الماء فاسمع قول ابن الرومي :

هُوَ الرَّجُلُ الْمَشْرُوكُ فِي جُلِّ مَالِهِ وَلَكِنَّهُ بِالْمَجْدِ وَالْحَمْدِ مُفْرَدٌ
وليس شيء أغلب على هذا الضرب من الذي ، فإنه يجيء كثيراً على أنك
تقدر شيئاً في وهمك ثم تعبر عنه بالذي ، ومثال ذلك قوله :

أَخُوكَ الَّذِي إِذَا تَدَعُهُ لِمَلَمَةٍ يُجِبُّكَ وَإِنْ تَغَضِبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضِبُ
وقول الآخر :

أَخُوكَ الَّذِي إِذَا رِبَّتَهُ قَالَ إِنَّمَا أَرَبْتُ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَانَ جَانِبُهُ
وهذا فن عجيب الشأن ، وله مكان من الفخامة والنبيل ، وهو من سحر
البيان الذي تقصر العبارة عن تأدية حقه (وقيل إلى آخره) ذهب الإمام
الرازي إلى أن الاسم في نحو زيد المنطلق والمنطلق زيد ، لما كان دالاً على
الذات تعين للابتداء تقدم أو تأخر ، والصفة لما كانت دالة على أمر نسي تعينت

لِما مرَّ ، واسْمِيَّتِها وَفِعْمِيَّتِها وَشَرْطِيَّتِها لِما مرَّ ، وَظَرْفِيَّتِها لِإِخْتِصَارِ الفِعْلِيَّةِ

للخبرية قدمت أو أخرت ، فأجاب المصنف بأن المنطلق لا يجعل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذي له الانطلاق ، وأنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون خبراً ، وزيد لا يجعل خبراً إلا بمعنى صاحب اسم زيد ، وأنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون مبتدأ (فللتقوى) أي تقوى الحكم الذي هو ثبوت المسند للمسند إليه أو سلبه ، كزيد قام وما زيد قام (أو لكونه سببياً) نحو زيد أبوه قائم (لما مر) أن أفراده يكون لكونه غير سببي مع عدم إفادة التقوى ، هذا وسبب التقوى في مثل زيد قام على ما ذكره السكاكي هو أن المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء ، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يسند إلى ذلك المبتدأ ، صرفه ذلك المبتدأ إلى نفسه سواء كان خالياً عن الضمير أو متضمناً له فينعتق بينهما حكم ، ثم إذا كان متضمناً لضميره المعتد به بأن لا يكون مشابهاً للخالي عن الضمير كما في زيد قائم . صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانياً فيكتسب الحكم قوة ، فعلى هذا يختص التقوى بما يكون مسنداً إلى ضمير المبتدأ ويخرج عنه نحو : زيد ضربته ، ويجب أن يجعل سببياً . وأما على ما ذكره عبد القاهر في دلائل الإعجاز وهو أن الاسم لا يوثق به معرى عن العوامل إلا لخديث قد نوى إسناده إليه ، فإذا قلت زيد فقد أشعرت قلب السامع بأنك تريد الإخبار عنه ، فهذا توطئة له وتقديم الإعلام به ، فإذا قلت قام دخل في قلبه دخول المأنوس وهذا أشد للثبوت ، وأمنع من الشبهة والشك . وبالجملة ليس الإعلام بالشيء بغتة مثل الإعلام به بعد التنبية عليه والتقدمة ، فإن ذلك يجري مجرى تأكيد الإعلام في التقوى ، فيدخل فيه نحو زيد ضربته وزيد مررت به (لما مر) فتكون اسمية لإفادة الثبوت وفعلية لإفادة التجدد ، قال السكاكي : وما تسمع من تفاوت الجملتين الفعلية والاسمية تجدداً وثبوتاً هو يطلعك على أنه حين ادعى المنافقون الإيمان

إِذْ هِيَ مُقَدَّرَةٌ بِالْفِعْلِ عَلَى الْأَصَحِّ . وَأَمَّا تَأْخِيرُهُ : فَإِنَّ ذِكْرَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ
أَهْمُّ كَمَا مَرَّ . وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ : فَلِتَخْصِيصِهِ بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ نَحْوُ : لَا فِيهَا غَوْلٌ ؛
أَيُّ بِخِلَافِ خُورِ الدُّنْيَا ، وَلِهَذَا لَمْ يُقَدِّمِ الظَّرْفُ فِي نَحْوِ : لَا رَيْبَ فِيهِ ،
لِئَلَّا يُفِيدَ ثُبُوتَ الرَّيْبِ فِي سَائِرِ كُتُبِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ مِنْ أَوَّلِ
الْأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ لَا نَعْتٌ كَقَوْلِهِ :

بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر جازين به جملة فعلية ، على معنى أحدثنا الدخول
في الإيمان ، وأعرضنا عن الكفر ليرجع ذلك عنهم كيف طبق المفصل في رد
دعواهم الكاذبة قوله تعالى : وما هم بمؤمنين ، حيث جرى به جملة اسمية ومع الباء
وعلى تفاوت كلام المناهذين مع المؤمنين ومع شياطينهم فيما يحكيه جل وعلا عنهم
وهو : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ،
تفاوتاً إلى جملة فعلية وهي آمنا ، وإلى اسمية ومع إن وهي إنا معكم ، كيف أصاب
شاكلة الرمي ، وعلى أن إبراهيم حين أجاب الملائكة عن قولهم له سلاماً بالنصب
بقوله لهم سلام بالرفع ، كيف كان عاملاً بالذي يتلى عليك في القرآن المجيد : وإذا
حييتهم بتحية نحيوا بأحسن منها . وتكون شرطية للاعتبارات المختلفة الحاصلة
من أدوات الشرط (إذ هي إلى آخره) يعني إنما قلنا إن الظرفية يثبت بها
اختصار الفعلية لأن الظرف في قولنا زيد عندك مقدر بالفعل على الأصح فصار
في تأويل الجملة لا بالاسم حتى يكون الظرف في تأويل المفرد (فلتخصيصه بالمسند
إليه) أي انصرف المسند إليه على المسند (نحو لا فيها غول) مثله قوله عز وعلا :
لكم دينكم ولي دين ، وقولك لمن يقول زيد إما قائم وإما قاعد فيرده بين القيام
والقعود من غير أن يخصه بأحدهما قائم هو (أي بخلاف خور الدنيا) فإنها تغتال
العقول (أو للتنبية إلى آخره) قال السكاكي : وإنما يصر إلى هذا التنبية لأن الظرف

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الشُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
أَوْ التَّفَاوُلِ ، أَوْ التَّشْوِيقِ إِلَى ذِكْرِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ :
ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا تَشْمُسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
﴿ تشبيه ﴾ كثير مما ذكر في هذا الباب والذي قبله غير مختص
بهما ، كالأكثر ، والحذف وغيرهما ؛ والفطن إذا أتقن اعتبار ذلك فيهما
لا يخفى عليه اعتباره في غيرها .

بتأخره عن المنكر يكون بالحمل على الوصف أولى منه بالحمل على الخبر الأمرين
بتماضدان في ذلك ، استدعاء المنكر في مقام الابتداء أن يوصف ليتقوى بذلك
فائدة الحكم ، وصلاحيه الظرف أن يكون من صفاته ، ولذلك لا يجب تقديم
الظرف على المنكر إذا كان موصوفاً ، قال الله تعالى : وأجل مسمى عنده ،
(كنوله له همم) وقوله تعالى : ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ،
وقول الشاعر :

نِكْلٌ جَدِيدٌ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنْتِي وَجَدْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيدِ
والبيت لحسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم (أرى النفاؤل) نحو :
* سَدَّتْ بَغْرَةٌ وَجْهَكَ الْأَيَّامُ *

(أو التشويق إلى ذكر المسند إليه) قال السكاكي : وحق هذا الاعتبار تطويل
الكلام في المسند وإلا لم يحسن ذلك الحسن (كنوله ثلاثة) وقول الآخر :

وَكَلَنَارِ الْحَيَاةِ فَمِنْ رَمَادٍ أَوْ آخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دُخَانٌ

﴿ أَحْوَالُ مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ ﴾

الْفِعْلُ مَعَ الْمَفْعُولِ كَالْفِعْلِ مَعَ الْفَاعِلِ ، فِي أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ ذِكْرِهِ مَعَهُ
إِفَادَةٌ تَلَبُّسِهِ بِهِ ، لَا إِفَادَةٌ وَقُوعِهِ مُطْلَقًا ، فَإِذَا لَمْ يُذْكَرْ مَعَهُ فَالْغَرَضُ
إِنْ كَانَ إِثْبَاتُهُ لِفَاعِلِهِ ، أَوْ نَهْيُهُ عَنْهُ مُطْلَقًا ، نُزِّلَ مَنْزِلَةَ اللَّازِمِ ، وَلَمْ
يُقَدَّرْ لَهُ مَفْعُولٌ ، لِأَنَّ الْمَقْدَرِ كَالْمَذْكُورِ ؛ وَهُوَ ضَرْبَانِ : لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُجْعَلَ
الْفِعْلُ مُطْلَقًا كِنَايَةً عَنْهُ مُتَعَلِّقًا مَفْعُولٍ مُخْصُوصٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ قَرِينَةٌ
أَوْ لَا ، الثَّانِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى : قُلْ هَؤُلَاءِ يَسْتَوُونَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟

والبيت لمحمد بن وهيب يمدح الممتصم بالله (الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل)
أصل هذا الكلام للشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز جعله تمهيداً للكلام على
حذف المفعول والعبارة الواضحة أن يقال : إن حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى
إليه حاله مع الفاعل . فكما أنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل ، كان غرضك أن
تفيد وقوعه منه ، لأن نفي وجوده في نفسه فقط ، كذلك إذا عديته إلى المفعول
كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه ، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل
فيهما إنما كان ليعلم التباسه بهما ، فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه به من جهة
وقوعه منه ، والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه ، أما إذا
أريد الإخبار بوقوعه في نفسه من غير إرادة أن يعلم بمن وقع أو على من وقع
فالعبرة عنه أنه يقال كان ضرب أو وقع ضرب أو وجد أو نحو ذلك من
ألفاظ تفيد الوجود المجرد . . . وإذا قد عرفت هذا فاعلم أن الفعل المنعدي إذا
أسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول ، فإما أن يكون الغرض لإثبات المعنى في نفسه

السَّكَاكِي : ثُمَّ إِذَا كَانَ الْمَقَامُ خِطَابِيًّا لَا اسْتِدْلَالِيًّا أَفَادَ ذَلِكَ مَعَ التَّعْمِيمِ ، دَفْعًا لِلتَّحَكُّمِ ، وَالْأَوَّلُ كَقَوْلِ الْبُحْتَرِيِّ فِي الْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ :

للفاعل من غير اعتبار عمومته وخصوصه ، ولا اعتبار تعلُّقه بمن وقع عليه . وأما أن لا يكون كذلك ، فإن كان الأول كان المتعدي بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول ، لأن ذكره ينقض الغرض ، ألا ترى أنك لو اقلت هو يعطى الدنانير كان المعنى بيان جنس ما تناوله الإعطاء نفسه ، لا بيان كونه معطياً ، ولا يقدر أيضاً لأن المقدر في حكم المذكور ، وهذا النوع قسمان : قسم هو مثل قوله تعالى : قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . المعنى : هل يستوى من له علم ومن لا علم له من غير أن يقصد النص على معلوم ، وقوله تعالى : وأنه هو أغنى وأقنى ، وقوله : وأنه هو أمات وأحيا ، على معنى أنه الذى منه الإغناء والإقناء والإحياء والإماتة . وهنا قال السكاكى : إذا كان المقام خطابياً يكتب فيه بمجرد الظن لاستدلالية يطلب فيه اليقين البرهاني ، أفاد ذلك مع العموم في أفراد الفعل بعلة إبهام أن القصد إلى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فيهما تحكماً ، ثم جعل قوْلهم في المبالغة فلان يعطى ويمنع ويصل ويقطع محتملاً لذلك ولتعميم المفعول ، وعنده الشيخ عبد القاهر مما يفيد أصل المعنى على الإطلاق من غير إشعار بشيء من ذلك . وقسم هو أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه ، إما لجرى ذكر ، أو دليل حال ، إلا أنك تنسيه نفسك وتخفيه ، وتوهم إنك لم تذكر ذلك الفعل إلا لأن تثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى شيء ، أو تعرض فيه لمفعول ، وهذا هو ما أراده المصنف بقوله أن يجعل الفعل مطلقاً كناية عنه متوالياً بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة . ومثاله قول السحترى يمدح المعتز بالله ويعرض المستعين بالله :

شَجُو حَسَادِهِ وَغَيْظُ عِدَائِهِ * أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاعٍ
أَيُّ أَنْ يَكُونَ ذُو رُؤْيَى وَذُو سَمْعٍ ، فَيُدْرِكُ مَحَاسِنَهُ وَأَخْبَارَهُ الظَّاهِرَةَ
الدَّالَّةَ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ الإِمَامَةَ دُونَ غَيْرِهِ فَلَا يَجِدُوا إِلَى مُنَازَعَتِهِ سَبِيلًا ،
وَإِلَّا وَجِبَ التَّقْدِيرُ بِحَسَبِ الْقَرَأَيْنِ . ثُمَّ الحَذْفُ إِمَّا لِلبَيَانِ بَعْدَ

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع
المعنى لا محالة أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واع أخباره ، بيد أنه تغافل
عن ذلك ، لأنه أراد أن يقول محاسن الممدوح وآثاره لم تخف على من له بصير
لكثرتها واشهارها ، ويكفي في معرفة أنها سبب لاستحقاقه الإمامة دون
غيره ، أن يقع عليها بصر ويعنيها سمع لظهور دلالتها على ذلك لكل أحد ،
فحساده وأعداؤه يتمنون أن لا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع
بها كي يخفى استحقاقه للإمامة ، فيجدوا بذلك سبيلا إلى منازعته إياها ، ومن
هذا قول طفيل الغنوي لبني جعفر بن كلاب :

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أُرِيقَتْ بِنَا نَعْمُنَا فِي الْوَاطِنِينَ فَرَلَّتِ
أَبْوَا أَنْ يَمَلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنَا تَلَاقَى الَّذِي لَأَقْوَهُ مِنَّا لَمَاتِ
هُمْ خَلَطُونَا بِالنَّفُوسِ وَالْجَنُودِ إِلَى حُجُرَاتٍ أَدْفَلَتْ وَأَظْلَمَتْ
فقد حذف المفعول في أربعة مواضع ، لأن الأصل ملاتنا والجنونا وأدقاتنا
وأظلماتنا ، إلا أنه كالمتناسي حتى كأن لا قصد إلى منفعول وكان الفعل أهم أمره
فلم يقصد به شيء يقع عليه ، وإن كان الثاني وهو أن يكون الغرض إفادة
تعلقه بمفعول وجب تقديره بحسب القرائن ، ثم حذفه من اللفظ إما للبيان بعد
الإبهام كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة ، كقولك لو شئت
جئت أو لم أجيء . أي لو شئت الخيء أو عدمه الجيء . فإنك متى قلت لو

الإيهام كما في قتل المشيئة ، ما لم يكن تعلقه به غريباً ، نحو : فلو شاء
لهداكم أجمعين ، بخلاف نحو : * ولو شئت أن أبكي دماً لبيكته *
وأما قوله :

شئت علم السامع أنك علقت المشيئة بشيء فيقع في نفسه أن هناك شيئاً تعلقت
به مشيئتك بأن يكون أولاً يكون ، فإذا قلت جئت أو لم أجي عرف ، ذلك
الشيء ، ومنه قوله تعالى : فلو شاء لهداكم أجمعين ، وقوله تعالى : من يشأ الله
يضلله ، وقول طرفة :

فإن شئت لم ترقا وإن شئت أرتقت

خجافة تلوي من القد محصداً (١)

وقول البحتري :

لو شئت عدت بلاد نجد عودة . فحللت بين عقيقه وزروده
وقوله أيضاً :

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كراماً ولم تهديم مآثر خالد

فإن كان في تعلق الفعل به غرابة ، ذكرت المفعول لتقرره في نفس السامع
وتؤنسه به ، يقول الرجل يخبر عن عزه لو شئت أن أرد على الأمير رددت ،
وإن شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته ، وعليه قول الخزيمي يرثي أبا الهيثم :
ولو شئت أن أبكي دماً لبيكته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

(١) الإرقال : سرعة السير ، وناقاة مرقال ومرقلة : سريعة ، والقدا :

السوط من الجلد ، والمحصدا : كالملوي المقتول .

وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي الشَّوْقُ غَيْرَ تَفَكُّرِي فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ بِكَيْتِ تَفَكُّرًا
فَلَيْسَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ الْبُكَاءَ الْحَقِيقِي ، وَإِمَّا لِدَفْعِ تَوْهَمِ إِرَادَةِ
غَيْرِ الْمُرَادِ ابْتِدَاءً كَقَوْلِهِ :

وَكَمْ ذُدَّتْ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ نَحَاثٍ وَسُورَةِ أَيَّامِ حَزْزِنَ إِلَى الْعَظْمِ
إِذْ لَوْ ذُكِرَ اللَّحْمُ لَرُبَّمَا تَوَهَّمْتُ قَبْلَ ذِكْرِ مَا بَعْدَهُ أَنَّ الْحَزْنَ لَمْ يَنْتَهَ

فلما كان أن يشاء الإنسان أن يبكي دماً بدءاً عجيباً ، صرح بذكره ليقرره
في نفس السامع ويؤنسه ، فأما قول أبي الحسين علي بن أحمد الجوهري أحد
شعراء الصاحب بن عباد :

ولم يبق مني الشوق غير تفكري فلو شئت أن أبكي بكيت تفكرا
فليس منه لأنه لم يرد أـ يقول فلو شئت أن أبكي تفكراً بكيت تفكراً ،
ولكنه أراد أن يقول أفناني النحول فلم يبق مني وفي غير خواطر تجول ، حتى
لو شئت البكاء فريت جفوني وعصرت عيني ليسيل منها دم لم أجده ويخرج
بدل الدمع التفكر ، فالمراد بالبكاء في الأول الحقيقي ، وفي الثاني غير الحقيقي ،
فالثاني لا يصلح لأن يكون تفسيراً للأول ، وإما لدفع أن يتوهم السامع في أول
الامر إرادة شيء غير المزمع . كقول البحري في قصيدته التي أولها :

هـ أعن سفه يوم الأبيرق أم حلم

وهو يذكر محاباة الممدوح عليه وصيانته له ، ردفعه نواب الزمان عنه
وكم ذدت عنى من تحامل حادث وسورة أيام حزن إلى العظم
إذ لو قال حزن اللحم لجاز أن يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده أن الحز
كان في بعض اللحم ولم ينته إلى العظم ، فترك ذكر اللحم ليرى السامع من
هذا الوهم ويجعله بحيث يقع المسمى منه في أنف النهم ويصور في نفسه من أول

إِلَى الْعَظْمِ ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ أُرِيدَ ذِكْرُهُ ثَانِيًا عَلَى وَجْهِ يَتَضَمَّنُ إِيقَاعَ الْفِعْلِ
عَلَى صَرِيحِ لَفْظِهِ ، إِظْهَارًا لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ بِوُقُوعِهِ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ :
قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّورِ * دَدٍ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلًا
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ تَرْكُ مُوَاجَهَةِ الْمَدْحِ بِطَلَبِ مِثْلِ لَهُ ؛ وَإِمَّا
الْتِّعْمِيمَ مَعَ الْإِخْتِصَارِ كَقَوْلِكَ : قَدْ كَانَ مِنْكَ مَا يُؤْلَمُ ، أَيْ كُلُّ أَحَدٍ ،
وَعَلَيْهِ : وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَلِيلِ السَّلَامِ . وَإِمَّا لِمَجْرَدِ الْإِخْتِصَارِ عِنْدَ قِيَامِ

الامر أن الحز مضي في اللحم حتى لم يرده إلا العظم ، وإما لأنه أريد ذكره
ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه ، إظهاراً لكمال العناية
بوقوعه عليه ، كقول البحرى أيضاً :

قد طلبنا فلم نجد لك في السور دد والمجد والمكارم مثلاً
المعنى قد طلبنا لك مثلاً ثم حذف المثل ، إذ كان غرضه أن يوقع نفي
الوجود على صريح لفظ المثل ، ولأجل هذا المعنى بعينه عكس ذوالرمة في قوله :

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأَرْضِيهِ بِشِعْرِي لَتِيماً أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَا لَا
فإنه أعمل الفعل الأول الذي هو أمدهح في صريح لفظ اللئيم ، والثاني الذي
هو أرضى في ضميره ، إذ كان غرضه إيقاع نفي المدح على اللئيم صريحاً دون
الإرضاء ، ويجوز أن يكون سبب الحذف في بيت البحرى قصد المبالغة في
التأديب مع الممدوح بترك مواجئته بالتصريح بما يدل على تجويز أن يكون له
مثل ، فإن العاقل لا يطلب إلا ما يجوز وجوده .

قَرِينَةٍ ، نَحْوُ : أَصَغَيْتُ إِلَيْهِ ، أَيِ أُذُنِي ، وَعَلَيْهِ : أَرِنِي أَنْظِرْهُ إِلَيْكَ ، أَيِ ذَاتِكَ ، وَإِمَّا لِلرَّتَابَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ ، نَحْوُ : مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ، وَإِمَّا لِاسْتِهْجَانِ ذِكْرِهِ ، كَقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . مَا رَأَيْتُ مِنْهُ وَلَا رَأَى مِنِّي ، أَيِ الْعَوْرَةِ ، وَإِمَّا لِلسُّكُوتِ أُخْرَى . وَتَقْدِيمُ مَفْعُولِهِ وَنَحْوِهِ عَلَيْهِ ، لِرَدِّ الْخَطَأِ فِي التَّعْيِينِ ، كَقَوْلِكَ : زَيْدًا عَرَفْتُ ، لِمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّكَ عَرَفْتَ إِنْسَانًا ، وَأَنَّهُ غَيْرُ زَيْدٍ ، وَتَقَوْلُ لِنَأْ كِيدِهِ لَا غَيْرَهُ . وَلِذَلِكَ لَا يُقَالُ : مَا زَيْدًا

وقد بين المصنف بقية أسباب الحذف بقوله وإما للتعميم إلى آخره (نحو ماودعك ربك وما قلى) أى ما قلاك . وقال صاحب الكشاف : حذف المفعول فى مثل هذا اختصار لفظى للعلم به . وقال بعضهم : إن الحذف هنا لترك مواجهته عليه السلام بإيقاع لفظ القلى على ضميره ولو كان متفياً ولم يفعل ذلك فى ودع لأن لفظ ودع ليس كلفظ قلى (وإما لسكوتة أخرى) كالتمكن من إنكاره إن مست الحاجة إليه أو تعينه أو ادعاء تعينه أو نحو ذلك ، قال الله جل شأنه : لينذر بأساً شديداً ، أى لينذر الذين كفروا الحذف لتعينه ، ولأن الغرض هو ذكر المنذر به (ونحوه) من الجار والظرف والحال وغيرها من سائر المعمولات (عليه) أى على الفعل (ارد الخطأ فى التعيين) أى لرد المتكلم خطأ المخاطب فى ظنه وقوع الفعل على مفعول معين . وقد يكون لرد الخطأ فى ظن الاشتراك فى المفعول ، فتقوا زيدا عرفت ، لمن اعتقد أنك عرفت زيدا وعمراً (ولهذا لا يقال ما زيدا ضربت ولا غيره) لاقضية دلالة الأول والثانى . وهذا كما هو ظاهر عند إرادتك أن ترد على المخاطب فى اعتقاده وقوع الضرب منك على زيد ، أما إذا لم ترد ذلك فإنه يجوز لك أن تقول : ما زيدا ضربت ولا غيره .

ضَرَبْتُ وَلَا غَيْرُهُ ، وَلَا مَازِيدًا ضَرَبْتُ وَلَكِنْ أَكْرَمْتُهُ ، وَأَمَّا نَحْوُ زَيْدًا
عَرَفْتُهُ فَتَأْكِيدًا ، إِنْ قُدِّرَ الْمُسَرُّ قَبْلَ الْمَنْصُوبِ ، وَإِلَّا فَتَخْصِيصٌ . وَأَمَّا
نَحْوُ : وَأَمَّا تَمُودُ فَيَهْدِينَا ، فَلَا يَفِيدُ إِلَّا التَّخْصِيصَ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُكَ يَزِيدُ

(ولا مازيداً ضربت ولكن أكرمته) لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ واقع في الفعل بأنه الضرب فترده إلى الصواب بأنه الإكرام وإنما هو على أن الخطأ في المضروب حين اعتقد أنه زيد فترده إلى الصواب أن تقول ولكن عمراً (إن يُقدر المُسر قبل المضروب) فكان الأصل عرفت زيدا عرفته (وإلا) أي وإن لم يقدر المُسر قبل المنصوب بل قدر بعده فكان الأصل زيدا عرفت عرفته (فتخصيص) لأن المقدر كالمذكور فكما أن تقدم المفعول على الفعل المذكور يفيد الاختصاص كذلك تقديمه على المقدر . « وبعد » فقد علمت أن نحو زيدا عرفته يحتمل التخصيص بمجرد التأكيدهم والقرينة هي المعول عليها في إفادة أحدهما ، وإذا دلت على التخصيص كان في هذا التركيب أبلغ منه في نحو : زيدا عرفت . لما فيه من التكرير المفيد للتأكيدهم . ومعلوم أن ليس التخصيص إلا تأكيدهم على تأكيدهم ، فيتقوى بازدياد التأكيدهم لا محالة ، ومن هنا قال صاحب الكشاف في قوله جل شأنه : وإياي فارهبون ، أنه من باب زيدا ودنيه وهو أوكد في إفادة الاختصاص من إياك نعبد (فلا يفيد إلا التخصيص) لامتناع تقدير ، أما فهدينا ثمود لا التزامهم وجود فاصل بين ألها والنفاء . « وبعد » فالظاهر أن مثل هذا التقديم ليس للتخصيص لأنه ليس الغرض إنا هدينا ثمود دون غيرهم رداً على من زعم الاشتراك أو انفراد الغير بالهداية ، وإنما الغرض إثبات أصل الهداية لهم ثم الإخبار عن سوء صنيعهم (وكذلك قولك يزيد مررت) فإنه يفيد أن سامعك كان يعتقد مرورك

مررت . والتخصيص لأزم للتقديم غالباً ولهذا يقال في : إياك نعبد وإياك
نستعين ، معناه نخفك بالعبادة والاستعانة ، وفي : لا إله إلا الله تحشرون ،
معناه إليه تحشرون لا إلى غيره ؛ ويفيد في الجميع وراء التخصيص اهتماما

بغير زيد فأزلت عنه الخطأ مخصصاً مروك بزيد دون غيره (غالباً) يريد أن
التقديم قد لا يكون الاختصاص بأن يكون لمراعاة نظم الكلام مثلا وذلك أن
يكون نظمه لا يحسن إلا بالتقديم مثل قوله جل وعلا : خذوه فغلوه ثم الجحيم
صلوه ثم في سلسلة ذرعا سبعون ذراعا فاسلكوه ، وقوله جل شأنه : وإن
عليكم لحافظين . إلى ربها ناظرة . فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تهر وأما
بنعمة ربك فحدث . إلى غير ذلك من المواضع التي لا يحسن فيها اعتبار التخصيص
لنحو المقام عنه ، كما نبه على ذلك صاحب المثل السائر (ويفيد في الجميع
وراء التخصيص اهتماماً بالمقدم) قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل
والمفعول : — كأنهم يقدمون الذي شأنهم أهم وهم بديانته أعنى ، وبعد ، فقد
قال الشيخ الإمام في دلائل الإعجاز : اعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا في التقديم شيئاً
يجرى مجرى الأصل غير العناية والاهتمام ، لكن ينبغي أن يفسر وجه العناية
بشيء ويعرف له معنى ، وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدم
للعناية ، ولأن ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ولم كان
أهم ، ومن الخطأ أيضاً أن يجعل التقديم مفيداً في كلام فائدة وغير مفيد في
آخر ، وأن يعمل تارة بالعناية ، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكتاب ،
حتى تطرد لهذا قوافيه ، ولذلك يجعه ، ذلك لأن من البعيد أن تكون في جملة

بالمقدم ، ولهذا يقدر في بسم الله مؤخرًا ، وأورد : اقرأ بسم ربك
وأجيب بأن الأهم فيه القراءة ، وبأنه متعلق بإقرأ الثاني ، ومعنى الأول
أوجد القراءة . وتقديم بعض معمولاته على بعض لأن أصله التقديم
ولا مقتضى للعدول عنه ، كالفاعل في نحو : ضرب زيد عمرًا ، والمفعول
الأول في نحو : أعطيت زيدًا درهما ، أو لأن ذكره أهم كقولك :

النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى (ولهذا يقدر في بسم الله مؤخرًا) ليفيد
مع الاختصاص الاهتمام ، لأن المشركين كانوا يبدون بأسماء آلهتهم فقصد
الموحد تخصيص اسم الله بالابتداء للاهتمام والرد عليهم (وأورد اقرأ باسم)
فإن الفعل فيه مقدم (وأجيب بأن الأهم فيه القراءة) لأنها أول سورة
نزلت ، فكان الأمر بالقراءة أهم من الأمر باختصاص القراءة باسم الله ، إذ
لا يناسب المقام وأصل هذا لصاحب الكشف . (وبأنه إلى آخره) هذا
ما أجاب به السكاكي وإليك عبارته . الوجه عندي أن يحمل اقرأ على معنى
افعل القراءة وأوجدها ، على نحو ما تقدم في قولهم فلا يعطى ويمنع في أحد
الوجهين غير معدي إلى مقروء به ، وأن يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذي
بعده . ولا يذهب عليك أن ما ارتآه الزمخشري هو بالبلاغة الصق وبنظم القرآن
أليق (أو لأن ذكره أهم) قال في الإيضاح : فيقدم المفعول على الفاعل
إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه بمن وقع
منه كما إذا خرج رجل على السلطان وعات في البلاد وكثر منه الأذى والقتل ،
وأردت أن تخبر بقتله فتقول قتل الخارجي فلان بتقديم الخارجي ، إذ ليس للناس
فائدة في أن يعرفوا قاتله ، وإنما الذي يريدون عليه هو وقوع القتل به ليخلصوا
من شره . ويقدم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل بمن

قَتَلَ الْخَارِجِيَّ فُلَانًا ، أَوْ لِأَنَّ فِي التَّأخِيرِ إِخْلَالَ بَيَانِ الْمَعْنَى ، نَحْوُ :
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ، فَإِنَّهُ لَوْ أَخَّرَ مِنْ آلِ
فِرْعَوْنَ عَنْ قَوْلِهِ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ لَتَوَهُمَ أَنَّهُ مِنَ صِلَةِ يَكْتُمُ ، فَلَمْ يُفْهِمُ
أَنَّهُ مِنْهُمْ ، أَوْ بِالتَّنَاسُبِ كَرِعَايَةِ الْفَاصِلَةِ نَحْوُ : فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ
خَيْفَةً مُوسَى .

وقع منه لا وقوعه بمن وقع عليه ، كما إذا كان رجل ليس له بأس ولا يقدر
فيه أن يقتل فقتل رجلاً وأردت أن تخبر بذلك فتقول قتل فلان رجلاً بتقديم
القاتل ، لأن النى يعنى الناس من شأن هذا القتل ندوره وبعده من الظن ،
ومعلوم أنه لم يكن نادراً ولا بعيداً من حيث كان واقعاً على من وقع عليه ، بل
من حيث كان واقعاً بمن وقع منه ، وعليه قوله تعالى : ولا تقتلوا أولادكم من
إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، وقوله جل شأنه : ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق
نحن نرزقهم وإياكم . قدم المخاطبين في الأولى دون الثانية لأن الخطاب في الأولى
للفقراء بدليل قوله تعالى : من إملاق ، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق
أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب في الثانية
للأغنياء بدليل قوله خشية إملاق ، فإن الخشية إنما تكون بما لم يقع فكان
رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم ، لأنه حاصل فكان أهم ، فقدم الوعد
برزق أولادهم على الوعد برزقهم (أو بالتناسب) أى أو لأن في التأخير
إخلاقاً بالتناسب (نحو فأوجس) الآية ، فقدم خيفة على موسى مع أنه فاعل
لرعاية ما بعده وما قبله من الفواصل المختومة بالألف إذ لو أخر خيفة لقات ذلك

﴿ الْقَصْر ﴾

الْقَصْرُ حَقِيقِيٌّ ، وَغَيْرُ حَقِيقِيٍّ ، وَكُلُّ مَنِهْمَا نَوْعَانِ : قَصْرُ الْمُوصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ ، وَقَصْرُ الصِّفَةِ عَلَى الْمُوصُوفِ ؛ وَالْمُرَادُ الْمَعْنَوِيَّةُ لَا النَّعْتُ ؛ وَالْأَوَّلُ مِنَ الْحَقِيقِيِّ نَحْوُ : مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ إِذَا أُرِيدَ أَنَّهُ لَا يَتَّصِفُ بِغَيْرِهَا وَهُوَ لَا يَكَادُ يُوْجَدُ لِتَعَزُّرِ الْإِحَاطَةِ بِصِفَاتِ الشَّيْءِ ، وَالثَّانِي كَثِيرٌ نَحْوُ : مَا فِي الدَّارِ إِلَّا زَيْدٌ ، وَقَدْ يُقْصَدُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ ، لِعَدَمِ الْإِعْتِدَاءِ بِغَيْرِ الْمَذْكُورِ ، وَالْأَوَّلُ مِنَ غَيْرِ الْحَقِيقِيِّ تَخْصِيصُ أَمْرٍ بِصِفَةٍ دُونَ أُخْرَى أَوْ مَكَانَهَا ، وَالثَّانِي تَخْصِيصُ صِفَةٍ بِأَمْرٍ دُونَ أُخْرٍ أَوْ مَكَانَهُ ؛ فَكُلُّ مَنِهْمَا

(القصر) في اصطلاح البيانين تخصيص شيء بشيء بطريق معهود (حقيقي) بأن يكون تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوزه أصلاً (وغير حقيقي) وهو الإضافي بأن يكون بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر (والمراد المعنوية) يقول : إن الصفة هنا يراد بها المعنى القائم بالذات لا النعت النحوي وهو التابع الذي يدل على معنى في متبوعه غير الشمول (بغيرها) أي بغير الكتابة (لتعذر الإحاطة بصفات الشيء) وإذن فلا يمكن إثبات شيء منها ونبي ما عداها (وقد يقصد به المبالغة) كما يقصد بقولنا ما في الدار إلا زيد ، أن جميع من في الدار من عدا زيدا في حكم المعدوم (فكل منهما) أي كل قسم من قسمي الإضافي وهما قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة

خَرَبَانِ ، وَالْمُخَاطَبُ بِالْأَوَّلِ مِنْ ضَرْبِي كُلِّ مَنْ يَعْتَقِدُ الشَّرِكَةَ
وَيُسَمَّى قَصْرَ إِفْرَادٍ لِقَطْعِ الشَّرِكَةِ ، وَبِالثَّانِي مَنْ يَعْتَقِدُ الْعَكْسَ وَيُسَمَّى
قَصْرَ قَلْبٍ ، لِقَلْبِ حُكْمِ الْمُخَاطَبِ ، أَوْ تَسَاوِيَا عِنْدَهُ وَيُسَمَّى قَصْرَ تَعْيِينِ

على الموصوف (ضربان) الأول تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص
صفة بأمر دون آخر والثاني تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة
بأمر مكان آخر (من يعتقد الشركة) أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة
وغيرها جميعاً في الأول واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعاً بتلك الصفة في الثاني
فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا كاتب من يعتقد أن زيدا كاتب وشاعر وبقولنا ما
شاعر إلا زيد من يعتقد أن زيدا شاعر لكن يدعى أن عمراً أيضاً شاعر (من
يعتقد العكس) أي عكس الحكم الذي أثبتته المتكلم فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا
قائم من اعتقد اتصافه بالقيوم دون القيام ، وبقولنا ما شاعر إلا زيد من اعتقد
أن الشاعر عمرو ولا زيد (أو تساوياً عنده) هو معطوف على قوله يعتقد العكس
يقول : إن المخاطب بالثاني إما من يعتقد العكس أو من تساوى عنده الأمران
أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة ، واتصافه بغيرها في الأمر واتصافه بها
واتصاف غيره بها في الثاني ، فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا قائم من يعتقد اتصافه
بالقيام أو القعود من غير علم بالتعيين ، وبقولنا ما شاعر إلا زيد من يعتقد أن
الشاعر زيد أو عمرو من غير أن يعلمه على التعيين ، والحاصل ، أن تخصيص
شيء بشيء دون آخر قصر أفراد وتخصيص شيء بشيء مكان آخر إن اعتقد
المخاطب فيه العكس قصر قلب ، وإن تساوى عنده قصر تعيين ، والذي يشعر به
عبارة السكاكي أن القسمة ثنائية وأر ما جعله المصنف قسماً ثالثاً وسماه قصر
تعيين منظوم في سلك قصر الأفراد ، ونوع منه وهالك عبارة : حاصل معنى

وَشَرَطُ قَصْرِ الْمُوصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ إِفْرَادًا عَدَمُ تَنَافِي الوَصْفَيْنِ ، وَقَلْبًا
تَحَقُّقُ تَنَافِيهِمَا ، وَقَصْرُ التَّعْيِينِ أَعْمٌ ؛ وَلِلْقَصْرِ طُرُقٌ : مِنْهَا الْعَطْفُ ، كَقَوْلِكَ
فِي قَصْرِهِ إِفْرَادًا : زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا كَاتِبٌ ، أَوْ مَا زَيْدٌ كَاتِبًا بَلْ شَاعِرٌ ،
وَقَلْبًا : زَيْدٌ قَائِمٌ لَا قَاعِدٌ ، وَمَا زَيْدٌ قَاعِدًا بَلْ قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : زَيْدٌ شَاعِرٌ
لَا عَمْرُو ، أَوْ مَا عَمْرُو شَاعِرًا بَلْ زَيْدٌ . وَمِنْهَا النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ ، كَقَوْلِكَ

القصر راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان كقولك
زيد شاعر لا منجم لمن يعتقد شاعراً ومنجماً ، أو قولك زيد قائم لا قاعد لمن
يتوهم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح ويسمى هذا قصر أفراد أو بوصف
مكان آخر كقولك لمن يعتقد زيدا منجماً لا شاعراً ما زيد منجم بل شاعر ،
أو زيد شاعر لا منجم ويسمى هذا قصر قلب ، أو إلى تخصيص الوصف بوصف
قصر أفراد أو قصر قلب والمثل ظاهره وهو كلام متين وتقسيم قريب (عدم
تنافي الوصفين) ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما ، فتكون المنفية في قولنا
ما زيد شاعر كونه كاتباً أو منجماً أو نحو ذلك لا كونه منجماً لا يقول الشعر
(وقلباً تحقق تنافيهما) ليكون إثبات الصفة مشعراً بانتفاء غيرها فتكون المنفية
في قولنا : ما زيد إلا قائم كونه قاعداً أو جالساً أو نحو ذلك لا كونه أسود
أو أبيض (وقصر التعيين أعم) وإذن فكل ما يصلح أن يكون مثالا لقصر
الإفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالا لقصر التعيين من غير عكس .
وبعد ، فقصد أهمل السكاكي القصر الحقيقي وأدخل قصر التعيين في قصر
الأفراد كما علمت ، فلم يشترط في قصر الموصوف أفراداً عدم تنافي الصفتين ،
ولا في قصره قلباً تحقق تنافيهما وحيداً صنيعة ، وكان أمس بالمصنف أن يحذو
حدوه في ذلك كما لا يخفى على طبع الذكي وقلب الفطن (كقولك في قصره

في قصره : ما زيد إلا شاعر ، وما زيد إلا قائم ، وفي قصرها : ما شاعر إلا زيد ؛ ومنها إنما كقولك في قصره : إنما زيد كاتب وإنما زيد قائم ، وفي قصرها : إنما قائم زيد ، لتضمنها معنى ما وإلا ، لقول المفسرين : إنما حرم عليكم الميتة ، بالنصب ، معناه ما حرم عليكم إلا الميتة وهو المطابق

ما زيد إلا شاعر إلى آخره) قال الساكبي : وتحقيق وجه القصر في الأول أنه متى قيل ما زيد توجه النفي إلى صفة لاداته ، لأن أنفس الذوات يمتنع نفيها وإنما تنفي صفاتها كما بين ذلك في غير هذا العلم وحيث لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك وإنما النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناوبها النفي ، فإذا قيل إلا شاعر جاء القصر ، وفي الثاني أنه متى قيل ما شاعر فأدخل النفي على الوصف المسلم ثبوته ، أعنى الشعر الغير من الكلام فيهما كزيد وعمرو مثلاً توجه النفي إليهما ، فإذا قيل إلا زيد جاء القصر (لتضمنها معنى ما وإلا) يقول : إن السبب في إقادة إنما معنى القصر هو تضمنها معنى ما وإلا . والدليل على ذلك ثلاثة أوجه : أولها قول المفسرين في قوله تعالى : إنما حرم عليكم الميتة ، نصب الميتة إن المعنى ما حرم عليكم إلا الميتة ، وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميتة المقتضية لانحصار التحريم على الميتة ، بسبب أن ما في قراءة الرفع يكون موصولاً صلته حرم عليكم واقعاً اسماً لأن ويكون المعنى إن المحرم عليكم الميتة وقد سبق أن المنطوق زيد وزيد المنطوق ، كلاهما يقتضى انحصار الانطلاق على زيد ؛ الثاني أنك ترى أئمة النحو يقولون إنما تأتي إثباتاً لما يذكر بعدها ونهياً لمساواة ، الثالث صحة انفصال الضمير معها كقولك إنما يضرب أمثله في ما يضرب إلا أنا . قال الفرزدق : أنا الزائد . . . البيت ، كما قال عمرو بن معد يكرب

لِقِرَاءَةِ الرَّفْعِ ، لِمَا مَرَّ ، وَلِقَوْلِ النَّجَّاحِ : إِنَّمَا لِإِثْبَاتِ مَا يُدْكَرُ بَعْدَهَا ،
وَنَفْيِ مَا سِوَاهُ ، وَاصِحَّةِ انْفِصَالِ الضَّمِيرِ مَعَهَا ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَنَا الذَّائِدُ الْحَامِي الذَّمَّارُ وَإِنَّمَا * يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي
وَمِنْهَا التَّقْدِيمُ ، كَقَوْلِكَ فِي قَصْرِهِ : تَمَيَّيْتُ أَنَا ، وَفِي قَصْرِهَا : أَنَا كَفَيْتُ

قَدْ بِهَامَتْ سَامِي وَجَارَاتِهَا مَا قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا

قال الشيخ عبد القاهر : اعلم أن الذي صنعه الفرزدق شيء لو لم يصنعه لم
يصح له المعنى ، ذلك لأن غرضه أن يخص المدافع لا المدافع عنه ، وأنه يزعم
أن المدافعة منه تكون عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم كما يكون إذا قال
وما أَدافع إلا عن أحسابهم ، وليس ذلك معناه ، إنما معناه أن يزعم أن المدافع
هو لا غيره ، قال : ولا يجوز أن ينسب فيه إلى الضرورة فيجعل مثلاً نظير
قول الآخر :

* كَأَنَّ يَوْمَ قُرَيْشٍ إِنَّمَا نَقُتِلُ إِيَّانَا *

لأنه ليس به ضرورة إلى ذلك من حيث أن أَدافع ويدافع واحد في
الوزن . وهذا ، وقد نقل في تضمنها معنى ما وإلا مناسبة عن علي بن عيسى
الرابعي وهي أنه لما كانت كلمة إن لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ثم اتصلت
بها ما المؤكدة لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو ، ناسب أن
تضمن معنى القصر ، لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد ، فإن قولك زيد
جاء لا عمرو لمن يردد المعنى الواقع بينهما يفيد إثباته لزيد في الابتداء صريحاً
وفي الآخر ضمناً (أنا كفيت مهمك) بمعنى وحدي إذا كنت تخاطب به من
يعتقد أنك وغيرك كفتيها مهمه ، وبمعنى لا غيري إذا كان المخاطب يعتقد

مُهْمَكَ وَهَذِهِ الطَّرِيقُ تَخْتَلِفُ مِنْ وَجُوهِ فِدَالَةِ الرَّابِعِ بِالفَحْوَى ، وَالبَاقِيَةَ
بِالْوَضْعِ وَالْأَصْلِ فِي الْأَوَّلِ النَّصِّ عَلَى الْمُثَبَّتِ وَالْمُنْفَى كَمَا مَرَّ ، فَلَا يُتْرَكُ
إِلَّا كَرَاهَةً الْإِطْنَابِ ، كَمَا إِذَا قِيلَ : زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَالتَّصْرِيْفَ وَالْعَرُوضَ ،
أَوْ زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَعَمْرُو وَبَكْرٌ ، فَتَقُولُ فِيهِمَا زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ لِأَغْيَرُ
أَوْ نَحْوَهُ ، وَفِي الثَّلَاثَةِ البَاقِيَةِ النَّصِّ عَلَى الْمُثَبَّتِ فَقَطْ ، وَالنَّفْيُ لَا يُجَامَعُ

أن غيرك كفي مهمه دونك (الرابع) وهو التقديم (بالفحوى) أى بمفهوم الكلام ، بمعنى أنه إذا تأمل من له الذوق السليم فى مفهوم الكلام الذى فيه التقديم فهم منه القصر وإن لم يعرف أنه فى اصطلاح البلغاء كذلك (والأصل إلى آخره) هذا هو الوجه الثانى من وجوه الاختلاف (فى الأول) وهو طريق العطف (كما مر) من الأمثلة ، فإن المعطوف عليه فى لا هو المثبت والمعطوف هو المنفى وفى بل بالعكس (زيد يعلم النحو لاغير) أما فى الأول فعناه لا غير النحو وهو قائم مقام لا التصريف ولا العروض ، وأما فى الثانى فعناه لا غير زيد وهو قائم مقام لا عمرو ولا بكر (أو نحوه) أى أو نحو لا غير مثل ليس إلا (والنفى إلى آخره) يقول الوجه الثالث من وجوه الاختلاف أن النفى بلا العاطفة لا يجامع النفى والاستثناء ، فلا يصح ما زيد إلا قائم لا قاعد ، لأن شرط جواز النفى بلا ، أن لا يكون ما قبلها منفيًا بغيرها من أدوات النفى ، لأنها موضوعة لأن ينفى بها ما أوجبه للمتبوع ، لا لأن تنفيدها شيئاً قد نفي أولاً أو تنفى بها نفيًا فنعود إيجاباً ، وإذا كان ذلك كذلك تعذر أن ينفى بها بعد النفى والاستثناء . لأنك إذا قلت ما زيد إلا قائم ، فالغرض نفي كل صفة وقع فيها التنازع والصفة التى تنفيها بلا بعد هذا يجب أن تسكن مما رقع فيها النزاع ، وإلا خرجت عما يراعى فى خطاب

الثاني ، لأنَّ شرطَ المنفيِّ بلا أن لا يكونَ منفيًّا قبلها بغيرها ، ويُجامعُ
الأخيرين ، فيقال : إنما أنا قيسِيٌّ لا قيسِيٌّ ، وهو يأتيني لا عمرو ، لأنَّ
المنفيَّ فيهما غيرُ مُصرَّحٍ به ، كما يقالُ امتنعَ زيدٌ عن المجيء لا عمرو .
السكاكي : شرطُ نجامعتيه للثالث أن لا يكونَ الوصفُ مختصًّا

العطف بها من إفادة الحصر أو تأكيد ، فإذا قلت مثلا لاقاعد فقد نفيت بها شيئا
هو منفي قبلها بما النافية فلا يصح الإتيان بها بعد النفي والاستثناء ، ويصح الإتيان
بها مع إنما والتقديم ، فتقول إنما زيد كاتب لاشاعر وهو يأتيني لا عمرو لأن النفي
فيهما غير مصرح به وإنما صرح فيهما بالإثبات فلم يقبح تأكيد ما تضمناه والنفي
بلا بخلاف ما ، وإلا فقد صرح فيهما بالنفي وحينئذ فالنفي الصريح ليس كالضمي
يدل على ذلك أنه يقال امتنع زيد عن المجيء لا عمرو فيعطف على فاعل امتنع بلا ،
فيفيد الكلام حصر الامتناع في زيد بواسطة العطف بلا ، وضح ذلك لأن
صريح امتنع زيد لإثبات الامتناع ، فلفظ لا يفيد نفي ذلك الإثبات ، وأما نفي
المجيء فهو ضمني فجاز العطف بلا لكون النفي في امتنع ضميا ولو صرح به
وقيل لم يجيء زيد لم يصبح أن يقال لا عمرو لأنه نفي للنفي فيكون إثباتا ووضع
لا للنفي لا للإثبات (السكاكي إلى آخره) وإليك عبارته : إذا جامع
لا العاطفة إنما جامعها بشرط وهو أن لا يكون الوصف بعد إنما يستجيب الذين
يسمعون ، فإن كل ما فل يعلم أنه لا تكون استجابة لإلّا ممن يسمع ويعقل وقوله :
إنما أنت منذر من يخشاها ، فلا يخفى على أحد ممن به مسكة أن الإنذار إنما
يكون إنذارا ويكون له تأثير إذا كان مع من يؤمن بالله وبالبعث والقيامة
وأهوالها ويخشى عقابها ، وقولهم : إنما يعجل من يخشى القوت ، فركز في العقول

بالمَوْصُوفِ ، نَحْوُ : إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ . عَبْدُ الْقَاهِرِ . لَا تُحْسِنُ
فِي الْمُخْتَصِّ كَمَا تُحْسِنُ فِي غَيْرِهِ وَهَذَا أَقْرَبُ . وَأَصْلُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ
مَا اسْتُعْمِلَ تَمَّا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ وَيُنْكِرُهُ ، بِخِلَافِ الثَّلَاثِ ، كَقَوْلِكَ
لِصَاحِبِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ شَبْحًا مِنْ بَعِيدٍ : مَا هُوَ إِلَّا زَيْدٌ ، إِذَا اعْتَقَدَهُ غَيْرُهُ

أَنْ مَنْ لَمْ يَخْشِ الْقُوَّةَ لَمْ يَعْجَلْ ، وَإِذَا كَانَ لَهُ اخْتِصَاصٌ لَمْ يَصِحَّ فِيهِ اسْتِعْمَالُ
لَا الْعَاطِفَةِ ، فَلَا تَقُلْ إِنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخْشَى الْقُوَّةَ لَا مَنْ يَأْمَنُ (وَهَذَا أَقْرَبُ)
يَقُولُ إِنْ كَلَّمَ عَبْدُ الْقَاهِرِ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ مِنْ عِبَارَةِ السَّكَانِي . « وَبَعْدُ ،
فَإِنْ مِنَ الظَّاهِرِ أَنَّ السَّكَانِي إِذَا جَعَلَ ذَلِكَ شَرْطًا فِي الْحَسَنِ فَهُوَ فِي الْوَاقِعِ لَمْ
يَقُلْ شَيْئًا غَيْرَ مَا قَالَهُ عَبْدُ الْقَاهِرِ وَغَرِيبٌ ذَهُولُ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مِثْلِ هَذَا
(وَأَصْلُ الثَّانِي إِلَى آخِرِهِ) يَقُولُ بِالْوَجْهِ الرَّابِعِ مِنْ وَجُوهِ الْاِخْتِلَافِ أَنَّ
أَصْلَ النِّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ الَّذِي اسْتُعْمِلَ هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي
يَجْهَلُهَا الْمُخَاطَبُ وَيُنْكِرُهَا ، بِخِلَافِ إِنَّمَا ، فَإِنْ أَصْلُهُ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ الْمُسْتَعْمَلُ هُوَ
فِيهِ مَا يَعْلَمُهُ الْمُخَاطَبُ وَلَا يَنْكِرُهُ . وَأَصْلُ هَذَا السَّكَلَامِ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَاهِرِ رَحِمَهُ
اللَّهُ ، وَإِلَيْكَ عِبَارَتُهُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ التَّنْصِيفِ : إِنْ مَوْضُوعٌ مَا وَإِلَّا عَلَى أَنْ يَكُونَ
لِلْأَمْرِ يَنْكِرُهُ الْمُخَاطَبُ وَيَشْكُ فِيهِ ، أَوْ مَا يَنْزِلُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فَلَا يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهَا
فِي الْأَمْرِ الظَّاهِرِ ، فَلَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ تَرْفِقْ عَلَى أَخِيهِ وَتَذَبَّهِ . الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ
صَلَةِ الرَّجْمِ : مَا هُوَ إِلَّا أَخُوكَ مِثَالِ الْأَوَّلِ قَوْلِكَ لِصَاحِبِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ شَبْحًا
مِنْ بَعِيدٍ : مَا هُوَ إِلَّا زَيْدٌ إِذَا وَجَدْتَهُ يَعْتَقِدُهُ غَيْرُ زَيْدٍ وَيَصْرُخُ عَلَى الْإِنْكَارِ ، وَمِنْهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى : وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ، وَمِثَالِ الثَّانِي قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا
رَسُولٌ ، أَيْ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَعَدَى الرِّسَالَةَ إِلَى التَّبَرُّيِّ مِنَ الْهَلَاكِ ، نَزَلَ
اسْتِعْظَامُهُمْ هَلَاكَهُ مِنْزِلَةَ الْإِنْكَارِ إِيَّاهُ ، وَمِثْلُهُ : وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ

مُصِرًّا ، وَقَدْ يُنَزَّلُ الْمَعْلُومُ مَنْزِلَةً الْمَجْهُولِ ، لِاعْتِبَارِ مُنَاسِبِ ، فَيُسْتَعْمَلُ لَهُ
الثَّانِي إِفْرَادًا ، نَحْوُ : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ : أَيْ مَقْصُورٌ عَلَى الرَّسَالَةِ لَا يَتَعَدَّاهَا
إِلَى التَّبَرُّيِّ مِنَ الْهَلَاكِ ، نَزَلَ اسْتِعْظَامُهُمْ هَلَاكَهُ مَنْزِلَةً إِنْكَارِهِمْ
إِيَّاهُ ، أَوْ قَلْبًا ، نَحْوُ : إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، لِاعْتِقَادِ الْقَائِدِينَ أَنَّ
الرَّسُولَ لَا يَكُونُ بَشَرًا ، مَعَ إِسْتِرَارِ الْمُخَاطَبِينَ عَلَى دَعْوَى الرَّسَالَةِ

أنت إلا نذير ، فإنه ﷺ كان لشدة حرصه على هداية الناس يكرر دعوة
المتنعين عن الإيمان ولا يرجع عنها ، فكان في معرض من ظن أنه يملك
مع صفة الإنذار إيجاد الشيء فيما يمتنع قبوله إياه ، ومن هذا قوله تعالى : إِنْ
أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، لِأَنَّ الْكُفَّارَ جَعَلُوا الرِّسْلَ كَأَنْهُمْ بِأَدْعَائِهِمُ النَّبِيَّةَ قَدْ أَخْرَجُوا
أَنْفُسَهُمْ عَنْ أَنْ يَكُونُوا بَشَرًا مِثْلَهُمْ ، وَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ أَخْرَجَ اللَّفْظَ مَخْرَجَهُ
حَيْثُ يَرَادُ إِثْبَاتُ أَمْرٍ يَدْفَعُهُ الْمُخَاطَبُ وَيَدْعَى خِلَافَهُ ، ثُمَّ جَاءَ الْجَوَابُ مِنْ
الرِّسْلِ الَّذِي هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ ، كَذَلِكَ بَيَّنَّ وَإِلَّا
لَإِنَّ مَنْ حَكَمَ مِنْ أَدْعَى عَلَيْهِ خِصْمَهُ الْخِلَافُ فِي أَمْرٍ هُوَ لَا يَخَالِفُ فِيهِ أَنْ
يَعِيدَ كَلَامَ الْخِصْمِ عَلَى وَجْهِهِ وَيَجِيءُ بِهِ عَلَى هَيْئَتِهِ وَيَحْكِيهِ كَمَا هُوَ ، فَإِذَا قَالَتِ الرَّجُلُ
أَنْتَ مِنْ شَأْنِكَ كَيْتُ وَكَيْتُ ، قَالَ نَعَمْ أَنَا مِنْ شَأْنِي كَيْتُ وَكَيْتُ ، وَلَسَكُنْ
لِأَضْيِرُّ عَلَى وَلَا يَلْزَمُنِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَا ظَنَنْتَ أَنَّهُ يَلْزَمُ ، فَالرِّسْلُ كَأَنْهُمْ قَالُوا
إِنْ مَا فَالْتَمْنَا مِنْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ كَمَا قَاتَمْنَا لَسْنَا نَنْسُكُ ذَلِكَ وَلَا نَجْهَلُهُ ، وَلَسَكُنْ ذَلِكَ
لَا يَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَى قَدْ مِنْ عَلَيْنَا رَأَى كَرَمَنَا بِالرِّسَالَةِ . . . وَأَمَّا إِذَا
فِي مَوْضِعِهَا عَلَى أَنْ تَجِيءَ . لَخَبْرٌ لَا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ وَلَا يَدْفَعُ صِحَّتَهُ ، أَوْ لَمَّا يَنْزَلُ

وَقَوْلُهُمْ : إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، مِنْ بَابِ مُجَارَاةِ انْتِظَامِ لِيَعْتَرِ
حَيْثُ يُرَادُ تَبَكُّيْتَهُ ، لَا لِتَسْلِيمِ انْتِفَاءِ الرَّسَالَةِ ، وَكَقَوْلِكَ إِنَّمَا
هُوَ أَخُوكَ ، لِمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَيُقَرُّ بِهِ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُرَقِّقَهُ
عَلَيْهِ وَقَدْ يَنْزِلُ الْمَجْهُونَ مَنْزِلَةَ الْمَعْلُومِ ، لِادِّعَاءِ ظُهُورِهِ ، فَيَسْتَعْمَلُ
لَهُ الثَّلَاثَ ، نَحْوُ : إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، وَإِذَلِكَ جَاءَ : أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُونَ ، لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ مَوْكِدًا تَمَا تَرَى ، وَمَزِيَّةً إِنَّمَا عَلَى الْعُظْمَى

هذه المنزلة ، مثال الأول قولك للرجل : إنما هو أخوك ، وإنما هو صاحبك
القديم ، لا تقوله لمن يجمل ذلك ويدفع صحته ، ولكن لمن يعله ويقربه إلا أنك
تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب ، ومثله قول المتنبي :

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَائِلُ طِعْ أُخْتِي مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ

لم يرد أن يعلم كافوراً أنه والد ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام ،
ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم لينبئ عليه استدعاء ما بوجبه كونه
بمنزلة الوالد . ومثاله من التنزيل قوله تعالى : إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى
الرحمن بالغيب ، وقوله عز وجل : إنما أنت منذر من يخشاها ، كل ذلك تذكير
بأمر ثابت معلوم ، ومثال الثاني قول قيس الرقيات :

إِنَّمَا مُصْتَقِبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

ادعى في كون الممدوح بهذه الصفة أنه أمر معلوم للجميع على عادة الشعراء
إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنها ثابتة لهم ،
وأنهم قد شهرها بها ، وأنهم لم يصفوا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد
كما قال الخطيب :

أَنَّهُ يُعْقَلُ مِنْهَا الْحُكْمَانِ مَعًا ، وَأَحْسَنُ مَوَاقِعِهَا التَّعْرِيفُ ، نَحْوُ :

وَتَعَذَّلْنِي أَفْنَاءَ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ - وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِاللَّيِّ عَامَتِ سَعْدٌ (١)

وكما قال البحترى :

لَا أَدَّعِي لِأَبِي الْعَلَاءِ فَضِيلَةً حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيْهِ عِدَاهُ

ومثل البيت قوله تعالى حكاية عن اليهود : وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، المعنى أنهم يدعون أن كونهم مصلحين أمر ظاهر معلوم ، ولذلك أكد الأمر في تكذيبهم والرد عليهم لجمع بين إلا التي للتنبيه وإن التي هي للتأكيد ، فقال ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (الحكمان) أى الإثبات للذكور والنفي عما سواه (وأحسن مواقفها التعريف) قال الشيخ عبد القاهر : اعلم أنك إذا استقرت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ماترى بالقلب إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعريف بأمر هو مقتضاه نحو إنا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى : إنما يتذكر أولوا الألباب ، أن يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن أن يذم الكفار ، وأن يقال إنهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل . وأنكم إذا طمعت منهم في أن ينظروا ويتذكروا كنتم كن طمع في ذلك من غير أولى الألباب ، ومثال ذلك من الشعر قوله :

أَنَا لَمْ أَرِزُقْ مَحَبَّتَهَا إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رَزَقَا

الغرض أن يفهمك من طريق التعريف أنه قد صار ينصح نفسه ، ويعلم أنه ينبغي له أن يقطع الطمع من وصلها ، ويأس من أن يكون منها إسعاف ، ومن ذلك قوله :

(١) الإفناء : الغوغاء والسقاط من الناس .

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ، فَإِنَّهُ تَعْرِيفٌ بِأَنَّ الْكُفَّارَ مِنْ فَرْطِ جَهْلِهِمْ
كَالْبَهَائِمِ ، فَطَمَعُ النَّظَرِ مِنْهُمْ كَطَمَعِهِ مِنْهَا . ثُمَّ الْقَصْرُ كَمَا يَقَعُ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ
وَالْخَبَرِ عَلَى مَا مَرَّ ، يَقَعُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ وَغَيْرِهِمَا . فِيهِ الْإِسْتِثْنَاءُ يُؤَخَّرُ
الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَعَ أَدَاةِ الْإِسْتِثْنَاءِ وَقَالَ تَقْدِيمُهُمَا بِحَالِهِمَا ، نَحْوُ : مَا ضَرَبَ إِلَّا

* وَإِنَّمَا يَعْذِرُ الْعُشَّاقُ مِنْ عَشَقًا *

يقول إنه ليس ينبغى للعاشق أن يلوم من يلومه في عشقه ، وأنه ينبغى أن
لا ينكر ذلك منه ، فإنه لا يعلم كنه البلوى في العشق ولو كان ابتلى به لعرف ما هو
فيه فعذره (وغيرهما) كالفاعل والمفعول وكالمفعولين وكذا الحال
والحال تقول في قصر الفاعل على المفعول لإفراداً أو قلباً بحسب المقام : ما
ضرب زيد إلا عمراً ، ومن الوارد على قصر القاب قوله تعالى حكاية عن السيد
المسيح عليه السلام : ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله له لأنه قاله في
مقام اشتمل على معنى أنك يا عيسى لم تقل للناس ما أمرتك لأنى أمرتك أن
تدعوا الناس إلى أن يعبدوني ، ثم إنك دعوتهم إلى أن يعبدوا من هو دوني
ألا ترى إلى ما قبله : وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قات للناس اتخذوني
وأمي إلهين من دون الله وفي قصر المفعول على الفاعل ما ضرب عمراً إلا
زيد وفي قصر المفعول الأول على الثاني في نحو كسوت وظننت ما كسوت زيداً
إلا جبة وما ظننت زيداً إلا منطلقاً وفي قصر الثاني على الأول ما كسوت جبة
إلا زيداً وما ظننت منطلقاً إلا زيداً ، وفي قصر ذي الحال على الحال ما جاء
زيد إلا راكباً ، وفي قصر الحال على ذي الحال ما جاء راكباً إلا زيد (وقل
تقديمهما محالهما) أي جاز على قلة تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء بحالهما
على المقصور ، ومن ذلك قول الشاعر :

عَمْرًا زَيْدًا ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا زَيْدًا عَمْرًا ، لِاسْتِزَامِهِ قَصْرَ الصِّفَةِ قَبْلَ تَمَامِهَا ؛
وَوَجْهُ الْجَمِيعِ أَنَّ النَّبِيَّ فِي الْاسْتِثْنَاءِ الْمَفْرُغِ يَتَوَجَّهُ إِلَى مُقَدَّرِ هُوَ
مُسْتَثْنَى مِنْهُ عَامٌ مُنَاسِبٌ لِلْمُسْتَثْنَى فِي جِنْسِهِ وَصِفَتِهِ ، فَإِذَا أُوجِبَ

لَا أَشْتَهِي يَا قَوْمُ إِلَّا كَارِهَا بَابَ الْأَمِيرِ وَالْإِدْفَاعِ الْحَاجِبِ
وقول الآخر :

كَأَنَّ لَمْ يَمِتْ حَتَّى تَسْوَاكَ وَلَمْ يَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَنَيْكَ النَّوَائِحُ
وَأَنشُدْ سَيَبَوِيهَ :

النَّاسُ أَلْبَ عَائِنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَرِذْ

وقوله بحالهما ، احتراز من إزالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيره عن
المقصود عليه ، كقولك في ما ضرب زيد إلا عمراً ما ضرب عمراً إلا زيد ، فإنه
يختل المعنى (لاستزامه قصر الصفة قبل تمامها) كالضرب الصادر من زيد
في ما ضرب زيد إلا عمراً والضرب الواقع على عمرو في ما ضرب عمراً إلا زيد
(ووجه الجميع) أى وجه إفادة النفي والاستثناء الحصر فى جميع ما ذكر بما بين
المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول والحال وصاحبها والمفعول الأول والثانى
وغير ذلك (يتوجه إلى مقدر إلى آخره) أما توجهه إلى مقدر هو مستثنى منه
فلا يكون إلا للإخراج واستدعاء الإخراج مخرجا منه ، وأما عمومه فليستحقق
الإخراج وإنما يلزم التخصيص من غير مخصص . قال صاحب المفتاح ولذلك
ترانا فى علم النحو نقول : أن يثبت الضمير فى كانت فى قراءة أبى جعفر : إن كانت
إلا صيغة ، بالرفع وفى ترى المبنى للمفعول فى قراءة الحسين : فأصبحوا لا ترى
إلا مساكنهم ، برفع مساكنهم ، وفى بقيت فى بيت ذى الرمة :

مِنْهُ شَيْءٌ بِإِلَّا جَاءَ الْقَصْرُ ، وَفِي إِنَّمَا يُؤَخَّرُ الْمُقْصُورُ عَلَيْهِ ، تَقُولُ :
إِنَّمَا ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُهُ عَلَى غَيْرِهِ لِلْإِلْبَاسِ . وَغَيْرُ

* وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضَّلُوعُ الْجَرَاشِعُ *

للنظر إلى ظاهر اللفظ ، والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من
الأشياء ، وأما مناسبه في جنسه وصفته فظاهرة ، لأن المراد بحمسه أن يكون
في نحو : ما ضرب زيد إلا عمراً أحداً ، وفي نحو قولك : ما كسوت زيداً إلا جبة
لباساً ، وفي نحو : ما جاء زيد إلا راكباً ، كائناً على حال من الأحوال . وفي
نحو : ما اخترت رقيقاً إلا منكم من جماعة من الجماعات . ومنه قول السيد الحميري :

لَوْ خَيْرَ الْمُنْبِرِ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا

لأن أصله ما اختار فارساً إلا منكم . والمراد بصفته كونه فاعلاً أو مفعولاً
أو ذا حال أو حالاً بر على هذا التماس (وفي إنما) هو معطوف على قوله
ففي الاستثناء (وفي إنما يؤخر المقصود عليه) حيث يستفاد القصر منها فقط ،
مخرج مثل قول أبي الطيب :

أَسَامِيًّا لَمْ تَرِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَاهَا

إذ المنفرد للقصر فيه هو التقديم (ولا يجوز تقديمه على غيره) بخلاف
إلا لعدم إفضائه إلى الإلباس ، وههنا مفضل إلى الإلباس كما قال ، لأنك لو
قلت إنما ضرب زيد عمراً لكان في المعنى عكس قولك إنما ضرب عمراً زيد .
قال السكاكي : وإنما ذكر تعمر على الفرق بين : إنما يخشى الله من عباده
العلماء ، وبين إنما يخشى العلماء من عباده الله ، بتقديم المرفوع على المنصوب ،
فالأول يقتضي انحصار خشية الله على العلماء ، والثاني يقتضي انحصار خشية

كَيْلًا فِي إِفَادَةِ الْقَصْرَيْنِ ، وَامْتِنَاعِ مُجَامَعَةٍ لَا .

﴿ الْإِنْشَاء ﴾

الإنشاء إن كان طلباً استدعى مطلوباً غير حاصلٍ وقت الطلب ؛
وأنواعه كثيرة ، منها : التمني ، واللفظ الموضوع له لئلا يشترط
إمكان التمني تقول : لئلا الشبَاب يعود ، وقد ينمى بهل نحو : هل لي

العلماء على الله (في إفادة القصرين) قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة
على الموصوف ، تقول في قصره : ما زيد غير شاعر . أفراداً . وما زيد غير
قائم . قلباً . وفي قصرها : ما شاعر غير زيد ، بالاعتبارين بحسب المقام
(وامتناع مجامعة لا) . فلا تقول : ما زيد غير شاعر لا كاتب ، ولا ما شاعر
غير زيد لا عمرو (الإنشاء) هو كما يطلق على الكلام الذي ليس لنسبته خارج
تطابقه أو لا ، كذلك يطلق على فعل المتكلم أعني إلقاء الكلام الإنشائي
كالإخبار ، والمراد هنا هو الثاني ، ثم هو نوعان : طلب وغيره ، والمنصف لم
يتعرض لغير الطلب لقلة المباحث البيانية المتعلقة به ، وذلك كبعض أفعال
المقاربة ، وأفعال المدح والذم ، وصيغ العقود ، والقسم ، ولعل . على أن كثيراً
منها نقل من الخبر إلى الإنشاء فيستغنى بأبحاثه الخبرية عن الإنشائية (استدعى
مطلوباً غير حاصل) لامتناع تحصيل الحاصل . قال التفتازاني : فإذا وردت
صيغة الطلب في الحاصل حملت على ما يناسب المقام كما في قول الله جل شأنه :
يا أيها النبي اتق الله ، المعنى دم على التقوى (التمني) هو طلب حصول الشيء
بشرط المحبة ونفي الطماعة (ولا يشترط إمكان التمني) لأن الإنسان
كثيراً ما يحب المحال ويطلبه . لكن إذا كان التمني ممكناً يجب ألا يكون

مِنْ شَفِيعٍ ، حَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّ لَا شَفِيعَ ، وَ بَلَوُ نَحْوُ : لَوْ تَأْتِيَنِي فَتُحَدِّثْنِي ،
بِالنَّصْبِ ، السَّكَاكِينُ : كَأَنَّ حُرُوفَ التَّنْدِيمِ وَالتَّحْضِيضِ - وَهِيَ هَلَاءُ وَآلَاءُ
بِقَلْبِ الْهَاءِ هَمْزَةً ، وَلَوْ لَا وَلَوْ مَا - مَأْخُودَةٌ مِنْهُمَا مُرَكَّبَتَيْنِ مَعَ لَا وَمَا
الْمَزِيدَتَيْنِ لِتَضْمِينِهِمَا مَعْنَى التَّمَنِّي لِيَتَوَلَّدَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي التَّنْدِيمُ ، نَحْوُ : هَلَاءُ
أَكْرَمْتَ زَيْدًا ، فِي الْمَضَارِعِ التَّحْضِيضُ ، نَحْوُ : هَلَاءُ تَقُومُ : وَقَدْ يُتَمَنَّى

لك توقع وطهاعية في وقوعه ، وإلا لصار ترجيحاً يستعمل فيه لعل أو عسى ،
(حيث يعلم أن لا شفيع) لأنه إذ ذاك يمتنع حمله على حقيقة الاستفهام لحصول
الجزم بانتفاء هذا الحكم ، واستدعاء الاستفهام الجهل بثبوته وانتفائه هذا .
والسر في العمدول عن ليت والتمنى بهل ، هو إبراز المتمنى لكمال العناية به
في صورة الممكن انذى لا جزم بانتفائه (وبلو) ولعل السر في ذلك هو
الإشعار بعزة متمناه حيث أبرزه في صورة مالا يوجد ، لأن لو بحسب أصلها
حرف امتناع لا امتناع (منها) أي من هل ولو المنقولتين للتمنى (لتضمينهما
إلى آخره) يقول إن الغرض من هذا التركيب والتزامه جعل هل ولو
متضمنتين معنى التمنى ، وذلك ليتولد منه مع الماضي التنديم ومع المستقبل
التحضيض ، فتقول : هلا أكرمت زيدا ، ولولا أكرمت زيدا ، ولو ما
أكرمته . على معنى ليتك أكرمته قصداً إلى جعله نادماً على ترك الإكرام ،
وتقول : هلا تقوم ، ولو ما تقوم ، على معنى ليتك تقوم قصداً إلى حثه
على القيام . ومع هذا فلا يخلو من ضرب من التوبيخ واللوم على ما كان

بِإِعَانٍ ، فَتَعَطَّى حَكْمَ آيَةٍ ، نَحْوُ : أَعْلَى أَحْبَجُ فَأَزُورَكَ ، بِالنَّصْبِ ، لِبَعْدِ
الْمَرْجُوِّ عَنِ الْحُصُولِ . وَمِنْهَا الْإِسْتِفْهَامُ ، وَالْفَاطَةُ الْمَوْضُوعَةُ لَهُ الْهَمْزَةُ ،
وَهَلْ ، وَمَا ، وَمَنْ ، وَأَيُّ ، وَكَيْفَ ، وَأَيْنَ ، وَأَيُّ ، وَمَتَى ، وَأَيَّانَ ، فَالْهَمْزَةُ

يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه (فتعطى حكم ليت) فينصب المضارع
بعدها على تقدير أن (لبعده المرجو عن الحصول) فتصار يشبه المحالات التي
لاطمع فيها ، فاستعملت فيه لعل كاستعمال ليت لمشابهة هذا المعنى لمعناها
(ومنها الاستفهام) وحقيقته طلب الفهم بالفاظ معروفة . والمطوب فهمه
إن كان حكما بشيء على شيء إثباتاً أو نفياً فهو التصديق إلا فهو التصور (وأيان)
قال السكاكي بفتح الهمزة وبكسرها ، وهذه اللفظة أعني كسر همزتها تقوى
أباه أن يكون أصلها أي وإن (فالهمزة لطلب التصديق إلى آخره) اعلم أن
هذه الكلمات ثلاثة أنواع : أحدها يختص طلب التصديق وهو هل ، وثانيها
يختص طلب التصور وهو سائر الأسماء الاستفهامية ، وثالثها مشترك بينهما
وهو الهمزة فإنها تجيء لطلب التصور والتصديق لمرافقتها في الاستفهام ، ولهذا
يجوز أن يقع بعد أم سائر كلمات الاستفهام سوى الهمزة ، قال الله جل شأنه :
أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ، وقال : أَمْ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدُ لَكُمْ .
وقال : أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وقال التغلبي :

أَيُّ جَزَوْا عَابِرَا سُورًا بِفِعْلِهِمْ

أَمْ كَيْفَ يَجْزُوا سِي السُّوَايِ مِنَ الْحَسَنِ

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تَعَطَّى الصَّبُوحُ بِهِ رِيثَمَانِ أَنْبِ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ (١)

(١) العلون بفتح العين المهملة : الناقة تعطف على غير ولدها ولا ترأمة
وإنما تشمه بأنفها وتمنعه لبنها . والبيت ينشد لمن يعد بالجميل ولا يفعله لانطواء
قلبه على ضده .

لِطَلْبِ التَّصْدِيقِ كَقَوْلِكَ : أَقَامَ زَيْدٌ ، وَ : أَزِيدُ قَائِمٌ ، أَوِ التَّصَوُّرِ كَقَوْلِكَ :
أَدْبَسُ فِي الْإِنَاءِ أُمَّ عَسَلٌ ، وَ : أَفِي الْخَابِيَةِ دَبْسُكَ أُمَّ فِي الزَّقِّ ، وَهَذَا لَمْ

وَأَم ههنا بمعنى بل التي تكون للانتقال من كلام إلى آخر من غير اعتبار
استفهام هذا ، والفرق بين الاستفهام عن التصديق والاستفهام عن التصور
يسكاد يكون ظاهراً ، ذاك لأن الاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد
الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها ، والاستفهام عن التصور يكون عند التردد في تعيين
الشيئين (كقولك أقام زيد) في طلب التصديق بمضمون الجملة الفعلية (وأزيد
قائم) في طلب التصديق بمضمون الجملة الاسمية ، فقد تصورت القيام وزيداً
والنسبة بينهما ، وسألت عن وقوع تلك النسبة هل هو محقق خارجاً أو لا ، فإذا
فيل قام أو هو قائم حصل التصديق . والحاصل أن السائل عالم بأن بينهما نسبة
ملتبسة بالوقوع أو اللاوقوع ويطلب تعيين ذلك (كقولك) في طلب تصور
المسند إليه (أدبس في الإناء أم عسل) فأنت تعلم أن في الإناء شيئاً والمطلوب
هو تعيينه (وأفي الخابية إلى آخره) أي وكقولك في طلب تصور المسند
أفي الخابية دبسك أم في الزق ، فأنت تعلم أن الدبس محكوم عليه بأنه في أحدهما
والمطلوب هو التعيين . . . هذا ، وإنما إذا أنعمنا النظر وألطننا الفكر
وجدنا الهمزة لا تكون إلا لطلب التصديق في سائر أحوالها لأنه إذا قصد
تعيين المسند إليه ، فالمطلوب هو العلم بتعيين النسبة ، فإذا قلت أزيد قام أم عمرو
فإنما تسأل عن تعيين النسبة في أحدهما ، أما زيد وعمرو فكلاهما معلوم وكذلك
استناد القيام لأحدهما فاعرف هذا ولا تكن رهين التقليد (ولهذا إلى آخره)
يقول لما كانت الهمزة تكون لطلب التصور وهل مختصة بالتصديق لا تتجاوزه
كان قولك : أزيد قام وأعمراً عرفت حسناً بليغاً ، وقولك : هل زيد قام وهل

يَقْبَحُ أَزِيدٌ قَامَ ، وَأَعْمَرًا عَرَفْتَ ، وَالْمَسْئُولُ عَنْهُ بِهَا هُوَ مَا يَلِيهَا كَالْفِعْلِ
فِي أَضْرَبْتَ زَيْدًا ، وَالْفَاعِلِ فِي : أَنْتَ ضَرَبْتَ ، وَالْمَفْعُولِ فِي : أَزِيدًا ضَرَبْتَ
وَهَلْ لِيَطْلُبِ التَّصْدِيقِ فَحَسْبُ نَحْوُ : هَلْ قَامَ زَيْدٌ ، وَهَلْ عَمَرُوا وَقَاعِدًا ، وَهَذَا
امْتِنَعَ هَلْ زَيْدٌ قَامَ أَمْ عَمَرُوا ، وَقَبِحَ هَلْ زَيْدًا ضَرَبْتَ ، لِأَنَّ التَّقْدِيمَ

عمرًا عرفت قبيحاً مردولاً ، ذاك لأن التقديم كما علمت يستدعى حصول
التصديق بنفس الفعل فتكون هل لطلب حصول الحاصل وهو محال ، بخلاف
الهمزة فإنها تكون لطلب التصور وتعيين الفاعل أو المفعول (والمسئول عنه
سما إلى آخره) يقول إن المسئول عنه بالهمزة هو ما يليها فنقول : أضربت زيداً ،
إذا كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده
وتقول : أنت ضربت إذا كان الشك في الفاعل من هو مع العلم بوقوع الفعل
وتقول : أزيداً ضربت إذا كان الشك في المفعول من هو مع الجزم بوقوع
ضرب من المخاطب . قال الشيخ عبد القاهر : وما يؤيد ذلك أنك تقول : أفلت
شعراً قط ، رأيت اليوم إنساناً ، فيكون كلاماً مستقيماً ، ولو قلت : أنت قلت شعراً
قط ، أنت رأيت إنساناً أحلت ، وذلك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من
هو في مثل هذا ، لأن ذلك إنما يتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص
نحو أن تقول : من قال هذا الشعراً ، ومن بنى هذه الدار : وما أشبه ذلك بما يمكن
أن ينص فيه على معين ، فأما قيل شعر على الجملة ورفوية إنسان على الإطلاق
فمحال ذلك فيه : لأنه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى يسأل عن عين فاعله
(ولهذا امتنع هل زيد قام أم عمرو) لأن وقوع المفرد بعد أم دليل على
أنها متصلة وأم المتصلة لطلب تعيين الأمرين مع العلم بثبوت أصل الحكم فهي
لا تكون إلا لطلب التصور بعد حصول التصديق بنفس الحكم وهو ليس

يَسْتَدْعِي حُصُولَ التَّصْدِيقِ بِنَفْسِ الْفِعْلِ ، دُونَ : هَلْ زَيْدًا ضَرَبْتَهُ ، اِيْجَوَازِ
تَقْدِيرِ الْمَفْسَرِ قَبْلَ زَيْدًا ، وَجَعَلَ الشَّكَاكِي قُبْحَ : هَلْ رَجُلٌ عَرَفَ لِدَلِكْ ،
وَيَلْزَمُهُ أَنْ لَا يَقْبَحَ هَلْ زَيْدٌ عَرَفَ ، وَعَالَمٌ غَيْرُهُ قُبْحُهُمَا بَأَنَّ هَلْ بِمَعْنَى
قَدَفِي الْأَصْلِ ، وَتَرَكَ الِهْمَزَةَ قَبْلَهَا لِكَثْرَةِ وَقُوعِهَا فِي الْإِسْتِفْهَامِ ،

إلا لطلب التصديق فيبينهما تدافع فيتمنع ، بخلاف ما إذا لم يذكر أم عمرو ،
وقيل هل زيد قام فإنه يقبح ولا يتمنع لما سيجي ، وبعد ، فإذا علمت هذا
علمت أنه لا يجوز استعمال أم بعد هل إلا أن تريد المنقطة كقوله :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَفَّرَتِ الرَّحَى * رَحَى الْحَرْبِ أَمْ أَثْنَعْتُ بِفَلَجٍ كَاهِيَا

ولذلك قال سيديوية هو على كلامين (لجواز تقدير المفسر قبل زيدا) بل هذا
أرجح لأن الأصل تقدم العامل على المعمول وحينئذ فلا يستدعي حصول التصديق
بنفس الفعل فتكون هل اطلب التصديق فيحسن (لذلك) أي لما قبح له هل زيدا
ضربت وهو أن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل ، وإنه جعله لذلك
لأن مذهبه كما تقدم أن الأصل عرف رجل على أن رجل بدل من الضمير
في عرف قدم للتخصيص . وإنما لم يجعله متممًا لاحتمال أن يكون رجل فاعل
فعل محذوف (ويلزمه أن لا يقبح هل زيد عرف) لأن تقديم المظهر
المعروف ليس للتخصيص حتى يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل على
ما سبق . مع أن هذا التركيب قبيح بالإجماع ، وما ذكره الزنجشيري في المفصل
من أن نحو : هل زيد خرج ، على تقدير الفعل فتصحيح الوجه القبيح لأنه
شائع حسن (غيره) أي غير السكاكي (قبحهما) أي قبح هل رجل عرف
وهل زيد عرف (بأن هل بمعنى قدافي الأصل) يعني وقد من لوازم الأفعال

وَهِيَ تُخَصُّصُ الْمَضَارِعَ بِالِاسْتِقْبَالِ ، فَلَا يَصِحُّ : هَلْ تَضْرِبُ زَيْدًا

فكذا ما هي بمعناها . وأصل كلام المصنف هذا ما زعمه الزمخشري أن هل بمعنى قد أبدأ ، وأن الاستفهام إنما هو مستفاد من همزة مقدرة معها . قال في المفصل : وعند سيبويه أن هل بمعنى قد إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع إلا في استفهام ، وقد جاء دخولها عليها في قول زيد الخيل :

سَائِلٌ فَوَارِسَ يَرْبُوعٍ بِشِدَّتِنَا أَهْلًا رَأَوْنَا بِسَفْحِ الْقَاعِ ذِي الْأَكْمِ (١)

وقال الراجز :

* أَهْلًا عَرَفْتَ الدَّارَ بِالْغَرِيْبَيْنِ (٢) *

قال التمامزاني : فإن قلت هذا يقتضى أن لا يصح أو يقبح دخولها على الجملة الاسمية التي طرفها اسمان نحو هل عمرو قاعد ، وإلا فما الفرق بينه وبين ما إذا كان الخبر فعلا ، قلت : الفرق أنها إذا رأيت الفعل في حيزها تذكرت عهوداً بالحي وحنن إلى الإلف المألوف وعانقته ، ولم ترض بافتراق الاسم بينهما ، بخلاف ما لو إننا تراه في حيزها فإنها تسلت عنه ذاهلة (. هي تخصص المضارع بالاستقبال) لما كانت هل ليست أصلا في الاستفهام تقاصرت عن الهمزة فاخصت المضارع بعدها بالاستقبال . فلا يصح استعمالها في التوبيخ على العمل الواقع في الحال كما يصح استعمال الهمزة فيه ، فلا تقول هل تضرب

(١) ربوع : أبو حى من تميم ، والأكم جمع أكمة : وهي الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله .

(٢) الغريان : هما بنا آن طويلان ، يقال هما قبرا مالك وعقيل نديمي الأبرش ، وسميا غريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله إذا خرج في يوم مؤسسه .

وَهُوَ أَخُوكَ ، وَلاِخْتِصَاصِ التَّصَدِيقِ بِهَا وَتَخْصِيصِهَا الْمَضَارِعِ بِالِاسْتِقْبَالِ
كَانَ لَهَا مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ بِمَا كَوْنُهُ زَمَانِيًّا أَظْهَرَ كَالْفِعْلِ ، وَلِهَذَا كَانَ :
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ، أَدَلَّ عَلَى طَلَبِ الشُّكْرِ مِنْ : فَهَلْ تَشْكُرُونَ ،
وَ : فَهَلْ أَنْتُمْ تَشْكُرُونَ ، لِأَنَّ إِبْرَازَ مَا سَيَتَجَدَّدُ فِي مَعْرِضِ الثَّابِتِ أَدَلَّ
عَلَى كَمَالِ الْعِنَايَةِ بِمَحْصُولِهِ ، وَمِنْ : أَفَأَنْتُمْ شَاكِرُونَ ، وَإِنْ كَانَ لِلثَّبُوتِ ،
لِأَنَّ هَا أَدْعَى لِلْفِعْلِ مِنَ الْهَمْزَةِ ، فَتَرْكُهُ مَعَهَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ وَلِهَذَا

زيداً وهو أخوك ، على نحو أنضرب زيداً وهو أخوك في أن يكون الضرب
واقعاً في الحال (ولاختصاص التصديق بها الخ) إليك قول السكاكي في ذلك
فإنه أوضح وأتم قال : ولوكون هل لطلب الحكم بالثبوت أو الانتفاء
وقد نهت على أن الإثبات والنفي لا يتوجهان إلى الذوات وإنما يتوجهان
إلى الصفات ولاستدعائه التخصيص بالاستقبال لما يحتمل ذلك ، وأنت تعلم
أن احتمال الاستقبال إنما يكون لصفات الذوات لا لأنفس الذوات ، لأن
الذوات من حيث هي هي ذوات فيما مضى وفي الحال وفي الاستقبال استلزم
ذلك مزيد اختصاص هل دون الهمزة بما يكون كونه زمانياً أظهر كالأفعال
(أدل على كمال العناية بمحصوله) من إبقائه على أصله في فهل تشكرون .
لأنها داخله على الفعل حقيقة ، وفي فهل أنتم تشكرون لأنها داخله على الفعل
تقديراً ، لأن أنتم فاعل فعل محذوف يفسره الظاهر (على ذلك) أي على
كمال العناية بمحصول ما سبتحدد (ولهذا) أي لكون هل أدعى للفعل من

لَا يَحْسُنُ : زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ إِلَّا مِنَ الْبَلِيغِ ، وَهِيَ قِسْمَانِ ، بَسِيْطَةٌ وَهِيَ
الَّتِي يُطَلَّبُ بِهَا وُجُودُ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِنَا : هَلِ الْحَرَكَةُ مَوْجُودَةٌ وَمُرَكَّبَةٌ
وَهِيَ الَّتِي يُطَلَّبُ بِهَا وُجُودُ شَيْءٍ لِشَيْءٍ ، كَقَوْلِنَا : هَلِ الْحَرَكَةُ دَائِمَةٌ .
وَالْبَاقِيَةُ لَطَبِ التَّصَوُّرِ فَقَطْ ، قِيلَ : فَيُطَلَّبُ بِمَا شَرَحَ الْإِسْمَ كَقَوْلِنَا :
مَا الْعَنْقَاءُ ، أَوْ سَاهِيَّةِ الْمَسْمِيِّ . كَقَوْلِنَا : مَا الْحَرَكَةُ ، وَتَقَعُ هَلِ

الهمزة (لا يحسن هل زيد منطلق إلا من البليغ) لأنه الذي يقصد به الدلالة
على الثبوت وإبراز ماسيتهجدد في معرض الوجود . قال السكاكي : كما لا يحسن
نظير قوله :

* لِيُبَيِّنَ زَيْدٌ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ *

من كل أحد (بسيطة الخ) والبساطة والتركيب كما لا يخفى بالنظر لما تدخل
عليه ، فمطلوب هل البسيطة هو التصديق بوجود الشيء فحسب ، ومطلوب المركبة
هو التصديق بوجود الشيء ووجود شيء له . هو بعده فلا يذهب عليك أن مثل
هذا التقسيم قليل الجداء إذ البلاغة (والباقية) أي من ألفاظ الاستفهام
(شرح الاسم) أي بيان مدلول الاسم لغة ، فتقول يا عنقاء ، وأنت تطلب
مدلوله ، والمعنى الذي وضع له في اللغة (أو ماهية المسمى) قال التفازاني :
والفرق بين المفهوم من اللفظ بالجملة ، وبين الماهية التي تفهم من الحد بالتفصيل
غير قليل . فإن كل من خوطب باسم فهم فهماً ما ، ووقف على الشيء الذي يدل
عليه الاسم إذا كان عالماً باللغة ، وأما الحد فلا يفهم عليه إلا المرتاض بصناعة
المنطق ، فالوجودات لما كان لها مفهومات وحقائق كان لها حدود بحسب الاسم

الْبَسِيْطَةُ فِي التَّرْتِيْبِ بَيْنَهُمَا . وَبَيْنَ الْعَارِضِ الْمَشَخَّصِ لِذِي الْعِلْمِ
كَقَوْلِنَا : مَنْ فِي الدَّارِ ؛ وَقَالَ السَّكَكِيُّ : يُسْتَأْنَبَى عَنِ الْجِنْسِ تَقْوِيلٌ :
مَا عِنْدَكَ ، أَيْ أَيْ أَجْنَاسِ الْأَشْيَاءِ ، وَجَوَابُهُ : كِتَابٌ وَنَحْوُهُ ، أَوْ عَنِ

وبحسب الحقيقة ، وأما الممدومات فلما لم يكن لها إلا المفهومات لم يكن لها حدود
إلا بحسب الاسم لأن الحد بحسب الذات لا يكون إلا بعد أن يعرف أن الذات
موجودة ، حتى أن ما يوضع في أول التعاليم من حدود الأشياء التي يبرهن على
وجودها في أثناء العلم إنما هي حدود بحسب شرح الاسم . ثم لما أثبت وجودها
وبرهن عليه صارت تلك الحدود بعينها حدوداً بحسب الذات والحقيقة ، ثم قال :
فعلم أن الجواب الواحد جاز أن يكون حدّاً بحسب الاسم وبحسب الذات بالقياس
إلى شخصين . وبالقياس إلى شخص واحد في وقتين (وتقع هل البسيطة في الترتيب
بينهما) يعني أن مقتضى الترتيب الطبيعي أن يطلب أولاً شرح الاسم ثم وجود
المفهوم في نفسه ثم ماهيته وحقيقته ، لأن من لا يعرف مفهوم اللفظ استحالة
منه طلب وجود ذلك المفهوم ، ومن لا يعرف أنه موجود استحالة منه
طلب ماهيته وحقيقته ، إذ لا حقيقة للعدم ولا ماهية له (وبمن الخ)
أي يطلب بمن الأمر الذي يعرض لذي العلم فيفيد تشخيصه وتعيينه ، فإذا قلت
من في الدار قيل لك زيد ونحوه مما يفيد تشخيصه . قال التفتازاني : وأما الجواب
بنحو رجل فاضل من قبيلة كذا ، ونحو : ابن فلان وأخو فلان ، وما أشبه
ذلك ، فإنما يصح من جهة أن المخاطب يفهم منه التشخيص بحسب انحصار
الأوصاف في الخارج في شخص ، وإن كانت تلك الأوصاف نظراً إلى مفهوماتها
كليات (تقول ما عندك) قال السكاكي . وكذلك تقول ما الكلمة وما الكلام

الْوَصْفِ نَقْرًا : مَا زِيدَ : وَجَوَابُهُ : الْكَرِيمُ ، وَمَحْوَةٌ : وَهِيَ عَنِ الْجِنْسِ

وفي التنزيل : فَمَا خَطْبِكُمْ أَي أَي أجناس الخطوب خطبكم ، وفيه : ماتعبدون من بعدى ، أي أي من في الوجود تؤثرونه في العبادة . قال : وأما سؤال فرعون : وما رب العالمين ، فهو إما : الجانس لاعتقاده لجهله بالله تعالى أن لا موجود مستقلا بنفسه سوى الأجسام اعتمادا على جاهل لا نظر له ، كأنه قال : أي أجناس الأجسام هو ، وعلى هذا جواب موسى عليه السلام بالوصف تنبيهاً على النظر المؤدى إلى معرفته ، لكن لما لم يطابق السؤال عند فرعون عجب من حوله من جماعة الجهلة فقال لهم : ألا تستمعون ، ثم لما وجدته مصرأ على الجواب بالوصف إذ قال في المرة الثانية : ربكم ورب آبائكم الأولين ، استهزأ به وجننه بقوله : إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ، وحين رآهم موسى غايه السلام لم يقنطوا لذلك في المرتين غاظ عليهم في الثالثة فقال : إن كنتم تعقلون . وإما عن الوصف طمعاً في أن يسلك موسى عليه السلام في الجواب معه مسلك الحاضرين لو كانوا هم المسئولين مكانه لتسهرته بينهم برب العالمين إلى درجة دعت السحرة إذ عرفوا الحق أن عقبوا قولهم : آمنا برب العالمين ، بقولهم : رب موسى وهرون ، نفياً لانتهاهم أنهم عنوه وجهله بحال موسى وعلو شأنه إذ لم يكن جمعاً ما قبل ذلك مجلس بدليل ما جرى في ذلك الوقت من قوله : أو لو جئت بك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين ، فحين سمع الجواب تعدها عجب واستهزأ وجنن وتفهق بما تفهق من قوله . ائن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين . معال الزمخشري : والذي يليق بحال فرعون ويبدل غايه الكلام أن يكون سؤاله

مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ ، تَقُولُ : مَنْ جِبْرِيلُ ؟ أَيُّ أَبَشَرٍ هُوَ أَمْ مَلَكٌ أَمْ جِنٌّ . وَفِيهِ
نَظَرٌ ؛ وَ يُسْتَعْلَمُ بِأَيِّ عَمَّا يُمَيِّزُ أَحَدَ الْمُتَشَارِكِينَ فِي أَمْرٍ يَعْشِيهِمَا ، نَحْوُ : أَيُّ
الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا ؟ أَيُّ أَنْحَنُ أَمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ . وَبِكُمْ عَنِ الْعَدَدِ :

هذا إنكاراً لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية (تقول من جبريل
إلى آخره) قال السكاكي : ومن هذا الباب قوله تعالى حكاية عن فرعون : فمن
ربكما يا موسى . أي أملك هو أم بشر أم جني منكرآ لأن يكون لهما رب سواه
لادعائه الربوبية لنفسه ذاهباً في سؤاله هذا إلى معنى الكما رب سواي ، فأجاب
موسى عليه السلام بقوله : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، كأنه قال
نعم لنا رب سواك هو الصانع الذي إذا سلكك الطريق الذي بين بإيجاده
لما أوجده ، وتقديره إياه على ما قدر ، واتبعت فيه الخريت الماهر ، وهو العقل
الهادي من الضلال لزمك الاعتراف بكونه رباً وأن لا رب سواه ، وأن العبادة
له مني ومنك ومن الخلق أجمع حق لا مدفع له (وفيه نظر) قال في الإيضاح :
لأنه إذا قيل من فلان يجاب بزيد ونحوه ، مما يفيد التشخيص ، ولا يصح الجواب
بنحو بشر أو جني ، وبعد ، فمن الظاهر أن مثل هذا يرجع فيه إلى السماع وربما
يؤيد رأي السكاكي بيت الكتاب وهو :

أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنْوَنَ أَتُمْ فَقَالُوا الْجِنُّ قُلْتُ عَمَّوَا ظَلَامًا

فقد سئلوا بمن وأجابوا بالجنس (ويستل بأى الخ) قال السكاكي وأما
أي فلا سؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمرهما ، يقول القائل عندي ثياب ،
فتقول أي الثياب هي ، فتطالب منه وصفاً يميزها عندك عما يشاركها في الثوبية
قال تعالى حكاية عن سليمان : أيكم يأتيني بعرضها ؟ أي الإنسي أم الجنى ، وقال
حكاية عن الكفار : أي الفريقين خير مقاماً ، أي أنحن أم أصحاب محمد (عن العدد)

نحو: سَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ . وَبِكَيْفٍ عَنِ الْحَالِ ،
وَبِأَيِّ عَنِ الْمَكَانِ . وَبِمَتَى عَنِ الزَّمَانِ ، وَبِأَيَّانَ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ . قِيلَ :
وَتُسَبَّعُ فِي مَوَاضِعِ التَّفْخِيمِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .
وَأَنِّي تَسْتَعْمَلُ تَارَةً بِتَعْنِي كَيْفَ ، نَحْوُ : فَأَتُوا حَرِّكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ ، وَآخَرَى

قال في المفتاح : فإذا قلت كم درهما لك وكم رجلا رأيت فكأنك قلت أعشرون
أم ثلاثون أم كذا أم كذا ، وتقول كم درهمك وكم مالك أي كم دانقا وكم ديناراً
وكم ثوبك أي كم شبراً وكم ذراعاً وكم زيد ماكث أي كم يوماً أو كم شهراً وكم
رأيتك أي كم مرة وكم سرت أي كم فرسخاً أو كم يوماً ، قال الفرزدق :

كَمْ عَمَّةٌ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَاتٌ فِدَاءً قَدْ حَابَتِ عَلَى عِشَارِي

فيم (١) روى بنصب المميز (عن الحال) فإذا قيل كيف زيد لجوابه
صحيح أو سقيم أو شج أو جزلان وما أشبه ذلك (عن المكان) فإذا قيل
أين زيد ، فالجواب في الدار أو السوق مثلاً (عن الزمان) ماصياً كان أو
مستقبلاً ، فتقول متى جئت ، والجواب سحر أمثلاً ، وتقول متى تأتي ، والجواب
بعد شهر (عن المستقبل) فتقول أيان يشمر هذا الغرس ، والجواب بعد سنة
مثلاً (قيل) القائل هو علي بن عيسى الربعي إمام أئمة بغداد في علم النحو
(نحو فأتوا حرثكم أني شئتم) أي من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتي

(١) ويكون الاستفهام على هذا لأنهم ، أي أخبرني بعدد عماتك وخالاتك
اللاتي كن يخدمنني فمقد نسبيته . والذي يظهر أن المراد الخبرية ، وهي قد
كنصبه المميز .

يَمَعْنَى مِنْ أَيْنَ ، نَحْوُ : أُنِّي لَكَ هَذَا . ثُمَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ كَثِيرًا مَا اسْتَعْمَلَ
فِي غَيْرِ الْاسْتِفْهَامِ ، كَالِاسْتِبْطَاءِ نَحْوُ : كَمْ دَعَوْتُكَ ، وَالتَّعَجُّبِ نَحْوُ : مَا لِي
لَا أَرَى الْهُدُودَ ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى الضَّلَالِ ، نَحْوُ : فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ، وَالْوَعِيدِ
كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسِيءُ الْأَدَبَ : أَلَمْ أَدَّبْ فَلَا تَأْ ، إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ ، وَالتَّقْرِيرِ

موضع الحرث ، قال النفثازاني : ولم يجيء أنى زيد بمعنى كيف هو (كثيراً
ما استعمل في غير الاستفهام) على سبيل المجاز . قال النفثازاني وتحقيق كيفية
هذا المجاز وبيان أنه من أي نوع من أنواعه مما لم يحتمل حوله أحد (نحو كم
دعوتك) ومنه بيت السقط :

إِلَى مَ وَفِيمَ تَنْقَلِبْنَا رِكَابَ رَوَاعِلٍ أَنْ يَنْكُونَ لَنَا أَوَانُ

(والتقرير) أي حمل المخاطب على الإفراز بما يعرفه وإلجائه إليه (بإيلا
إلى آخره) أي يشترط أن يكون المقرر به تالياً للهمزة (١) كما مر أن المستفهم
عنه هو ما يلي الهمزة فتقول : أفعلت ، إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه :
وتقول : أنت فعلت ، إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل ، وتقول : أزيداً ضربت
إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد وما جعلت الهمزة فيه للتقرير بالفاعل
قوله تعالى حكاية عن قول عمروذ : أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم ، قال
الشيخ في دلائل الإعجاز : لاشبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام

(١) أي إذا كان التقرير بالهمزة فإنها هي التي تجيء للتقرير بالفعل والفاعل
والمفعول بخلاف البواقي فإن هل تكون للتقرير بنفس الحكم نحو : هل ثوب
لكفار ما كانوا يفعلون ، والأسماء الاستفهامية للتقرير بما يسأل بها عنه نحو : كم
آتيناهم من آية بيّنة ، ومن الذي ضربته وهكذا .

بِإِبْلَاءِ الْمُقَرَّرِ بِهِ الِهْمَزَةُ ، كَمَا مَرَّ ؛ وَالْإِنْكَارِ كَذَلِكَ ، نَحْوُ : أَعْيَرَ اللَّهُ

وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقر بأنه منه كان كيف ، وقد أشاروا إلى الفعل في قولهم : أنت فعلت هذا ، وقال هو عليه السلام في جوابهم بل فعله كبيرهم هذا ، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب : فعلت أو لم أفعل (والإنكار كذلك) فيشترط أن يلي المنكر الهمزة (١) قال امرؤ القيس :

* أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي *

فهذا لإنكار الفعل ، لأنه قال والمشرفي مضاجعي ، فذكر ما يكون مانعاً من الفعل ، والمانع إنما يحتاج إليه مع من يتصور صدور الفعل منه دون من يكون في نفسه عاجزاً عنه ، وقال الله جل شأنه : أم يقسمون رحمة ربك ، فهذا لإنكار الفاعل ، أي ليسوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها المتولين لقسم رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ، وعد الزمخشري قوله : فأنت تكبره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وقوله : فأنت تسمع الصم أو تهدي العمى ، من هذا تضرب ، على أن المعنى فأنت تقدر على إكراههم على الإيمان ، وأفأنت تقدر على هدايتهم على سبيل القسر والإلجام ، أي إنما يقدر على ذلك الله لا أنت ، وحمل السكاكي تقديم الاسم في هذه الآيات على البناء

(١) يعني إذا كان الإنكار بالهمزة ، وأما غيرها وإن صح مجيئه للإنكار لكن لا يجري فيه هذا التفضيل ، وهو مثل قولك : فإذا يضرك لو فعات كذا ، وكيف تؤذي أباك وقوله :

* مِنْ أَيْنَ تَدْرِي مَا الْعَرَارُ مِنَ الرَّندِ *

العرار : نبت طيب الرائحة ، والرند : شجر كذلك .

تَدْعُونَ ، وَمِنْهُ : أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ، أَيُّ اللَّهِ كَافٍ عَبْدَهُ ، لِأَنَّ إِنكَارَ
النَّفْيِ نَفْيٌ لَهُ ، وَنَفْيُ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ ؛ وَهَذَا مُرَادٌ مَنْ قَالَ إِنَّ الهمزة فِيهِ لِلتَّقْرِيرِ ،
أَيُّ بِمَا دَخَلَهُ النَّفْيُ لَا بِالنَّفْيِ ، وَإِنكَارِ النَّعْلِ سُورَةَ أُخْرَى ، وَهِيَ نَحْوُ :
أَزِيدًا ضَرَبْتَ أُمَّ عَمْرًا ، لَمَنْ يُرَدُّ الضَّرْبُ بَيْنَهُمَا . وَإِنكَارُ إِمَّا لِلتَّوْبِيخِ

على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر في نحو : أنا ضربت ، فلا يفيد
إلا تقوى الإنكار . وقال تعالى : أغير الله اتخذ ولياً ، فهذا لإنكار المفعول ،
فإن المنكر هو اتخذ غير الله ولياً ، وأما قوله عز وجل : اتخذ أصناماً آلهة ،
فالمنكر هو نفس اتخذ الآلهة فهذا ولي الفعل (ومنه) أي من بجىء الهمزة
للإنكار (أليس الله بكاف عبده) ومثله قوله تعالى : ألم نشرح لك صدرك ،
والم يحدك بثبما فأوى ، وقول جرير في عبد الملك :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ اللَّطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ يُطُونَ رَاحَ

ولهذا كان مدحاً بل قيل إنه أمدح بيت قالته العرب (من قال) هو
الزبخشري (أي بما دخله النفي) وحينئذ يحسن أن يقال إن الهمزة للتقرير
كما يحسن أنه يقال إنها للإنكار (لمن يردد الضرب بينهما) أي لمن يدعى أنه
ضرب إما زيدا وإما عمراً دون غيرهما ، لأنه إذا لم يتعلق الفعل بأحدهما
والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لا محالة . ومن هذا الباب
قوله تعالى : قل الذكركم حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ،
أخرج اللفظ مخرجه إذا كان قد ثبت تحريم في أحد الأشياء ، ثم أريد
معرفة عين المحرم ، مع أن المراد بإنكار التحريم من أصله ، وكذا قوله :
آله أذن لكم ، إذ معلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى

أَيُّ مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَحْوُ : أَعْصَيْتَ رَبَّكَ ، أَوْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
نَحْوُ : أَتَعْصِي رَبَّكَ ؛ أَوْ لِلتَّكْذِيبِ ، أَيُّ لَمْ يَكُنْ ، نَحْوُ : أَفَأَصْنَأَكُمْ
رَبِّكُمْ بِالْبَيْنِ ، أَوْ لَا يَكُونُ نَحْوُ : أَنْزَلْنَاكُمْ هَا ، وَالتَّهْكُمِ نَحْوُ :
أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، وَالتَّحْقِيرِ نَحْوُ : مَنْ هَذَا ، وَالتَّهْوِيلِ
كَقِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ : وَاقْدُ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ

إِذْنٍ فِيمَا قَالُوهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِذْنُ قَدْ كَانَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ ، فَأَضَافُوهُ إِلَى
اللَّهِ ، إِلَّا أَنْ اللَّفْظَ أَخْرَجَ مَخْرَجَهُ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لِيَكُونَ أَشَدَّ لِنَفْيِ ذَلِكَ
وَلِإِبْطَالِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا نَفَى الْفِعْلَ عَمَّا جَعَلَ فَاعِلًا لَهُ فِي الْكَلَامِ وَلَا فَاعِلَ لَهُ غَيْرَهُ
لَزِمَ نَفْيُهُ مِنْ أَصْلِهِ (نَحْوُ أَعْصَيْتَ رَبَّكَ) أَيُّ لَمْ كَانَ الْعَصِيَانُ وَمَا كَانَ يَنْبَغِي
أَنْ يَقَعَ (نَحْوُ أَتَعْصِي رَبَّكَ) مِثْلَهُ قَوْلُكَ لِلرَّجُلِ يَضِيعُ الْحَقُّ : أَتَنْسَى قَسْدِي
لِحَسَانِ فُلَانٍ ، أَتَتْرَكَ صِحَّتَهُ وَتَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِكَ مَعَهُ ، لِأَنَّ تَغْيِيرَ الزَّمَانِ . وَقَوْلُكَ
لِلرَّجُلِ يَرْكَبُ الْخَطَرَ : أَتَخْرُجُ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، أَتَذْهَبُ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ ، أَتَغْرُرُ
بِنَفْسِكَ (نَحْوُ أَنْزَلْنَاكُمْ هَا) أَيُّ أَنْكَرْهُمْ عَلَى قَبُولِ الْبَيْتَةِ وَنَقَسْرَكُمْ عَلَى الْإِهْتِدَامِ
بِهَا وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَهَا لَا يَكُونُ ذَلِكَ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَتَتْرُكُ أَنْ قَاتَ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتَهُ إِنِّي إِذَا لِلتَّيْمِ

« هَذَا ، وَقَدْ يَكُونُ اسْتِفْهَامُ الْإِنْكَارِ الَّذِي بِمَعْنَى النَّفْيِ لِلتَّوْبِيخِ أَيْضًا مِثْلَ
قَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ ، الْمَعْنَى أَيُّ تَبِعُوا عَلَيْهِمْ فِي الْإِيمَانِ
وَتَرَكَ النَّفَاقَ ، وَهَذَا لِلذَّمِّ وَالتَّوْبِيخِ وَإِلَّا فَلِكُلِّ مَصْلَحَةٍ فِيهِ (وَالتَّهْكُمِ)
مَعْطُوفٌ عَلَى الْاسْتِطْطَامِ (كَقِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ) فَإِنَّ الْمَعْنَى عَلَيْهَا أَنَّهُ لَمَّا وَصَفَ
اللَّهُ تَعَالَى الْعَذَابَ بِأَنَّهُ مُهِينٌ لَشِدَّتِهِ وَفُظَاعَتِهِ شَأْنَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَصُورَ كُنْهَهُ فَقَالَ :

مَنْ فِرْعَوْنُ ، بِإِفْظِ الْإِسْتِفْهَامِ وَرَفَعِ فِرْعَوْنُ ، وَهَذَا قَالَ : إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا
مِنَ الْمُسْرِفِينَ ، وَالْإِسْتِبْعَادِ نَحْوُ : أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ . وَمِنْهَا الْأَمْرُ ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ صِيغَتَهُ مِنَ الْمُقْتَرَنَةِ
بِالْإِلَامِ ، نَحْوُ : لِيَحْضُرَ زَيْدٌ ، وَغَيْرِهَا ، نَحْوُ : أَكْرِمُ عَمْرًا ، وَرَوَيْدٌ بَكْرًا

من فرعون ، أتعرفون من هو في فرط عتوه وتكبره وتجبّره ، ما ظنكم بعذاب
يكون هو المعذب به ، ثم عرف حاله بقوله : لأنه كان عالياً من المسرفين «تكملة»
قد يراد بالاستفهام التوبيخ والتعجيب جميعاً مثل قوله تعالى : كيف تكفرون
بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم الآية ، أي كيف تكفرون والحال أنكم عالمون
بهذه القصة . أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينفي عن الانهماك في
الغفلة أو الجهل ، وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأتي أن لا يكون للعاقل علم
بالصانع وعلمه به يأبى أن يكفر وصدور الفعل مع الصارف القوي مظنة تعجب ،
ونظيره : أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب .
والحاصل أن كلمة الاستفهام إذا امتنع حملها على حقيقتها تولد منه بمعونة
القرائن ما يناسب المقام ، ولا تنحصر المتولدات فيما ذكره المصنف ، ولا
ينحصر أيضاً شيء منها في أداة دون أداة بل الحاكم في ذلك هو سلامة الذوق
وتدبير التراكيب ، فلا ينبغي أن تقتصر في ذلك على معنى سمعته أو مثال وجدته
من غير أن تتخطاه ، بل عليك بالتصرف واستعمال الروية والله الهادي (ومنها
الامر) وهو في اللفظة استعمال صيغة دالة على طلب من المخاطب على طريق
الاستعلاء (من المقترنة باللام إلى آخره) في هذا إشارة إلى أن أقسام صيغة
الامر ثلاثة : الأول : المقترنة باللام الجازمة ويختص بما ليس للفاعل المخاطب ،

مَوْضُوعَةٌ لَطَابِ الْفِعْلِ اسْتِعْلَاءً، لِتَبَادُرِ الْفَهْمِ عِنْدَ سَمَاعِهَا إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى ،
وَقَدْ تَشْتَعَلُ لِغَيْرِهِ كَالْإِبَاحَةِ نَحْوُ : جَالِسِ الْحَسَنِ أَوْ ابْنِ سِيرِينَ ، وَالتَّهْدِيدِ
نَحْوُ : اَعْمَاوَا مَا شِئْتُمْ ، وَالتَّعْجِيزِ نَحْوُ : فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَالتَّسْخِيرِ
نَحْوُ : كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ، وَالإِهَانَةِ نَحْوُ : كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ،
وَالتَّسْوِيَةِ نَحْوُ : اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ، وَالتَّعْنَى نَحْوُ * أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ

والثاني : ما يصلح أن يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف
المضارعة ، والثالث : اسم دال على طلب الفعل ، وهو عند النحاة من أسماء
الأفعال ، والأولان لغاية استعمالهما في حقيقة الأمر ، أعنى طلب الفعل على
سبيل الاستعلاء ، ساهما التحزيون أمراً ، سواء استعملوا في حقيقة الأمر
أو في غيرها ، حتى إن لفظ اغفر في قولنا : اللهم اغفر لنا ، أمر عندهم .
وأما الثالث : فلما كان اسماً لم يسموه أمراً تمييزاً بين البابين (رويد بكرة) رويد
اسم فعل بمعنى امهل (وقد تستعمل لغيره) بما يناسب المقام بحسب القرائن
نحو : (جالس الحسن أو ابن سيرين) قال السكاكي : ومن أحسن ما جاء
فيه قول كثير :

أَسِيءُ بِمَا أُوِّ أَحْسَنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِبَةٌ إِنْ تَقَلَّتْ (١)

أى لا أنت ملومة ولا مقامية ، ووجه حسنه لإظهار الرضا بوقوع الداخل
تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب ، أى مهما اخترت في حق من الإساءة
والإحسان ، فأنا راض به غاية الرضا فعمائيتي بهما ، وانظري هل تتفاوت حالى
معك فى الحالين (نحو ألا أيها الليل) وتأممه :

أَلَا أَنْجَلِي * وَالذَّنَاءِ نَحْوُ : رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَالِالْتِمَاسِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسَاوِيكَ
رُتْبَةً : أَفْعَلُ ، بِدُونِ الْإِسْتِعْلَاءِ ثُمَّ الْأَمْرُ ؛ قَالَ السَّكَاكِي : حَقُّهُ الْفَوْرُ ،
لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ مِنَ الطَّابِ ، وَلِتَبَادُرِ الْفَهْمِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِشَيْءٍ بَعْدَ الْأَمْرِ
بِخِلَافِهِ إِلَى تَغْيِيرِ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ دُونَ الْجَمْعِ وَإِرَادَةِ التَّرَاخِي ، وَفِيهِ نَظَرٌ .
وَمِنْهَا النَّهْيُ ، وَهُوَ حَرْفٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ لَا الْجَارِمَةَ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ : لَا تَفْعَلْ ،
وَهُوَ كَالْأَمْرِ فِي الْإِسْتِعْلَاءِ ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ طَابِ الْكُفِّ أَوِ التَّرَكِّ
كَالتَّهْدِيدِ ، كَقَوْلِكَ لِعَبْدٍ لَا يَمْتَنُّ أَمْرَكَ : لَا تَمْتَنِّ أَمْرِي : وَهَذِهِ

§ يَصْبِحُ وَمَا الْأَصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ §

وهو لامرئ القيس . الانجلاء : الانكشاف ، والامثل : الأفضل . يقول
يزل ظلامك بضياء من الصبح ثم قال : وليس الصبح بأفضل منك عندي لاني
أقاسي الهموم نهاراً كما أعانيها ليلاً ، أو لأن نهارى أظلم في عيني لازدحام
الهموم على حتى حكي الليل . فلما كان الليل لا يضح أن يطلب منه الانجلاء
كانت هذه الصيغة للمنى ولم تجعل للترجى ، لأن التمنى لما بعد ، ومن شأن
الحب أن يستبعد انجلاء الليل (إلى تغيير الأمر الأول الخ) قال السكاكي :
فإن المولى إذا قال لعبده قم ، ثم قال له قبل أن يقوم اضطجع حتى المساء ،
بتبادر الفهم إلى أنه غير الأمر بالقيام إلى الأمر بالاضطجاع ، لا أنه أراد
الجمع بين القيام والاضطجاع مع تراخى أحدهما (وفيه نظر) لأن ذلك غير
مسلم عند خلو المقام عن القرائن ، فليس مفهوماً الأمر إلا الطلب استعلاء ،
والفور والتراخى مفوض إلى القرينة (ومنها النهى) وهو طلب الكف
عن الفعل استعلاء (طاب الكف أو الترك) يشير بذلك إلى الخلاف الذي

الأربعة يجوز تقدير الشرط بعدها، كقولك: لبيت لي مالا أنفقته، أي إن أرزقته أنفقته، وأين بيتك أزررك، أي إن تعرفني أزررك، وأكرمني أكرمك، أي إن شكرني أكرمتك، ولا تشتمني يكن خيرا لك، أي إن لا تشتمني يكن خيرا لك. وأما العرض كقولك: ألا تنزل تصيب خيرا، فمولد من الاستفهام، ويجوز تقدير الشرط في غيرها لقرينة نحو:

قام بين الأشاعرة والمعتزلة، فإن الأشاعرة يزعمون أن مقتضى النهي كف النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد أضداده، والآخرون ذهبوا إلى أنه ترك الفعل. وتحقيق هذا البحث مما تكفل به علم الأصول (الأربعة) يعني التمني والاستفهام والأمر والنهي (يجوز تقدير الشرط بعدها) قال التفتازاني: ووجه ذلك أن كل كلام لا بد فيه من حامل المتكلم عليه، والحامل على الكلام الخبري لإفادة المخاطب بمضمونه، وعلى الطالب كون المطلوب مقصود المتكلم إما لذاته أو لغيره يعني يتوقف ذلك النير على حصوله وتوقف غيره على حصوله هو معنى الشرط. فإذا ذكرت الطلب ولم تذكر بعده ما يصلح توقفه على المطلوب، جوز المخاطب كون ذلك المطلوب مقصودا لنفسه ولغيره وإن ذكرت بعده ذلك غالب على ظنه كون المطلوب مقصودا لذلك المذكور لا لنفسه، فيكون إذن معنى الشرط في الطلب مع ذكر ذلك الشيء ظاهرا (فولد من الاستفهام) وليس به، لأن التقدير أنه لا ينزل فالاستفهام عن عدم النزول طلب للحاصل وهو محال (النداء) هو طلب لإقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة كأي وأصله لنداء البعيد وقد ينزل غير البعيد منزلة البعيد لكونه نائما أو ساهيا حقيقة، أو بالنسبة إلى الأمر الذي تناديه

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُمُ الْوَالِيُّ ، أَيْ إِنْ أَرَادُوا أَوْلِيَاءَ بِحَقِّ .
وَمِنْهَا النَّدَاءُ ، وَقَدْ تَشْتَعَلُ صِيغَتُهُ فِي غَيْرِ مَعْنَاهُ ، كَالْإِغْرَاءِ فِي قَوْلِكَ لِمَنْ

له يعنى أنه بلغ من علو الشأن إلى حيث أن المخاطب لا يبقى بما هو حقه من
السعى فيه وإن بذل وسعه واستفرغ جهده ، فكأنه غافل عنه بعيد منه ، وأى
والهمزة ، وأصاها للقریب ، وقد يستعملان في البعيد تنبيهاً على أنه حاضر في
القلب لا يغيب عنه أصلاً كقول الشاعر :

أَسْبَكَانَ نِعْمَانَ الْأَرَاكِ تَيَقَّنُوا بِأَنَّكُمْ فِي رُبْعِ قَابِي سُبَّكَانُ

وأما يا فقال ابن الحاجب إنها حقيقة في القريب والبعيد ، لأنها لطلب
الإقبال مطلقاً ، وقال الزمخشري إنها لا بعيد ، واستعمالها في القريب إما لاستبعاد
الداعى نفسه عن مرتبة المدعو نحو يا الله ، وإما للتنبيه على معظم الأمر وعلو
شأنه وأن المخاطب مع شدة حرصه على الامتثال كأنه غافل عنه نحو : يا أيها
الرسول بلغ ما أنزل إليك ، وإما للحرص على إقباله كأنه أمر بعيد نحو :
يا موسى أقبل ، وإما لغير ذلك من الأغراض والمقاصد (كالإغراء) والاستغاثة
كعورك : يا الله من ألم الفراق ، والتعجب نحو : يا لهباء والعشب والتدله والتحير
والتضجر كما في نداء الأطلال والمنازل والمطايا كقوله :

أَيَا مَنَازِلَ سَأَلْتَنِي أَيْنَ تَسْمَاكَ

، قوله :

بَانَاقٍ جِدِّي فَقَدْ أَفْنَتَ أَنْتَكِ بِي صَبْرِي وَنَعْمِي وَأَحْلَاسِي وَأَنْسَاعِي (١)

(١) الأناة : التأنى والأحلاس جميع حلس : وهو كسواء يطرح على ظهر
البعير ، والأنساع جمع نسع : وهو ما ينسج للتصدير أى للحزام في صدر البعير .

أَقْبَلَ يَتَنَزَّلُ : يَا مَظْلُومٌ ، وَالِإِخْتِصَاصِ فِي قَوْلِهِمْ : أَنَا أَفْعَلُ كَذَا أَيُّهَا

والتوجه والتحسر كقوله :

فِيآ قَبْرٍ مَعْنَى كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْبَحْرُ مُتَرَعًا
وأمثال هذه المعاني كثيرة في الكلام (والاختصاص) وهو إما في معرض
التفاخر نحو : أنا أكرم الضيف أيها الرجل ، أو التصاغر نحو : أنا
المسكين أيها الرجل ، أو لمجرد بيان المقصود بذلك الضمير ، فكل هذا صورته
صورة النداء وليس به ، لأن أيا وما جعل وصفاً له لم يرد به المخاطب بل هو
عبارة عما دل عليه ضمير المتكلم السابق ولا يجوز فيه إظهار حرف النداء لأنه
لم يبق فيه معنى النداء أصلاً فكره التصريح بأدائه ، فقوله أيها الرجل : فأى
مضموم والرجل مرفوع كما في النداء لكن مجموعهما في محل النصب على الحال ،
ولذلك قال المصنف أى مختصاً من بين الرجال . وقد يقوم مقام أى اسم
منصوب إما معرف باللام نحو : نحن العرب أقرى الناس للضيف ، أو مضاف
نحو إنا معاشر الأنبياء لانورث ، وربما يكون علماً كقولك :

بِنَا نَسِيمًا يُكشِفُ الضُّبَابُ

قال ابن الجراحب المعرف ليس منقولاً عن النداء ، ونحو : أيها الرجل
منقول عنه قطعاً ، والمضاف يحتمل الأمرين النقل فيكون منصوباً بياء مقدزة ،
وكونه مثل المعرف فيتكون منصوباً بتقدير أعنى أو أخص ، قال الإمام
المرزوق في قول الجاهلي :

إِنَّا بِي نَهْشَلٍ لَا نُدْعَى لِأَبٍ

الفرق بين أن ينصب بى نهشل على الاختصاص ، وبين أن يرفع على

الرَّجُلُ ، أَيْ مُتَّخِصًّا مِنْ بَيْنِ الرِّجَالِ . ثُمَّ الْخَبْرُ فَدُ يُقَعُ مَوْقِعَ الْإِنْشَاءِ
إِمَّا لِلتَّفَاوُلِ ، أَوْ لِإِظْهَارِ الْحُرْصِ فِي وَقُوعِهِ ، كَمَا مَرَّ ، وَالِدَعَاءُ بِصِيغَةِ الْمَاضِي
مِنَ الْبَلِيغِ يَحْتَمِلُهُمَا ، أَوْ لِلإِحْتِرَازِ عَنِ صُورَةِ الْأَمْرِ ، أَوْ لِجَمَلِ الْمُخَاطَبِ
عَلَى الْمَطْلُوبِ ، بَأَن يَكُونَ يَمَّنْ لَا يُحِبُّ أَنْ يُكَذَّبَ الطَّالِبُ .

﴿ تَنْبِيهُ ﴾ الْإِنْشَاءُ كَالْخَبْرِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا ذَكَرَ فِي الْأَبْوَابِ الْخَمْسَةِ
السَّابِقَةِ ، فَلْيَعْتَبِرْهُ النَّاطِرُ .

الخبرية هو أنه لو جعله خبراً لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب وكان
فعله لذلك لا يخلو عن خمول فيهم وجهل من المخاطب بشأنهم ، وإذا نصب
من من ذلك (قد يقع موقع الإنشاء) مجازاً (للتفاؤل) كما إذا قيل لك في
مقام الدعاء : أعاذك الله من الشبهة ، وعصمك من الخيرة ، وحبب إليك التثبيت
وزين في عينك الإنصاف ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأودع صدرك برد اليقين
ليتفامل بلفظ المضي على عدما من الأمور الحاصلة التي حقهـا الإخبار عنها
بأفعال ماضية (أو لإظهار الحرص في وقوعه) لما تقدم من أن الطالب إذا
عظمت رغبته في شيء كثير تصوره إياه ، فربما يخيل إليه حاصلاً فيورد باللفظ
الماضي (يحتملها) أي التفاؤل وإظهار الحرص (أو للاحتراز عن صورة الأمر)
كقول العبد للهولي إذا حول عنه الوجه ينظر الولي إلى ساعة (أو لجمال
المخاطب الخ) فتقول لصاحبك الذي لا يجب أن تنسب إلى الكذب : تأتيني
غداً ، تحمله أبلغ من بالطف وجه على الإتيان

﴿ الفصل والوصل ﴾

الوصل عطف بعض الجمل على بعض ، والفصل تركه ، فإذا أتت جملة بعد جملة ، فالأولى إما أن يكون لها محل من الإعراب ، أو لا ، وعلى الأول ، إن قصد تشريك الثانية لها في حكمه عطفت عليها كالمفرد ، فشرط كونه مقبولاً بالواو ونحوه (١) أن يكون بينهما جهة جامعة ،

﴿ الفصل والوصل ﴾ قال الشيخ الإمام في دلائل الإعجاز : اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجىء بها مثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ، وما لا يأتي بتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخاص ، والأقوام طبعوا على البلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد ، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة ، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال : معرفة الفصل من الوصل ، ذلك لغموضه ودقة مسلكه ، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كل لهائر معاني البلاغة .

وأما بعد : فإن من سفتنا في هذا الشرح أننا عند الكلام على المبحث الذي نتلجم أجزاءه وتشترك كلماته ، نعود إلى نظم شرحه في سبط واحد ، حتى يكون على ظهر العيس وطرف الثمام فنقول :

بما يكاد يكون معروفاً أن فائدة العطف هو التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ، وإن من الحروف العاطفة ما يفيد هذا القدر لحسب وهو

(١) قول المصنف ، ونحوه : أي نحو الواو ، حشو فاسد ، لأن هذا

الحكم يختص بالواو كما ستقف عليه .

نحو : زَيْدٌ يَكْتُبُ وَيَشْعُرُ ، أَوْ يُعْطَى وَيَمْنَعُ ، وَلِهَذَا عَيَّبَ عَلَى
أَبِي تَمَّامٍ قَوْلَهُ :

الواو ومنها ما يفيد مع ذلك معاني مثل إن الفاء توجب الترتيب من غير تراخ
وتم توجيهه مع تراخ ، وأو تردد الفعل بين شيئين وتجمعه لأحدهما لا بعينه .
ثم العطف إما في المفردات وإما في الجمل . فالذي في المفردات يقتضى تشريك
الثاني في إعراب الأول وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك .
الإعراب ، نحو إن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله ، والمعطوف على
المنصوب أنه مفعول به أو فيه أو له شريك له في ذلك . والذي في الجمل ،
فالجمل على ضربين : أحدهما أن يكون المعطوف عليها موضع من الإعراب
وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد ، إذ لا يكون للجمله موضع من
الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع
المفرد كان عطف الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد ، فإذا قلت : مررت
برجل خلقه حسن وخلقه قبيح ، كنت قد أشركت الثانية في حكم الأولى وذلك
الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للسكر . قال الشيخ الإمام : ونظائر ذلك
تكثر ، والأمر فيها يسهل . الثاني : أن تكون الجملة المعطوف عليها عارية
الموضع من الإعراب نحو : زيد قائم وعمرو قاعد ، وهذا الضرب هو الذي
يدق مذهبه ويفمض أمره ، وإنما تكون الدقة في الواو دون غيرها من حروف
العطف لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني كما علمت ، فإذا عطفت بواحد منها
ظهرت العائدة ، فإذا قلت : أعطاني فشكرته ، ظهر بالفاء أن السكر كان معقبا
على العطاء ومسببا عنه ، وإذا قلت أخرجت ثم خرج زيد ، أفادت ثم إن خروجه
كان بعد خروجه وأن مهلة وقعت بينهما ، وإذا قلت : يعطيك أو يكسوك

لَا وَالَّذِينَ هَرَّ عَالِمٌ أَنْ النَّوَى صَبْرًا وَأَنَّ أَبَا الْحَسَنِ كَرِيمٌ (١)
وَإِلَّا فَصَلَّتْ عَنْهَا ، نَحْوُ : وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ، لَمْ يُعْطَفَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
عَلَى إِنَّا مَعَكُمْ لِأَنَّهُ نَسَبٌ مِنْ مَقُولِهِمْ ، وَعَلَى الثَّانِي إِنْ قَصِدَ رِبْطُهَا بِهَا

دلت أو على أنه يفعل واحداً منهما لا بعينه . أما الواو فليس لها معنى سوى
الإشراك ، فإذا قلت : جاءني زيد وعمرو . لم تفد بالواو شيئاً أكثر من اشتراك
عمرو في المجرى الذي أثبتته لزيد ولا يتصور اشتراك بين شيئين حتى يكون هناك
معنى يقع ذلك الاشتراك فيه . وإذا كان كذلك ولم يكن معنا في قولنا
زيد قائم وعمرو قاعد معنى تزعم أن الواو أشركت بين هاتين الجملتين فيه كانت
الدقة وثبت أن النموذج . فنقول :

هذا الضرب .. وهو ما تكون الجملة الأولى فيه عارية الموضع من الإعراب ..
لا يخلو إما أن تكون الثانية متصلة من ذات نفسها بالأولى ومستغنية بربط
معناها لها عن حرف عطف يربطها بأن كانت مؤكدة لها ومبينة ، وكانت إذا
حصلت لم تكن شيئاً سواها ، وهذا لا يجوز إدخال العاطف عليه . . وإما أن
لا تكون كذلك ، فإما أن يكون بين الثانية وبين الأولى مناسبة . وهنا يجب

(١) قبله :

رَعِمَتْ هَوَاكَ عَفَا الْعَدَاةَ كَمَا عَفَا عَنْهَا طَالَالَ بِاللَّوَى وَرُشُومٌ

وبعده :

مَا حَاتَتْ عَنْ سَنَنِ الْوِدَادِ وَلَا غَدَّتْ تَشْبِي عَلَى إلفِ سِوَاكَ تَحْمُومٌ

عَلَى مَعْنَى عَاطِفٍ سِوَى الْوَاوِ عُظِفَتْ بِهِ نَحْوُ : دَخَلَ زَيْدٌ فَنُجِرَ عَمْرُو ،
أَوْ : ثُمَّ خَرَجَ عَمْرُو ، إِذَا قُصِدَ التَّعْقِيبُ أَوْ الْمُهْلَةُ ، وَإِلَّا فَإِنْ كَانَ لِلأُولَى
حُكْمٌ لَمْ يُقْصَدِ إِعْطَاؤُهُ لِلثَّانِيَةِ فَالْفَصْلُ ، نَحْوُ : وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ،
الآيَةُ ، لَمْ يُعْطَفَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ عَلَى مَا قَالُوا لَسَاءَ (١) يُشَارِكُهُ
فِي الإِخْتِصَاصِ بِالظَّرْفِ ، لِمَا (٢) مَرَّةً ، وَإِلَّا (٣) فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا كَمَالُ
الإِنْقِطَاعِ بِلَا إِبْهَامٍ ، أَوْ كَمَالُ الإِتِّصَالِ أَوْ شِبْهُ أَحَدِهِمَا ، فَكَذَلِكَ

ذكر العاطف ، أولاً يكون بينهما مناسبة رأساً ، وهنا لا يجوز ذكر العاطف .
تقرير لهذا المعنى بعبارة أخرى : إن كان بين الجملتين كمال الاتصال أو كمال
الانقطاع أو كانت الثانية بمنزلة المتصلة بالأولى أو بمنزلة المنقطعة عنها تعين
الفصل ، وإن كان بينهما توسط بين الاتصال والانقطاع تعين الوصل . . أما
كمال الانقطاع فيكون لأمير يرجع إلى الإسناد أو إلى طرفيه الأول أن تختلف
الجملتان خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى كقولهم : لاتدن من الأسد يا كلك بالرفع
وقول الأخطل .

(١) فيلزم أن يكون استهزاء الله بهم وهو أن خذلهم وخلاهم وما سولت
لهم أنفسهم مستدرجاً إياهم من حيث لا يشعرون مختصاً بحال خلوعهم إلى شياطينهم
وليس كذلك بل هو متصل لا انقطاع له بحال (٢) من كون تقديم الظرف
يفيد الاختصاص (٣) أى إن لم يكن الأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية
وذلك بأن لا يكون لها حكم زائد على مفهوم الجملة أو يكون ذلك ولكن
قصد إعطاؤه للثانية أيضاً .

وَأِلَّا فَالْوَصْلُ مُتَعَيِّنٌ . أَمَّا كَأَنَّ الْإِنْقِطَاعَ فَلِاخْتِلَافِهِمَا خَبْرًا وَإِنْشَاءً
لَفْظًا وَمَعْنَى ، نَحْوُ :

وَقَالَ رَأَيْدُهُمْ أَرْسُو نَزَاوِلَهُمَا * فَكُلُّ حَتْفٍ أَمْرِيءٌ يَجْرِي بِمِقْدَارِ

وقال رأيدهم أرسو نزاولها فكل حتف امريء يجري بمقدار (١)
لما كان أرسو لإنشاء لفظاً ومعنى ، ونزاولها خبراً لفظاً ومعنى ، لم يعطف
عليه ، ولم يجعل أيضاً مجزوماً جواباً للأمر ، لأن الغرض تعليل الأمر بالإرساء
بالمزاولة والحال في الجزم بالعكس . أعني يصير الإرساء علة للمزاولة . . أو
معنى فقط ، كقولك مات فلان رحمه الله . وقد جعل السكاكي مما نحن فيه
قول الزبيدي :

مَدَّكَتَهُ حَبْلِي وَوَلَّكَتَهُ أَقْبَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي
وَقَالَ إِنِّي فِي الْهَوَى كَاذِبٌ انْتَقَمَ اللَّهُ مِنَ الْكَاذِبِ

وحمله الإمام عبد القاهر على الاستئناف ، قال لأنه جعل نفسه كأنه يجيب
سائلاً قال له : فما تقول فيما اتهمك به من أنك كاذب ، فقال أقول : انتقم الله
من الكاذب ، وهو ظاهر . . . واعلم ، أن الفصل إنما يجب في مثل هذا ما لم
يكن موهماً بخلاف المقصود ، وإلا وجب الوصل لتعارض المانع ، والمقتضى

(١) الرائد : الذي يتقدم القوم لطلب الماء والكلاء ، وأرسو : من رست
السفينة إذا وقفت على المرساة ، أو من رست أقدامهم في الحرب : أي ثبتت ،
ونزاولها من المزاولة : وهي المحاولة والمعالجة في تحصيل الشيء ، والضمير للحرب
وقيل للسفينة . أما جملة للخمر فلا يناسب قوله بعد :

إِمَّا نَمُوتُ كِرَامًا أَوْ نَفُوزُ بِهَا فَوَاحِدُ الدَّهْرِ مِنْ كَدِّ وَأَسْفَارِ

أَوْ مَعْنَى فَقَطْ ؛ نَحْوُ : مَاتَ فُلَانٌ رَحِمَهُ اللهُ ، أَوْ لِأَنَّهُ لِاجْتِمَاعِ بَيْنَهُمَا
كَمَا سَيَأْتِي . وَأَمَّا كَمَا اتَّصَلَ فَلْيَكُونَ الثَّانِيَةَ مُؤَكَّدَةً لِلأُولَى لِذَفْعِ
تَوْثَمِ تَجْوِزٍ أَوْ غَلَطٍ ، نَحْوُ : لَا رَيْبَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا بُوِصِغَ فِي وَصْفِهِ
بِبُلُوغِهِ الدَّرَجَةَ القُّصْوَى فِي الكَمَالِ بِجَعْلِ المَبْتَدَأِ ذَلِكَ وَتَعْرِيفِ

إِذْنِ وَليس وراء الفصل إلا الوصل . يحكى أن الصديق رضى الله عنه مر
بأعرابي في يده ثوب ، فقال له الصديق : أتبيع هذا . فقال لا يرحمك الله . فقال
له الصديق : قد قومت ألسنتكم لو تستقيمون ، لا تقل هكذا ، قل لا ويرحمك
الله . ويحكى أن الصاحب بن عباد قال حين سَمِعَ من بعض الناس : لا وأيدك
الله ، هذه الواو أحسن من واوات الأصداع على حدود الملاح . الثانى أن
لا يكون بين الجملتين جامع ، ومن هنا عابوا أبا تمام في قوله (١) :

لا والذي هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم

وذلك أنه لا مناسبة بين كريم أبي الحسين ومرارة النوى ولا تعلق لأحدهما
بالآخر ، وسيأتى الكلام على الجامع . وأما كمال الاتصال فيكون لأحد أمور
ثلاثة : الأول : أن تكون الثانية مؤكدة للأولى والمقتضى للتأكيد دفع تَوْثَمِ
التجوز أو الغلط ، وهو قسمان : أحدهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد

(١) وقد تمحل الناس لتصحيح الوصل في البيت بأمور : منها أن مرارة
النوى سبب يقتضى انبجاع أبي الحسين لمكارمه التى تزيل شظف النوى ، وقد
بالغ الطيبي في استحسانه إشارة إلى أنه جمع بين متضادين ، هما مرارة النوى
وحلاوة كرم أبي الحسين ، فأبرزهما في معرض التوخى .

الخبير باللام ، جاز أن يتوهم السامع قبل التأمل أنه مما يرمى به

المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى مثل قوله تعالى (١) :
ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ، فإنه لما بولغ في وصف الكتاب بأنه بلغ
الدرجة القصوى من الكمال حيث (١) جعل المبتدأ لفظه ذلك وأدخل على الخبر
حرف التعريف كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة أن ينظمه في سلك ما قد
يرمى به على سبيل الجراف من غير تحقق وإيقان ، فأتبعه لا ريب فيه نفياً
لذلك ، وقد أصيب به المحزن ، فوزانه وزان نفسه في قولك : جاءني زيد نفسه ،
وبمثل هذا قوله جل شأنه : كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرأ . الثاني : مقرر لما أفاده
الأول ، من اللطيف في ذلك قوله تعالى : ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ، فصل

(١) ذلك على تقدير أن يكون ألم جملة مستقلة ، وذلك الكتاب جملة ثانية ،
ولا ريب فيه جملة ثالثة ، وهناك وجوه آخر ذكرها المفسرون . هذا والذي ذكره
الشيخ في دلائل الإعجاز أن قوله لا ريب فيه بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ذلك
الكتاب وزيادة تثبيت له وبمنزلة أن تقول هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب
فتعيده مرة ثانية تثبته ، وإذن يكون التوكيد لفظياً .

(٢) وأنت تد علمت أن تعريف المسند إليه بالإشارة يدل على كمال العناية
بتمييزه وأنه ربما يجعل ذريعة إلى تعظيمه وبعده درجته ، وأن تعريف المسند إليه
باللام يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة ؛ فعنى ذلك الكتاب : أنه الكتاب الكامل
كأن ما عداه من الكتب في مقابله ناقص ، وأنه يستحق أن يسمى كتاباً كما تقول
هذا هو الرجل أي الكامل في الرجولية ، الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات
الخصال ، وكما قال : هم القوم كل القوم بأمر خالد *

جزأفا فأتبعه^(١) نفيًا لذلك التوهم ، فوزانه ووزان نفسه في : جاءني زيد
نفسه ، ونحوه : هدى للمتقين ، فإن معناه أنه في الهداية بالغ درجة لا يدرك
كنهها حتى كأنه هداية محضنة ، وهذا معنى ذلك الكتاب ، لأن معناه -
كما مر - الكتاب الكامل ، والمراد بكاله كاله في الهداية ، لأن
الكتب السماوية بحسبها تتفاوت في درجات الكمال ؛ فوزانه ووزان

إن هذا لكونه مؤكداً للأول نفي أن يكون بشراً ، ولك^(١) أن تقول الذي
عليه العرف متى قيل في حق إنسان ما هذا بشراً ، ما هو بآدمي في حال التعظيم
له والتعجب مما يشاهد منه من حسن الخلق ، والحق هو أن يفهم منه أنه ملك
فوقع قوله إن هذا إلا ملك تأكيداً للملكية ففصل ، وثانيها أن تنزل الثانية
من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى ، مثل قوله تعالى :
هدى للمتقين ، فإن معناه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه
هداية محضنة ، وهذا معنى قوله : ذلك الكتاب ، لأن معناه كما تقدم الكتاب
الكامل ، والمراد بكاله كاله في الهداية ، لأن الكتب السماوية بحسبها يتفاوت
شأنها في درجات الكمال . الثاني أن تكون الثانية بدلا من الأولى والمقتضى
للإبدال أن تكون الأولى غير وافية بتمام المراد وإيراده ، أو كغير الوافية

(١) ولك أن تخرجه من التأكيد وتجعله من باب اليمين قال الشيخ الإمام
لأنه إذا نفي أن يكون بشراً فقد أثبت له جنس سواه ، إذ من المحال أن يخرج
من جنس البشر ثم لا يدخل في جنس آخر ، وإذا كان كذلك كان إثباته ملكا
تبييناً لذلك الجنس وتعييناً له

(٢) قول المصنف فأتبعه : أي أتبع لاريب فيه ذلك الكتاب ، أي جعل
لاريب فيه تابعا لذلك الكتاب .

زَيْدُ الثَّانِي فِي جَاءِ نِي زَيْدٌ زَيْدًا ، أَوْ بَدَلًا مِنْهَا ، لِأَنَّهَا غَيْرُ وَافِيَةٍ بِتَعَامُلِ
الْمُرَادِ أَوْ كَثِيرِ الْوَافِيَةِ ، بِخِلَافِ الثَّانِيَةِ وَالْمَقَامِ يَقْتَضِي اعْتِنَاءَ بِشَأْنِهِ
لِنُكْتَةِ ، كَوْنِهِ مَطْلُوبًا فِي نَفْسِهِ أَوْ فَطِيمًا أَوْ عَجِيبًا أَوْ لَطِيفًا ، نَحْوُ :
أَمَّا كُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَّا كُمْ بِأَنْعَامِ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ
الْتِنِيَةَ عَلَى نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالثَّانِي أَوْفَى بِتَأْدِيَتِهِ لِذِلَالَتِهِ عَلَيْهَا بِالتَّفْصِيلِ
مِنْ غَيْرِ إِحَالَةٍ تَقْلَى عِلْمَ الْمُخَاطَبِينَ الْمُعَانِدِينَ ، فَوِزَانُهُ وَزَانُ وَجْهِهِ فِي :
أَعْجَبَنِي زَيْدٌ وَجْهَهُ لِدُخُولِ الثَّانِي فِي الْأَوَّلِ ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

والمقام مقام اعتناء بشأنه ، إما لكونه مطلوباً في نفسه ، أو لكونه فظيماً أو
عجيباً أو لطيفاً أو غير ذلك مما له وجهة استدعاء للاعتناء بشأنه ، فيعيده
المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناس القصد إلى المراد ، ليظهر بمجموع
القصدية إليه في الأول ، والثاني أعنى المبدل منه والبديل مزيد الاعتناء بالشأن
وهذا ضربان أحدهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه
مثل قوله تعالى : أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ، فإنه مسوق
للتنبيه على نعم الله تعالى عند المخاطبين ، وقوله أمدكم بأنعام وبنين ، أوفى بتأديته
مما قبله لدلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على علمهم مع كونهم معاندين ،
والأمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الأمداد بما يعلمون فوزانه وزان
وجهه في قولك أعجبني زيد وجهه . قال السكاكي : ويحتمل الاستئناس . وثانيهما :
أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه ، مثل قوله تعالى :
اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ، فإن المراد به حمل
المخاطبين على اتباع الرسل وقوله تعالى : اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ،

أقول له ارحل لا تقيم عندنا * وإلا فكن في السر والجهر مسلماً
فإن المراد به كمال إظهار الكراهة لإقامته ، وقوله لا تقيم عندنا
أوفى بتأديته لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد ، فوزان وزان
حسناً في : أعجبتني الدار حسناً ، لأن عدم الإقامة مغاير الإرتحال

أوفى بتأدية ذلك ، لأن معناه اتبعوا من لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم
وتربحون صحة دينكم ، فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ، ومن ذلك قول
القائل :

أقول له ارحل لا تقيم عندنا . وإلا فكن في السر والجهر مسلماً
فإن المقصود من كلامه هذا إظهار الكراهة لإقامته بسبب خلاف سرد
العلن ؛ وقوله لا تقيم عندنا أوفى بتأدية هذا المقصود من قوله ارحل لدلالة
ذاك عليه بالتضمن مع التجرد عن التأكيد ، ودلالة هذا عليه بالمطابقة مع
التأكيد ، ووزان الثانية في الآية والبيت وزان حسناً في قولك : أعجبتني الدار
حسناً ، لأن معناها مغاير لمعنى ما قبلها وغير داخل فيه مع ما بينهما من الملازمة .
الثالث : أن تكون الثانية (١) بياناً للأولى ، وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف

(١) وقد تعطف الجملة التي تصلح بياناً للأولى عليها تنبيهاً على استقلالها
ومغايرتها لها ، ومن هذا قوله تعالى في سورة إبراهيم : يسومونكم سوء العذاب
ويذبجون أبناءكم ، مع الواو ، وقد قال في سورة البقرة يذبجون من غير واو فحيث
طرح الواو جعل التدبيح تفسيراً للعذاب وبياناً له ، حيث أثبت جعل التدبيح
لأنه أوفى على جنس العذاب ، وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر .

وغيرُ داخلٍ فيه مع ما بينهما من الملاسة ، أو بياناً لها ، لِحَفَائِهَا ، نُحُوٌّ :
فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومُلكٍ
لا يبلى ، فإن وزانه وزانُ عمر في قوله :

« أقسم بالله أبو حفص عمر »

وأما كونها كالمقطعة عنها فليكون عطفها عليها موهباً لعطفها
على غيرها ، ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله :

وتظن سلمى أنى أبغى بها * بدلاً أراها في الضلال تهيم

البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون في الأولى
نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالته مثل قوله تعالى : فوسوس إليه الشيطان قال
يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومُلكٍ لا يبلى ، فصل جملة قال عما قبلها لكونها
تفسيراً له وتبييناً ، فوزانه وزان عمر في قول الأعرابي : أقسم بالله أبو حفص
عمر ، أما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى ، فليكون عطفها عليه موهباً
لعطفها على غيرها ، ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله قول الشاعر :

وتظن سلمى أنى أبغى بها بدلاً أراها في الضلال تهيم

لم يعطف أراها كي لا يحسب السامع العطف على أبغى ، وبعد أراها
في الضلال تهيم من مضافات سلمى في حق الشاعر ، وليس هو بمراد ،
بل المراد أنه حكم للشاعر عاياً بذلك ، وليس بمستبعد أن يكون قد
قطع أراها ليقع جواباً لسؤال مقدر على سبيل الاستئناف ، وإياك أن
نرى الفصل لأجل الوزن فما هو هناك . . . وأما كونها بمنزلة المتصلة بها
فليكونها جواباً عن سؤال اقتضاه الأولى ، فتزل منزلة ، فتفصل الثانية

وَيَحْتَمِلُ الْإِسْتِثْنَانَ . وَأَمَّا كَوْنُهَا كَالْمُتَّصِلَةِ بِهَا فَكَوْنُهَا جَوَابًا
لِسُؤَالٍ اقْتَضَتْهُ الْأُولَى ، فَتُنزَلُ مَنْزِلَتَهُ ، فَتُفْصَلُ عَنْهَا ، كَمَا يُفْصَلُ الْجَوَابُ
عَنِ السُّؤَالِ . السَّكَاكِيُّ : فَيُنزَلُ ذَلِكَ مَنْزِلَةَ الْوَاقِعِ ، لِئِنَّكَ كَأَغْنَاءِ
السَّامِعِ عَنْ أَنْ يُسْأَلَ أَوْ أَنْ لَا يُسْمَعَ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَيُسَمَّى الْفُصْلُ لِذَلِكَ
اسْتِثْنَانًا ، وَكَذَا الثَّانِيَةُ ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ أُضْرِبُ ، لِأَنَّ السُّؤَالَ إِذَا عَنِ سَبَبِ
الْحُكْمِ مُطْلَقًا ، نَحْوُ :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحَزْنٌ طَوِيلٌ

عنها كما يفصل الجواب عن السؤال . قال السكاكي : النوع الثاني من الحالة المفتضية
للقطع أن يكون الكلام السابق بفحواه كالمراد للسؤال ، فينزل ذلك منزلة
الواقع ، ويطلب بهذا الثاني وقوعه جواباً له فيقطع عن الجواب السابق لذلك
وتنزل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصر إليه إلا الجهات لطيفة ، إما لتفنيه
السامع على موقعه ، أو لإغناؤه أن يسأل : أو لتلاييمع منه شيء ، أو لتلاينقطع
كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال
وترك العاطف ، أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك ، ويسمى الفصل لذلك
استثناً ، وكذا الجملة الثانية أيضاً تسمى استثناً ، والاستثناف ثلاثة أضرب
لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى إما عن سبب الحكم فيها مطلقاً كقوله :

قال لي كيف أنت، قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

لما كان في العادة إذا قيل فلان عليل ، أن يسأل عن سبب علته وموجب

مرضه ، فيقال ما به وما بعلة قدر كأنه قيل له ذلك فأتى بقوله سهر دائم جواباً

عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحال ، وكذلك قول المعري :

أَيُّ مَا بِالكَ عَايِلًا أَوْ مَا سَبَبَ عَائِكَ ، وَإِمَّا عَنْ سَبَبٍ خَاصٍّ ، نَحْوُ :
وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنْ لِلنَّفْسِ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ هَلِ النَّفْسُ أَمَارَةٌ
بِالسُّوءِ ؟ فَقِيلَ إِنْ لِلنَّفْسِ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ؛ وَهَذَا الضَّرْبُ يَقْتَضِي تَأْكِيدَ
الْحُكْمِ كَمَا مَرَّ ، وَإِمَّا عَنْ غَيْرِهَا ، نَحْوُ : قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ، أَيُّ فَمَاذَا
قَالَ ، وَقَوْلُهُ :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ * صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَنْجَلِي

وَقَدْ غَرَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَمَهْلُ زَمَانِي مَعْطِ حَيَاتِي لِغَيْرٍ بَعْدُ مَا غَرَضًا (١)
جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكَتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِيءٍ غَرَضًا
لم يصل جرابت بالعطف على غرضت بناء على سؤال ينساق لايه معنى البيت
الأول وهو : لم تقول ويحك هذا ، وما الذي اقتضاك أن تطوى كشحك عن
الحياة إلى هذه الغاية ، وإما عن سبب خاص له كقوله تعالى : وما أبرئ نفسي
إن النفس لأماراة بالسوء ، كأنه قيل هل النفس أماراة بالسوء ، فقيل نعم
إن النفس لأماراة بالسوء ، وهذا الضرب يقتضي تأكيد الحكم كما مر في باب
أحوال الإسناد أن المخاطب إن كان مترددًا في الحكم طالبًا له حسن تقويته
بمؤكد . . . وإما عن غيرهما كقول الشاعر :

زعم العواذل أنني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي
فإنه لما أبدى الشكاية من جماعات العذال ، كان ذلك بما يحرك السامع
ليسأل أصدقتوا في ذلك أم كذبوا ، فأخرج الكلام نخرجه إذا كان ذلك قد قيل

وَأَيْضًا مِنْهُ مَا يَأْتِي بِإِعَادَةِ اسْمٍ مَا اسْتَوْفَى عَنْهُ ، نَحْوُ : أَحْسَنْتَ إِلَى

له ففصل وطبق بذلك المفصل ، ومثله قول جندب بن عمار :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ بِجَهْوَبٍ خَبِتِ عُرِّيَتْ وَأَجَمَّتْ

كَذَبَ الْعَوَازِلُ لَوْ رَأَيْنَ مُنَاخِنَا بِالْقَادِسِيَّةِ قُلْنَ لَحَجَّ وَذَلَّتْ

وقد زاد هنا أمر الاستئناف وتقدير الجواب تأكيداً بأن وضع الظاهر

موضع المضمر ، فقال كذب العواذل ولم يقل كذب ، وذلك أنه لما أعاد ذكر

العواذل ظاهر آ كان ذلك أبين وأقوى لكونه كلاماً مستأنفاً من حيث وضعه

وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله ، وأتى به ما أتى ما ليس قبله كلام ، ومن الحسن البين

في هذا الباب قول الوايد بن يزيد :

عَرَفْتُ الْمَنْزِلَ الْخَالِي عَفَا مِنْ بَعْدِ أَحْوَالِ

عَفَاهُ كُلَّ حَنَابٍ عَسُوفِ الْوَيْلِ هَطَّالِ

لما قال عفا من بعد أحوال ، قدر كأنه قيل له فاعفاه ، فقال عفاه كل

حناب ، ومثله قول المتنبي :

وَمَا عَفَّتِ الرِّيحُ لَهُ مَحَلًا عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا

فإنه لما نفي أن يكون الذي يرى به من الدروس والعفاه من الرياح ، وأن

تكون التي فعلت ذلك ، كان مظنة أن يسأل عن الفاعل . قال الشيخ الإمام :

واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصلاً غير معطوف ، هذا هو

التقدير فيه والله أعلم ، أعني مثل قوله تعالى : هل أتاك حديث ضيف إبراهيم

المكرهين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ، قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى

أهله فجاء بعجل سمين ، فقر به إليهم قال ألا تأكلون ، فأوجس منهم خيفة قالوا

زَيْدٌ زَيْدٌ حَقِيقٌ بِالْإِحْسَانِ ؛ وَمِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى صِفَتِهِ ، نَحْوُ : أَحْسَنْتَ
إِلَى زَيْدٍ صَدِيقُكَ الْقَدِيمُ أَهْلُ ذَلِكَ ، وَهَذَا أَبَاغٌ ، وَقَدْ يُحْذَفُ صَدْرُ
الِاسْتِثْنَاءِ ، نَحْوُ : يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ ، فَيَمَنْ قَرَأَهَا
مُخْتَوِجَةً الْبَاءَ ، وَعَلَيْهِ : نِعَمَ الرَّجُلُ زَيْدٌ ، عَلَى قَوْلٍ ، وَقَدْ يُحْذَفُ كَلُّهُ ،
إِنَّمَا مَعَ قِيَامِ شَيْءٍ مَقَامَهُ ، نَحْوُ قَوْلِ الْحَمَّاسِيِّ :

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لِيَهُمْ إِفٌّ وَلَيْسَ لَكُمْ إِفٌّ

لا تخف ، لما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم دخل قوم على
فلان فقالوا كذا أن يقولوا فما قال هو ، ويقول المجيب قال كذا أخرج الكلام
ذلك المخرج لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه وسلك باللفظ معهم المسلك الذي
يسلكونه ، وكذلك قوله : قال ألا تأكلون ، وقوله : قالوا لا تخف ، تقسيم آخر
للاستثناء ، الاستثناء منه ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف عنه كقولك : أحسنت
إلى زيد زيد حقيق بالإحسان ، ومنه ما يبني على صفة كقولك : أحسنت إلى
زيد صديقك القديم أهل لذلك . وهذا أبان لانطوائه على بيان السبب
« تقسيم ثالث ، الاستثناء قد يحذف صدره لقيام قرينة كقوله تعالى : يسبح له
فيها بالغدو والآصال رجال ، فيمن قرأ يسبح مبتدأ للفعول ومنه قولهم : نعم
الرجل أو رجلا زيد ، وبدس الرجل أو رجلا عمرو على القول بأن المخصوص خبر
مبتدأ محذوف أي هو زيد كأنه لما قيل ذلك فأبهم الفاعل بجعله معهوداً ذهنياً
مظهراً أو مضمراً ، سئل عن تفسيره : فقيل هو زيد ثم حذف المبتدأ . . . وقد
يحذف كله ويقام ما يدل عليه مقامه كقول مساور بن هند يهجو بني أسد :

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لِيَهُمْ إِفٌّ وَلَيْسَ لَكُمْ إِفٌّ

أَوْ بِدُونِ ذَلِكَ ، نَحْوُ : فَنَعِمَ الْمَاهِدُونَ ، أَي نَحْنُ ، عَلَى قَوْلِهِ . وَأَمَّا
الْوَصْلُ لِإِدْفَعِ الْإِبْهَامِ فَكَقَوْلِهِمْ : لَا وَأَيْدِكَ اللَّهُ . وَأَمَّا لِلتَّوَسُّطِ فَإِذَا
اتَّفَقْنَا خَبْرًا أَوْ إِشَاءً لَفْظًا وَمَعْنَى أَوْ مَعْنَى فَقَطْ بِجَامِعٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَنفِي جَحِيمٍ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى :
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

أُولَئِكَ أَوْمِنُوا جُوعًا وَخَوْفًا * وَقَدْ جَاءَتْ بِنُوَاسِدٍ وَخَافُوا

التقدير أصدقنا أم كذبنا ، فقال تقديرًا كذبتهم والدليل على ذلك قوله
لهم إلف وليس لكم إلف ، ويجوز أن يقدر لهم إلف جواب سؤال اقتضاه
الجواب المحذوف كأن المتكلم قال كذبتهم ، فقالوا لم كذبنا ، فقال لهم إلف ،
وقد يحذف ولا يقام شيء مقامه (١) كقوله تعالى : فنعم الماهدون ، أي نحن
على قول من يجهل المخصوص خبر المبتدأ أي هم نحن ، وأما ، الوصل للتوسط
بين حالتي كمال الانتطاع وكال الاتصال ، فإذا اتفق الجملتان خبراً أو طلباً أمظاً
ومعنى أو معنى فقط مع جامع بينهما ، كقوله تعالى : إن الأبرار لفي نعيم وإن
الفجار لفي جحيم ، وقوله : يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، وقوله :
يخادعون الله وهو خادعهم ، هذا في المتفقتين خبراً أمظاً ومعنى ، وقوله : كلوا
واشربوا ولا تسرفوا ، وهذا في المتفقتين إنشاءً لفظاً ومعنى وكقوله تعالى : وإذ

(١) لك أن تقول الفصل لا يعقل إلا بين كلامين منطوق بهما ، فإذا كانت
الجملة المستأنفة محذوفة فكيف يسمى ذلك فصلاً ، إلا أن يقال إن المصنف
استطرد إلى أنواع الجملة المستأنفة ولم يسمه فصلاً فليس من هذا الباب .

وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ، أَمْ لَا تَعْبُدُونَ
وَتُحْسِنُونَ ؛ بِمَعْنَى أَحْسِنُوا أَوْ وَأَحْسِنُوا . وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
بِإِعْتِبَارِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِمَا وَالْمُسْنَدَيْنِ جَمِيعًا ، نَحْوُ : يَشْعُرُ زَيْدٌ وَيَكْتُبُ وَيُعْطَى
وَيَمْنَعُ ، وَزَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ ، وَزَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرٌو قَصِيرٌ لِمُنَاسَبَةِ
بَيْنَهُمَا ، بِخِلَافِ زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ ، بِدُونِهَا ، وَزَيْدٌ شَاعِرٌ

أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى
واليتامى والمساكين وقولوا ، فعطف قوله وقولوا على قوله لا تعبدون ، لأنه
بمعنى لا تعبدوا ، وأما قوله : وبالوالدين إحساناً فتقديره إما ، وتحسنون بمعنى
وأحسنوا ، وإما وأحسنوا ، وهذا أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه
سورع إلى الامتثال والانتفاء فهو يخبر عنه ، والجامع ، بين الجملتين يجب
أن يكون باعتبار المسند إليه في هذه والمسند إليه في هذه وباعتبار المسند في
هذه والمسند في هذه جميعاً كقولنا : يشعر زيد ويكتب ويعطى ويمنع ، وقولك :
زيد شاعر وعمرو كاتب وزيد طويل وعمرو قصير ، إذا كان عمرو بسبب
من زيد وكانا كالنظيرين والشريكين ، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول
عنه أن يعرف حال الثاني ، بخلاف قولنا : زيد شاعر وعمرو كاتب إذا لم
يكونا كذلك ، بخلاف قولنا زيد شاعر وعمرو طويل ، كان كذلك أو لا . قال
الشيخ في دلائل الإعجاز : اعلم أنه كما يجب أن يكون المحدث عنه في إحدى
الجملتين بسبب من المحدث عنه في الأخرى ، كذلك ينبغي أن يكون الخبر عن
الثاني مما يجرى مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأول ، فلو قلت

وَعَمْرُو طَوِيلٌ مُطْلَقًا . « السَّكَاكِيُّ » الْجَامِعُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ : إِمَّا عَقْلِيٌّ
بِأَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ فِي التَّصَوُّرِ أَوْ تَمَاطُلٌ ، فَإِنَّ الْعَقْلَ بِتَجْرِيدِهِ الْمَثَلِينَ
عَنِ التَّشْخِصِ فِي الْخَارِجِ يَرْفَعُ التَّمَدُّدَ ، أَوْ تَضَايُفُ كَمَا بَيْنَ الْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ
أَوْ الْأَقْلِ وَالْأَكْثَرِ ، أَوْ وَهْمِيٌّ بِأَنْ يَكُونَ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا شِبْهُ تَمَاطُلٍ
كَلَوْنِيَّ بِيَاضٍ وَصُفْرَةٍ ، فَإِنَّ الْوَهْمَ يُبْرِزُهُمَا فِي مَعْرِضِ الْمَثَلَيْنِ ، وَلِذَلِكَ
حَسَنَ الْجَمْعُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ :

زيد طويل القامة وعمرو شاعر كان خلفا . ه هذا ، وقد قال السكاكي الجامع
بين الجملتين : إما عقلي أو وهمي أو خيالي . فالعقل أن يكون بينهما اتحاد في
تصور مثل الاتحاد في المخبر عنه أوفى الخبر أوفى قيد من قيودهما ، أو تماثل ،
فإن العقل بتجريد المثلين عن التشخيص في الخارج يرفع التعدد عن البين ،
أو تضاييف كالذي بين العلة والمعْلول ، والسبب والمسبب ، أو السفلى والعلو ،
والأقل والأكثر ، فالعقل يأبى أن لا يجتمعا في الذهن وأن العقل ساطع
مطاع . والوهمي هو أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل ، نحو أن يكون المخبر
عنه في أحدهما لون بياض ، وفي الثانية لون صفرة ، فإن الوهم يحتمل في أن
يبرزهما في معرض المثلين ، وكلم للوهم من حيل وإلا فعليك بقوله :

(١) ربما تقول إن هذا يشعر بأنه يكفي للوصول أن يكون الجامع بين
الخبر عنها فقط أو الخبر بها فقط ، وأنت قد قلت آنفاً خلاف ذلك ، فإن
تقول كلام السكاكي هنا ليس إلا في بيان الجامع بين الجملتين ، وأما إن أي
قدر من الجامع يجب لصحة الوصول فمفوض إلى مكان آخر .

ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا * شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
أَوْ تَضَادًّا ، كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَالْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ ، وَمَا يَتَّصِفُ بِهَا ،
كَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، أَوْ شَبْهُ تَضَادِّ ، كَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَالْأَوَّلِ وَالثَّانِي ، فَإِنَّهُ يُنَزِّلُهُمَا مَنزِلَةَ التَّضَايِفِ ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ الضِّدَّ
أَقْرَبَ خُطُورًا بِالْبَالِ مَعَ الضِّدِّ ، أَوْ خَيَالِيًّا ، بَأَنَّ يَكُونُ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا
تَقَارُنٌ فِي الْخَيَالِ سَابِقٌ ، وَأَسْبَابُهُ مُخْتَلِفَةٌ ، وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَتِ الصُّورُ

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر
وقل لي : ما الذي حسن الجمع بين الشمس وأبي إسحاق والقمر هذا التحسين
سواء أو بقوله :

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فِي الْخَلْقِ مَطْمَعٌ فَذُو النَّجِ وَالسَّقَاءِ وَالذَّرُّ وَاحِدٌ
أو تضاد كالسواد والبياض والهمس والجهارة والطيب والنتن ، وكالتحرك
والسكون ، والقيام والقعود ، والإيمان والكفر ، وكالمتصفات بذلك في نحو :
الأسود والأبيض ، والمؤمن والكافر ، أو شبه تضاد كالذي بين نحو : السماء
والأرض ، والسهل والجبل ، والأول والثاني ، فإن الوهم ينزل المتضادين
والشبهين بهما منزلة المتضايين فيجتهد في الجمع بينهما في الذهن ، ولذلك تجد
الضد أقرب خطورًا بالبال مع الضد ، والخيال هو أن يكون بين تصوريهما
تقارن في الخيال سابق لأسباب مؤدية إلى ذلك ، فإن جميع ما يثبت في الخيال
يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأدى إليه ويتكرر لديه ،
ولذلك لما لم تكن الأسباب على وتيرة واحدة فيما بين البشر ، اختلفت الحال

الثَّابِتَةُ فِي الْخَيَالِ تَرْتِيبًا وَوُضُوحًا ، وَلِصَاحِبِ عِلْمِ الْمَعَانِي فَضْلُ احْتِجَاجِ
إِلَى مَعْرِفَةِ الْجَامِعِ ، لِأَسِيْمَا الْخَيَالِي ، فَإِنَّ جَمْعَهُ عَلَى مَجْرَى الْإِلْفِ وَالْعَادَةِ

فِي ثُبُوتِ الصُّورِ فِي الْخَيَالَاتِ تَرْتِيبًا وَوُضُوحًا فَمِنْ صُورٍ تَتَعَانَقُ فِي الْخَيَالِ
وَهِيَ فِي آخِرِ لَيْسَتْ تَهْرَامِي ، وَمِنْ صُورٍ لَا تَتَكَادُ تَلُوحُ فِي الْخَيَالِ وَهِيَ فِي
غَيْرِهِ نَارُ عَلَى عِلْمٍ . يَحْكِي أَنَّ جَمَاعَةَ مِنْ ذَوِي الْحَرْفِ الْمُخْتَلَفَةِ وَصَفُوا الْكَلَامَ .
فَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا ثَقَبَتْهُ الْفِكْرَةُ وَنَظَّمَتْهُ الْفِطْنَةُ ، وَفَصَلَ جَوْهَرَ
مَعَانِيهِ فِي سَمَطِ أَلْفَاظِهِ فُجَمَاتِهِ نَحْوِ الرِّوَاةِ . وَقَالَ الصِّيرَفِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا
نَقَدَتْهُ يَدُ الْبَصِيرَةِ ، وَجَلَّتْهُ عَيْنُ الرُّوِيَةِ ، وَوَزَنَهُ مَعْيَارُ الْفَصَاحَةِ ، فَلَا يَنْطِقُ فِيهِ
بِزَائِفٍ ، وَلَا يَسْمَعُ فِيهِ بِهَرَجٍ . وَقَالَ الصَّائِغُ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا أَحْمَيْتَهُ بِكَبِيرِ الْفِكْرِ
وَسَبَكْتَهُ بِمَشَاعِلِ النَّظَرِ وَخَلَصْتَهُ مِنْ خَبَثِ الْإِطْنَابِ ، فَبَرَزَ بَرُوزَ الْإِبْرِيْزِ مَرْكَبًا
فِي مَعْنَى وَجِيْزٍ . وَقَالَ الْحَدِيَادُ : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا نَصَبْتَ عَلَيْهِ مَنَفَاحَ الرُّوِيَةِ
وَأَشْعَلْتَ فِيهِ نَارَ الْبَصِيرَةِ ، ثُمَّ أَخْرَجْتَهُ مِنْ خَمِّ الْإِخْتَامِ ، وَرَقَقْتَهُ بِغَطِيْسِ الْأَفْهَامِ .
وَقَالَ الْخَمَّارُ : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا طَبَخْتَهُ مَرَاجِلَ الْعِلْمِ ، وَضَمَنْتَهُ دَنَانَ الْحِكْمَةِ
وَصَفَاهُ رَاوُوقَ الْفَهْمِ ، فَتَمَشَّتْ فِي الْمَفَاصِلِ عَذُوبَتُهُ وَفِي الْأَفْكَارِ رَفَّتُهُ ، وَسَرَتْ
فِي تَجَاوِيْفِ الْعَقْلِ سُوْرَتُهُ وَوَحْدَتُهُ . وَقَالَ الْبِرَازُ : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا صَدَقَ رَقْمُ
أَلْفَاظِهِ وَحَسُنَ رَسْمُ مَعَانِيهِ ، فَلَمْ يَسْتَعْجَمْ عِنْدَ نَشْرِ ، وَلَمْ يَسْتَهْمِمْ عِنْدَ طَيِّ . وَقَالَ
الْكَحْجَالُ : أَصَحُّ الْكَلَامِ مَا سَحَقْتَهُ فِي مَنَجَارِ الذِّكَاةِ ، وَنَخَلْتَهُ بِحَرِيرِ التَّمْيِيزِ ، وَكَأَنَّ
أَنَّ الرَّمْدَ قَنْدِي الْعَيْنِ ، كَذَا الشَّهْبَةَ قَنْدِي الْبَصَائِرِ ، فَكُلُّ عَيْنٍ اللَّكْنَةُ بِمِثْلِ
الْبَلَاغَةِ ، وَأَجَلَ رَمْدِ الْغَفْلَةِ بِرُودِ الْيَقِظَةِ . وَلِصَاحِبِ عِلْمِ الْمَعَانِي فَضْلُ احْتِجَاجِ
فِي هَذَا الْفَنِّ إِلَى التَّنْبِيهِ لِأَنْوَاعِ هَذَا الْجَامِعِ وَالتِّيَقِظِ لَهَا ، لِأَسِيْمَا النُّوعِ الْخَيَالِيِّ .
فَإِنَّ جَمْعَهُ عَلَى مَجْرَى الْإِلْفِ وَالْعَادَةِ ، بِحَسَبِ مَا تَتَعَقَّدُ الْأَسْبَابُ فِي اسْتِدْعَاغِ

وَمِنْ مُحَسِّنَاتِ الْوَصْلِ تَنَاسُبُ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الْأَسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ ، وَالْفِعْلِيَّتَيْنِ

الصور خزانة الخيال ، فقل لي إذ لم يوفه حقه من التيقظ وأنه من أهل المدر ، أني يستحلي كلام رب العزة مع أهل الوبر ، حيث يبصرهم الدلائل ناسقاً كذلك النسق : أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ، لبعد البعير عن خياله في مقام النظر ثم لبعده في خياله عن السماء وبعد خلقه عن رفعها ، وكذا البواقي لكن إذا وقاه حقه بتيقظه لما عليه تقليبهم في حاجاتهم جاء الاستحلام ، وذلك إذا نظر أن أهل الوبر إذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي كانت عنايتهم مصروفة لا محالة إلى أكثرها نفعاً وهي الإبل ، ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر ، وأهم مسارح النظر عندهم السماء ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يأويهم وإلى حصن يتحصنون فيه ، ولا مأوى ولا حصن إلا الجبال .

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَمِلُهُ مِنْ نَجِيرُهُ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَالِإِبِلِ

فما ظنك بالتمتات خاطرهم إليها ، ثم إذا تعذر طول مكثهم في منزل — ومن لأصحاب مواش بذلك — كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من أرض إلى سواها من عزم الأمور ، فعند نظره هذا يرى البدوي إذا أخذ يفتش عما في خزانة الصور له لا يجد صورة الإبل حاضرة هناك ، أو لا يجد صورة السماء لها مقارنة أو تعوزه صورة الجبال بعدهما أو لا تنصاع إليه صورة الأرض بعدهن ؟ لا — وإنما الحضري حيث لم تتأخذ عنده تلك الأمور ، وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه إذا تلا الآية قبل أن يقف على ما ذكرت ظن النسق بحمله جميعاً . . هذا أذواقك الله حلاوة العلم وأشعر قلبك برد للميقين هو لباب مآلوه

في المضيِّ والمضارعةِ ، إلا لِمَانِعِ .

﴿ تَذْنِيبٌ ﴾

أَصْلُ الْحَالِ الْمُنْتَقِلَةِ أَنْ تَكُونَ بِغَيْرِ وَاوٍ ، لِأَنَّهَا فِي الْمَعْنَى حُكْمٌ

في باب الفصل والوصل ، استخرجناه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين (إلا لِمَانِعِ) كما إذا أريد بإحدهما التجدد ، وبالأخرى الثبوت كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين ، ثم قام زيد دون عمرو ، فإنك تقول قام زيد وعمرو قاعد . قال السكاكي : وعلى هذا قوله تعالى : سواء عليكم ادعوتهم أم أتم صامتون ، المعنى سواء عليكم أحدثتم الدعوة لهم أم استمر عليكم صمتكم عن دعائهم لأنهم كانوا إذا حز بهم أمر دعوا الله دون أصنامهم ، قال تعالى : وإذا مس الناس ضر الآية ، فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا عن دعوتهم صامتين ﴿ تَذْنِيبٌ ﴾ لما كانت الحال الواقعة جملة تارة تدخلها الواو ، وأخرى لا تدخل ، صار لها في الصورة حالتا فصل ووصل ، فناسب أن يذكر ذلك عقب الكلام على الفصل والوصل . وبعد ، فقد علمت أن من سنتنا في شرح هذا الكتاب أننا عند الكلام على المبحث الذي تلحقه أجزاءه وتشترك كلماته ، نمدد إلى نظم شرحه في سمط واحد حتى يكون حين المتناول سهل المأخذ ، فنقول : الغرض الآن هو بيان أن الحال إذا وقعت جملة تجيء تارة مع الواو وأخرى بغير واو ، والكلام في ذلك مستدع تمهيد قاعدة ، وهي أن الحال نوعان : حال بالإطلاق (١) وحال تسمى مؤكدة ، وكل واحد من النوعين أصل في الكلام ، ولهما معاً نهج في الاستعمال واحد ، فأصل الثاني أن يكون وصفاً ثابتاً نحو : هو الحق بئناً ، وزيد أبوك شقيفاً ، وفي التنزيل :

(١) وهي التي تسمى المنقلة .

عَلَى صَاحِبِهَا كَالْخَبْرِ ، وَوَصَفَ لَهُ كَالنَّعْتِ ، لَكِنْ خُولِفَ هَذَا إِذَا

إنا أنزلناه قرآناً عربياً ، وأصل الأول أن يكون وصفاً غير ثابت من الصفات الجارية كاسم الفاعل واسم المفعول نحو جاء زيد راكباً ، وضربت اللص مكتوفاً ، ويمتنع أن يقال : جاء زيد طويلاً أو قصيراً ، أو أسوداً أو أبيضاً ، اللهم إلا بتأويل ، ونهجهما في الاستعمال أن يأتيا عاريتين عن حرف النفي كما يقال هو الحق بينما دون لا خفياً ، وجاء زيد راكباً دون لا ماشياً . والأصل (١) في النوعين أن يكونا بغير الواو لوجوه : الأول : أن إعراب الحال أصل ليس يتبع ولا مجال للواو في المعرب بالإصالة لأن الإعراب دال على تعلق معنى هناك ، فذلك التعلق يكون مغنياً عن تكلف تعلق آخر . الثاني : إن حكم الحال مع ذى الحال أبداً نظير حكم الخبر مع المخبر عنه ، ألا تراك إذا ألغيت هو ، في قولك هو الحق بينما ، بقى الحق ، وجاء في قولك : جاء زيد راكباً ، بقى زيد راكباً ، وضربت في قولك : وضربت اللص مكتوفاً ، اللص مكتوف ، تنجد الحال وذا الحال خبراً ومخبراً والخبر ليس (٢) موضعاً لدخول

(١) يؤخذ من ذلك أنه لا وجه للمصنف في أن يقيد الحال بالمنتقلة لأن أصل الحال مطلقاً ذلك إلا أنه وجب هذا الأصل في المؤكدة ، لأنها في معنى ما قبلها ، والواو تؤذن بالمغايرة .

(٢) قد يخدش في هذا أن الأخفش في طائفة جوز دخول الواو في خبر كان وأخواتها وأنشدوا :

لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَفِيهَا إِذَا مَا قَابَاتَهُ عَيْنُ الْبَصِيرِ اعْتِبَارُ
وقول الحماسي :

فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ
وقول الآخر :

دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ وَكُنْتُ وَقَلْبِي نَسْتُ مِنَ الدُّخُولِ

كَانَتْ جُمْلَةً ، فَإِنَّهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ بِالْإِفَادَةِ ، فَتَحْتَاجُ إِلَى مَا يَرْتَبُطُهَا بِصَاحِبِهَا ، وَكُلُّ مِنَ الضَّمِيرِ وَالْوَاوِ صَالِحٌ لِلرِّبْطِ ، وَالْأَصْلُ هُوَ الضَّمِيرُ ، بِدَلِيلِ الْمَفْرَدَةِ وَالْخَبَرِ وَالنَّعْتِ . فَالْجُمْلَةُ إِنْ خَلَّتْ عَنْ ضَمِيرِ صَاحِبِهَا وَجَبَ فِيهَا الْوَاوُ ، وَكُلُّ جُمْلَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ضَمِيرٍ مَا يَجُوزُ أَنْ يَنْتَضِبَ عَنْهُ حَالٌ يَصِحُّ أَنْ تَقَعَ حَالًا عَنْهُ بِالْوَاوِ إِلَّا الْمُسَدَّرَةَ بِالْمُضَارِعِ

وقد يجاب بأن أمثال ذلك مما ورد في على خلاف الأصل تشبيهاً بالحال . الثالث : أنها في الحقيقة وصف لذي الحال فلا يدخلها الواو كالنعت ، فظهر لك أن الأصل في الجملة إذا وقعت موقع الحال أن لا يدخلها الواو ، ولكن النظر إليها من حيث كونها جملة مفيدة مستقلة بفائدة غير متحدة بالأولى وغير منقطعة عنها لجهات جامعة بينهما يبسط العذر في أن يدخلهما ما يرتبطها بالأولى وكل واحد من الضمير والواو صالح للربط والأصل الضمير بدليل الاقتصار عليه في الحال المفردة والخبر والنعت . وإذا تمدد هذا فاعلم أن الجملة التي تقع حالا ضربان : خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه ، وغير خالية . أما الأولى فيجب أن تكون بالواو لثلاث تصير منقطعة عنه غير مرتبطة به ، وكل جملة خالية عن ضمير ما يجوز (١) أن ينتصب عنه حال يصح أن تقع حالا عنه إذا كانت مع الواو إلا المصدرية بالمضارع المثبت كقولك : جاء زيد ويتكلم عمرو ، على أن يكون ويتكلم عمرو حالا عن زيد ، لما سيأتي أن ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده . وأما الثانية : فتارة يجب أن تكون بالواو وتارة

(١) بأن تكون فاعلاً أو مفعولاً ، معرفاً أو منكرأً مخصوصاً . لا امتدأً وخبراً ، ولا نكرة محضة .

المُثَبَّتِ نَحْوُ : حَاءَ زَيْدٌ وَيَتَّبِعُكُمْ عَمْرُوٌ لِمَا سَيَأْتِي ، وَإِلَّا فَإِنْ كَانَتْ فِعْلِيَّةً
وَالْفِعْلُ مُضَارِعٌ مُثَبَّتٌ أُمَّتَنَعَ دُخُولَهَا ، نَحْوُ : وَلَا تَمُنْ تَسْتَكْبِرُ ، لِأَنَّ
الأَصْلَ المَفْرَدَةَ ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى حُصُولِ صِفَةٍ غَيْرِ ثَابِتَةٍ مُقَارِنٍ لِمَا

يُمْتَنَعُ ذَلِكَ ، وَتَارَةً يَتَرَجَّحُ أَحَدُهُمَا ، وَتَارَةً يَسْتَوِي الأَمْرَانِ وَالوَائِ وَغَيْرِ مَنْفَعٍ
لِلضَّمِيرِ فِي إِفَادَةِ الرِّبْطِ ، فَتَعِينُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَسْبَابِ الأَخْتِلَافِ ، فَتَقُولُ الجُمْلَةُ
إِمَّا أَنْ تَكُونَ فَعَالِيَةً وَالفِعْلُ مُضَارِعٌ مُثَبَّتٌ غَيْرِ مَنْفَعٍ ، وَحِينَئِذٍ تُمْتَنَعُ الوَائِ بِرَبْلِ
تَرَى الكَلَامَ عَلَى بَيِّنَتِهَا عَارِيَةً مِنَ الوَائِ كَقَوْلِهِ :
وقوله :

وَقَدْ عَلَوْتُ قَتُودَ الرِّحْلِ يَسْتَفْعِي يَوْمٌ تَجِيءُ بِهِ الجُوزَاءُ المَسْمُومُ (١)

وقوله :

وَأَمَّدَ أَغْتَدِي يَدَافِعُ رُكْنِي أَحْوَذِي ذُو مَيْعَةٍ إِضْرِيحُ (٢)

وَفِي التَّنْزِيلِ : وَلَا تَمُنْ تَسْتَكْبِرُ - وَسَيَجْنِبُهَا الأَتَقِيُّ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ
يَتَزَكَّى - وَيَذَرُهُمْ فِي طَعْنَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . قَالَ المَصْنَفُ : وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّ
أَصْلَ الحَالِ المَفْرَدَةَ أَنْ تَدُلَّ عَلَى حُصُولِ صِفَةٍ غَيْرِ ثَابِتَةٍ مُقَارِنٍ ذَلِكَ الحُصُولِ
لِمَا جَعَلَتْ قِيداً لَهُ وَهُوَ العَامِلُ فِيهَا وَالمُضَارِعُ المَثَبَّتُ كَذَلِكَ ، أَمَا دَلَالَتُهُ عَلَى
حُصُولِ صِفَةٍ غَيْرِ ثَابِتَةٍ فَلِأَنَّهُ فَعْلٌ مَثَبَّتٌ وَالفِعْلُ المَثَبَّتُ يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ وَعَدَمِ

(١) القَتُودُ جَمْعُ قَتَدٍ : وَهُوَ خَشَبُ الرِّحْلِ المَعْمُودِ ، وَيَسْفَعُهُ اليَوْمُ : يَأْخُذُهُ
بِحَرِّهِ فَيُغَيِّرُ لَوْنَهُ ، وَأَصْلُهُ تَأْثِيرُ النَّارِ وَتَعْلِيمُهَا مَا تُصِيبُهُ ، وَالجُوزَاءُ : بَرَجٌ تَنْزِلُهُ
الشَّمْسُ فِي آخِرِ الرَّبِيعِ ، وَحِينَئِذٍ تَهْبُ الرِّيَّاحُ الحَارَّةُ وَاليَوْمُ مَسْمُومٌ بِرِيحِهِ حَارَّةٍ .
(٢) الأَحْوَذِيُّ : الحَاذِقُ ، وَمَيْعَةُ الفَرَسِ : أَوَّلُ جَرِيهِ وَأَنْشَطُهُ ،
وَإِضْرِيحُ : الفَرَسُ الشَّدِيدُ العَدُوُّ .

جُعِلَتْ قَيْدًا لَهُ ، وَهُوَ كَذَلِكَ ، أَمَّا الْحُصُولُ فَلِكُونِهِ فِعْلًا مُشَبَّهًا ،
وَأَمَّا الْمُقَارَنَةُ فَلِكُونِهِ مُضَارِعًا ، وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ نَحْوِ : قُمْتُ وَأَصُكُ
وَجِبَهُ ، وَقَوْلُهُ :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْفِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِيكَ
فَقِيلَ عَلَى حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ ، أَيْ وَأَنَا أَصُكُ وَأَنَا أَرْهَنْتُهُمْ ، وَقِيلَ
الْأَوَّلُ شَاذٌ وَالثَّانِي ضَرُورَةٌ ، وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : هِيَ فِيهِمَا لِلْعَطْفِ وَالْأَصْلِ

الثبوت ، وأما دلالاته على المقارنة فلكونه مضارعاً وهو يصلح للحال . وأما
قول ابن همام السلولى :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْفِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِيكَ
في رواية من رواه وأرهنهم ، وما شبهوه به من قولهم . قمت وأصك
وجبه ، فقيل على حذف المبتدأ ، أَيْ وَأَنَا أَرْهَنْتُهُمْ وَأَنَا أَصُكُ ، فتكون الجملة
اسمية ، وقيل الأول ضرورة والثاني شاذ . وقال الشيخ الإمام : ليست الواو
فيهما للحال بل هي للعطف ، وأرهن وأصك بمعنى رهنت وصككت ، وعدل
إلى صيغة المضارع لحكاية الحال كما في قوله :

وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّئِيمِ يَسْبُئِي فَمَضَيْتُ نَمَّتْ قَلْتُ لَا يَعْنِينِي
يبين ذلك أنك ترى الفاء تجيء مكان الواو في مثل هذا ، وذلك كمنحو ما في
الخبر في حديث عبد الله بن عتيك حين دخل على أبي رافع اليهودي حصنه قال :
فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم لا أدري أنى هو من البيت ، فقلت
أبا رافع ، فقال من هذا ، فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ، وأنا دهش ،
فكما أن أضربه مضارع قد عطفه بالفاء على ماض لأنه في المعنى ماض ،

وَصَكَّكَتْ وَرَهَنْتُ ، عَدِلَ عَنِ لَفْظِ الْمَاضِي إِلَى الْمَضَارِعِ لِحِكَايَةِ الْحَالِ
وَإِنْ كَانَ مَنفِيًّا فَالْأَمْرَانِ ، كَقِرَاءَةِ ابْنِ ذَكْوَانَ : فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ
بِالتَّخْفِيفِ وَنَحْوِ : وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى الْمُقَارَنَةِ لِكَوْنِهِ مُضَارِعًا

كذلك يكون أرهنتهم معطوفاً على الماضي قبله ، وكما لا يشك في أن المعنى في
الخبر فأهويت فضربت ، كذلك يكون المعنى في البيت نجوت ورهنت . قلنا
إن الجملة إن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو ، أما إن دخل
حرف تنقي على المضارع فإنه يجوز فيه الأمران ، وذلك مثل قراءة ابن ذكوان :
فاستقيما ولا تتبعان ، بتخفيف النون (١) ، وقولهم : كنت ولا أخشى بالذنب ،
وقول مسكين الدارمي :

أَكْسَبَتْهُ الْوَرِقُ الْبَيْضُ أَبَاً وَاقْتَدَ كَانَ وَلَا يُدْعَى لِأَبٍ

ورول مالك بن ربيع وكان جني جناية فطابه مصعب بن الزبير :

أَتَانِي مُصْعَبٌ وَبَنُو أَبِيهِ فَأَيْنَ أَحِيدٌ عَنْهُمْ لَا أَحِيدُ

أَقَادُوا مِنِّي دَمِي وَتَوَعَّدُونِي وَكُنْتُ وَمَا يَنْهَيْنِي الْوَعِيدُ

كان في هذا كله نامة ، والجملة الداخلة عليها الواو في موضع الحال ولا معنى
لجعلها ناقصة ، وجعل الواو مزيدة وليس مجيء المضارع حالا على هذا الوجه
بعزيز في الكلام ألا تراك تقول : جعلت أمشي ولا أدري أين أضع رجلي ،
وجعل يقول ولا يدري ، وقال أبو الأسود :

يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَيُخْطِي وَمَا دَرَى وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْكَُ إِلَّا كَذَلِكَ

(١) فإنها تكون حينئذ نون رفع وتكون لا للنفي دون النهي والواو للحال .

ذُونَ الْحُصُولِ لِكَوْنِهِ مَنفِيًّا . وَكَذَا إِنْ كَانَتْ مَاضِيًّا لَفِعْلًا أَوْ مَعْنَى
كَقَوْلِهِ تَعَالَى : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ ، وَقَوْلِهِ : أَوْجَاؤُكُمْ

وهو شائع كثير . ومثال مجيء المضارع منفيًا حالًا من غير واو قوله :
مَضُوءًا لَا يُرِيدُونَ الرِّيحَ وَغَالَهُمْ مِّنَ الدَّهْرِ أَسْبَابُ جَرِينٍ عَلَى قَدْرِ
وقول أرتاة بن سبية وهو لطيف جدًا :

إِنْ تَلَقَّنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ تَنْسُ السِّلَاحَ وَتَعْرِفُ جَبْهَةَ الْأَسَدِ
فقوله لا ترى في موضع حال ، ومثله في اللطف قول أعشى همدان وصحب
عباد بن ورقاء إلى أصبهان فلم يحمدوه فقال :

أَتَيْنَا إِصْبَهَانَ فَهَزَلْتَنَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمٍ
وَكَانَ سَفَاهَةً مِنِّي وَجَهْلًا مَسِيرِي الْأَسِيرُ إِلَى حِمِيمٍ

وقال خالد بن يزيد بن معاوية :

لَوْ أَنَّ قَوْمًا لَارْتَفَاعَ قَبِيلَةٍ دَخَلُوا السَّمَاءَ دَخَلْتُهَا لَا أَحْجَبُ

وهو كثير إلا أنه لا يهتدى إلى وضعه بالموضع المرضي إلا من كان
صحيح الطبع ، قال المصنف : والسبب في جواز الأمرين هو دلالة المضارع على
المقارنة لكونه مضارعاً دون الحصول لكونه منفيًا ، أي والمقارنة يناسبها
ترك الواو وعدم الحصول يناسبه وجودها ، وأما ، إن كان الفعل ماضيًا لفظاً
أو معنى ، فكذلك مجيء بالواو وبغير الواو ، أما مجيئه بالواو فالكثير الشائع
كقولك : أتاني وقد جهده السير ، وقال تعالى : أنى يكون لى غلام وقد بلغنى
الكبر ، وقال امرؤ القيس :

أَتَمَّتْ لِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلَ الطَّالِي

حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ، وَقَوْلِهِ: أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا، وَقَوْلِهِ:
فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ أَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ، وَقَوْلِهِ: أَمْ حَسِبْتُمْ أَن

وقال :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السُّتْرِ إِلَّا لِبِسَةِ الْمُتَفَضِّلِ
هذا في الماضي لفظاً، وأما الماضي (١) معنى فمثاله قوله تعالى: أو قال أوحى
إلى ولم يوح إليه شيء، وقوله: أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر، وقول كعب:
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذِيبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
وقوله تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من
قبلكم وقول الشاعر:

بَانَتْ قَطَامٌ وَأَمَا يَحْظُ ذُو مِقَّةٍ مِنْهَا بِوَصْلِ وَلَا إِنْجَازٍ مِيعَادِ
وأما بغير الواو فكقوله تعالى: أو جاؤكم حصرت صدورهم وقول الشاعر:
يَتَشُونَ قَدْ كَسَرُوا الْجُفُونَ إِلَى الْوَعَى مُتَبَسِّمِينَ وَفِيهِمْ اسْتِبْشَارُ
وقوله:

فَأَبُوا بِالرَّمَاكِ مَكْسَرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدِ انْحَنِينَا
وقول الآخر:

مَتَّى أَرَى الصَّبِيحَ قَدْ لَاحَتْ مَحَايِلُهُ وَاللَّيْلَ قَدْ مَزَّقَتْ عَنْهُ السَّرَابِيلُ
وقوله تعالى: فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، وقوله: ورد
الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً له، وقول امرئ القيس:

(١) المراد به المضارع المنقى بلم ولما.

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَمَا يُبَاتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ؛ أَمَّا الْمَثَبَاتُ
فَلِدَلَالَتِهِ عَلَى الْحُصُولِ ، لِكَوْنِهِ فِعْلاً مُثَبَّتًا ، دُونَ الْمُقَارَنَةِ ، لِكَوْنِهِ مَاضِيًا
وَلِهَذَا اشْتَرَطَ أَنْ يَكُونَ مَعَ قَدْ ظَاهِرَةً أَوْ مُقَدَّرَةً ، وَأَمَّا الْمُنْفِيُّ فَلِدَلَالَتِهِ
عَلَى الْمُقَارَنَةِ دُونَ الْحُصُولِ ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ لَمَّا لِلِاسْتِغْرَاقِ ، وَغَيْرِهَا
لِانْتِفَاءٍ مُتَقَدِّمٍ مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ اسْتِمْرَارُهُ ، فَتَحْصُلُ بِهِ الدَّلَالَةُ عَلَيْهَا

* فَأَدْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَشَأْ *
وقول زهير :

كَانَ فِتَاةَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَّانَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحْطَمِ

وقول الآخر :

فَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَحَدَّرَتَا كَالدَّرِّ لَمَّا يُشَقَّبِ

قال المصنف : والسبب في أن جاز الأسران فيه إذا كان مثبتاً دلالة على
حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلاً ، وعدم دلالة على المقارنة لكونه ماضياً ،
ولهذا اشترط أن يكون مع قد ظاهرة أو مقدره حتى تقربه إلى الحال فيصح
وقوعه حالا ، وظاهر هذا يقتضى وجوب الواو في المنفى لانتفاء المعنيين ،
لكنه لم يجب فيه بل كان مثله ، أما المنفى بلداً فلأنها للاستغراق ، وأما المنفى
بغيرها فلأنه لما دل على انتفاء متقدم وكان الأصل استمرار ذلك حصلت

(١) يقول كأن قطع الصوف المصبوغ الذي زيات به الموادج في كل

منزل نزلته هؤلاء النسوة حب غيب الثعلب في حال كونه غير محطم لأنه إذا
حطم زابله لونه .

عِنْدَ الإِطْلَاقِ ، بِخِلَافِ المُثَبَّتِ ، فَإِنَّ وَضَعَ الفِعْلِ عَلَى إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ
وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ اسْتِمْرَارَ العَدَمِ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى سَبَبٍ ؛ بِخِلَافِ اسْتِمْرَارِ
الوُجُودِ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلَكَوْنِهِ مَنفِيًّا . وَإِنْ كَانَتْ اِسْمِيَّةً فَالْمَشْهُورُ
جَوَازُ تَرْكِهَا لِعَكْسِ مَا مَرَّ فِي المَاضِي المُثَبَّتِ ، نَحْوُ : كَلِمَتُهُ فَوَّهُ إِلَى فِيَّ

الدلالة على المقارنة عند إطلاقه بخلاف المثبت ، فإن وضع الفعل على إفادة
التجدد ، وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب ، بخلاف استمرار
الوجود كما بين في غير هذا العلم ، وأما ، إن كانت الجملة اسمية فالمشهور جواز
الأمرين ، وأن مجيء الواو أولى ، مثال وجود الواو قوله تعالى : فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ
مُأَنَادًا ، وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ، وقول الشاعر :

لِيَالِي بَدَعُونِي الْهَوَى وَأَجِيْبُهُ وَأَعْيُنُ مَنْ أَهْوَى إِلَى رَوَانِ

ومثال تركها ما رواه سيبويه كلمته فوه إلى في ورجع عوده على بدته ، في
قول من رفع وبيت الإصلاح :

فَصَفَّ النَّهَارُ المَاءَ غَامِرَةً وَرَفِيقَهُ بِالغَيْبِ لَا يَدْرِي (١)

وما أنشده أبو علي في الإغفال :

وَلَوْ لَا خِنَارُ اللَّيْلِ مَا آتَى عَامِرٌ إِلَى جَعْفَرٍ سِرْبَالُهُ لَمْ يُمَزَّقْ

وقول الآخر :

* مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمْعُهَا لَا يَرَقَا *

(١) يصف غائصاً على الدر ؛ يقول إنه بنى غائصاً تحت الماء من الصباح

إلى الظهر ورقيقه الممسك بالحبل على البر لا يدري .

وَأَنَّ دُخُولَهَا أَوْلَى ، لِعَدَمِ دَلَالَتِهَا عَلَى عَدَمِ الثَّبُوتِ ، مَعَ ظَهْوَرِ الْاِسْتِثْنَاءِ فِيهَا ، فَحَسُنَ زِيَادَةُ رَابِطِ ، نَحْوُ : فَلَا تَجْمَعُوا لِلَّهِ اُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ؛ وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنْ كَانَ الْمَبْتَدَأُ ضَمِيرَ ذِي الْحَالِ وَجَبَتْ ، نَحْوُ : جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ

قال المصنف : أما جواز الأمرين فلنعكس مامر في الماضي المثبت يعني دلالة الاسم على المقارنة لكونها مستمرة لا على حصول صفة غير ثابتة لدالاتها على الدوام والثبوت ، وأما أن مجيء الواو أولى فلعدم دلالة الاسم على عدم الثبوت مع ظهور الاستثناء فيها لاستقلالها بالفائدة فتحسن زيادة رابطة ليتأكد الربط ، وقال ، الشيخ الإمام : إن كان المبتدأ ضمير ذي الحال وجب الواو . كقولك جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع ، وسبب ذلك أن الجملة لا تترك فيها الواو حتى تدخل في صلة العامل وتنضم إليه في الإثبات ، وتقدر تقدير المفرد في أن لا يستأنف لها الإثبات وهذا مما يمتنع في نحو جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع ، لأنك إذا أعدت ذكر زيد وجئت بضمير المنفصل المرفوع كان بمنزلة إعادة اسمه صريحاً في أنك لا تجد سبيلاً إلى أن تدخل يسرع في صلة المجيء وتضمه إليه في الإثبات لأن إعادة ذكره لا تكون حتى تقصد استئناف الخبر عنه بأنه يسرع وإلا لكانت تركت المبتدأ بمضيعة وجعلته لغواً في البين ، وجرى مجرى أن تقول : جاءني زيد وعمرو يسرع أمامه ، ثم تزعم أنك لم تستأنف كلاماً ولم تبدئ بالسرعة إثباتاً ، وعلى هذا فالأصل والقياس أن لا تجيء الجملة الاسمى إلا مع الواو وما جاء بدونه فسدله سبيل الشيء الخارج عن قياسه وأصله بضرب من التأويل ونوع من التشبيه فقولهم : فوه إلى في ، معناه مشافهاً ، وقولهم : عوده على بدته ، معناه ذاهباً في طريقه الذي جاء منه ، وأما قوله :

يسرع أو وهو يسرع ، وإن جعل نحو : على كتفه سيفٌ حالاً كثر

إذا أتيت أبا مروان تسأله ~~وجدته حاضراً الجود والكرم~~

فلا تبه بسبب تقديم الخبر قرب في المعنى من قولك وجدته حاضراً عنده الجود والكرم ، وتنزيل الشيء منزلة غيره ليس بعزيز في كلامهم ، ويجوز أن يكون جميع ذلك على إرادة الواو كما جاء الماضي على إرادة قد . (وبعد) فقد وجب علينا الآن أن نتحدثك أيها القارىء بما قاله ذلك الإمام في بيان العلال والأسباب التي اقتضت أن يختلف الأمر بالجلل الواقعة حالاً هذا الاختلاف وأن يكون ههنا جملة لا تصلح إلا مع الواو ، وأخرى لا تصلح فيها الواو ، وثالثة تصلح أن تجيء فيها بالواو وأن تدعها . (قال) ما فحواه إن كل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من الواو فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، وكل جملة جاءت حالاً ثم اقتضت الواو فذاك لأنك مستأنف بها خبراً ، فإذا قلت جاءني زيد يسرع ، كان بمنزلة جاءني مسرعاً في أنك تثبت له مجيئاً فيه إسراع وتصل أحد المعنيين بالآخر ، وتكمل الكلام خبراً واحداً ، كأنك قلت جاءني بهذه الهيئة ، وإذا قلت جاءني زيد وهو مسرع أو وغلامه يسعى بين يديه أو وسيفه على كتفه كان المعنى على أنك بدأت فأثبت المجيء ثم استأنفت خبراً وابتدأت لإثباتاً ثانياً لما هو مضمون الحال ولهذا احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى فجاء بالواو كما جرى بها في قولك العلم حسن والجهل فبيح ، وتسمتينا لها واو حال لا تخرجها عن كونها مجتلية لضم جملة إلى جملة كالفاء في جواب الشرط ، فإنها بمنزلة العاطفة في أنها جاءت لربط جملة ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها ، فالجملة في نحو : جاءني زيد يسرع ، بمنزلة الجزاء المستغنى عن الفاء ، لأن من شأنه أن يرتبط بنفسه ، والجملة في نحو جاءني زيد وهو مسرع أو وغلامه

فِيهَا تَرَاهُ كَمَا ، نَحْوُ * خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَى سَوَادٍ * وَيَحْسُنُ التَّرْكُ تَارَةً .
لِدُخُولِ حَرْفِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ كَقَوْلِهِ :

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ تُبْصِرَ بِنِي كَأَنَّمَا بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدُ الْحَوَارِدُ

يسعى بين يديه أو وسيفه على كنفه بمنزلة الجزاء الذي ليس من شأنه أن يرتبط
بنفسه (ثم) قال الشيخ : وإن جعل نحو على كنفه سيف بتقديم الظرف حالاً عن
شيء كافي قولنا جاءني زيد على كنفه سيف كثر فيها أن تجيء بغير واو كقول بشار :
إِذَا أَنْكَرْتَنِي بِلُدَّةٍ أَوْ نَكَرْتَهَا خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَى سَوَادٍ
يعنى على بقية من الليل ، وقول أمية :

فَأَشْرَبَ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مَرْتَفِعًا فِي رَأْسِ نَمْدَانَ دَاراً مِنْكَ مَحْلَالًا
وقول الآخر :

لَقَدْ صَبِرْتُ لِلْأَسْوَادِ مِنْزِيَةً تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبٌ

ثم قال : والوجه أن يقدر الاسم في الأمثلة مرتفعاً بالظرف فإنه جائر
باتفاق من صاحب الكتاب ، وأنى الحسن لاعتماده على ما قبله . ثم ينبغي أن
يقدر ههنا خصوصاً أن الظرف في تقدير اسم الفاعل دون الفعل ، اللهم إلا
أن يقدر فعلاً ماضياً مع قد (ومن) كلام الشيخ قوله : وما ينبغي أن يراعى
في هذا الباب أنك ترى الجملة قد جاءت حالاً بغير واو ويحسن ذلك ، ثم تنظر
فترى أنك إنما حسن من أجل حرف دخل عليها مثاله قول الفرزدق :

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ تُبْصِرَ بِنِي كَأَنَّمَا بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدِ الْحَوَارِدِ (١)

فإنه لولا دخول كأن عليه ، لم يحسن الكلام إلا بالواو ، كقولك عسى

(١) الحواري : جمع حور ، وهو المجتمع الخاق المهيب المانظر يري لعزته

كالغضبان .

وَأُخْرَى لِرُفُوعِ الْجُمْلَةِ الْأَسْمِيَّةِ بِعَقَبِ مُفْرَدٍ ، كَقَوْلِهِ :
وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا * بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ

﴿ الْإِيحَازُ وَالْإِطْنَابُ وَالْمَسَاوَاةُ ﴾

السكاكي : أما الإيحازُ والإطنابُ فليكونيهما نسيبتين لا يتيسر
الكلامُ فيهما إلا بتركِ التحقيقِ والتعيينِ ، والبناءُ على أمرٍ عرْفِيٍّ ،
وهو متعارف الأوساطِ ، أي كلامُهُمْ في مجرى عُرْفِهِمْ في تَأْدِيَةِ
المعاني ، وهو لا يُحْمَدُ في بابِ البلاغةِ ولا يذمُّ ؛ فالإيحازُ أداة المقصودِ

أن تبصريني وبني حوالى الأسود . وشديه بهذا أن تقع حالا بعقب مفرد حال
فيلطف مكانها ، بخلاف ما لو أفردت ، كقول ابن الرومي :

وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا * بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ

فإنه لو قال : والله يبقيك لنا برداك تبجيل لم يكن شيئاً ﴿ الإيحاز والإطناب ﴾
هو باب رفيع المنزلة شامخ في الشرف بل هو أنف البلاغة الذي تعطس منه ونابها
الذي تفرع عنه وقديماً تكلم العلماء فيه وأفردوه بالقول والإيضاح واقتدأت المصنف
رحم الله منه بجملة صالحة سنضم إليها ما تسكن إليه النفس وينتاج منه الصدر إن
شاء الله (نسيبين) لأن الموجز إنما يكون موجزاً بالنسبة إلى كلام أزيد منه ،
وكذا المطنب إنما يكون مطنباً بالنسبة إلى ما هو أنقص منه (الأوساط) أي
الذين لم يرتقوا إلى ذروة البلاغة ولم يتدلوا إلى حضيض العي والفهامة (وهو)

بِأَقَلِّ مِنْ عِبَارَةِ الْمُتَعَارَفِ ، وَالْإِطْنَابُ أَدَاوُهُ بِأَكْثَرِ مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ :
الِاخْتِصَارُ لِكَوْنِهِ نِسْبِيًّا يُرْجَعُ فِيهِ نَارَةٌ إِلَى مَا سَبَقَ ، وَأُخْرَى إِلَى كَوْنِ
الْمَقَامِ خَلِيقًا بِأَبْسَطِ مِمَّا ذَكَرَ ؛ وَفِيهِ نَظَرٌ ، لِأَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ نِسْبِيًّا
لَا يَقْتَضِي تَعَسَّرَ تَحْقِيقِ مَعْنَاهُ ، ثُمَّ الْبِنَاءُ عَلَى الْمُتَعَارَفِ وَالْبَسْطُ الْمَوْصُوفِ
رَدٌّ إِلَى الْجِهَالَةِ ، وَالْأَقْرَبُ أَنْ يُقَالَ : الْمَقْبُولُ مِنْ طَرُقِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمُرَادِ
تَأْدِيَةٌ أَصْلِهِ بِلَفْظٍ مُسَاوٍ لَهُ أَوْ نَاقِصٍ عَنْهُ وَافٍ ، أَوْ زَائِدٍ عَلَيْهِ لِمَنْدَةِ ؛
وَاحْتِرَازَ يَوَافٍ عَنِ الْإِخْلَالِ ، كَقَوْلِهِ :

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّهِ لِي التُّوَكُّ مِنْ عَاشٍ كَدًّا

أى هذا الكلام الذى هو متعارف الأوساط (إلى ما سبق) أى إلى اعتبار
متعارف الأوساط (مما ذكر) أى مما ذكر فى المقام (ثم البناء على المتعارف
والبسطة الموصوف) بأن يقال الإيجاز قد يكون لكونه أقل من المتعارف ؛
وقد يكون لكونه لمقام خليقاً بكلام أبسط من الكلام المذكور ، هذا ،
وقد نصر القوم صاحب المفتاح على المصنف بما لا يسعه شرحنا وليس بطالب
البلاغة حاجة وحبذا صديق المصنف لو كان كفى نفسه مؤنة الاعتراض بعد
وله عن كلام السكاكى ، وقصده لأول وهلة إلى ما هو بالبلاغة أفس وبمصنفة
أليق (عن الإخلال) وهو أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى ، كقول
الحرث بن حلزة البشكرى :

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّهِ لِي التُّوَكُّ مِنْ عَاشٍ كَدًّا

أراد والعيش الناعم خير فى ظلال التوك — بضم النون وفتحها الحق —

أَيِ النَّاعِمِ وَفِي ظِلَالِ الْعَقْلِ ، وَبِفَائِدَةٍ عَنِ التَّطْوِيلِ ، نَحْوُ :
* وَأَنْفِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيِّنًا * وَعَنِ الْحَشْوِ الْمُمَسِّدِ كَالنَّدَى فِي قَوْلِهِ :
وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى * وَصَبْرِ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبِ

من العيش الشاق في ظلال العقل . وليس يدل لحن كلامه على هذا ، فهو من الإيجاز المقصر ، ومن ذلك قول الآخر :

أَعَاذِلُ عَاجِلُ مَا أَشْتَهَى أَحَبُّ مِنَ الْأَكْثَرِ الرَّائِثِ
يريد عاجل ما أشتهى مع الفلة ، أحب إليه من رايته مع الكثرة ، ومثله قول عروة بن الورد

عَجِبْتُ لَكُمْ إِذْ يَقْتُلُونَ نَفْسَهُمْ وَمَقْتَلِيهِمْ عِنْدَ الْوَعْيِ كَانَ أَعْدَرًا
يعني إذ يقتلون نفوسهم في السلم (عن التطويل) وهو أن لا يتعين الزائد في الكلام كقول عدى بن زيد العبادي من قصيدته التي أولها :
أَبْدَأْتُ الْمَنَازِلُ أُمَّ عَيْبِنَا بِقَادِمِ عَهْدِهِنَّ فَقَدْ بَلَيْنَا
وهو يذكر غدر الزباء بجذيمة الأبرش :

وَقَدَدَتْ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَأَنْفِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيِّنًا

فإن الكذب والمين واحد . ولا يتعين أحدهما للزيادة ، والتقدير : التقطيع ، والأديم : الجلد ، والرهبان : العرقان في باطن الذراع (في قوله) أي قول أبي الطيب المتنبي (ولا فضل فيها) يقول : لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندي لولا الموت . وهذا الحكم صحيح في الشجاعة والصبر دون الندي ، لأن الشجاع إذا علم علماً ليس بالظن أنه يخلد في الدنيا ، هان عليه اقتحام الحروب والمعارك لأمنه من الهلاك إذ ذاك فلم يكن هنا فضل ، وكذا الصابر

وغير المُفسد ، كقوله : * وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ * .

إذ أيقن بزول المكروه وبقاء العمر هان عليه صبره لو ثوقه بالخلاص ، وأما الندى فعلى العكس من ذلك ، لأن الباذل إذا علم أنه يموت هان عليه بذله . ولهذا يقول إذا عوتب فيه كيف لا أبذل مالا أبقى له أنى أبقى بالتمتع بهذا المال . وعائيه قول طرفة بن العبد :

فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أَبَادِرُهَا بِمَا مَسَكْتَ يَدِي
وقول مهيار الديلمي :

فَكُلَّ إِنِّ أَكَلْتُ وَأَطَعْتُ أَخَاكَ فَلَا الزَّادُ يَبْتَقِي وَلَا الْآكُلُ
فلو علم أنه يموت ثم جاد بما له كان جوده أفضل وعلى كرم الطبع أدل ، وقد تحمل بعضهم بأن المراد بالندى في البيت ، بذل النفس لا بذل المال ، كما قال مسلم بن الوليد :

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجُودَ أَدْبَارَهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
ورد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل في بذل النفس ، وإن استعمل فعلى وجه الإضافة ، فأما مطلقاً فلا يفيد إلا بذل المال ، نعم قال ابن جنى إن في الخلود وتنقل الأحوال فيه من عسر إلى يسر ، ومن شدة إلى رخاء ، ما يسكن النهرس ويسهل البوس فلا يظهر لبذل المال كثير فائدة ، وهو قريب (كقوله)
القائل هو زهير بن أبي سلمى (وأعلم) وتامه :

* وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَلَأِي غَدِيرَ عَمِي * .

فأنت ترى أن قوله قبله مستغنى عنه إلا أنه غير مفسد ، فإن قلت قد يقال أبصرته بعيني وسمعته بأذني وضربته بيدي ، ولا يجعل مثل هذا من الجشوة

﴿المساواة﴾ نحو : وَلَا يَحْيِقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، وَقَوْلُهُ :

لوقوعه في التنزيل مثل : فويل لهم مما كسبت أيديهم ، فإننا أمثال ذلك إنما تقال في مقام يفتقر إلى التوكيد ، كما تقول لمن ينسرك معرفة ما كتبه ياهذا لقد كتبت بيدمينك هذه ، وأما قوله تعالى : ذلك قولهم بأفواههم . فعناه أنه قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان ، وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مفعول بالفم ومعناه مؤثر في القلب ، وما لا معنى له مقول بالفم لا غير (نحو : ولا يحق) ومن المساواة هذه الآيات المشهورة :

وَمَا قَضَيْنَا مِنْ مَنَىٰ كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْضِ كَانَ مِنْهُ هُوَ مَسَّحُ
وَشَدَّتْ عَلَىٰ ذَهْمِ الطَّيَّارِ رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَاحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ

ومنها تلك الآيات التي قال فيها الجاحظ ، لا أعرف شعراً يفضل هذه الآيات التي لأبي نواس :

وَدَارِ نَدَامَىٰ عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ جَمِيدٌ وَدَارِسُ
مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الرَّقَاقِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْعَافُ رِيحَانِ جَنِيِّ وَيَابِسُ
حَبَسْتُهَا تَحْيِي فَبَجَدْتُ عَنْهُمْ وَإِنِّي وَالْأَمْثَالِ تِلْكَ لِحَابِسُ
نَدَارُ عَانِهَا الرِّيحُ فِي عَسَجِدِيَّةِ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
قَرَارَتُهَا كَيْسَرَىٰ وَفِي جَنَابَتِهَا مَبَاهِجٌ تَدْرِيبُهَا بِالْقِسِيِّ النُّوَارِسُ

فَإِنَّكَ كَالذَّبِيلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ۖ وَإِنْ خِاتُ أَنْ أَلْتَمَأَى عَنْكَ قَاسِعٌ
وَإِلْيَاجُ ضَرَبَانٍ : إِيحَازُ الْقَصْرِ وَهُوَ مَا لَيْسَ مَحْذُوفٌ ، نَحْوُ :
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ كَثِيرٌ وَأَمْتِظَةٌ يَسِيرٌ ، وَلَا حَذْفَ فِيهِ

فَلِرَّاحٍ مَا زَرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا ۖ وَالْمَاءُ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ

(فَإِنَّكَ كَالذَّبِيلِ) البيت للنايعة الذي ياتي من قصيدة يمدح بها أبا قابوس وهو
النعمان بن المنذر ملك الحيرة . يقول : إنه لا يفوت الممدوح وإن أبعث في الحرب
وسار إلى أقصى الأرض لسعة ماسكه وطول يده ، ولأن له في جميع الآفاق
مطيعاً لأمره يرد الهارب إليه . وقد انتقد الأصمعي النايعة ، فقال : أما تشبيهه
الإدراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه ، وإنما كان سبيله أن يأتي
بما لا قسم له حتى يأتي بمعنى منفرد ، فلو قال قائل إن قول النيرى في ذلك
أحسن منه ، لوجد مساعاً إلى ذلك حيث يقول :

فَلَوْ كُنْتُ كَالْعَنْقَاءِ أَوْ كَسُوِّهَا ۖ أَخِلْتُكَ إِلَّا أَنْ تَصُدَّ تَرَانِي

(نحو ولستم في القصاص حياة) مثله قول الله جل شأنه فيما يخاطب
به نبيه صلى الله عليه وسلم : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين .
فجمع مكارم الأخلاق بأسرها ، لأن قوله خذ العفو فالعفو ضد الجهد ،
أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم ، وتسهل من غير
كافة ، ولا تداقمهم ، ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا .
والعرف : المعروف والجميل من الأفعال . وأعرض عن الجاهلين : لا تكفىء
النفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأعرض على ما يسوءك منهم . ومن

وَفَضَّلَهُ عَلَى مَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ أَوْ جَزَّ كَلَامٍ فِي هَذَا النَّتْفِ ، وَهُوَ : الْقَتْلُ
أَنْتْفِي لِلْقَتْلِ ، بِقِيَامَةِ حُرُوفٍ مَا يَبْدُو مِنْهُ ، وَالنَّصُّ عَلَى الْمَطْلُوبِ وَمَا يُنْفِيهِ
تَنْكِيرُ حَيَاةٍ بَيْنَ التَّعْظِيمِ ، لِإِمْنَعِهِ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ جَمَاعَةٍ بِوَاحِدٍ .

هذا الضرب من الإيجاز قوله تعالى : فلما استياسوا منه خلصوا نجيا (١) ، الآية ،
حار في فصاحتها جميع الباء . ومثل هذا في القرآن كثير . ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن (٢) ، وقول الشريف الرضي :

مَالُوا إِلَى شَعْبِ الرَّحَالِ وَأَسْتَدُوا أَيْدِي الطَّعَانِ إِلَى قُلُوبٍ تَخْفِقُ

فإنه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعة في أثناء وصفهم بالغرام ،
عبر عن ذلك بقوله : أيدى الطعان (فإن معناه كثير) لأن المراد به أن
الإنسان إذا علم أنه متى قتل كان ذلك داعياً له قوياً إلى أن لا يقدم على
القتل فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ،
فيكون ارتفاع القتل حياة لهم (وفضله الخ) يقول إن قوله تعالى : ولكم
في القصاص حياة ، يفضل ما كان عند العرب أو جز كلام في هذا المعنى وهو
قولهم القتل أنتفى للقتل من وجوه ، أحدها : أن عدة حروف ما يباظره منه وهو
في القصاص حياة عشرة في التامظ وعدة حروفه أربعة عشر ، وثانيها : ما فيها
من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها ، فيكون أجز عن القتل
بغير حق ، لكونه أدعى إلى الاقتصاص ، وثالثها : ما يفيد تنكير حياة
من التعظيم ، وذلك لمنعم عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد أو النوعية وهي

(١) المعنى لما يأسوا من يوسف وإجابته إياهم ، اعتزلوا الناس خالصين

لا يخالطهم أحد يتناجون في تدبير أمرهم وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيم .

(٢) تمام الحديث : قيل وماذا ، قال ، المرأة الحسنة في المنبت السوء .

أَوْ النَّوْعِيَّةِ الْحَاصِلَةِ لِلْمَقْتُولِ وَالْقَاتِلِ بِالِارْتِدَاعِ ، وَأَطْرَادِهِ وَخَلْقِهِ عَنْ
التَّكْرَارِ وَاسْتِغْنَائِهِ عَنْ تَقْدِيرِ مَحذُوفٍ ، وَالْمُطَابَقَةِ ؛ وَإِيجَازِ الحَذْفِ ،
وَالْمَحذُوفِ إِمَّا جُزْءُ جُمْلَةٍ مَضَافٌ لِنَحْوٍ : وَأَسْأَلِ القَرِيْبَةَ ، أَوْ مَوْضُوفٌ لِنَحْوٍ :
أَنَا ابْنُ جَلَّاءَ . أَيْ رَجُلٍ جَلَّاءَ ، أَوْ صِفَةٌ لِنَحْوِ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ بِأَخْذِ

الحياة الحاصلة للقاتل بانكفائه ، والمقتول بالكف عنه ، ورابعها : اطراده
بخلاف قولهم فإن القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا
غيره ، وخامسها : سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف
قولهم ، وسادسها : استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم ، فإن تقديره
القتل أنفي للقتل من تركه ، وسابعها : أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما
أطباق ، وزاد في الإيضاح وجهاً آخر وهو جعل القصاص كالمنبغ والمعدن
للحياة بإدخال في عليه وهناك وجوه آخر قد تمحها الناس (وإيجاز الحذف)
عطف على إيجاز التنصير (نحو وأسأل القرية) مثله قوله تعالى : وأشربوا في
قلوبهم العجول . أي حبه ، وقوله عز وجل : الحج أشهر معلومات . أي وقت
الحج ، وقول الحماسي :

إِذَا لَأَقِيْتِ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِيهِمْ خَيْرًا

هَلْ اعْتَمَوْعْنَ أَصُولَ الحَقِّ فِيهِمْ إِذَا عَسَرَتْ وَأَقْتَطِعَ الصَّدُورًا

أراد أنه يقتطع ما في الصدور من الضغائن والإحن ، أي يزيل ذلك
بإحسانه وكرامته خصاله . وهذا باب شائع في كلام العرب وإن كان أبو الحسن
الأخفش لا يرى القياس عليه (نحو وأنا ابن جلا) هو بعض بيت للمرجي ولفظه :

أَنَا ابْنُ جَلَّاءَ وَطَلَّاعُ الشَّنَائِبِ مَتَى أَضَعَ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

فالمحذوف جزء جملة موصوف (أي رجل جلا) قال بعضهم فيه نظر

كَلَّ سَفِينَةً غَضِبًا ، أَيْ صَحِيحَةً وَنَحْوَهَا ؛ بِدَلِيلِ مَا قَبْلَهُ أَوْ شَرْطٍ ، كَمَا مَرَّ ،
أَوْ جَوَابُ شَرْطٍ ، إِمَّا لِجَرْدِ الْإِخْتِصَارِ نَحْوُ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ

لأن رجل ليس جزء جملة بل فضلة ، على أنه قيل إن جلا اسم علم فلا حذف
حينئذ ، وهو مستند عيسى بن عمر في أن فعل عنده وزن يمنع من الصرف فلذا
لم ينون جلا ، وقال سيبويه : كأنه قال أنا ابن الذي جلا ، فعلى هذا الوجه
يكون حذف الموصول . ومن حذف الموصوف قول البحترى من أبيات
يصف بها إيوان كسرى :

وَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كِيَّةَ ارْتَعَتَ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسِ
وَالنَّسَايَا مَوَائِلُ وَأَنْوُ شِرٌّ وَأَنْ يُرْجَى الصُّفُوفَ تَحْتَ الدَّرْفُسِ
فِي الْخَفِيرَارِ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْفَرٍ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةِ وَرْسِ

فقوله على أصفر : أي على فرس أصفر ، وهذا مفهوم من قرينة الحال
(ونحوها) كسليمة أو سالحة (بدليل ما قبله) وهو قوله تعالى : فأردت
أن أعيبها ، فإنه يدل على أن الملك كان إنما يأخذ الصحيحة . ومن حذف
الصفة قول الحماني :

كَلَّ أَمْرِي سَتْتِيمٌ مِّنْهُ الْعُرْسُ أَوْ مِنْهَا يَتِيمٌ (١)

أراد كل امرئ متزوج ، إذ المعنى لا يصح إلا بهذا ، وبعد ، فهذا
الضرب من الحذف وهو حذف الصفة قليل الوجود ، ولا يكاد يقع في
الكلام إلا نادراً لمكان استهامة (كما مر) عند قوله في باب الإنشاء

(١) أي إما أن يموت الرجل فتبقى امرأته أيماء ، وتموت امرأته فيبقى

الرجل أيماء ، وفي المثل : كل ذات بعل ستيم .

أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلَقَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، أَيْ أَعْرَضُوا بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَهُ ،
أَوْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ لَا يُحِيطُ بِهِ الوَصْفُ ، أَوْ لِتَذَهَبَ نَفْسُ السَّامِعِ
كُلَّ مَذْهَبٍ مُمَكِّن ، مِثْلَهُمَا : وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ
نَحْوُ : لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَل ، أَيْ وَمَنْ أَنْفَقَ
مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَل بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَهُ . وَإِنَّمَا جَاءَتْ مُسَبِّبَةً عَنِ مَذْكَورٍ ،

وهذه الأربعة يجوز تقدير الشرط بعدها . ومن حذف الشرط قولهم الناس
يجزون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر (بدليل ما بعده) وهو
قوله تعالى : وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ، ومن
هذا الباب قوله تعالى : ولو أن قرآناً سیرت به الجبال أو قطعت به الأرض
أو كلم به الموتى ، أی لكان هذا القرآن وقوله تعالى : قل أرأيتم إن كان من
عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنی إسرائيل علی مثله فآمن واستكبرتم
أی ألسم ظالمین بدلیل قوله تعالى بعد : إن الله لا يهدي القوم الظالمين .
(أو لتذهب نفس السامع كل مذهب) فلا يتصور مطلوباً أو مكروهاً
إلا وهو يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، بخلاف ما لو ذكر فإنه يتعين
وربما يسهل أمره عنده ، ألا ترى أن المولى إذا قال لعبده والله إن قتت إليك
وسكت تراحمت عليه من الظنون المعترضة للوعيد ما لا يتراحم لو نص من
مؤاخذته على ضرب من العذاب ، وكذلك إذا قال المتجسس لو رأيتني شاباً
وسكت جالت الأفكار له بما لم تجل به لو أتى بالجواب (أو غير ذلك)
كالمسند إليه والمسند والمفعول كما مر وكالمضاف إليه كقوله تعالى : وكل في فلك
يسبحون ، وكذلك كل ما قطع عن الإضافة معنى لا لفظاً . وكالصلة مثل
قولهم : جاء بعد اللتيا والتي ، وجواب القسم مثل قوله تعالى : والفجر وليال عشر

محو : لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ ، أَي فَعَلَ مَا فَعَلَ ، أَوْ سَبَبٌ لِمَذْكَورٍ
محو : فَانفَجَرَتْ ، إِنْ قُدِّرَ فَضْرَبَهُ بِهَا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقْدَرَ فَإِنْ ضَرَبَتْ بِهَا

الآية ، التقدير ليعذب أو نحوه ، ويدل على ذلك قوله بعد : ألم تركيب فعل ربك
بعد — إلى قوله — سوط عذاب ، وجواب لما كقوله تعالى : فلما أسلما وتله
للجهن الآيات ، التقدير كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من
استبشارهما واغتيابهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع
البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين النفس عليه من الثواب ،
ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب ، وبما يتصل بهذا ما يجيء بعد أفعل
كقولنا : الله أكبر ، أي من كل شيء وعليه قول البحري :

اللَّهُ أَعْطَاكَ الْحِجَابَ فِي الْوَرَى وَحَبَاكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ

وَلَا تُنْكَرُ أُمَّلًا فِي الْعُيُونِ لَدَيْهِمْ وَأَجَلَ قَدْرًا فِي الصُّدُورِ وَأَكْبَرَ

(نحو ايحق الحق) ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

أَبَى الرِّمَانَ بِنُوءٍ فِي شَدِيدَتِهِ فَسَرَّيْهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْبَرَمِ

أي فساءنا (نحو فانفجرت) الآية فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت
ومثله : كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين ، أي فاختلّفوا ، بدليل قوله :
ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه (ويجوز أن يقدر الخ) فيكون المحذوف
جزء جملة هي شرط كقوله تعالى : فإله هو الولي ، أي إن أرادوا ولياً بحق ،
بالإضافة إلى قوله فانفجرت تسمى فاء فصيححة . وظاهر كلام الزمخشري أن
اسميتها فصيححة إما هي على التقدير الثاني ، وظاهر كلام السكاكي على العكس ،
وقيل إنها فصيححة على التقديرين ، والمشهور في تمثيلها قوله :

فَأَلَا خِرَاسَانَ أَتَمَّضِي مَا يَزِيدُنَا نَحْمَ الْقُقُولِ فَقَدَّ حَتْمًا خِرَاسَانًا

فَقَدْ انْفَجَرَتْ ، أَوْ غَيْرُهَا نَحْوُ : فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ عَلَى مَا مَرَّ ، وَإِنَّمَا أَكْثَرُ
مِنْ جُمْلَةِ نَحْوُ : أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ ، أَيْ إِلَى يُوسُفَ
لِاسْتَعْبَرَهُ الرَّؤْيَا فَفَعَلُوا فَأَتَاهُ وَقَالَ لَهُ يَا يُوسُفُ : وَالْحَذْفُ عَلَى وَجْهَيْنِ ،
أَنْ لَا يَقَامَ شَيْءٌ مَقَامَ الْمَحذُوفِ كَمَا مَرَّ وَأَنْ يَقَامَ ، نَحْوُ : وَإِنْ يُكذَّبُوكَ
فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ ، أَيْ فَلَا تَحْزَنْ وَاصْبِرْ ؛ وَأَدِلَّتْهُ كَثِيرَةٌ ،
مِنْهَا أَنْ يَدُلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهِ وَالْمَقْصُودُ الْأَظْهَرُ عَلَى تَعْيِينِ الْمَحذُوفِ نَحْوُ :
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ ؛ وَمِنْهَا أَنْ يَدُلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهِمَا نَحْوُ : وَجَاءَ رَبُّكَ ،
أَيْ أَمْرُهُ أَوْ عَذَابُهُ ؛ وَمِنْهَا أَنْ يَدُلَّ الْعَقْلُ وَالْعَادَةُ عَلَى التَّعْيِينِ نَحْوُ :

(على ما مر) في مبحث الاستئناف من أنه على حذف، المبتدأ والخبر ،
في قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف (نحو : أنا أنبئكم الخ) مثله
فقلنا اضربوه بعضها كذلك يحيى الله الموتى المعنى فضرِبوه بها فحذف
فحذف ذلك لدلالة قوله : كذلك يحيى الله الموتى ، وقواه : اذهب بكتابي هذا
فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون فالت يا أيها الملأ ، التقدير
ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ، ثم كأن سائلا سأل فماذا قالت فقيل :
قالت يا أيها الملأ . ومثال هذا النوع من الإيجاز لا يكاد يوجد إلا في كلام
الله الذي تقطعت على بلاغته أعناق العتاق السبق ، وونت عنها خطى الجياد
القرح (نحو حرمت عليكم الميتة) فإن العقل يدل على الحذف إذ الأحكام إنما
تتعلق بالأفعال دون الأعيان ، والمقصود الأظهر من هذه الأشياء المذكورة
في الآية تناولها الشامل للأكل وشرب الألبان ، فدل على تعيين المحذوف
(عليهما) أي على الحذف والتعيين (نحو وجاء ربك) ما أحسن ما

فَذَلِكَ الَّذِي أَمْتَدْنِي فِيهِ ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ فِي حُبِّهِ ، لِقَوْلِهِ : قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ،
وَيُؤْتِي مَرَاوِدَتَهُ لِقَوْلِهِ : تَرَاوَدْنَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَفِي شَأْنِهِ حَتَّى يَشْمَلَهُمَا ،
وَالْعَادَةُ دَلَّتْ عَلَى الثَّانِي لِأَنَّ الْحَبَّ الْمَفْرُطَ لَا يَلَامُ صَاحِبَةَ عَلَيْهِ فِي الْعَادَةِ ،
لِقَهْرِهِ إِيَّاهُ ، وَمِنْهُ الشُّرُوعُ فِي الْفِعْلِ نَحْوُ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَيُقَدَّرُ مَا جُعِلَتْ
التَّسْمِيَةُ مَبْدَأً لَهُ ، وَمِنْهَا الْإِقْتِرَانُ كَقَوْلِهِمْ لِلْمُعْرَسِ : بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينِ ،
أَيُّ أَعْرَسَتْ . وَالْإِطْنَابُ إِمَّا بِالْإِيضَاحِ بَعْدَ الْإِيهَامِ ، لِيَرَى الْمَعْنَى
فِي صُورَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ ، أَوْ لِيَتِمَّ كُنْ فِي النَّفْسِ فَضْلًا تَمَكَّنَ ،

ارتأه صاحب الكشاف في هذه الآية الكريمة ، وما أليقه بالأسلوب البليغ
قال إن هذا تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله
في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة
ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم (لا يلام
صاحبه عاياه) وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التي يقدر أن يدفعها
عن نفسه (ومنها) أي من أدلة تعيين المخاوف (الاقتران) أي اقتران الكلام
بالفعل (بالرفاء والبنين) فاقتران هذا الكلام لإعراس المخاطب دل على أن
التقدير بالرفاء والبنين أعرضت . والرفاء : الالتئام والاتفاق ، تقول رفات
الثوب أرفزه : إذا أصابحت ما وهن منه (ليرى المعنى في صورتين مختلفتين)
فيكون كعرض الحسنة في لباسين (أو ليتمكن في النفس) فإن المعنى
إذا ألقى مبهما تأقت نفس السامع إلى معرفته مبيهاً ، فتتوجه إلى ما يرد
بعد ذلك ، فإذا ألقى كما تشتهي تمكن فيها فضل تمكن ، وكان شعورها به أتم

أَوْ لَتَكْمَلَنَّ لَذَّةَ الْعِلْمِ بِهِ ، نَحْوُ : رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، فَإِنَّ اشْرَحَ لِي
يَفِيدُ طَابَ شَرْحِ شَيْءٍ مَالَهُ ، وَصَدْرِي يَفِيدُ تَفْسِيرَهُ ، وَمِنْهُ بَابُ نَعْمَ
عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، إِذْ لَوْ أُرِيدَ الْإِخْتِصَارَ لَكَفَى نَعْمَ زَيْدًا ، وَوَجْهٌ
حُسْنُهُ سِوَى مَا ذَكَرَ إِتْرَازَ الْكَلَامِ فِي مَعْرُضِ الْإِعْتِدَالِ وَإِيهَامِ الْجَمْعِ
بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ : وَمِنْهُ التَّوَشِيْعُ : وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي عَجْزِ الْكَلَامِ

(أَوْ لَتَكْمَلَنَّ لَذَّةَ الْعِلْمِ بِهِ) فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا حَصَلَ كَمَا الْعِلْمُ بِهِ دَفْعَةً لَمْ يَتَقَدَّمْ
حَصُولُ اللَّذَّةِ بِهِ أَلَمْ ، وَإِذَا حَصَلَ الشُّعُورُ بِهِ مِنْ وَجْهِ دَرْنٍ وَجْهٍ تَشَوَّقَتْ النَّفْسُ
إِلَى الْعِلْمِ بِالْمَجْهُولِ فَيَحْصُلُ لَهَا بِسَبَبِ الْمَعْلُومِ لَذَّةٌ ، وَبِسَبَبِ حَرْمَانِهَا عَنِ الْبَسَاقِ
أَلَمْ ، ثُمَّ إِذَا حَصَلَ لَهَا الْعِلْمُ بِهِ حَصَلَتْ لَهَا لَذَّةٌ أُخْرَى ، وَاللَّذَّةُ عَقِيبُ الْأَلَمِ أَقْوَى
مِنَ اللَّذَّةِ الَّتِي لَمْ يَتَقَدَّمْهَا أَلَمْ . وَمِمَّا يُوَاضِحُ ذَلِكَ مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : هَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ . قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ : السَّبَبُ فِي أَنْ
الْعَذَابَ يَأْتِيَهُمْ مِنَ الْغَمَامِ ، أَنْ الْغَمَامُ مِظَنَّةُ الرَّحْمَةِ فَإِذَا نَزَلَ مِنْهُ الْعَذَابُ كَانَ الْأَمْرُ
أَفْظَعًا وَأَهْوَلَ ، لِأَنَّ الشَّرَّ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ كَانَ أَعْمَ ، كَمَا
أَنَّ الْخَيْرَ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ كَانَ أَمْرًا ، فَكَيْفَ إِذَا جَاءَ الشَّرُّ مِنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ الْخَيْرَ ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ السَّاعِقَةُ مِنَ الْعَذَابِ الْمُسْتَنْظَعِ لِحَيْثُهَا مِنْ
حَيْثُ يَتَوَقَّعُ الْغَيْثَ ، وَمِنْ ثَمَّةِ اشْتِدَادِ عَلَى الْمُتَفَكِّرِينَ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَوْلُهُ : وَبَدَأَ
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (وَمِنْهُ) أَيُّ مِنَ الْإِيضَاحِ بَعْدَ الْإِيهَامِ
(حُسْنُهُ) أَيُّ حُسْنِ بَابِ نَعْمَ (فِي مَعْرُضِ الْإِعْتِدَالِ) نَظْرًا إِلَى الْإِطْنَابِ
مِنْ وَجْهِ حَيْثُ لَمْ يَقْبَلِ نَعْمَ زَيْدًا ، وَإِلَى الْإِيهَامِ مِنْ وَجْهِ حَيْثُ حُذِفَ الْمُبْتَدَأُ
الَّذِي هُوَ صَدْرُ الْاسْتِدْنَابِ (وَإِيهَامِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ) الْإِيهَامُ وَالْإِطْنَابُ
وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ مِنَ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ الْمُسْتَرْفَةِ الَّتِي يَظْهَرُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ

بِمَثْنَى مَفْسَّرٍ بِاسْمَيْنِ ، ثَانِيهَا مَعْطُوفٌ عَلَى الْأَوَّلِ نَحْوُ : يَشِيبُ
ابْنَ آدَمَ وَيَشِيبُ مَعَهُ خَصَلَتَانِ : الْحِرْصُ وَطُولُ الْأَمَلِ . وَإِنَّمَا بَدَّكَرَ
الْخَاصَّ بَعْدَ الْعَامِّ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ ،
تَنْزِيلاً لِلتَّغَايُرِ فِي الْوَصْفِ مَنْزِلَةً التَّغَايُرِ فِي الذَّاتِ نَحْوُ : حَافِظُوا
عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى . وَإِنَّمَا بِالتَّكْرِيرِ لِشَكَّةِ

وجدانها تأثر عجيب (ويشب معه خصلتان) فلو أريد الاختصار لقليل ويشب
معه الحرص وطول الأمل لكنه أبهم أولاً ثم أوضح لما سبق ويسمى هذا
توشيحاً . لأن التوشيح في اللغة لف القطن المندوف ، فكأنه جعل التعبير
عن المعنى الواحد بالمثنى المفسر باسمين ، بمنزلة لف القطن بعد الندف . ومن هذا
قول الشاعر :

سَقَّتْنِي فِي لَيْلٍ شَدِيدِهِ بِشَعْرِهَا شَدِيدَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَمَا زِلْتُ فِي أَيْبَانِ شَعْرٍ وَظَلَمَةٍ وَشَمْسَيْنِ مِنْ حَمْرِ وَوَجْهِ حَبِيبِ
وقول البحري :

لَمَّا مَشَيْتَ بِدِي الْأَرَائِكِ تَشَابَهَتْ أَعْطَافُ قُضْبَابٍ بِهِ وَقُدُودُ
فِي حُلَّتِي حَبِيرٍ وَرَوْضٍ فَالْتَقَى وَشِيَانٍ وَشَى رَبِّي وَوَشَى بُرُودِ
وَسَفَرُنَ فَاثْتَلَّاتُ عَيْونِ رَاقِبِيَا وَرَدَانِ وَرْدُ جَنِّي وَوَرْدُ خُدُودِ
نحو (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) (١) ، ومن هذا الباب

(١) أتذكر أن شيخنا الإمام رحمه الله قرر عند تفسير هذه الآية الكريمة

كُتِبَ كَيْدَ الْإِنذَارِ فِي : كَلَامًا سَوَّفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَامًا سَوَّفَ تَعْلَمُونَ

قوله تعالى : من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكايل ، أفرد جبريل وميكايل بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر (كُتِبَ كَيْدَ الْإِنذَارِ) وكزيادة التنبية على ما ينبئ النهمة ليكمل تاقى الكلام بالقبول كما في قوله تعالى : وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدمكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الدنيا متاع . وزيادة التوجع والتحسر كما في قوله :

فِيَا قَبْرٍ مَعْنَى أَنْتَ أَوَّلُ حُنْزُرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّمَاءِ مَضْجَعًا

وَبِأَقْبُرٍ مَعْنَى كَيْفَ وَارَيْتَ جِرَادَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبُرُّ وَالْبَحْرُ مُثْرَعًا

وقد يكرر ما قد بعد بسبب طول في الكلام كما في قوله تعالى : ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، وقوله : لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمنازاة من العذاب ، وقول الشاعر :

أن المعنى ليس كما يتقول المفسرون من أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر أو غيرها ، وإنما المعنى أن الله جل شأنه لما أمر بحفظ السلوات والمثابرة عليها كان للناس أن يتوهموا أن تأدية الصلاة على أى وجه وأية حال كافية عند الله . فبين لنا سبحانه أن الصلاة لا تكفى إلا إذا كانت وسطى — فضلى — وذلك بأن نكون مستصحبة بالفراغ من شواغل الدنيا ، وبالتوجه لله والخشوع له ، واستحضار عظمته ، واستشعار هيئته . وعلى ذلك لا تكون بما نحن فيه كما هو ظاهر .

وَفِي شَمِّ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنذَارَ الثَّانِيَّ أْبْلَغُ . وَإِنَّمَا بِالْإِبْغَالِ ، فَقِيلَ هُوَ خَتَمٌ

لَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَنِّي إِذَا قَاتَ أَمَا بَعْدُ أَنِّي خَطِيْبُهُا
وقول الحماسي :

أَسِجْنًا وَقَيْدًا وَاشْتِيَانًا وَغُرْبَةً وَنَأَى حَبِيبٍ إِنَّ ذَا الْعَظِيمِ
وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَائِقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمٌ

وقد يكرر اللفظ لتعدد المتعاق كالذي جاء في سورة الرحمن من قول الله سبحانه : فَبَأَى آلاءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ ، لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول ، ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى (وفي شَمِّ دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ) كما تقول المنصوح أقول لك ثم أقول لك ، والمر في ذلك أن أصل شَمِّ الدلالة على تراخي الزمان ، لئلا يقد تجيء بمجرد التدرج في درج الارتقاء من غير اعتبار التراخي والبعيد بين تلك الدرج ، وإن الثاني بعد الأول في الزمان وذلك إذا تكرر الأول بلفظه نحو : والله ثم والله (وإما بالإبغال) وأصله من قولهم أوغل في الأمر : إذا أبعده الذهاب فيه . سئل الأصمعي من أشعر الناس : فقال من يعضى كلامه قبيل انقضاء القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى قيل نحو من : قال ذو الرمة حيث يقول

فَبِئْسَ الْعَيْسَ فِي أَظْلَالٍ مَيِّةٍ فَاسْتَأَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرَّدَاءِ الْمَسْأَلِ

فتم كلامه بالرداء ، ثم قال المسائل فزاد به شيئاً ثم قال :

أَطْلَى أَيْدِي بَجْدِي غَمِيكَ نَوْمًا هَا ، ذَمُوعًا كَتَمِيْدِي الْجَمَانِ الْمُفْصَلِ

فتم كلامه بالجمان . ثم قال انفصل فزاد شيئاً . قيل ونحو من قول الأعشى :

(م - ١٥)

الْبَيْتِ بِمَا يُفِيدُ نَكْتَةً يَتِمُّ الْمَعْنَى بِدُونِهَا ، كَزِيَادَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي قَوْلِهَا :
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَسَاتَمُ الْهِدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ
وَتَحْقِيقُ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :
كَأَنَّ عَيْونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا نَوَارِحِنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يَثْقُبْ

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا فَلَمَّا يَضُرُّهَا وَأَوْفَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ
فَتَمَّ كَلَامُهُ بِيَضْرُهَا ، فَلَمَّا احْتِجَّ إِلَى الْقَافِيَةِ قَالَ : وَأَوْفَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ ، فزاد
معنى ، قال السائل وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح ، قال لأنه ينحط
من قلة الجبل على قرنيه فلا يضره (في قولها) أى قول الخنساء في مرثية
أخيها صخر . ولم ترض أن تشبهه بالعلم الذي هو الجبل المرتفع المعروف
بالهداية حتى جعلت في رأسه ناراً (في قوله) أى قول امرئ القيس . فإنه لما
أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج إليها جاء بزيادة حسنة في قوله لم يثقب
لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون (كأن عيون الخ) الجزع
الحرز النيماني الذي فيه سواد وبياض يشبه به عيون الوحش قال الأصمعي : الطي
والبهرة إذا كانتا حين فعيونهما كلها سود فإذا ماتا بدا بياضها وإنما شبهها بالجزع
وفيه سواد وبياض بعد ما موتت ، والمراد كثرة الصيد يعنى مما أكلنا كثرت
العيون عندنا ومن هذا النوع قول زهير :

كَأَنَّ فَتَاةَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَّابٌ بِهِ حَبُّ الْفَنَّا لَمْ يُحْطَمِ
فإن حب الفنا أحمر الظاهر أبيض الباطن ، فهو لا يشبه الصوف الأحمر
إلا ما لم يحطم ، وقول امرئ القيس :

إِذَا مَا جَرَى شَأْوَيْنِ وَابْتَلَّ عِطْفُهُ نَقُولُ هَزِيرُ الرِّيحِ مَرَّةً بِأَنْثَابِ
التشبيه تم عند قوله هزير الريح ، وزاد بقوله مر بأناب . لأنه أخبر به

وقيل لا يختص بالشعر ومثلاً لقوله تعالى : اتبعوا من لا يسألكم
أجراً وهم مهتدون . وإما بالتدليل ، وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى
تستعمل على معناها للتأكيدي ، وهو ضربان : ضرب لم يخرج مخرج
مثلاً نحو : ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكفور ، على وجه

عن شدة حفيف الفرس وللريح في أغصان الأثاب حفيف شديد ، والأثاب :
شجر . وكان الرشيد يعجب بقول مسلم بن الوليد :

إذ ما عات مناً ذؤابة شاربٍ تمشت به منشى المقيد في الوحل

وكان يقول قائله الله أما كماه أن يجعله مقيداً حتى جعله في وحل (ومثل
بقوله تعالى الخ) فإن قوله : وهم مهتدون ، بما يتم المعنى بدونه لأن الرسول مهتد
لا محالة ، لكن فيه زيادة حث على الانبعاث وترغيب في الرسل . وكتب بعض
الكتاب : نبو الطرف من الوزير دليل على تغيير الحال عنده ، ولا صبر على
الجناء من عود الله منه البر ، وقد استدلت بإزالة الوزير إياي عن المحل الذي
كان يعانيه بتطوره على ما سوت له ظناً بنفسى ، وما أخاف عتياً لأنى لم أجن
ذنباً ، فإن رأى الوزير أن يقومى بنفسى ويدلنى على ما يراد منى فعلى تم
كلامه بقوله يقومى وزاد بالمقطع وهو قوله لنفسى معنى (وأما بالتدليل)
والتدليل في الكلام موقع جليل وممكن شريف خطير لأن المعنى يزداد به
انسراحاً والمقصد انصاحاً ، وينبغى أن يستعمل في المواطن الجامعة والمواقف
الحافظة . لأن تلك المواطن تجميع البطىء الفهم والبعيد الذهن والثاقب القريحة
والجيد الحاضر ، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد تأكد عند الذهن
اللقن وتيسر للتكليل البعيد (لم يخرج مخرج المثل) لعدم استتماله بإفادة
المراد وتوقفه على ما قبله (على وجه) وهو أن يراد وهل يجازى ذلك

وَضَرَبٌ أَخْرَجَ مُخْرَجَ الْمَثَلِ ، نَحْوُ : وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ
الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا . وَهُوَ أَيْضًا إِتْمَانًا كَيْدٍ مَنْطُوقٍ كَهَيْدِهِ الْآيَةُ ، وَإِمَامًا
لِتَأْ كَيْدٍ مَفْهُومٍ ، كَقَوْلِهِ :

وَأَسْتِ بِسُتْبِقِ أَخَا لَا تَلْدُهُ عَلَى شَعْبِ أَيْ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ

الجزاء ، قال الزمخشرى وفيه وجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل
تارة في معنى الدافعية ، وأخرى في معنى الإثابة ، فلما استعمل في معنى المعاقبة في
قوله : جزبناهم بما كانوا ، بمعنى عافبناهم بكفرهم ، قيل : وهل يجازى إلا الكفور
بمعنى وهل يعاقب فعلى هذا يكون من الضرب الثاني ومن الأول قول الحماسي :

فَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوْتَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ
وقول أبي الطيب :

وَمَا حَاجَةَ الْأُضْمَانِ حَوْلَكَ فِي الدَّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدُ لَكَ عَادِمُهُ
وقوله أيضاً :

تَمَسَّى الْأُمَانِي صَرَعِي دُونَ مَبْلَغِهِ فَمَا يَقُولُ إِشْيَ لَيْتَ ذَلِكَ لِي
وقول ابن نباتة السعدي :

لَمْ يَبْقِ خُودَكَ لِي شَيْئًا أَوْمَلُهُ تَرَ كَتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا مِلًّا أَمَلِي
قيل نظر فيه إلى قول أبي الطيب وقد أرى عليه في المدح والادب مع
المدح حيث لم يجعله في خير من تمنى شيئاً (نحو وقل جاء الحق الآية) ومن
هذا قول الخطيب :

نَزَرُ فَتَى يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالُهُ . وَسَنْ نَعْطَى الْأُمَانَ الْكَارِمَ مُحَمَّدِ

وَإِنَّمَا بِالتَّكْوِيلِ ، وَ يُسَمَّى الإِحْتِرَاسَ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامٍ
يُوهِمُ خِلَافَ الْمَقْصُودِ بِمَا يَدْفَعُهُ ، كَقَوْلِهِ :

(كقوله) ، أي قول النابغة الذبياني من قصيدة يخاطب بها الملك النعمان
ابن المنذر . فأنت ترى أن صدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال
فحقق ذلك وقرره بعجزه . ومعنى البيت ظاهر ، وبما ينظر إليه قول بعضهم :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أَخَاكَ وَزَلَّةً أَرَادَ لَهَا أَوْشَكْتُمَا أَنْ تَفَرَّقَا

وهو معنى طرقة الشعراء كثيراً (بما يدفعه) وهذا الدافع قد يكون في وسط
الكلام ، وقد يكون في آخره فالأول كقول طرفة بن العبد من قصيدة يمدح بها
قتادة بن مسلمة الحنفي وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوَّبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي (١)

لما كان المطر قد يفضى بالديار إلى الفساد تحرز عن ذلك بقوله غير مفسدها
ولم يقع فيما وقع فيه ذو الرمة في قوله :

أَلَا يَا سَلَمِي يَا دَارَ مِيٍّ عَلَى الْبِلَاءِ وَلَا زَالَ مِنْهَا لَبِجْرَ عَائِكَ الْقَطْرُ

فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالداء لها . ومن هذا الضرب قول الرمادي
في وصف فرس :

قَامَتْ قَوَاتُهُ لَنَا بِطَعَامِنَا غَضًا وَقَامَ الْعُرْفُ بِالْمِنْدِيلِ

فقوله غضاً احتراماً عجيب ، إذ لو لم يذكر لنوهم أنهم ينقلون عليه
أزوادهم ، وقول نافع بن خليفة الغنوي :

رِجَالٌ إِذَا لَمْ تَقْبَلِ الْحَقَّ مِنْهُمْ وَيُعْطَوُهُ عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاصِبِ

(١) الديمة : المطر يدوم ، وتهمي : تسيل .

فَسَقَى دِيرَكَآ غَيْرَ مُفْسِدِهَا ۖ صَوَّبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةَ سَهْمِي
وَنَحْوُ : أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ . وَإِنَّمَا بِالَّتَّيْمِ

وقول الآخر :

لَوْ أَنَّ عِزَّةَ خَاتَمَتِ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْحُسْنِ عِنْدَ مُوَفَّقٍ لَقَضَى لَهَا
فقوله عند موفق : تكميل لطيف ، والثاني كقوله تعالى : فسوف يأتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . فإنه لو اقتصر على
وصفهم بالأذلة على المؤمنين لتوهم ان ذلتهم لضعفهم ، فلما قيل أعزة على الكافرين
علم أنها منهم تواضع لهم ، ولهذا عدى الذل بعلى لتضمنه معنى العطف كأنه قيل
عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ويجوز أن تكون التعديّة بعلى ، لأن
المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم .
ومنه قول ابن الرومي فيما كتب به إلى صديق له : إني وليك الذي لا يزال تنقاد
إليك مودته عن غير طمع ولا جزع ، وإن كنت الذي الرغبة مطلباً والذي الرهبة
مهرباً ، ومثله تناسى :

رَهَنْتُ يَدِي بِالْأَعْجَزِ عَنْ شُكْرِ بَرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدُ
وكذا قول كعب بن سعد الغنوي :

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهْيَبُ

فإنه لو اقتصر على وصفه بالحلم لآوهم أن ذلك عن ضعف وخور ، فأزال ذلك
بقوله إذا ما الحلم زين أهله ، ومعلوم أن الحلم لا يزين أهله إلا عند القدرة عليه .
ولما كان كونه حليماً في حال يحسن فيها الحلم يوهم أنه في تلك الحال ليس مهيباً لما به
من البشر وطلاقة الوجه وعدم آثار الغضب والوقار نفى ذلك بقوله : مع الحلم
في عين العدو مهيب فهو تكميل آخر . ومن هذا أيضاً قول السموأل :

وَهُوَ : أَنْ يُؤْتَىٰ فِي كَلَامٍ لَا يُؤْتَىٰ خِلافَ الْمُقْصُودِ بِفَضْلَةٍ ، لِنُكْتَةِ كَالْمِبَالِغَةِ ،
نَحْوُ : وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ، فِي وَجْهِهِ ، أَيَّ مَعَ حُبِّهِ . وَإِنَّمَا
بِالِاعْتِرَاضِ ، وَهُوَ : أَنْ يُؤْتَىٰ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ أَوْ بَيْنَ كَلَامَيْنِ مُتَّصِيَيْنِ
مَعْنَىٰ بِجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ لَا مَحَلَّ لَهَا بَيْنَ الْإِعْرَابِ لِنُكْتَةِ سِوَىٰ دَفْعِ
الِإِبْهَامِ ، كَالْتَنْزِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَآيُهُمُ

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ وَلَا طَلٌّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ
فَإِنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَىٰ وَصْفِ قَوْمِهِ بِشَمُولِ الْقَتْلِ لِإِبْهَامِهِ ، لِأَوْهَمِ أَنْ ذَلِكَ
لِضَعْفِهِمْ وَقَاتِمِهِمْ ، فَأَزَالَ هَذَا الْوَهْمَ بِوَصْفِهِمْ بِالِانْتِصَارِ مِنْ قَاتِلِهِمْ (كَالْمِبَالِغَةِ)
وَكَالدَّلَالَةِ عَلَىٰ تَقَابُلِ الْمُدَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ، ذَكَرَ
لَيْلًا وَالْإِسْرَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ تَقْلِيلِ مَدَّةِ الْإِسْرَاءِ ، وَأَنَّهُ أُسْرِيَ
بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ ، لِأَنَّ التَّنْكِيرَ فِيهِ قَدْ دَلَّ عَلَىٰ مَعْنَىِ الْبَعْضِيَّةِ (فِي وَجْهِهِ أَيَّ مَعَ
حُبِّهِ) أَيَّ مَعَ اشْتِهَاءِ الطَّعَامِ وَالْحَاجَةَ إِلَيْهِ . أَمَا إِذَا جَعَلَ الضَّمِيرُ لِلَّهِ أَيْ عَلَىٰ حُبِّ
اللَّهِ كَمَا قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ ، فَلَا يَكُونُ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ، لِأَنَّهُ لِنَأْدِيَةِ أَصْلِ الْمُرَادِ
وَهَذَا الْوَجْهِ بَعِيدٌ كَمَا لَا يَخْفَىٰ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ زَهَيْرٍ :

مَنْ يَأْتِي يَوْمًا عَلَىٰ عِلَاتِهِ هَرَبًا يَهْلِقَ السَّمَاخَةَ مِنْهُ وَالنَّدَىٰ خَلِقًا

فَقَوْلُهُ عَلَىٰ عِلَاتِهِ : تَتَمِيمٌ جَمِيلٌ . وَقَوْلُ الْآخِرِ :

إِنِّي عَلَىٰ مَا تَرَىٰ مِنْ كِبَرِي أَعْرِفُ مِنْ أَيِّ نَوْءٍ كَأَنَّ الْكَافِيَّ

قَوْلُهُ عَلَىٰ مَا تَرَىٰ مِنْ كِبَرِي : تَتَمِيمٌ أَصْحَابُ الْحَزَنِ (سِوَىٰ دَفْعِ الْإِبْهَامِ) أَيُّ الَّذِي
ذَكَرَ فِي التَّسْكِيمِ (كَالْتَنْزِيهِ) وَكَانَ خَصِيصٌ أَحَدُ الْمَذْكُورِينَ بِزِيَاةِ التَّوَكِيدِ فِي
أَمْرِ عَاقٍ بِهِمَا كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ
وَفَصَالَهُ فِي شَبَابٍ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ، فَقَوْلُهُ أَنْ اشْكُرْ لِي : تَفْسِيرٌ

مَا يَشْتَهُونَ ، وَالِدُعَاءِ فِي قَوْلِهِ :
إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبَلَّغْتَهَا * قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَمَانِ
والتَّنْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :
وَاعْلَمْ فَعِلْمُ الْمَرْءِ يَنْفَعُ * إِنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَا

لوصينا ، وقوله جلته اعتراض بينهما إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً
لحقها العظيم مفرداً ، وكالمطابقة مع الاستعطاف في قول أبي الطيب :

وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَتِهِ * يَا جَنَّتِي لَرَأَيْتَ فِيهِ جَهَنَّمَا

فقوله يا جننتي : اعتراض للمطابقة مع جهنم والاستعطاف ، وكبيان السبب
لأمر فيه غرابة كما في قوله بن ميادة :

فَلَا هَجْرُهُ يَبْدُو وَفِي الْيَأْسِ رَاحَةٌ * وَلَا وَصْلُهُ يَبْدُو لَنَا فَنُكَارِمُهُ

فإن قوله فلا هجره يبدو يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه وغريب أن
يكون هجر الحبيب مطلوباً للحب فقال وفي اليأس راحة ليبين سببه (ويجعلون
لله البنات الخ) فقوله سبحانه جملة لسكونه بتقدير الفعل وقعت في أثناء الكلام
لأن قوله ولهم ما يشتهون معطوف على قوله لله البنات . والنكته فيه تنزيه الله سبحانه
وتقديسه عما ينسبون إليه (في قوله) أي قول عوف بن محم الشيباني يشكو كبره
وضدده . فقوله وبلغتها : جملة معترضة بين اسم إن وخبرها لقصد الدعاء والواو
في مثله اعتراضية ليست عاطفة ولا حالية ، ومثل هذا قول أبي الطيب :

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجْرَبٍ * يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا

فقوله وحاشاك دعاء حسن في موضعه (وواعلم الخ) فقوله فعلم المرء ينفعه
اعتراض بين اعلم ومفبو له ، والمعنى أن المقدورات لا محالة وإن وقع فيه
تأخير ، وفي هذا تسايية وتسهيل للأمر ، وهذا البيت أنشده أبو علي الفارسي

وَمَا جَاءَ بَيْنَ كَلَامَيْنِ وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ جُمْلَةٍ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى :
فَاتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ بَيِّنٌ لِقَوْلِهِ
فَاتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ، وَقَالَ قَوْمٌ : قَدْ تَكُونُ النُّكْتَةُ فِيهِ غَيْرَ
مَا ذُكِرَ ، ثُمَّ جَوَّزَ بَعْضُهُمْ وَقَوْلُهُ آخِرَ جُمْلَةٍ لَا تَلِيهَا جُمْلَةٌ مُنْصَلَةٌ بِهَا
فَيَشْمَلُ التَّذْيِيلَ ، وَبَعْضُ صُورِ التَّكْمِيلِ ، وَبَعْضُهُمْ كَوْنَهُ غَيْرَ جُمْلَةٍ

ولم يعزه على أحد (وهو) أى والاعتراض نفسه الواقع بين الكلامين
أكثر من جملة (أيضاً) كما أن الكلام الذى يقع الاعتراض فى أثناءه
أكثر من جملة (بيان لقوله فاتوهن من حيث أمركم الله) لأن الغرض
الأصل من الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة ، فلا تأنوهن إلا من
حيث يأتى فيه هذا الغرض . فالنكته فى هذا الاعتراض الترغيب فيما أمروا
به والتنفير عما نهوا عنه (وقال قوم الخ) يقول غفر الله له : إن قوماً ذهبوا
إلى أن الاعتراض لا تقيد فائدته بما ذكر ، بل يجوز أن تكون دفع توم
ما يخالف المقصود وهؤلاء اختلفوا فرقتين فرقة لا تشترط فيه أن يكون واقعاً
فى أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى ، بل يجوز أن يقع فى آخر كلام
لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به معنى وبهذا يشعر كلام الزمخشري فى
مواضع من الكشاف ، فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل ويشمل من
التكميل ما لا محل له من الإعراب جملة كان أو أكثر من جملة . وفرقة تشترط
فيه ذلك لكن لا تشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة ، فالاعتراض
عند هؤلاء يشمل من التميم ما كان واقعاً فى أحد الموقعين ، ومن التكميل
ما كان واقعاً فى أحدهما ولا محل له من الإعراب جملة كان أو أقل أو

فَيَشْمَلُ بَعْضَ سُورِ التَّسْمِيمِ وَالتَّكْمِيلِ . وَإِمَّا بَغَيْرِ ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ،
فَإِنَّهُ لَوْ اخْتَصِرَ لَمْ يُذَكَّرْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، لِأَنَّ إِيمَانَهُمْ لَا يُنْكِرُهُ مَنْ
يُنْبِتُهُمْ ، وَحَسَنَ ذِكْرُهُ إِظْهَارُ شَرَفِ الْإِيمَانِ تَرْغِيبًا فِيهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ
يُوصَفُ الْكَلَامُ بِالْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ حُرُوفِهِ وَقِلَّتِهَا بِالنِّسْبَةِ
إِلَى كَلَامٍ آخَرَ مُسَاوِلَهُ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ :

* يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سَوَدَدٌ * وَقَوْلِهِ :

وَلَسْتُ بِنَظَارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى إِذَا كَانَتْ الْعَالِيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

أَكْثَرُ (وَإِمَّا بَغَيْرِ ذَلِكَ) مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ إِمَّا بِالْإِيضَاحِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ
(كَقَوْلِهِ) أَي نَوَّلَ أَبِي تَمَامٌ مِنْ آيَاتِ يَرْثِي أَبَا الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ الْهَيْثَمِ .
وَتَمَامُ الْبَيْتِ :

* وَلَوْ بَرَزْتَ فِي زِيٍّ عَذْرَاءَ نَاهِدٍ *

وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذَا الْمَصْرَاعَ إِيجَازٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَعْدِلِ بْنِ غِيلَانَ :
وَلَسْتُ بِنَظَارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى إِذَا كَانَتْ الْعَالِيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
لِمَسَاوَاتِهِ لَهُ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى وَقِلَّةِ حُرُوفِهِ ، وَالْبَيْتُ إِطْنَابٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ .
وَكَذَا بَيْتُ الشَّيْخِ :

إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَنَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

فَإِنَّهُ إِيجَازٌ بِالنِّسْبَةِ لِقَوْلِ بَشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ :

إِذَا مَا الْمُسْكِرَاتُ رُفِعْنَ يَوْمًا وَقَعَّرَ مُبْتَغُوها عَنْ مَدَاهَا

وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ،
وَقَوْلُ الْحَمَاسِيِّ :

وَتُنْكَرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ * وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

حجج الفن الثاني علم البيان

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ إِرَادُ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بِطَرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي وُضُوحِ

وَضَاقَتْ أَذْرُعُ الْمُثْرِينَ عَنْهَا سَمَّا أَوْسُنْ إِلَيْهَا فَاحْتَوَاهَا

وشعر بشر إطناب بالنسبة إليه ، قال ، ويقرب من هذا الباب قوله تعالى :
لا يستل عما يفعل وهم يستلون وقول السموأل :

وتنكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

(وهو علم الخ) قد مهد السكاكي لهذا النوع من علوم البلاغة بمقدمات
هى بالعلوم النظرية أليق وللبايغ غيرها عنها غنية ولكن لا يحصى أيها القارىء
عن شرحها بما ينظر للأسلوب العربى فنقول : ابيان علم يعرف به إبراز المعنى
الواحد فى صور مختلفة وترا كيب متفاوتة بالزيادة والنقصان فى وضوح الدلالة
عليه ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتام المراد منه
ثم بما يكاد يكون معروفاً أن إبراز المعنى الواحد فى صور مختلفة غير ممكن
بالدلالة اللغوية . وهى التى يسهونها الدلالة الوضعية . لأن من المحال أن يتطرق
الكمال والنقصان إليها ، فإن السامع للفظ إما أن يكون عالماً بكونه موضوعاً
لمسماه أولاً يكون ، فإن كان عالماً به عرف مفهومه بتمامه وإن لم يكن عالماً
به لم يعرف منه شيئاً البته . فالألفاظ فى دلالاتها اللغوية إما أن تفيد مسمياتها
بالكامل أو لا تفيد شيئاً منها ، فأما أن تفيد إفادة ناقصة فذلك غير معقول ، مثاله

الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ ، وَدَلَالَةُ اللَّفْظِ إِذَا عَلَى تَمَامٍ مَا وَضِعَ لَهُ ، أَوْ عَلَى جُزْئِهِ ،
أَوْ عَلَى خَارِجٍ عَنْهُ ، يُسَمَّى الْأُولَى وَضْعِيَّةً ، وَكُلٌّ مِنَ الْأَخِيرَتَيْنِ عَقْلِيَّةٌ

إذا أردت تشبيه زبد بالأسد في الشجاعة ، فإن أفدت هذا بالدلالة اللغوية وقلت
زيد يشبه الأسد في الشجاعة ، فقد أفدت مقصودك بالألفاظ دالة عليه دلالة
لغوية ، وهذه الإفادة تمتنع من طرق الزيادة والنقصان إليها ، لأنك إذا نقصت
في هذه الألفاظ شيئاً فقد نقصت من المعنى لا محالة . وإن زدت فيها فقد
زدت في المعنى لا محالة ، وإن أقتت مقام كل لفظ منها ما يرادفه امتنع أن
تزداد تلك الإفادة قوة بسبب ذلك ، لأن السامع إذا عرف كونها موضوعة
بإزاء مفهومات الألفاظ الأولى كان فهمه منها كفهمة من تلك الألفاظ الأولى
وإن لم يعرف ذلك لم يعرف منها ذلك المعنى . وأما الدلالة العقلية فلأجل أن
حاصها عائد إلى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ إلى ما يلزمه من اللوازم ، ثم
اللوازم كثيرة ، وهي تارة تكون قريبة وأخرى تكون بعيدة ، لا جرم صح
إبراز المعنى الواحد في صور كثيرة ، وصح في تلك الصور أن يكون بعضها
أكمل من بعض في إفادة ذلك المعنى وتأديته وبعضها أتم وأضف . . .
إذا عرفت هذا فنقول : دلالة اللفظ على المعنى إما أن تكون وضعية أو عقلية .
فالوضعية كدلالة الألفاظ على المعاني التي هي موضوعة بإزائها وذلك كدلالة
السماء والأرض والجدار والحائط على مسمياتها ، ولا شك في كونها وضعية ،
وإلا لامتنع اختلاف دلالاتها باختلاف الأوضاع وأما العقلية فإما على ما يكون
داخلاً في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء مفهوم
البيت ولا شك في كونها عقلية لامتناع وضع اللفظ بإزاء حقيقة مركبة ولا
يكون متناولاً لأجزائها ، وإما على ما يكون خارجاً عنه كدلالة لفظ السقف
على الحائط ، فإنه لما امتنع انفكاك السقف عن الحائط عادة كان اللفظ المقيم

وَتَخْتَصُّ الْأُولَى بِالمُطَابَقَةِ ، وَالثَّانِيَةَ بِالتَّضَمُّنِ ، وَالثَّلَاثَةَ بِالِالْتِزَامِ وَشَرْطُهُ
اللزومُ الذهنيُّ ، وَلَوْ لاعتقادِ المُخاطَبِ بعُرفٍ أو غيره ، وَالإيرادُ المذكورُ
لَا يَتَنَاءَى بِالوَضْعِيَّةِ ، لِأَنَّ السَّامِعَ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِوَضْعِ الْأَلْفَاظِ
لَمْ يَكُنْ بَعْضُهَا أَوْضَحَ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ دَالًّا عَلَيْهِ وَيَتَنَاءَى
بِالعَقْلِيَّةِ ، لِجَوَارِحِ أَنْ تَخْتَلِفَ رَوَاتِبُ اللزومِ فِي الوُضُوحِ ، ثُمَّ اللَّفْظُ
المرادُ بِهِ لِأَزْمَ مَا وُضِعَ لَهُ إِنْ قَامَتْ قَرِينَةٌ عَلَى عَدَمِ إِرَادَتِهِ فَمَجَازٌ ،

لحقيقة السقف مفيداً للحائط بواسطة دلالة الأول ، فتكون هذه الدلالة عقابية ،
والقوم قد اصطاحوا على تسمية الأولى بدلالة المطابقة والثانية بدلالة التضمن
والثالثة بدلالة الالزام ، قال المصنف : وشرط الالزام اللزوم الذهني بين
الموضوع له والخارج عنه يعني أن يكون حصول ما وضع اللفظ له في الذهن
ملزوماً لحصول الخارج فيه لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر لكون
نسبة الخارج إليه حينئذ كنسبة سائر المعاني الخارجة ، ولا يشترط في هذا
اللزوم أن يكون مما يشبهه العقل بل يكفي أن يكون مما يشبهه اعتقاد المخاطب ، إما
لعرف عام أو لغيره ، لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الأصلي إلى الآخر .
قال : ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة
ما وضع له فهو مجاز وإلا فكناية . . . وهذا مبني على ما سيجيء أول باب
الكناية من أن الانتقال في المجاز والكناية كليهما إنما هو من اللزوم إلى
اللازم ، وأن ما ذكره السكاكي من أن مبني الكناية على الانتقال من اللازم
إلى الملزوم ليس بصحيح ، إذ لا دلالة اللازم من حيث أنه لازم على الملزوم

وَالْإِفْكِيَّةُ ، وَقُدِّمَ عَلَيْهَا لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَجُزءٍ مَعْنَاهَا ، ثُمَّ مِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى التَّشْبِيهِ ، فَتَعَيَّنَ التَّعَرُّضُ لَهُ ، فَانْحَصَرَ فِي الثَّلَاثَةِ .

﴿ التَّشْبِيهُ ﴾

- التَّشْبِيهُ الدَّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ فِي مَعْنَى ، وَالْمُرَادُ هَهُنَا

وَالِاتِّزَامُ إِنَّمَا هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى لَازِمِ الْمَسْمُوعِ لَا عَلَى مَلْزُومِهِ . قَالَ : وَقَدْ جَازَ عَلَى الْكِنَايَةِ لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَجُزءٍ مَعْنَاهَا ، أَيْ لِأَنَّ الْمُرَادَ فِي الْجَازِ هُوَ الْإِزَامُ فَقَطْ لِقِيَامِ الْقَرِينَةِ عَلَى عَدَمِ إِزَادَةِ الْمَلْزُومِ وَفِي الْكِنَايَةِ يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ الْإِزَامُ وَالْمَلْزُومُ جَمِيعاً . قَالَ : ثُمَّ مِنَ الْجَازِ مَا يُبْنَى عَلَى التَّشْبِيهِ . وَهُوَ الْإِسْتِعَارَةُ . فَتَعَيَّنَ التَّعَرُّضُ لَهُ فَانْحَصَرَ الْمَقْصُودُ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ فِي الثَّلَاثَةِ : التَّشْبِيهِ وَالْجَازَ وَالْكِنَايَةَ . هَذَا مَا أَمَكْنَ أَنْ نُنَبِّتَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَهُوَ بَعْدَ مَوْضِعِ نَظَرٍ (١) .

﴿ التَّشْبِيهِ ﴾ اعْلَمْ أَنَّ التَّشْبِيهِ مِمَّا اتَّفَقَ الْعُقَلَاءُ عَلَى شَرَفِ قَدْرِهِ وَإِنْ تَعْقِبَ الْمَعَانِي بِهِ لِأَسْيَا قَسَمِ التَّمْثِيلِ مِنْهُ يَكْسِيهَا أَهْبَةً وَيَكْسِيهَا مَنْقِبَةً وَيَرْفَعُ مِنْ أَقْدَارِهَا وَيُشَبِّهُ مِنْ نَارِهَا وَيَضَاعِفُ قُوَاهَا فِي تَحْرِيكِ النُّفُوسِ لَهَا وَيَدْعُو الْقُلُوبَ إِلَيْهَا وَيَسْتَثِيرُهَا مِنْ أَقْصَى الْأَقْتَدَةِ صِبَابَةً وَكَلْفًا ، وَيَقْسِرُ الطَّبَاعَ عَلَى أَنْ تَعْطِيَهَا مَحَبَّةً وَشَفَافًا فَإِنْ كَانَ مَدْحًا كَانَ أَهْبَى وَأَنْجَمَ وَأَنْبَلَ فِي النُّفُوسِ وَأَعْظَمَ ، وَأَهْزَ لِلْعَطْفِ وَأَسْرَعَ لِلْأَلْفِ ، وَأَجْلَبَ لِلْفَرَحِ ، وَأَغْلَبَ عَلَى الْمَمْتَدِحِ وَأَوْجَبَ شَفَاعَةَ الْمَادِحِ ، وَأَقْضَى لَهُ بَغْرَ الْمَوَاهِبِ وَالْمَنَائِحِ ، وَأَسِيرَ عَلَى الْأَسْنِ وَأَذْكَرَ ، وَأَوْلَى بِأَنْ تَعْلِقَهُ الْقُلُوبُ

(١) وَذَلِكَ لِأُمُورٍ : مِنْهَا أَنَّهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ قَوْلُهُمْ أَنَّ الْإِخْتِلَافَ بِالْمَوْضُوعِ وَالْخَفَاءَ غَيْرَ مُمْكِنٍ فِي الدَّلَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ ، وَلَقَدْ شَنَعَ شَيْخُنَا الْإِمَامَ حَفْظَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ بِمَا يُؤَيِّدُهُ الْحَسُّ وَيُنْصِرُهُ الْعَقْلُ ، وَلَيْسَ فِي وَسْمِنَا إِثْبَاتٌ ذَلِكَ الْآنَ وَرَبَّمَا أَثْبَتَاهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأُمُورٌ أُخْرَى نَبَهَ عَلَيْهَا الْقَوْمَ فِيمَا كَتَبُوا فَانظُرْهَا ثُمَّتْ إِنْ شِئْتَ .

وأجدر . وإن كان ذماً كان مسه أوجع وميسمه الذع ووقعه أشد وحده أحد ،
وإن كان حجاً جاباً كان برهانه أنور وسلطانه أفهر وبيانه أبهر . وإن كان افتخاراً
كان شأوه أبعده وشرفه أجده ولسانه ألد . وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول
أقرب وللقلوب أخلب وللسخانم أسل ولعرب الغضب أقل ، وفي عقد العقود
أنفك وعلى حسن الرجوع أبعث . وإن كان وعظماً كان أشقى للصدر وأدعى
إلى الفكر وأبلغ في التنبيه والزجر وأجدر ، بأن يجلي الغياية ويبصر الغاية ويبرىء
العليل ويشفي الغليل . وهكذا الحكم إذا استقرت فنون القول وضروبه ،
وتتبعت أبوابه وشعوبه . وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول البحري :

دَانَ عَلَى أَيْدِي الْعَفَاةِ وَشَاسِعٌ عَنْ كُلِّ نِدَى فِي النَّدَى وَضَرِيبٍ
كَالْبَدْرِ أَفْرَاطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبٍ
أَوْ قَوْلِ ابْنِ لُكَّكِ :

إِذَا أَخُو الْجُسْنِ أَضْحَى فِعْلُهُ سَمِيحًا رَأَيْتَ صُورَتَهُ مِنْ أَقْبَحِ الصُّورِ
وَهَبَهُ كَالشَّمْسِ فِي حُسْنِ أَلَمِ تَرَانَا نَفَرٌ مِنْهَا إِذَا مَأَتْ إِلَى الضَّرَرِ
أَوْ قَوْلِ ابْنِ الرَّومِيِّ :

بَذَلَ الْوَعْدَ لِلْأَخْلَاءِ سَمِيحًا وَأَبَى بَعْدَ ذَلِكَ بَذَلَ الْمَطَاءِ
فَقَدَا كَالْخَلَّافِ يُورِقُ لِلْعَيْنِ وَيَأْبَى الْإِثْمَارَ كُلَّ الْإِبَالِ
أَوْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَبُودِ
لَوْلَا اشْتِمَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عُرْفِ الْعُودِ
وقوله أيضاً :

مَوْطُولٌ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخَاقٍ لِدَيْبَاجَتَيْهِ فَاغْتَرَبُ تَتَجَدَّدِ

مَا لَمْ تَكُنْ عَلَى وَجْهِ الاسْتِعَارَةِ التَّحْقِيقِيَّةِ وَالِاسْتِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ

فإني رأيت الشمس زيدت محبةً إلى الناس أن ليست عليهم بستر مدد
وفكر في حالك وحال المعنى معك وأنت في البيت الأول لم تنته إلى الثاني
ثم قسمها على الحال وقد وقعت عليه وتأمات طرفيه ، فإنك تعلم بعد ما بين
حالتيك وشدة تفاوتهما ، في تمكن المعنى لديك وتحميه إليك ونبله في نفسك
وتوفيره لأنسك ، وتحكم لي بالصدق فيما قلت والحق فيما ادعيت وكذلك فتعمد
الفرق بين أن تقول أرى قوما لهم بهاء ومنظر ، وليس هناك مخبر ، وتقطع
الكلام ، وبين أن تدبعه قول ابن خالكان :

فِي شَجَرِ السَّرْوِ مِنْهُمْ مِثْلُ لَهُ رُؤَاؤُهُ وَمَا لَهُ ثَمَرُهُ

وانظر إلى المعنى في الحالة الثانية كيف يورق شجره ويشمر ويفتر ثمره
ويدهم ، وكيف تشتت الأرى من مذاقه كما ترى الحسن في شارته . هذا ولذلك
أسباب وعال فنها ما يحصل للنفس من الإنس إخراجها من خفي إلى جلي كالانتقال
عما يحصل لها بالفكرة إلى ما يعلم بالفطرة أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفتها
كما قيل : ما الحب إلا للحبيب الأول . أو مما لم تعلمه إلى ما هي به أعلم كالانتقال
من المعقول إلى الميوس ، فإنك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ حتى
لا تدع في النفوس منزعاً ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقصر يوم كأقصر
ما يتصور . فلا يجد السامع له من الأانس ما يجده لنحو قولهم أيام كأباهم (١)
القطا وقول بن الممتز :

نَدَّلتُ مِنْ بَوْمِ كَطَلٍ حَصَاةٍ لَيْلًا كَطَلٍ الرَّمْحِ غَيْرَ مَوَاتٍ

وقول الآخر

ظَلَلْنَا عِنْدَ بَابِ أَبِي نَعِيمٍ بَيْنَ يَوْمٍ مِثْلِ سَالِفَةِ الدُّبَابِ (١)

(١) جمع إبهام . (٢) هي ناحية مقدم العنق من لدن معاق القرط إلى الترقوه .

وكذا تقول فلان إذا هم بالشئ لم يزل ذلك عن ذكره وقابه ، وقصر
خواطره على إمضاء عزمه فيه ، ولم يشغله عنه شئ ، ثم لا ترى في نفسك له هزقة
ولا تصادف لما تسمعه أريحية حتى إذا قلت :

* إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ * (١)

امتلات نفسك سروراً وأدركتك طربة لا تملك دفعها عنك . ومن الدليل
على أن التشبيه من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره ، أنه لو كان
الرجل مثلاً على طرف نهر في وقت مخاطبة صاحبه ، وإخباره له بأنه لا يحصل
من سعيه على شئ ، فأدخل يده في الماء وقال انظر هل حصل في كفي من
الماء شئ ، فكذلك أنت في أمرك ، كان لذلك ضرب من التأثير زائد على
القول المجرد . ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشئ الواحد بأشياء عدة .
نحو : أن يعطيك من الزند بإيرائه ، شبه الجواد والزكي والنجح في الأمور
، بإصلاده شبه البخيل والبليد والخيبة في السعى ، ومن القمر الكمال عن النقصان
كما قال أبو تمام (٢) :

لَعَنِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهَا لَوْ أُمَهِّتُ حَتَّى تَصِيرَ شَمَائِلًا
لَعَدَا سَكُونُهُمَا حِجْبِي وَصِبَاها حِلْمًا وَتِلْكَ الأَرِيحِيَّةُ نَائِلًا
إِنَّ الهِلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا

والنقصان بعد الكمال كقول أبا العلاء المعري :

(١) الشطر لسيد بن ناشب وتمامه :

* وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبًا *

(٢) يرثي ولدين لعبد الله بن طاهر ماتا في يوم واحد .

والتجريد ، فدخَلَ فِيهِ نَحْوُ قَوْلِنَا زَيْدٌ أَسَدٌ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : صُمِّ بِكُمْ نَعْمَى

وَإِنْ كُنْتَ تَبْنِي الْعَيْشَ فَايُغِ تَوْسَطًا فَمِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَوَّلُ
تَوَقَّى الْبُدُورُ النَّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ وَيُدْرِكُهَا التَّقْصَانُ وَهِيَ كَوَامِلُ

وتتفرع من حالي كاله ونقصه فروع لطيفة ، فمن ذلك قول ابن بابك :

وَأَعْرَتَ شَطْرَ الْمَلِكِ ثَوْبَ كَالِهِ وَالْبَدْرُ فِي شَطْرِ الْمَسَافَةِ يَسْكُلُ

قاله في الأستاذ أبي علي وقد استوزره نجر الدولة بعد وفاة صاحب وأبا

العباس الضبي وخلع عليهما ، وقول أبو بكر الخوارزمي .

أَرَاكَ إِذَا أُبْسِرْتَ خَيَّمْتَ عِنْدَنَا مُقِيمًا وَإِنْ أُعْسِرْتَ زُرْتَ لِمَا

فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ أَغْبَّ وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءُ أَقَامَا

المعنى لطيف وإن لم تساعده العبارة على الوجه الذي يحب ، فإن الإغياب

أن يتخلل وقتي الحضور وقت يخلو منه ، وإنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا

نقص نوره لم يوال الطلوع كل ليلة بل يظهر في بعض الليالي دون بعض وليس

الامر كذلك لأنه على نقصانه يظهر كل ليلة حتى يكون السرار . وبعد ، فهذا

الضرب من البيان على حدته كثر من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق والكاتب

البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان وأن يضع الكلام

بعيد المرام قريباً من الأفهام ، ولا يفرنك من أمره أنك ترى الرجل

يشبه الجواد بالبحر والشجاع بالأسد والحسن بالشمس ، وما مائل ذلك

بما اشتهر أمره وجرى لذلك مجرى الحقيقة وإنما هو يدق ويلطف حتى

يأتيك بما يخاب القلوب ويرقص الهام ، وحتى يخرج مثله عن طوق البشر

جميعاً (التجريد) سيمر بك في البديع (فدخَلَ فِيهِ نَحْوُ قَوْلِنَا زَيْدٌ أَسَدٌ)

وَالنَّظَرُ هُمُنَا فِي أَرْكَانِهِ ، وَهِيَ طَرْفَاهُ وَوَجْهُهُ وَأَدَاتُهُ ، وَفِي الْفَرْضِ مِنْهُ
وَفِي أَقْسَامِهِ : طَرْفَاهُ إِمَّا حَسِّيَّانِ ، كَالنَّخْدِ وَالْوَرْدِ ، وَالصَّوْتِ الضَّعِيفِ
وَالهَمْسِ ، وَالنَّكْهَةِ وَالْعَنْبَرِ ، وَالرِّيْقِ وَالخَمْرِ ، وَالْجِلْدِ النَّاعِمِ وَالْحَرِيرِ :
أَوْ عَقْلِيَّانِ : كَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ : كَالْمَنِيَّةِ وَالسَّبْعِ ، وَالْعَطْرِ وَخُلُقِ
كَرِيمٍ ، وَالْمُرَادُ بِالْحَسِيِّ الْمُدْرِكُ هُوَ أَوْ مَادَّتُهُ بِأَحْدَى الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ

وسياتى آخر التشبيه تحقيق ذلك إن شاء الله (كالنخد والورد) والقامة والريح
والقد والغصن والفيل والجبل ، يعنى حيث يشبه الأول بالثانى فى جميع ذلك
وقس على هذا ما يأتى (والهمس) وهو الصوت الذى أخفى حتى كأنه لا
يخرج عن فضاء الفهم (والنكهة) هى ريح الفم (كالمنية والسبع) فالمشبه وهو
المنية عقلى والمشبه به وهو السبع حسى (والعطر وخلق كريم) فالمشبه
هو العطر محسوس بالشم ، والمشبه به وهو الخلق عقلى . قال الرازى اعلم أن
تشبيه المحسوس بالمعقول غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس
ومنتهية إليها ، ولذلك قيل من فقد حساً فقد فقد علماً ، وإذا كان المحسوس
أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جملاً للفرع أصلاً وللأصل فرعاً وهو
غير جائز ولذلك لو حاول محاول المبالغة فى وصف الشمس بالظهور والمسك
بالطيب ، فقال الشمس كالحجة فى الظهور والمسك نكحاق فلان فى الطيب ، كان
سخيفاً من القول ، أما ما جاء فى الكلام الباطن من هذا الجنس ، فوجهه
أن يقدر المعقول محسوساً ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على المبالغة ، وذلك
مثل قول البحترى :

وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينن ابتداء

الظَاهِرَةِ ، فَدَخَلَ فِيهِ الْخَيَالِيُّ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :

وَكَانَ مُحَمَّرَ الشَّقِيقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَعْلَامُ يَأْقُوتِ نُشِيرِ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرَجَدٍ

وَبِالْعَقْلِ مَا عَدَا ذَلِكَ ، فَيَدْخُلُ فِيهِ الْوَهْمِيُّ ، أَيْ مَا هُوَ غَيْرُ مُدْرِكٍ بِهَا

وَلَوْ أُدْرِكَ لَكَانَ مُدْرَكًا بِهَا ، كَمَا فِي قَوْلِهِ * وَمَسْنُونُهُ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ *

كما سيأتي قريباً (الخيالي) هو المركب من أمور كل واحد موجود يدرك بالحس لكن هيئته التركيبية لم توجد . والتشبيه متى كان كذلك كان مصبوغاً بالحسن مكسياً روع الإعجاب (وكان الخ) محمر الشقيق ، يراد به شقائق النعمان وهو ورد أحمر في وسطه سواد ، وإنما أضيف إلى النعمان لأنه حمى أرضاً أكثر فيها ذلك ، وتصوب : مال إلى أسفل ، وتصعد : مال إلى أعلى ، ومثله قول بعضهم في النيلوفر (١) :

كَلْنَا بَاسِطُ الْيَدِ نَحْوَ نَيْلُوفَرٍ نَدَى

كَدَّ بَابَيْسٍ غَسَجَدٍ قُضِبَهَا مِنْ زَبَرَجَدٍ

وقول أبي الغنائم الحمصي :

خَوْذُ كَأَنَّ بِنَانَهَا فِي خُضْرَةِ النَّقْشِ الْمَزْرُودِ

سَمَكٌ مِنَ الْبَلُورِ فِي شَبَكٍ تَكُونُ مِنْ زَبَرَجَدٍ

(كما في قوله ومسنونه) وعليه قوله تعالى : طالعها كأنه رؤس الشياطين وصدرا البيت

* أَيَقْتَلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي *

وَمَا يُدْرِكُ بِالْوُجْدَانِ كَاللَّذَّةِ وَالْأَلَمِ : وَوَجْهَهُ مَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ تَحْقِيقًا
أَوْ تَخْيِيلًا ، وَالْمُرَادُ بِالتَّخْيِيلِ نَحْوُ مَا فِي قَوْلِهِ :
وَكَانَ الشُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا سُنَّ لَاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

وهو لامرئ القيس من القصيدة الى مطلعها :

* أَلَا عِمُّ صَبَاحًا أَشْيَا الطَّلَلُ الْبَالِي *

والمشرفي نسبة إلى مشارف الشام : وهي فرى من أرض العرب تدنو من
الريف منها السيوف المشرفية والمسنونة المحددة المصقولة يريد السهام (نحو ما في
قوله وكان) نحوه كل ما لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل ، ومن هذا
قول أبي طالب الرقي :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالزَّمَانَ كَأَنَّهُ يَوْمُ النَّوَى وَفُوَادُ مَنْ لَمْ يَعْشَقِ

لما كانت أيام المكاره توصف : بالسواد فيقال اسود النهار في عيني وأظلمت
الدنيا على ، جعل يوم النوى كأنه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام فشبه به ،
ثم عطف عليه فؤاد من لم يشق قطرفاً وإنما للصفة ، وذلك أن الغزل يدعى
القسوة على من لم يعرف العشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد ، فصار
هذا الملب عنده أصلاً في الكدرة والسواد ففاس عليه ومنه قول ابن بابك :

وَأَرْضٍ كَأَخْلَاقِ الْكَرِيمِ قَطَعْتَهَا وَقَدْ كَحَلَ اللَّيْلُ السَّمَكَ فَأَبْصَرَ

لما كانت الأخلاق توصف بالسعة والضيق وكثر ذلك توهمه حقيقة فقابل
بين سعة الأرض التي هي سعة حقيقية وأخلاق الكريم ، وكذا قول التنوخي
في قطعة وهي قوله :

أَمَا تَرَى الْبَرْدَ قَدْ وَافَتْ عَسَا كِرُهُ وَعَسْكَرَ الْحَرِّ كَيْفَ انْصَاعَ مُنْطَلِقَا

فَإِنَّ وَجْهَ الشَّبَهِ فِيهِ هُوَ الْهَيْئَةُ الْخَاصِلَةُ مِنْ حُصُولِ أَشْيَاءٍ مُشْرِقَةٍ
بِيضٍ فِي جَوَانِبِ شَيْءٍ مُظْلِمٍ أَسْوَدَ ، فَهِيَ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْمَشَبِّهِ بِهِ
إِلَّا عَلَى طَرِيقِ التَّخْيِيلِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتِ الْبِدْعَةُ وَكُلُّ مَا هُوَ جَهْلٌ
تَجْعَلُ صَاحِبَهَا كَمَنْ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ فَلَا يَهْتَدِي لِلطَّرِيقِ وَلَا يَأْمَنُ أَنْ

فَالْأَرْضُ تَحْتَهُ تَحْتِ ظَرِيبِ النَّجْمِ تَحْسَبُهَا قَدْ أَلْبَسَتْ حَبْكَأً أَوْ غَشِيَتْ وَرِقًا
فَانْهَضَ بِنَارٍ إِلَى فَحْمٍ كَأَنَّهَا فِي الْعَيْنِ ظُلْمٌ وَإِنْصَافٌ قَدْ اتَّفَقَا
جَاءَتْ وَنَحْنُ كَقَلْبِ الصَّبِّ حِينَ سَلَا بَرْدًا فَصِرْنَا كَقَلْبِ الصَّبِّ إِذْ عَشِقَا

المقصود فانهض بنار إلى فحم فإنه لما كان يقال في الحق إنه منير واضح لا يخ
فتستعار له أوصاف الأجسام المنيرة ، وفي الظلم خلاف ذلك تخيلهما شيئين
لها إنارة وإظلام وإبيضاض وأسوداد فشبها النار والفحم بهما ، وبما حسن من
هذا الباب ما كتب به صاحب إلى القاضي أبي الحسن وقد أهدى له صاحب
عطر الفطر :

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ مَعَ قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ مُشْتَاقَةٌ
أَهْدَيْتُ عِطْرًا مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِ فَكَأَنَّهَا أَهْدَيْتُ لَهُ أَخْلَاقَهُ

فالمادة أن يشبهه الثناء بالعطر وقد عكس كما ترى وذلك على ادعاء أن ثناءه
أحق بصفة العطر وطيبه من العطر وأنه قد صار أصلاً ، حتى إذا قيس نوع من
العطر عليه فقد بولغ في صفته بالطيب وجعل له في الشرف والفضل على جنسه
أوفر نصيب ، وبما حقه أن يعد في هذا الباب قول القائل :

كَأَنَّ انْتِضَاءَ الْبَدْرِ مِنْ تَحْتِ غَيْمِهِ ، نَجْمًا مِنَ الْبُؤْسَاءِ بَعْدَ وَقُوعِ

يَنَالُ مَكْرُوهًا شَبَّهَتْ الْبِدْعَةَ بِهَا ، وَلَزِمَ بِطَرِيقِ الْعَكْسِ أَنْ تُشَبَّهَ
السُّنَّةُ وَكُلُّ مَا هُوَ عِلْمٌ بِالنُّورِ ، وَشَاعَ ذَلِكَ حَتَّى تُخَيَّلَ أَنَّ الثَّانِيَّ
مِمَّا لَهُ بَيَاضٌ وَإِشْرَاقٌ ، نَحْوُ : أَلَيْسَ كُمْ بِالْحَنِيفَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَنَّ الْأَوَّلَ
عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ، كَقَوْلِكَ : شَاهَدْتُ سَوَادَ الْكُفْرِ مِنْ جَبِينِ فُلَانٍ ،
فَصَارَ تَشْبِيهُ النُّجُومِ بَيْنَ الدُّجَى بِالسُّنَنِ بَيْنَ الْإِبْتِدَاعِ كَتَشْبِيهِهَا بِبَيَاضِ

وذلك أن العادة أن يشبه المتخلص من البأساء بالبدر الذي ينحسر عنه
الغمام ، والشبهه بين البأساء والغمام والظلماء من طريق العقل لا من طريق الحس ،
ذكر هذا الإمام عبد الفاهر ، هذا وإليك ما قبل البيت :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَمْتُهُ بِصُدُودٍ وَفِرَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ
مُوحِشٍ كَالثَّقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْفَيْنُ وَتَأْتِي حَدِيثُهُ الْأَسْمَاعُ

وبعده :

مُشْرِقَاتٌ كَأَنَّهِنَّ حِجَابُ تَقَطَّعُ الْخَضَمَ وَالظَّلَامُ انْقِطَاعُ
وَكَأَنَّ السَّمَاءَ خَيْمَةٌ وَشِي وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ فِيهَا شَرَاغُ

والآيات للقاضي أبي القاسم التنوخي شيخ له القدم المعلى في الأدب ، ومن
جيد شعره - وهو مما وجد فيه التشبيه الحسن ولذلك أئتمناه :

وَلَيْلَةٌ مُشْتَقِيٌّ كَانَ نَجُومَهَا قَدِ اغْتَصَبَتْ عَيْنَ الْكَرْمِيِّ وَهِيَ نُومُ
كَأَنَّ عِيُونَ السَّاهِرِينَ لِطَوْلِهَا إِذَا شَخَّصَتْ لِلْأَنْجُمِ الزُّهْرَ أَنْجُمُ
كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ وَالْفَجْرُ ضَاكِهُ يَلُوحُ وَيَخْفَى ، أَسْوَدٌ يَتَبَسَّمُ

الشَّيْبِ فِي سَوَادِ الشَّبَابِ أَوْ بِالْأَنْوَارِ مُؤْتَلِقَةً بَيْنَ النَّبَاتِ الشَّدِيدِ الْخَضِرَةِ
فَعَلِمَ فَسَادُ جَعْلِهِ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ : النَّحْوُ فِي الْكَلَامِ كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ ،
كَوْنِ الْقَلِيلِ مُضِلِّحًا ، وَالكَثِيرِ مُفْسِدًا ، لِأَنَّ النَّحْوَ لَا يَحْتَمِلُ الْقِلَّةَ

(أو بالأنوار) جمع نور يفتح النون وهو الزهر (مؤتلفة) لامعة ، وبعد ،
فقد علمت من كلام المصنف أن التأويل في البيت هو تخييل ما ليس بمتلون
متلونا . وإن تأولت في البيت أنه أراد معنى قولهم إن سواد الظلام يزيد
النجوم حسنا وبهاء كان له مذهب ، وذلك أنه لما كان وقوف العاقل على بطلان
الباطل وعوار البدعة يريد الحق نبلا في نفسه وحسنا في مرآة عقله ، جعل
هذا الأصل من المعقول مثلا للشاهد المبصر هناك إلا أنه على ذلك لا يخرج
من أن يكون خارجا عن الظاهر أن يمثل المعقول في ذلك بالمحسوس كما فعل
البحرئى في قوله :

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطًا حُسْنٍ جَوَارُهَا خَلَائِقَ أَصْفَارٍ مِنَ الْيَجْدِ خَيْبٍ (١)
وَحُسْنُ دَرَارِي النَّجُومِ بَأَنَّ تُرَى طَوَالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْبٍ

(فعمل الخ) قد علمت أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان ، وحينئذ
يكون معنى قولهم النحو في الكلام كالمليح في الطعام إن الكلام لا يستقيم
ولا يفتفع به إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب والترتيب الخاص كما
لا يجدى الطعام ، ولا تحصل المنفعة المطلوبة منه ما لم يصلح بالملح ، أما ما تخيله
بعضهم من أن معناه : أن القليل من النحو مغن والكثير مفسد كما يفسد الملح
الطعام إذا كثر فيه فتخريف وقول هراء وذلك أنه لا يتصور الزيادة والنقصان

(١) الأصفار جمع صفر : بمعنى خال .

وَالسَّكْرَةَ ، بِخِلَافِ الْمَلْحِ . وَهُوَ إِمَّا غَيْرُ خَارِجٍ عَنْ حَقِيقَتِهِمَا ، كَمَا فِي

فِي جِرْيَانِ أَحْكَامِ النَّحْوِ فِي الْكَلَامِ ، فَقَوْلُنَا كَانَ زَيْدٌ ذَاهِبًا لَا بَدَّ فِيهِ مِنْ رَفْعِ
الاسْمِ وَنَصْبِ الْخَبْرِ وَهَذَا إِنْ وَجِدَ فَقَدْ حَصَلَ النَّحْوُ وَتَمْتَنَعَ الزِّيَادَةُ عَلَيْهِ وَإِنْ
لَمْ يَحْصُلْ كَانَ الْكَلَامُ فَاسِدًا لَا يَفِيدُ السَّمْعَ فَائِدَةً بَلْ يَضُرُّهُ لَوْ قَوَّعَهُ فِي عَمِيَاءٍ
وَهَجُومِ الْوَحْشَةِ عَلَيْهِ ، فَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ :

﴿ وَالْبُغْضُ عِنْدِي كَثْرَةُ الْإِعْرَابِ ﴾

كَلَامٌ لَا تَحْصُلُ مِنْهُ عَلَى طَائِلٍ لِمَا عَلِمْتَ ، وَلِعَلَّهُمْ يَرِيدُونَ بِكَثْرَةِ النَّحْوِ
اسْتِعْمَالَ الْوَجْهِ الْغَرِيبَةِ وَالْأَقْوَالِ الضَّعِيفَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ بِمَا يَفْسِدُ الْكَلَامَ . هَذَا
وَبِمَا هُوَ فَاسِدٌ لِعَدَمِ اشْتِرَاكِ الطَّرْفَيْنِ فِي وَجْهِ الشَّبْهِ قَوْلُ ابْنِ شَرْفٍ الْقَيْرَوَانِيِّ :

غَيْرِي جَنَى وَأَنَا الْمَعَاقِبُ فِيكُمْ فَكَأَنَّي سَبَابَةُ الْمُتَنَدِّمِ

حَكَى أَنَّهُ لَمَّا أَنْشَدَهُ ابْنُ رَشِيقٍ وَقَالَ لَهُ هَلْ سَمِعْتَ هَذَا الْمَعْنَى ، قَالَ ابْنُ رَشِيقٍ
سَمِعْتُهُ وَأَخَذْتُهُ وَأَفْسَدْتُهُ ، أَمَا الْآخِذُ فَمِنَ النَّابِغَةِ الذِّيَابِيِّ حَيْثُ يَقُولُ :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً وَهَلْ يَأْتُمُنْ ذُو أَمَةٍ (١) وَهُوَ طَائِعٌ

لَا كَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتَهُ كَدَى الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ (٢)

وَأَمَّا الْإِفْسَادُ فَلِأَنَّ سَبَابَةَ الْمُتَنَدِّمِ أَوَّلُ شَيْءٍ يَتَأَلَّمُ مِنْهُ ، فَلَا يَكُونُ الْمَعَاقِبُ
غَيْرَ الْجَانِي ، وَهَذَا بِخِلَافِ يَتِ النَّابِغَةِ فَإِنَّ الْمَكْوَى مِنَ الْإِبْلِ يَأَلَّمُ وَمَا بِهِ أَعْرُ
أَلْبَتَةَ ، وَصَاحِبُ الْعُرِّ لَا يَأَلَّمُ لِجَمَلِهِ (وَهُوَ إِمَّا غَيْرُ خَارِجٍ الْخ) هَذَا تَقْسِيمٌ
آخَرَ لَوْجِهِ الشَّبْهِ وَأَهْلُهُ لِلْسَّكَاكِيِّ ، حَذَاهُ الْمُصَنِّفُ فِيهِ حَذْوُ الْقَذَّةِ بِالْقَذَّةِ ،
وَيُهَجَّبُنِي قَوْلُ الشَّيْخِ التَّفْتَازَانِيِّ فِي شَرْحِهِ الْمَطْوُولِ إِنْ أَمْثَالَ هَذِهِ التَّقْسِيمَاتِ

تَشْبِيهِ مَوْبٍ بِآخَرَ فِي نَوْعِهِمَا أَوْ جِنْسِهِمَا ، أَوْ خَارِجُ صِفَةٍ ، إِمَّا حَقِيقِيَّةً
حِسِّيَّةً ، كَالكَيْفِيَّاتِ الْجِسْمِيَّةِ ، مِمَّا يُدْرِكُ بِالْبَصَرِ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ
وَالْمَقَادِيرِ وَالْحَرَكَاتِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، أَوْ بِالسَّمْعِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْقَوِيَّةِ

التي لا تنفرع على أقسامها أحكام متفاوتة قليلة الجدوى ، وكان هذا ابتهاج من
السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين فلهذا الإمام عبد القاهر وإحاطته
بأسرار كلام العرب وخواص تراكيب البلاغ ، فإنه لم يزد في هذا المذام على
التكثير من أمثلة أنواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها . هذا والبلاغ
قاطبة برآء من التشبيه في مفهوم داخل في الحقيقة ، وليس وجه الشبه عندهم
إلا المعاني القائمة بالطرفين ، وليس الجنس والنوع عندهم إلا الأخص
والأعم ، فأمثال هذا التقسيم من تفلسف السكاكي والبهتان العظيم (حقيقيّة)
أى موجودة في الطرفين لا بالقياس إلى شيء (الألوان) كتشبيه الخد بالورد
والشعر بخافية الغراب والوجه بالنهار (والأشكال) نحو أن يشبه الشيء إذا
استدار بالكرة في وجهه وبالخلاقة في وجه آخر (والمقادير) كتشبيه العظيم الجثة
بالجبل والفيل وتشبيه الناقة بالقصر (والحركات) كتشبيه الذهاب على الاستقامة
بالسهم السديد ومن تأخذه الأريحية فيهتز بالفضن تحت البارح (وما يتصل بها)
كالحسن والقببح والضحك والبكاء وغير ذلك (الأصوات) كتشبيه صوت
الجمهورى بالرعد ، وتشبيه أطيط الرجل بأصوات الفراريج ، وتشبيه صريف أنياب
البعير بصياح البوازي كما قال :

كَأَنَّ عَلَى أُنْيَابِهَا كُلِّ سُحْرَةٍ صِيَاخَ الْبَوَازِي مِنْ حَرِيْفِ اللَّهِ أَنْكَ

(١) السحرة : السحر ، واللوائك جميع لائكة من اللوك : وهو المضغ

وَالضَّعِيفَةَ ، وَالَّتِي بَيْنَ بَيْنَ ، أَوْ بِالذُّوقِ مِنَ الطُّعْمِ ، أَوْ بِالسَّمِّ مِنَ الرِّوَاخِ
أَوْ بِاللَّمْسِ مِنَ الْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ وَالرُّطُوبَةِ وَالْيَبُوسَةِ وَالْخُشُونَةِ
وَالْمَلَأَسَةِ وَاللِّينِ وَالصَّلَابَةِ وَالْخَفَّةِ وَالثَّقَلِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، أَوْ عَقْلِيَّةً
كَالْكَيْفِيَّاتِ النَّفْسَانِيَّةِ مِنَ الذِّكَاءِ وَالْعِلْمِ وَالغَضَبِ وَالْحِلْمِ وَسَائِرِ الْغَرَائِزِ ،
وَإِمَّا إِضَافِيَّةً : كإِزَالَةِ الْحِجَابِ فِي تَشْبِيهِهِ الْحُجَّةِ بِالسَّمْسِ ، وَأَيْضًا

(الطعوم) كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر (الروائح)
كتشبيه رائحة بعض الرياحين برائحة الكافور (من الحرارة الخ) كتشبيه
القيظ بنسيم جهنم واللين الناعم بالحز والخشن بالمسح والخفيف بالريش والبارد
بالثلج وهكذا (وما يتصل بها) كالبلة والجفاف والزوجة والهشاشة واللطافة
والكثافة وغير ذلك (أو عقلية) هو معطوف على حسية (النفسانية) أي
المختصة بذوات الأنفس الناطقة (من الذكاء) كتشبيهه الذكي بإياس (والعلم)
كتشبيهه العالم بالخايل (والغضب) كتشبيهه الغضوب بالمغربي (والحلم)
كتشبيهه الحلیم بمعاقبة أو الأحنف أو معن بن زائدة (وسائر الغرائز)
كالكرم ، تقول فلان كأنه كعب بن مامة ، أو هرم بن سنان ، أو حاتم طيء
والشجاعة نحو : فلان كأنه عنزة ، والبخل تقول هذا كأنه صبي أو كلب من
كلاب بني زياد والجهن نحو هذا كأنه صافر (إضافية) أي نسبية يتوقف
تعلقها على تعقل الغير (كإزالة الحجاب الخ) فإن الإزالة أمر إضافي يتعقل
فيما بين المزيل والمزال (وأيضاً) هذا تقسيم آخر ، يقول : وجه الشبه
إمّا واحد أو غير واحد ، والواحد إما حسي أو عقلي ، وغير الواحد إما بمنزلة
الواحد لسكونه مركباً بأن يكون هيئة منتزعة انتزعتها العقل من عدة أمور ،
أو متعدد غير مركب بأن ينظر إلى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين في

إِثْمًا وَاحِدًا ، وَإِمَّا بِمَنْزِلَةِ الْوَاحِدِ ، لِكَوْنِهِ مُرَكَّبًا مِنْ مُتَعَدِّدٍ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا
حِسِّيٌّ أَوْ عَقْلِيٌّ ، وَإِمَّا مُتَعَدِّدٌ كَذَلِكَ ، أَوْ مُخْتَلِفٌ ، وَالْحِسِّيُّ طَرَفَاهُ
حِسِّيَّانِ لَا غَيْرُ ، لِامْتِنَاعِ أَنْ يُدْرِكَ بِالْحِسِّ مِنْ غَيْرِ الْحِسِّيِّ شَيْءٌ ، وَالْعَقْلِيُّ
أَعْمٌ ، لِجَوَازِ أَنْ يُدْرِكَ بِالْعَقْلِ مِنَ الْحِسِّيِّ شَيْءٌ ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ التَّشْبِيهُ
بِالْوَجْهِ الْعَقْلِيِّ أَعْمٌ ، فَإِنْ قِيلَ : هُوَ مُشْتَرِكٌ فِيهِ فَهُوَ كَلْبِيٌّ ، وَالْحِسِّيُّ لَيْسَ

كل منها ليه يكون كل منها وجه شبه . والذي بمنزلة الواحد إما حسي أو عقلي ،
والمتعدد إما حسي أو عقلي أو مختلف (لا غير) فلا يجوز أن يكونا معاً عقليين
أو أحدهما (لا امتناع الخ) فإن وجه التشبيه أمر مأخوذ من الطرفين . وجود
فيها ، وكل ما يؤخذ من العقلي ويوجد فيه يجب أن يدرك بالعقل لا بالحس ،
لان المدرك بالحس لا يكون إلا جسماً أو قائماً بالجسم (أعم) يعني يجوز
أن يكون طرفاه عقليين وأن يكونا حسيين وأن يكون أحدهما حسياً والآخر
عقلياً (لجواز الخ) بل كل نحسوس فله أوصاف بعضها حسي وبعضها
عقلي (أعم) . فكل طرفين يتحقق فيها التشبيه بوجه حسي يتحقق فيها
بوجه عقلي ولا عكس (فإن قيل) هذا إشارة إلى إشكال أورده السكاكي
على كون وجه الشبه قد يكون حسياً وهماك عبارته . وههنا نكتة لا بد من
التنبه لها وهي أن التحقيق في وجه الشبه يأتى أن يكون غير عقلي ، وذلك أنه
متى كان حسياً ، وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجوداً في الطرفين ، وكل
وجود فله تميز ، فوجه الشبه مع المشبه متعين فيمتنع إن يسكون هو بعينه
موجوداً مع المشبه به لا امتناع حصول المحسوس المميز ههنا مع كونه بعينه
هناك بحكم الضرورة وبحكم التمه على امتناعه إن شئت وهو استلزامه إذا

بِكَلْبِي ، قُلْنَا : الْمُرَادُ أَنَّ أَفْرَادَهُ مُدْرَكَةٌ بِالْحَسَنِ ، فَأَلْوِاحِدُ الْحَسِيِّ كَالْحُمْرَةِ
وَالْخَفَاءِ وَحَلِيبِ الرَّائِحَةِ وَلَذَّةِ الطَّعْمِ وَلَيْنِ الْمَسِّ فِيمَا مَرَّ ، وَالْعَقْلِيُّ كَالْعَرَاءِ
عَنِ الْفَائِدَةِ وَالْجُرْأَةِ وَالْهِدَايَةِ وَاسْتِطَابَةِ النَّفْسِ فِي تَشْبِيهِهِ وَجُودِ الشَّيْءِ
الْعَدِيمِ النَّفْعِ بَعْدَهُ ، وَالرَّجُلِ الشَّجَاعِ بِالْأَسَدِ ، وَالْبَلْمِ بِالنُّورِ وَالْمِطْرِ
بِخَلْقِ كَرِيمٍ ؛ وَالْمُرَكَّبُ الْحَسِيُّ فِيمَا طَرَفَاهُ مُفْرَدَانِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :
وَقَدْ لَاحَ فِي الصَّبْحِ الثَّرِيًّا كَمَا تَرَى . كَعَنْتُودٍ مُلَاحِيَةً حِينَ نَوَّرَا

عدمت حمرة الخد درن حمرة الورد أو بالعكس كون الحمرة معدومة موجودة
معاً ، وهكذا في أخواتها بل يكون مثله مع المشبه به لكن المثلين لا يكونان شيئاً
واحداً ، بوجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحداً ، فيلزم أن يكون أمر كلياً
.أخوذاً من المثلين بتجريدتهما عن التعيين ، لكن ما هذا شأنه فهو عقلي ، ويمتنع
أن يقال فالمراد بوجه الشبه ، حصول المثلين في الطرفين ، فإن المثلين متشابهان
ففيهما وجه تشبيهه فإن كان عتلياً كان المرجح في وجه الشبه العقل في المال
وإن كان حسيماً استلزم أن يكون مع المثلين مثلان آخران وكان الكلام فيهما
كالكلام فيما سواهما ويلزم التسلسل . وقال ، المصنف إنا نعرف بصحة
هذا الإشكال غير أن المراد يكون وجه الشبه حسيماً أن تكون أفراده مدركة
بالحس كالسواد ، فإن أفراده مدركة بالبصر ، وإن كان هو في نفسه غير مدرك
به ولا بغيره من الحواس ، نقول وهذا ضرب من التسامح (والخفاء)
يعنى خفاء الصوت (فيما مر) يعنى في تشبيه الخد بالورد والصوت الضعيف
بالهمس ، والنسكمة بالعنبر ، والريق بالخمر ، والجلد الناعم بالحرير (وقد لاح)
هو لاني قيتس بن الأسلت ، وقيل لأحيحة بن الجلاح ، والأول شاعر جاهلي

مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصِلَةِ مِنْ تَقَارُنِ الصُّورِ الْبَيْضِ الْمُسْتَدِيرَةِ الصَّغَارِ الْمَقَادِيرِ
فِي الْمَرَأَى عَلَى الْكَيْفِيَّةِ الْمَخْصُوصَةِ إِلَى الْمِقْدَارِ الْمَخْصُوصِ ، وَفِيمَا طَرَفَاهُ
مُرَكَّبَانِ كَمَا فِي قَوْلِ بَشَّارٍ :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا ۖ وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصِلَةِ مِنْ هَوِيٍّ أَجْرَامٍ مُشْرِقَةٍ مُسْتَطِيلَةٍ مُتَنَاسِبَةٍ

مجيد أسلم ابنه عقبة بن أبي قيس (ملاحية) هي عنب أبيض في حبه طول وهو
في البيت بتشديد اللام والتخفيف فيه أكثر . قال ابن قتيبة : لا أعلم هل التشديد
في البيت ضرورة أو لغة فيه (ورأ) تفتح نوره (كما في قول بشار) مثله ما في
قول أبي طالب الرقي :

وَكَبَّانُ أَجْرَامِ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرٌّ نُثْرُنٌ عَلَى بَسَاطِ أُرْزَقِ
من الهيئة الحاصلة من تفرق أجرام متلألئة مستديرة ، صغار المقادير في
المراى على سطح جسم أزرق ضاى الزرقة . وبيت بشار من قصيدة يمدح بها
ابن هبيرة يقول فيها :

إِذَا كُنْتَ فِي كَمَلِ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَوَجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْنُفُو مِشَارِبُهُ
(منار النقع) النقع : الغبار ، ومثار : من أثار الغبار هيجه (تهاوى كواكبه)
أى يتساقط بعضها أثر بعض والأصل تهاوى حذف إحدى التاءين (من
الهيئة) فوجه الشبه مركب كما ترى وكذا طرفاه ، وذلك لأن الشاعر كما قال

المقدار متفرقة في جوانب شئ مظلم ، وفيما طرفاه مختلفان كما مر في تشبيه الشقيقي ؛ ومن بديع المركب الحسي ما يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركة ، ويكون على وجهين ، أحدهما أن يُقرن بالحركة

الشيخ الإمام لم يقصد تشبيه النقع بالليل من جانب ، والسيوف بالكواكب من جانب ، بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سات من الأغماد وهي تعلق وترسب وتجيء وتذهب ، ولم يقتصر على أن يريك لها في أثناء العجاجة كما فعل عمرو بن كلثوم بقوله :

تَدْبِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقَ أَرْوُسِهِمْ سَقَقًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ

وهذه الزيادة وهي إفادة هيئة السيوف في حركاتها ، زادت التشبيه تفصيلاً لأنها لا تقوم في النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن تعلم أن لها في حال احتدام الحرب واختلاف الأيدي بها في الضرب اضطراباً شديداً وحركات بسرعه ثم إن لتلك الحركات جهات مختلفة وأحوال تنقسم بين الارتفاع والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، وأن السيوف باختلاف هذه الأمور تتلاقى وتتداخل ويصدم بعضها بعضاً ، ثم إن أشكال السيوف مستطيلة فنبه على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهي قوله في تهاويها تدافع وتداخل ، ثم لأنها بالتهوى نستطيل أشكالها ، فلما إذالم تزل عن أما كنها فهي على صورة الاستدارة (في تشبيه الشقيقي) وتشبيه النيلوفر الذي ذكرناه ثبت (ومن بديع الخ) أصل هذا الكلام للإمام عبد القاهر رحمه الله قال : اعلم أن مما يزداد به التشبيه دقة وسخراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات

غَيْرُهَا مِنْ أَوْصَافِ الْجِسْمِ ، كَالشَّكْلِ وَاللَّوْنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :
* وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ فِي كَفِّ الْأَشْلِ * مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصَّةِ مِنَ
الِاسْتِدَارَةِ مَعَ الْإِشْرَاقِ وَالْحَرَكَةِ السَّرِيعَةِ الْمُتَّصِلَةِ مَعَ تَمَوُّجِ الْإِشْرَاقِ
حَتَّى يُرَى الشُّعَاعُ كَأَنَّهُ يَهْمُ بِأَنْ يَنْبَسِطَ حَتَّى يَفِيضَ مِنْ جَوَانِبِ

والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين أحدهما أن تقترن بغيرها من الأوصاف
كالشكل واللون ونحوهما ، والثاني أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها ، فن
الأول قول ابن المعتز :

• وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ فِي كَفِّ الْأَشْلِ •

أراد أن يريك مع الاستدارة والإشراق الحركة التي تراها للشمس إذا
أنعمت التأمل ثم ، ما يحصل في نورها من أجل تلك الحركة وذلك أن للشمس
حركة متصلة دائمة ولنورها بسبب ذلك تموج واضطراب ولا يتحصل هذا
الشبه إلا بأن تكون المرآة في يد الأشل لأن حركته تدوم وتتصل ويكون منها
سرعة وبدوام الحركة يتموج نور المرآة وتلك حال الشمس فإنك ترى شعاعها
كأنه يهْمُ بِأَنْ يَنْبَسِطَ حَتَّى يَفِيضَ مِنْ جَوَانِبِهَا ثُمَّ يَبْدُو لَهُ فَيَرْجِعُ مِنَ الْإِنْبِطَاطِ
الذي تراه إلى انقباض كأنه يجمع من جوانب الدائرة إلى الوسط ، ومثل هذا
التشبيه وإن صور في غير المرآة قول المهامي الوزير :

وَالشَّمْسُ مِنْ مَشْرِيقِهَا قَدْ بَدَتْ مَشْرِيقَةَ لَيْسَ لَهَا حَاجِبٌ

كَأَنَّهَا مَوْتَقَسَةٌ أُحْمِيَتْ يَجُولُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبٌ

وذلك أن الذهب إذا ذاب تشكل بشكل البوتقة في الاستدارة وأخذ
يتحرك فيها بجملة تلك الحركة المعجزة كأنه يهْمُ بِأَنْ يَنْبَسِطَ حَتَّى يَفِيضَ مِنْ

الدَّائِرَةَ ثُمَّ يَبْدُو لَهُ فَيَرْجِعُ إِلَى الْإِنْقِبَاضِ ، وَالثَّانِي : أَنْ تُجَرَّدَ الْحَرَكَةُ
عَنْ غَيْرِهَا ، فَهُنَاكَ أَيْضًا لَا بُدَّ مِنْ اخْتِلَافِ حَرَكَاتٍ إِلَى جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ،
فَحَرَكَةُ الرَّحَى وَالسَّهْمِ لَا تَرْكِيْبَ فِيهَا ، بِخِلَافِ حَرَكَةِ الْمُصْحَفِ
فِي قَوْلِهِ :

جوانبها لما في طبعه من النعومة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما بين
أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التي
تكون في الماء ونحوه مما يتخلله الهواء ، ومن عجيب ذلك قول الصنوبري :

كَأَنَّ فِي غُدْرَانِهَا حَوَاجِبًا ظَلَّتْ تَمَطُّ^(١)

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صفار ، ثم تمتد
امتداداً ينقص من انحنائها فينقأها من التقوس إلى الاستواء وذلك أشبه شيء
بالحواجب إذا امتدت ، لأن للحاجب كما لا يخفى تقويساً ومدته ينقص من تقويسه ،
ومن لطيف ذلك أيضاً قول ابن المعتز يصف وقوع القطر على الأرض :

بَتَكَرَّتْ تَعْيِيرُ الْأَرْضِ ثَوْبَ شَبَابٍ رَاحِيَّةٍ^(٢) مَحْمُودَةٌ الْإِسْكَابِ
نَثَرَتْ أَوَائِلَهَا حَيًّا^(٣) فَكَأَنَّهُ نَقَطٌ عَلَى عَجَلٍ بِيْطَانِ كِتَابِ

وأما الوجه الثاني : وهو أن تجرد هيئة الحركة من كل وصف يكون في

(١) يصف أرضاً بالطيب فيقول فيها غدران تهب عليها الريح فتبدو

على صعجات غدرانها أشكال كأنها حواجب لها تقوس وامتداد .

(٢) الحيا : المطر .

(٣) يريد سخامة

وَكَانَ الْبَرْقُ مُصْحَفٌ قَارٍ فَاَنْطَبَاقًا مَرَّةً وَاَنْفِتَاحًا
وَقَدْ يَقَعُ التَّرْكِيبُ فِي هَيْئَةِ السُّكُونِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ فِي صِفَةِ الْكَلْبِ

الجسم ، فهناك أيضاً لا بد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفلى ونحو ذلك ، وكلما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك أبعاض الجسم إليها أشد ، كان التركيب في هيئة المتحرك أكثر ، فحركة الرحى والدولاب وحركة السهم لا تركيب فيها ، لأن الجهة واحدة ، ولكن في حركة المصحف في قول ابن المعتز :

وكان البرق مصحف قار (١) فانطباعاً مرة وانفتاحاً
تركيباً لأنه يتحرك في الحالتين إلى جهتين في كل حالة إلى جهة ، ومن لطيف ذلك قول الأعشى يصف السفينة في البحر وتقاذف الأمواج بها :

تَقِصُّ السَّفِينُ بِجَانِبِيهِ كَمَا يَنْزُو الرِّبَاحُ خَالَاهُ كَرَعٌ

الرياح : الفصيل ، الكرع : ماء السماء ، شبه السفينة في انحدارها وإرتفاعها بحركات الفصيل في نزوه ، وذلك أن الفصيل إذا نزا ولاسيما في الماء وحين يعتريه ما يهتري المهر ونحوه من الحيوانات التي هي في أول النشء كانت له حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة ، ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب وبحيث تكاد تدخل إحدى الحركتين في الأخرى فلا يثبت الطرف مرتفعاً حتى يراه منحنياً متسفل ، ويهوى مرة نحو الرأس ومرة نحو الذنب ، وذلك أشبه شيء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين يتدافعها الموج . قال ، وكما يقع التركيب في هيئة الحركة قد يقع في هيئة السكون ، فن ذلك قول ابن المعتز يصف سيلاً :

(١) بحذف الهمزة والأصل قارىء .

* يَقْعِي جُلُوسَ الْبَدَوِيِّ الْمُصْطَلِي * مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصَّةِ مِنْ مَوْقِعِ كُلِّ

فَلَمَّا طَغَى مَأْوُهُ فِي الْبِلَادِ دِ وَغَصَّ بِهِ كُلُّ وَادٍ صَدِ
نَرَى الشُّورَ فِي مَتْنِهِ طَافِيًا كَضِجَعَةِ ذِي التَّاجِ فِي الْمَرْقَدِ

وقول المتنبي في صفة الكلب :

يُقْعِي جُلُوسَ الْبَدَوِيِّ الْمُصْطَلِي بِأَرْبَعِ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجْدَلِ (١)

لم ينل التشبيه حظاً من الحسن إلا بأن فيه تفصيلاً من حيث كان بكل عضو من الكلب في إقعائه موقع خاص وكان مجموع تلك الجهات في حكم أشكال مختلفة تؤلف فيجىء منها صورة خاصة ، ومن لطيف هذا الجنس قول الشاعر في صفة المصلوب :

كَأَنَّهُ تَنَاشَقَ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَحِلِ
أَوْ قَاتَمَ مِنْ نَعَاسٍ فِيهِ لَوْتُهُ مُوَاصِلٌ لِمَطْيِهِ مِنَ الْكَسَلِ

والتفصيل فيه أنه شبهه بالتمطى إذا واصل تمطيه مع التعرض لسببه وهو اللوثة والكسل فيه ، فنظر إلى هذه الجهات الثلاث ، ولو اقتصر على أنه كالمتمطى كان قريب التناول ، لأن هذا القدر يقع في نفس الرائي للمصلوب ابتداءً لأنه من حد الجملة ، وشبيهه بهذا في الاستقصاء قول ابن الرومي :

كَأَنَّ لَهُ فِي الْجَوْءِ حَبْلًا يَبْوَعُهُ إِذَا مَا انْقَضَى حَبْلٌ أُتِيحَ لَهُ حَبْلُ
وَمَاتِقِ أَنْفَاسِ الرِّيَّاحِ مَوَدَّعًا وَدَاعِ رَحِيلٍ لَا يُحِطُّ لَهُ رَحْلُ

(١) الإقعاء : الجلوس ، والاصطلاء : الاستدفاء بالنار ، وأربع مجدولة : المجدولة المفتولة : يريد بقوائم محكمة الخلق ثم يبدلها أحد وإنما هي كذلك .

عُضْوٍ فِي إِقْعَانِهِ ، وَالْعَقْلِيُّ كَجِرْمَانِ الْإِنْتِفَاعِ بِأَبْلَغِ نَافِعٍ مَعَ تَحْمِيلِ
التَّعَبِ فِي اسْتِصْحَابِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يُنْتزَعُ مِنْ مُتَعَدِّدٍ

فاشترطه أن يكون له بعد الحمل الذي ينتهي ذرعه جبل آخر يخرج من
بوع الأول إليه كقوله : مواصل لتطيه من الكسل ، في استيفاء الشبه والتفنيه
على استدامته ، لأنه إذا كان لا يزال يبوع جبلا لم يقبض باعه ولم يرسل يده ،
وفي ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال (كجرمان (١) الانتفاع الخ) فإنه
منتزع من أمور بمجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روعى من الحمار فعل
مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئا مخصوصا وهي الأسفار التي هي
أوعية العلوم ، وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا في جانب المشبه (واعلم) قال
الشيخ الإمام : قد يجيء بعد أداة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منتزع
من بعضها ، فيتبع الخطأ لكونه أمرا منتزعا من جميعها كقوله :

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة فلما رأوها أقشمت وتجلت

فإنه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به إلى
الثاني على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة إليه ، لكن
بالتأمل يظهر أن مغزى الشاعر في التشبيه أن يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاء

(١) وكالمنظر المطمع مع الخبز المؤيس الذي هو على عكس ما قدر في
قوله تعالى : والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا
جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه . السراب : ما يرى في الفلاة
من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري .
والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع : وهو المنبسط المستوي .

فَيَقَعُ انْخِلَاطًا لَوْ جُوبِ انْتِزَاعُهُ مِنْ أَكْثَرٍ ، كَمَا إِذَا انْتَزَعَ مِنْ الشَّطْرِ
الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِهِ :

كَمَا أُبْرِقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةً * فَلَمَّا رَأَوْهَا أَفْشَمَتْ وَتَجَلَّتْ

لَوْ جُوبِ انْتِزَاعُهُ مِنَ الْجَمِيعِ ، فَإِنَّ الْإِرَادَةَ التَّشْبِيهِيَّةَ بِاتِّصَالِ ابْتِدَاءِ
مُضْمِعِ بِنِاقَتَيْهَا مُؤَيِّسٍ . وَالتَّمَدُّدُ الْحِسِّيُّ كَاللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ
فِي تَشْبِيهِه فَكَيْفِيَّةً بِأُخْرَى . وَالْمَقْلِيُّ كَحِدَّةِ النَّظَرِ وَكَمَالِ الْحَذَرِ

مؤيس ، وذلك بثوقف على البيت كله ، فإن قيل هذا يقتضى أن يكون بعض
التشبيهات المجتمعة كقولنا زيد يصفو ويكدر تشبيهاً واحداً ، لأن الاقتصار
على أحد الخبرين يبطل الغرض من الكلام ، لأن الغرض منه وصف الخبر
عنه بأنه يجمع الصفتين وأن إحداها لا تدوم ، قلنا الفرق بينهما أن الغرض في
البيت أن يثبت ابتداء مطمئناً متصلاً بانتهاء مؤيس كما مر وكون الشيء ابتداء لآخر
زائد على الجمع بينهما وليس في قولنا يصفو ويكدر أكثر من الجمع بين الصفتين ،
ونظير البيت قولنا يصفو ثم يكدر لإفادة الترتيب المقتضى ربط أحد الوصفين
بالآخر وقد ظهر من هذا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب في مثل
ما ذكرنا بأمرين ، أحدهما أنه لا يجب فيها ترتيب ، والثاني أنه إذا حذف بعضها
لا يتغير حال الباقي في إفادة ما كان يفيد قبل الحذف ، فإذا قلنا زيد كالأسد
بأساً ، والبحر جوداً والسيف مضاء ، لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات
نسق مخصوص بل لو قدم التشبيه بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ، ولو استغنى
واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره في إفادة معناه ، أفاد ذلك الشيخ الإمام
رحمه الله (باتصال) أى باعتبار اتصال الخ ، فالباء ههنا مثابها في قولك : نجرت

وَإِخْفَاءِ السَّفَادِ فِي تَشْبِيهِ طَائِرٍ بِالْغُرَابِ ، وَالْمُخْتَلِفُ كَحُسْنِ الطَّاعَةِ
وَنَبَاهَةِ الشَّانِ فِي تَشْبِيهِ إِنْسَانٍ بِالشَّمْسِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يُنْتَزَعُ الشَّبَهُ
مِنْ نَفْسِ التَّضَادِّ لِإِشْتِرَاكِ الضَّدَيْنِ فِيهِ ، ثُمَّ يُنَزَّلُ مَنزِلَةَ التَّنَاسُطِ
بِوَسِطَةِ تَمْلِيحٍ أَوْ تَهْكِيمٍ ، فَيُقَالُ لِلْجَبَانِ : مَا أَشْبَهَهُ بِالْأَسَدِ ، وَلِلْبَخِيلِ :
هُوَ حَاتِمٌ . وَأَدَاتُهُ الْكَافُ وَكَانَ وَمِثْلُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا ، وَالْأَصْلُ فِي
نَحْوِ الْكَافِ أَنْ يَتَّبِعَهُ الْمَشْبَهُ بِهِ ، وَقَدْ يَلِيهِ غَيْرُهُ ، نَحْوُ : وَاضْرِبْ لَهُمْ

بالقدوم : أي بواسطته (السفاد) : نزو الذكر على الأنثى (نباهة الشأن) :
شرفه واشتهاره (ينتزع الشبه من نفس التضاد) : أي يجعل التضاد وسيلة لجعل
الشيء وجه شبه (فيه) : أي في التضاد (تلميح) : أي إنيان بشيء ما يبع يستظرف
عند السامع . وهذا ، وهناك مذهب آخر للتضاد ذكره بعضهم ، قال قد يشبه
أحد الضدين بالآخر إذا كان أحدهما أظهر ، كما يقال : العسل في حلاوته كالصبر
في مرارته ، وأنشد لابن المهدي يعتذر الدأمون :

لَيْنٌ جَحَدْتُكَ مَعْرُوفًا مَنَنْتَ بِهِ إِنِّي أَنِي اللَّوْمِ أَحْصَى مِنْكَ فِي الْكِرَامِ
(وما في معناه) كلفظة نحو وما يشتق من لفظة مثل وشبه ونحوهما (وقد
يليه غيره) وذلك حيث يكون المشبه به مركباً كقوله تعالى : واضرب لهم
مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً
تذروه الرياح ، إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل
لتقديره بل المراد تشبيه حالها في نضرتها وبهجتها ، وما يتعقبا من الهلاك والفتناء
بحال النبات يكون أخضر وارقاً ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن وبما هو بين

مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ . وَقَدْ يُذَكَّرُ فِعْلٌ يُذَيُّ عَنْهُ كَمَا فِي :
عَلِمْتُ زَيْدًا أَسَدًا ، إِنَّ قُرْبَ ، وَحَسِبْتُ ، إِنَّ بَعْدَ وَالْغَرَضُ مِنْهُ فِي
الْأَغَابِ يَعُودُ إِلَى الْمُسَبَّهِ ، وَهُوَ بَيَانُ إِمْكَانِهِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :
فَإِنْ نَفَقَ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ . فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

في هذا قول لبيد :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمَ حَلَوْهَا وَتَفَدُّو بِالْأَقْعِ

لم يشبهه الناس بالديار ، وإنما شبهه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم
بحلول أهل الديار فيها وسرعة نهوضهم عنها وتركها خالية (ينبيء عنه) أي عن
التشبيه كما في علمت (الخ) قال بعضهم في كون هذا الفعل منبئاً عن التشبيه
نظر للقطع بأنه لادلالة للعلم والحسبان على ذلك ، وإنما يدل عليه علمنا
بأن أسداً لا يمكن حمله على زيد تحقيقاً ، وإذ إنه إنما يكون على تقدير أداة التشبيه ،
سواء ذكر الفعل أو لم يذكر ، ولو قيل إنه ينبيء عن حال التشبيه من القرب
والبعد لكان أصوب (بيان إمكانه) وذلك في كل أمر غريب يمكن أن
يخالف فيه ويدعى امتناعاً ، كما في قول أبي الطيب يمدح سيف الدولة : فَإِنْ
تَفَقَّ الْأَنَامَ ، الْبَيْتَ ، أَرَادَ أَنَّهُ فَاقَ الْأَنَامَ فِي الْأَوْصَافِ الْفَاضِلَةِ إِلَى حَدِّ بَطْلٍ مَعَهُ
أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنْهُمْ بَلْ صَارَ نَوْعًا آخَرَ بِرَأْسِهِ أَشْرَفَ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَهَذَا
أَعْنَى أَنْ يَتَنَاهَى بَعْضُ أَفْرَادِ النَّوْعِ فِي الْفَضَائِلِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْهَا أَمْرٌ
غَرِيبٌ يَفْتَقِرُ مِنْ يَدَيْهِ إِلَى إِثْبَاتِ جَوَازِ وَجُودِهِ عَلَى الْجُمْلَةِ حَتَّى يَجِيءَ إِلَى إِثْبَاتِ
وَجُودِهِ فِي الْمَمْدُوحِ ، فَقَالَ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ ، أَيْ وَلَا يَعْصِدُ فِي
الدَّمَاءِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَوْصَافِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي لَا يَوْجَدُ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الدَّمِ ، وَخَلَوَهُ
مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي لَهَا كَانَ الدَّمُ دَمًا ، فَأَبَانَ أَنَّ لِمَا ادَّعَاهُ أَصْلًا فِي الْوَجُودِ

أَوْ حَالِهِ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ ثَوْبٍ بآخرٍ فِي السَّوَادِ ، أَوْ مِقْدَارِهَا ، كَمَا
فِي تَشْبِيهِهِ بِالغُرَابِ فِي شِدَّتِهِ ، أَوْ تَقْرِيزُهَا ، كَمَا فِي تَشْبِيهِهِ مَنْ لَا يَحْصُلُ
مِنْ سَعْيِهِ عَلَى طَائِلٍ بِمَنْ يَرْتُقِي سَاءً ، وَهَذِهِ الأَرْبَعَةُ تَقْتَضِي أَنْ

على الجملة فإن قلت أين التشبيه في البيت ، قلنا يدل البيت عليه ضمناً وإن لم يدل
عليه تصريحاً (كما في تشبيهه ثوب بآخر في السواد) إذا علم السامع لون المشبه به
دون المشبه (أو مقدارها) أي أو بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف
والزيادة والنقصان (في تشبيهه) أي الثوب الأسود (في شدته) أي شدة
السواد (أو تقريرها) هو معطوف على بيان أي تقرير حال المشبه في نفس
السامع وتقوية شأنه لديه (الأربعة) بيان الإمكان ، وبيان الحال وبيان
المقدار ، والتقرير (تقتضي الخ) ومن هنا ضعف قول المحترى :

عَلَى بَابِ (١) قِنْسَرِينَ وَاللَّيْلُ لَأَطِخَ جَوَانِيَهُ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمِدَادٍ
وذلك أن المداد ليس من الأشياء التي لا مزيد عليها في السواد ، كيف
ورب مداد فاقد اللون والليل بالسواد وشدته أخرى ، ولهذا قال ابن الرومي :
حَبْرُ أَبِي حَفْصٍ أَعْلَبُ اللَّيْلِ يَسِيلُ الأَخْوَانَ أَيَّ سَيْلٍ
فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه الليل ، فكأنه نظر إلى قول

(١) على باب متعاقب بما في البيت قبله وهو :

وَأَيْلَتُنَا وَالرَّاحُ عَجَلِي تَعْتَمُ فَتُونُ غِنَاءِ لِلرَّجَاحِيَةِ حَادٍ

أي كان مع حبيبتيه في إدارة الكؤوس ، واستماع الغناء طول الليل ، على

باب قنسرين .

يَكُونُ وَجْهُ الشَّبَّهِ فِي الشَّبِّهِ بِهِ أَتَمَّ وَهُوَ بِهِ أَشْهَرُ ، أَوْ تَزْيِينُهُ ، كَمَا فِي
تَشْبِيهِهِ وَجْهِ أَسْوَدَ بِمُقَالَةِ الظُّبِّيِّ ، أَوْ تَشْوِيهِهِ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِهِ وَجْهِ مَجْدُورٍ
بِسَلْجَةٍ جَامِدَةٍ قَدْ تَقَرَّمَتْهَا الدِّيَكَةُ ، أَوْ اسْتِطْرَافُهُ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِهِ فِجْمٍ فِيهِ
بِجَمْرٍ مُوقَدٍ بِبَحْرِ مِنَ الْمِسْكِ مَوْجُهُ الذَّهَبُ ، لِإِبْرَازِهِ فِي صُورَةِ الْمُتَنَسِّعِ
عَادَةً ؛ وَلِلِاسْتِطْرَافِ وَجْهِ آخَرَ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الشَّبَّهُ بِهِ نَادِرَ الْحُضُورِ
فِي الذَّهْنِ ، إِمَّا مُطْلَقًا كَمَا مَرَّ ، وَإِمَّا عِنْدَ حُضُورِ الشَّبِّهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

وَلَا زَوْرَدِيَّةٍ تَزْهُو بِزُقَّتَيْهَا بَيْنَ الرِّيَاضِ عَلَى حُمْرِ اليَوَاقِيتِ
كَأَنَّهَا فَوْقَ قَامَاتٍ ضَعُفْنَ بِهَا أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيَّتِ

العامية في الشيء الأسود هو كالنفس (١) ، ثم تركه للقفافية إلى المداد (أو تزيينه)
عطف على بيان إمكانه ، وقد أشار ابن الرومي إلى التزيين والتشويه في قوله :

تَقُولُ هَذَا مُجَاجِ النَّجْلِ تَمَدِّحُهُ وَإِنْ تَعِبَ قُلْتَ ذَا فِيءِ الزَّنَابِيرِ

(كما مر) في تشبيهه فجم فيه جمر موقد (كما في قوله ولا زوردية) فأنت ترى
أن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حصولها في الذهن ندرة
صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة
النفسيج ، فإذا أحضر مع صحة الشبه ، استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين
لا تتراعى نارهما . وما يؤيد هذا ما يحكى أن جريراً قال أنشد عدى بن الرقاع :

(١) النفس : المداد الذي يكتب به .

وَقَدْ يَعُودُ إِلَى الْمُشَبَّهِ بِهِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا إِيهَامُ أَنَّهُ أَتَمُّ مِنَ الْمُشَبَّهِ
وَذَلِكَ فِي التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبِ ، كَقَوْلِهِ :

وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ * وَجَهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

* عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُماً فَأَعْتَادَهَا *

فلما بلغ إلى قوله :

* تَرْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ *

رحمته، وقلت قد وقع ما عساه يقول وهو أعرابي جلف جاف ، فلما قال :

* قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا *

استحالت الرحمة حسداً فهل كانت رحمته في الأولى والحسد في الثانية
إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في أول الفكر شبه ،
وحين أتته صادفه قد ظهر بأقرب صفة من أبعده موصوف . وذكر الشيخ
عبد القاهر رحمه الله للاستطراف في تشبيهه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر
وهو أنه أراك شهاً لنبات غض يرف ، وأوراق رطبة من لهب نار في جسم
مستول عليه اليبس ، ومبنى الطباع وموضوع الجيلة ، على أن الشيء إذا ظهر من
مكان لم يعهد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صباغة
النفوس به أكثر ، وكان الشغف به أجدر . هذا وقوله ولازوردية : أي ورب
بنفسجة شبيهة باللازورد - الحجر المعروف ، والأكثر أن يقال زهي الرجل
فهو مزهو : أي تكبر ، وقد يقال زها يزهو ، وجرم اليواقيت : يعني الأزهار ،
والشقائق : الحجر ، والبيتان لابن الرومي (كقوله وبدا الصباح) فإن الشاعر وهو
محمد بن وهيب قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء

وَالثَّانِي بَيَانُ الْإِهْتِمَامِ بِهِ ، كَتَشْبِيهِ الْجَائِعِ وَجْهًا كَالْبَدْرِ فِي الْإِشْرَاقِ
وَالِإِسْتِدَارَةِ بِالرَّغِيفِ وَيُسَمَّى هَذَا إِظْهَارَ الْمَطْلُوبِ ، هَذَا إِذَا أُرِيدَ الْحَاقُّ

واعلم أن هذا وإن كان في الظاهر يشبه قولهم لأدري أوجهه أنور أم الصبح ،
وغرته أضوأ أم البدر ، وقولهم إذا أفرطوا : نور الصباح يخفى في ضوء وجهه ،
أو نور الشمس مسروق من نور جبينه ، ونحو ذلك من وجوه المبالغة ، فإن
في الأول خلافة وشيئا من السحر ليس في ، الثاني وهو كأنه يستكثر للصباح
أن يشبهه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه احتشده واجتهد في تشبيهه بفخيم به أمره
فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ، ويفيدكما من غير أن يظهر ادعاؤه
لها ، لأنه وضع كلامه وضع من يقين على أصل متفق عليه لا يشفق من خلاف
مخالف وتهكم متهم ، والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد ، كان لها نوع
من السرور عجيب فكانت كالنعمة لا تدركها المنة وكالغنيمة من حيث لا تحسب ،
وفي قوله حين يمدح فائدة شريفة ، وهي الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد
إلا فيمن هو كامل في الكرم من معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه
وقصده من تفخيم شأنه في عيون الناس بالإصغاء إليه والارتياح له ، والدلالة
بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده (ويسمى هذا إظهار المطلوب)
قال السكاكي : ولا يحسن المصير إليه إلا في مقام الطمع في تسنى المطلوب ، كما
يحكى عن صاحب رحمه الله أن قاضي سجستان دخل عليه فوجد صاحب
متفئنا فأخذ يمدحه حتى قال وعالم يعرف بالسجزي وأشار للندماء أن
ينظموا على أسلوبه ففعلوا واحداً بعد واحد إلى أن انتهت النوبة إلى شريف
في البين فقال أشهى إلى النفس من الخبز فأمر صاحب أن يقدم له مائدة

النَّاقِصِ ، حَقِيقَةً أَوْ ادِّعَاءً ، بِالزَّائِدِ ، فَإِنْ أُرِيدَ الْجُمْعُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي أَمْرٍ
فَالأَحْسَنُ تَرْكُ التَّشْبِيهِ إِلَى الْحُكْمِ بِالتَّشَابُهِ ، اخْتِزَازاً مِنْ تَرْجِيحِ أَحَدِ
الْمُتَسَاوِيَيْنِ ، كَقَوْلِهِ :

تَشَابَهَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمُدَامَتِي فَمِنْ مِثَالِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنِي تَسْكَبُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَبِالْحَمْرِ أَسْبَلْتِ جُفُونِي أَمْ مِنْ عَبْرَتِي كُنْتُ أَشْرَبُ
وَيَجُوزُ التَّشْبِيهُ أَيْضاً كَتَشْبِيهِ غُرَّةِ الْفَرَسِ بِالصُّبْحِ ، وَعَكْسِهِ مَتَى أُرِيدَ ظُهُورُ

(فَإِنْ أُرِيدَ الْجُمْعُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي أَمْرٍ) يَعْنِي مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى أَنْ أَحَدَهُمَا نَاقِصٌ
فِي ذَلِكَ وَالْآخِرُ زَائِدٌ (كَقَوْلِهِ تَشَابَهَ) وَمَا هُوَ حَسَنٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ
الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ :

رَقَّ الرَّجَاجُ وَرَاقَتِ الْحَمْرُ وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّهَا سَخِرُ وَلَا قَدَحُ وَكَأَنَّهَا قَدَحُ وَلَا سَخِرُ

وَالْبَيْتَانِ لِأَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي ، وَيُقَالُ أَسْبَلَ الدَّمْعَ وَالْمَطَرَ : إِذَا هَطَلَ ، أَيْ
سَالَ كَثِيراً ، وَأَسْبَلَتِ السَّمَاءُ كَذَلِكَ (وَجُوزَ التَّشْبِيهِ أَيْضاً) يَعْنِي عِنْدَ إِرَادَةِ
الْجُمْعِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي أَمْرٍ . قَالَ الشَّيْخُ فِي أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ : جُمْلَةُ الْقَوْلِ إِنَّهُ مَتَى لَمْ
يَقْصِدْ ضَرْبَ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَةِ لِلشَّيْءِ وَلَمْ يَقْصِدْ إِلَّا لِإِيْهَامٍ فِي النَّاقِصِ
أَنَّهُ كَالزَّائِدِ ، اِقْتَصَرَ عَلَى الْجُمْعِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ فِي مَطَاقِ الصُّورَةِ وَالشَّكْلِ وَاللَّوْنِ ،
أَوْ جُمْعِ بَيْنَ وَصْفَيْنِ عَلَى وَجْهِهِ يَوْجِدُ فِي الْفَرْعِ عَلَى حِدَةٍ أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ فِي الْأَصْلِ ،
فَإِنَّ الْعَكْسَ يَسْتَقِيمُ فِي التَّشْبِيهِ ، وَمَتَى أُرِيدَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَقِمْ (كَتَشْبِيهِ
غُرَّةِ الْفَرَسِ بِالصُّبْحِ وَعَكْسِهِ) مِثْلَهُ تَشْبِيهِ الشَّمْسِ بِالْمِرْآةِ الْمَجْلُودَةِ ، أَوْ الدِّينَارِ
الْمُخَارِجِ مِنَ السِّكَّةِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

مُنِيرٍ فِي مَظْلَمٍ أَكْثَرَ مِنْهُ. وَهُوَ بِإِعْتِبَارِ طَرَفَيْهِ إِمَّا تَشْبِيهُ مُفْرَدٍ بِمُفْرَدٍ، وَهِيَ
غَيْرُ مُقَيَّدَيْنِ، كَتَشْبِيهِ الْخَدِّ بِالْوَرْدِ، أَوْ مُقَيَّدَانِ كَقَوْلِهِمْ: هُوَ كَالرَّاقِمِ.

وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لِلنَّيِّرَةِ دِينًا رَجَلَتُهُ حَدَائِدُ الضَّرَابِ

وعكسه متى قصد إلى مستدير يتلألاً ويبلغ ثم خصوص في جنس اللون
يوجد في المرأة المجلوة والدينار المتخاص من حمى السكة كما يوجد في الشمس،
وإن عظم التفاوت بين نور الشمس ونور المرأة والدينار، وبين الجرمين،
فإنه ليس شيء من ذلك بمنظور إليه في التشبيه، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح في
الظلام بعلم أبيض على ديباج أسود في قول ابن المعتز:

وَاللَّيْلُ كَالْحَلَّةِ السَّوْدَاءِ لَأَحَبُّ بِهِ مِنْ الصَّبَاحِ طِرَازٌ غَيْرُ مَرْقُومٍ (١)

فإنه تشبيه حسن مقبول وإن كان التفاوت في المقدار بين الصبح والطرز
في الامتداد والانبساط شديداً (متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه)
يعنى ولم يرد المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ
ونحو ذلك، إذ لو أريد شيء من هذا لوجب جعل الغرة مشبهاً والصبح مشبهاً
به (كتشبيه الخد بالورد) ومن هذا قوله تعالى: من لباس لكم وأنتم لباس
لهن، قال الزمخشري: لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على
صاحبه في عناقه، شبه باللباس المشتمل عليه، قال الجعدي:

إِذَا مَا الضَّجِيعُ نَى عَظْمَهَا تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسًا

(كقولهم هو كالراقم على المساء) فإن المشبه هو الساعى المقيد بأن

(١) به: أى فيه، والضمير لليل.

عَلَى الْمَاءِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ كَقَوْلِهِ : وَالشَّمْسُ كَالْمِرَاةِ وَعَكْسِيهِ ، وَإِنَّمَا تَشْبِيهُهُ

لا يحصل من سعيه على طائل . والمشبه به هو الراقم المقيد بأن رقه على الماء ، لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه ، وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين . وهذا وبما طرفاه مقيدان قولهم : هو كمن يجمع سيفين في غمد ، وقولهم : هو كمنغى الصيد في عرينة الأسد ، وقولهم : هو كالحادى وليس له بعير ، وقول الشاعر :

إِنِّي وَتَزْيِينِي بِمَدْحِي مَعْشَرًا كَمَعْلَقِي دُرًّا عَلَى خَنْزِيرِ

فإن المشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشراً ، فتعلق التزيين ، أعنى قوله بمدحى داخل في المشبه والمشبه به من يعلق دراً بقيد أن يكون تعلقه إياه على خنزير ، فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما فى صلته ، وهو أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر لأن الشيء غير قابل للتزيين ، فالواو فى قوله وتزيينى بمعنى مع ، إذ لا يمكن أن يقال إنى كذا وأن تزيينى كذا لأنه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبراً عن ضمير المتكلم والآخر عن تزيينى لا يقال تقديره : إنى كعلق دراً على خنزير ، وأن تزيينى بمدحى معشراً كتعلق در على خنزير ، لأنه لا يتصور أن يشبه المتكلم نفسه من حيث هو بعلق دراً على خنزيراً ، بل لا بد أن يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشراً (أو مختلفان) أى أحدهما مقيد والآخر غير مقيد (كقوله والشمس كالمراة) فإن المشبه هو الشمس على الإطلاق ، والمشبه به هو المراة ، بقيد أنها فى كف الأشل (وعكسه) أى تشبيه المراة فى كف الأشل بالشمس (وأما تشبيهه مركب بمركب) ويجب فى هذا أن يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة

رُكَّبَ بِرُكْبٍ كَمَا فِي بَيْتِ بَشَّارٍ ، وَإِنَّمَا تَشْبِيهُ مَفْرَدٍ بِمُرَكَّبٍ ،

حاصلة من عدة أمور ، قال الزمخشري : إن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا
بعضها عن بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذلك فتشبهها بنظائرها وتشبهه كيفية حاصلة
من مجموع أشياء قد تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحداً بأخرى مثلها .
اعلم أن هذا القسم ضربان أحدهما مالا يصح تشبيهه كل جزء من أحد طرفيه
بإقباله من الطرف الآخر كقوله :

غَدَا وَالصَّبِيحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَطَرِفٍ أَشْهَبِ مُلَقَى الْجِلَالِ

فإن الجلال فيه في مقابلة الليل ولو شبهه به لم يكن شيئا وكقول الآخر :

كَأَنَّمَا الْمِرْيَخُ وَالْمُشْتَرَى قُدَّامَهُ فِي شَامِخِ الرَّفْعَةِ

مُنْصَرَفٌ بِاللَّيْلِ عَنِ دَعْوَةِ قَدْ أُسْرِجَتْ قُدَّامَهُ شَمْعَةٌ

فإن المريخ في «مقابلة المنصرف عن الدعوة» ، ولو قيل كأن المريخ منصرف
ليل عن دعوة ، كان خلوفاً من القول ، والثاني ما يصح تشبيهه كل جزء من
جزء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر ، غير أن الحالة تتغير
شأله قوله :

وَكَأَنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرُّ نَثْرِنَ عَلَى بَسَاطِ أَرْزَقِ

فإنه لو قيل كأن النجوم درر وكان السماء بساط أزرع ، كان تشبيهاً صحيحاً
كن أين يقع من التشبيه الذي يريك الهيئة التي تملأ القلوب سروراً وعجباً من
رعب النجوم مؤتلفة متفرقة في أديم السماء وهي زرقاء زرقها الصافية (كافي
بشَّار) وهو قوله :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّعْمِ فَوْقَ رُؤْسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ

كَمَا مَرَّ ، مِنْ تَشْبِيهِ الشَّقِيقِ ، وَإِنَّمَا تَشْبِيهُهُ مَرَكَّبٌ بِمَفْرَدٍ ، كَقَوْلِهِ :
يَا صَاحِبِيَّ تَقْصِيًّا نَظْرِيكَمَا تَرِيَا وَجُوهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ
تَرِيَا نَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرَّبِيِّ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقَمَّرُ
وَأَيْضًا إِنْ تَمَدَّدَ طَرَفَاهُ فَإِنَّمَا مَلْفُوفٌ ، كَقَوْلِهِ :
كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهِا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

وقد سبق شرحه ، ومثله في ذلك قول البحرى :

تَرَى أَحْجَالَهُ يَصْعَدْنَ فِيهِ صُعُودَ الْبَرْقِ فِي الْفَيْمِ الْجَهَامِ (١)

لا يريد به تشبيهه بياض الحجول على الانفراد بالبرق ، بل مقصود الهيئة
الحاصلة من مخالطة أحد الشيتين بالآخر (من تشبيهه الشقيق) أى وهو مفرد
بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد ، وهو مركب من عدة أمور
(كقوله يا صاحبي) البيتان لأبى تمام من قصيدة يمدح بها المعصم . قوله تقصيا :
أبلغا أقصى نظريكما بالمبالغة في تحقيق النظر . وقوله تصور : أصله تتصور حذف
التاء ، وشابهه : خبطه ، والربا جمع ربوة : وهى المكان المرتفع ، وقوله فكأنما
هو مقمر : معناه أن النبات من شدة خضرته مع كثرتة وتكاثفه قد صار لونه إلى
الاسوداد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر (ملفوف) وهو
ما أتى فيه بالمشبهات ثم بالمشبهات بها (كقوله) أى قول امرئ القيس
يصف عقاباً بكثرة اصطيد الطيور . فقد شبه الرطب الطرى من قلوب الطير
بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف (٢) البالى ، إذ لبس في اجتماعهما

(١) الجهام : السحاب لا ماء فيه ، ويصعدن فيه : أى فى الفرس المحجل .

(٢) الحشف : أردأ التمر ، ووصفه بالبالى تأكيدا .

أو مفروق، كقوله :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَمٌّ
وَإِنْ تَعَدَّدَ طَرَفُهُ الْأَوَّلُ فَتَشْبِيهِ التَّسْوِيَةِ ، كقوله :
صُدِّعُ الْحَبِيبِ وَحَالِي كِلَاهِمَا كَاللِّيَالِي
وَإِنْ تَعَدَّدَ طَرَفُهُ الثَّانِي فَتَشْبِيهِ الْجَمْعِ ، كقوله :

هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ، ولذا قال الشيخ في أسرار البلاغة : إنه إنما يستحق التفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا لأن الجميع فائدة في عين التشبيه (أو مفروق) وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ، ثم آخر وآخر ، كقول المرقش الأكبر :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَمٌّ
النَّشْرُ : الرَّائِحَةُ ، وَالنَّمُّ شَجَرٌ أَحْمَرٌ لِينُ الْأَغْصَانِ يَشْبَهُ بِهِ أَكْفُ الْجَوَارِي .
المخضبة . ومنه قول أبي الطيب :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ نَانَ وَفَاحَتْ عَنَبْرًا وَرَنْتُ غَزَالَ
(الأول) أي المشبه (الثاني) أي المشبه به (كقول) البحترى من
قصيدة أولها :

بَابَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَغْيِدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوِشَاحِ
كأنما يبسم البيت فقد شبه ثغر أغيده كما ترى بثلاثة أشياء ، ومنضد : منظم ،
والبرد : هو حب الغمام ، والأقاج جمع أقحوان : نور يتفتح كالورد وأوراقه

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُوٍ مُنْضَدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحٍ
وَبِاعْتِبَارِ وَجْهِهِ إِمَّا تَمْثِيلٌ ، وَهُوَ مَا وَجْهُهُ مُنْتَزِعٌ مِنْ مُتَعَدِّدٍ ، كَمَا
مَرَّ ، وَقَيْدَهُ السَّكَاتِي بِكَوْنِهِ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِهِ مَثَلِ الْيَهُودِ
بِمَثَلِ الْحَمَارِ ، وَإِمَّا غَيْرُ تَمْثِيلٍ وَهُوَ بِخِلَافِهِ . وَأَيْضًا إِمَّا مُجْمَلٌ ، وَهُوَ مَا لَمْ

في شكها أشبه شيء بالأسنان في اعتدالها . هذا ومن تشبيهه الجمع قول صاحب ابن
عباد في وصف أبيات أهديت إليه :

أَتَتْنِي بِالْأَمْسِ أَبْيَاتُهُ تَعَالَى رُوحِي بِرُوحِ الْجِنَانِ
كَبَرْدِ الشَّبَابِ وَبَرْدِ الشَّرَابِ وَظِلِّ الْأَمَانِ وَنَيْلِ الْأَمَانِي
وَعَهْدِ الصَّبَا وَنَسِيمِ الصَّبَا وَصَفْوِ الدَّنَانِ وَرَجْعِ الْقِيَانِ
ومنه قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوْبَ الْعَمَامِ وَرِيحَ الْخَزَامِي وَنَشْرَ الْقَطَرِ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْبِيَابِهِمَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ

إلا أن فيه شوباً من القصد إلى هيئة الاجتماع (كما مر) من نحو تشبيه المرأة في
كف الأشل ، والتشبيه في بيت بشار :

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلِ تَهَاوِي كَوَاكِبِهِ
(وقيد السكاتي بكونه غير حقيقي) وإليك عبارته . اعلم أن التشبيه متى كان
وجهه وصفاً غير حقيقي وكان منتزعا من عدة أمور ، خص باسم التمثيل كالذي
في قوله :

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْحَسُونِ دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ

يَذْكَرُ وَجْهَهُ ، فَمِنْهُ ظَاهِرٌ يَفْهَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ نَحْوُ : زَيْدٌ أَسَدٌ ، وَمِنْهُ خَفِيُّ
لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا الْخَاصَّةُ ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ : هُمْ كَالْحَلَقَةِ الْمَفْرَغَةِ لَا يُدْرَى

فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

فإن تشبيهه الحسود الذي يحرم القول بالنار التي لا تمتد بالخطب فيسرع فيها
الفناء ، ليس إلا في أمر متوهم له . وهو ما اتوهم إذا لم تأخذ معه في القول مع
عليك بتطلبه إياه ، عسى أن يتوصل به إلى نفثة مصدر من قيامه إذ ذاك مقام
أن تمنعه ما يمد حياته ليسرع فيه الهلاك ، وأنه كما ترى منتزع من عدة أمور
وكالذي في قوله :

وَإِنَّ مِنْ أَدَبِيَّتِهِ فِي الصَّبَابِ كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرَسِهِ

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُبْسِهِ

فإن تشبيهه المؤدب في صباه بالعود المسقى ، أو أن الغرس الموثق بأوراقه
ونضرتة ليس إلا فيما يلزم كونه مذهب الأخلاق مرضى السيرة حميد الفعال
لتأدية المطلوب بسبب التأديب المصادف وقته من تمام الميل إليه وكالالهتجان
حاله ، وإنه كما ترى أمر تصوري لصفة حقيقية وهو مع ذلك منتزع من عدة
أمور (ومنه خفي) قال الشيخ الإمام : وأما ما يدق ويفمض حتى يحتاج في
استخراجه إلى فضل روية ولطف فكرة ، فنحو قول كعب الأشقرى وقد أوفده
المهلب على الحجاج فوصف له بنيه وذكر مكانهم من الفضل والبأس ، فسأله
في آخر القصة ، قال فكيف كان بنو المهلب فيهم (١) ، قال كانوا حماة السرح نهاراً
فإذا ألبوا ففرسان البيات ، قال فأيهم كان أنجد ، قال كانوا كالحلقة المفرغة

(١) أي في القوم المحاربين .

أَيْنَ طَرَفَاها ، أَيْ هُم مُتَنَاسِبُونَ فِي الشَّرَفِ ، كَمَا أَنَّها مُتَنَاسِبَةٌ الْأَجْزَاءِ
فِي الصُّورَةِ . وَأَيْضًا مِنْهُ مَا لَمْ يَدْ كَرَّ فِيهِ وَصَفُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ ، وَمِنْهُ
مَا ذُكِرَ فِيهِ وَصَفُ الْمُشَبَّهِ بِهِ وَحَدَّهُ ، وَمِنْهُ مَا ذُكِرَ فِيهِ وَصَفُهُمَا ،
كَقَوْلِهِ :

صَدَفْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِفْ مَوَاهِبُهُ عَنِّي وَعَاوَدَهُ ظَنِّي فَلَمْ يَخِبْ
كَالغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَوَأَفَاكَ رَيْقُهُ وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ

لا بدوى أين طرفاها ، فهذا كما ترى ظاهر الأمر في فقره إلى فضل الرفق به والنظر ،
الأتري أنه لا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة ،
انتهى كلام الشيخ . وأصل المثل لفاطمة بنت الخرشب الأثمارية إحدى المنجيات
في الجاهلية سأها أبو سفيان أى بنيك أفضل ، فقالت الربيع لا بل عمارة لا بل
أنس الفوارس ، ثكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل ، هم كالحلقة إلى آخره ،
أخذه كعب الأشقرى ووصف به بنى المهلب (كما أنها) أى الحلقة المفرغة
(متناسبة الأجزاء فى الصورة) فيمتنع تعيين بعضها طرفاً وبعضها وسطاً
لكونها مفرغة مصممة الجوانب كاللائرة (منه) ، أى من الجميل (كقوله)
أى قول أبى تمام يمدح الحسن بن سهل وقبل البيتين :

سَتُصْبِحُ الْعَيْسُ بِي وَاللَّيْلُ عِنْدَ قَتِي كَثِيرِ ذِكْرِ الرِّضَى فِي سَاعَةِ الْغَضَبِ

قوله صدقت : معناه أعرضت ، وقوله ريقه : معناه أوله وأحسنه ، يقال
فعله فى ورق شبابه وريقه : أى أوله ، وأصابه ريق المطر وريق كل شىء : أفضله .
فالشاعر قد وصف الممدوح كما ترى بأن عطاياه فائضة عليه ، أعرض أولم
يعرض ، وكذا وصف الغيث بأنه يصيبك جثته أو ترحلت عنه ، والوصفان

وَإِمَّا مُفَصَّلًا ، وَهُوَ مَا ذُكِرَ وَجْهُهُ ، كَقَوْلِهِ :
وَتَفْرَهُ فِي صَفَاءِ * وَأَدْمَعِي كَاللَّالِي
وَقَدْ يَتَسَامَحُ بِذِكْرِ مَا يَسْتَتْبِعُهُ مَكَانَهُ ، كَقَوْلِهِمْ لِلْكَلَامِ -

دالان تلي ونجه الشبهه ، أعني الإفاضة في حاتى الطلب وعدمه ، وحالتى الإقبال
عليه والإعراض عنه (كقوله وتفره) مثله قول أبى بكر الخالدى :

يَأَشْبِيهِ الْبَدْرُ حُسْنًا وَضِيَاءً وَمَنَالًا
وَشَبِيهِ الْفُضْنِ لِينًا وَقَوَامًا وَاعْتِدَالًا
أَنْتَ مِثْلُ الْوَرْدِ لَوْنًا وَنَسِيمًا وَمَلَالًا
زَارْنَا حَتَّى إِذَا مَا سَرَرْنَا بِالْقُرْبِ زَالًا

وفول ابن الرومى :

يَأَشْبِيهِ الْبَدْرُ فِي الْحُسْنِ وَفِي بُعْدِ الْمَنَانِ
جُدُّ فَقَدْ تَنْفَجِرُ الصَّخْرَةُ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ

(وقد يتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه) قال السكاكى : اعلم أنه ليس
بماتزم فيما بين أصحاب علم البيان أن يتكلفوا التصريح بوجه التشبيه على ما هو
به ، بل قد يذكرون على سبيل التسامح ما إذا أنعمت فيه النظر لم تجده إلا
شيئاً مستتبعاً لما يكون وجه التشبيه في المآل فلا بد من التنبيه عليه ، من ذلك
قولهم في الألفاظ إذا وجدورها لا تثقل على اللسان ولا تكده بتنافر حروفها
أو تكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية تستكره لكونها غير مأبوفة ، ولا بما
تشبه معانيها وتستتلق فيصعب الوقوف عليها وتشمئز عنها النفس : هي كالعسل

الفَصِيحُ : هُوَ كَالْعَسَلِ فِي الْحَلَاوَةِ ، فَإِنَّ الْجَامِعَ فِيهِ لِأَزْمِهَا ، وَهُوَ مَيْلُ
الطَّبَعِ ، وَأَيْضًا إِمَّا قَرِيبٌ مُبْتَدَلٌ ، وَهُوَ مَا يُدْتَقَلُّ فِيهِ مِنَ الْمُشَبَّهِ إِلَى

في الحلاوة وكالماء في السلاسة وكالنسيم في الرقة ، وقولهم في الحجّة المطلوب بها
قلع الشبهة متى صادفوها ، معلومة الأجزاء يقينية التأليف قطعية الاستلزام ،
هي كالشمس في الظهور ، فيذكرون الحلاوة والسلاسة والرقة والظهور لوجه
الشبه ، على أن وجه الشبه في المآل هناك شيء غيرها ، وذلك لازم الحلاوة
وهو ميل الطبع إليها ومحبة النفس ورودها عليها ، ولازم السلامة والرقة وهو
إفادة النفس نشاطاً والإهداء إلى الصدر انشراحاً وإلى القلب روحاً ، فشأن
النفس مع الألفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الشهي الذي
يلذ طعمه فتحش النفس له ويميل الطبع إليه ويحب وروده عليه ، أو كشأنها
مع الماء الذي ينساع في الحلق وينحدر فيه أجلب انحدار للراحة ، ومع النسيم
الذي يسرى في البدن ، فيتخلل المسالك اللطيفة منه ، فيفيدان النفس نشاطاً
ويهديان إلى الصدر انشراحاً وإلى القلب روحاً ، ولازم الظهور وهو إزالة
الحجاب ، فشأن البصيرة مع الشبهة كشأن البصر مع الظلمة في كونهما معهما
كالمحجوبين ، وانقلاب حالهما إلى خلاف ذلك مع الحجّة إذا بهرت والشمس
إذا ظهرت ، وتسامحهم هذا لا يقع إلا حيث يكون التشبيه في وصف اعتباري
كالذي نحن فيه ، وأقول يشبه أن يكون تركبهم التحقيق في وجه التشبيه على
ماسبق التشبيه عليه من تسامحهم هذا (وأيضاً إماماً قريباً) اعلم أن معرفة
الشيء من طريق الجملة كما قيل غير معرفته من طريق التفصيل . فكلام المصنف
هنا وإن كان يكون مفهوماً فإن تمام البيان فائدة لا ينكرها المميز ، وذلك أتم
للغرض وأشتق للنفس فتقول : إن الشبه إماماً قريباً يقع في الوهم من أول النظر

المشبه به من غير تدقيق نظر ، لظهور وجهه في بادي الرأي ، ايكونه
أمرًا جليًا ، فإن الجملة أسبق إلى النفس ، أو قليل التفصيل مع غلبة

ولما غريب لا ينزع إليه الخاطر إلا بعد تثبت وتذكر وفكر للنفس وتحريك
للوهم ، فالقريب مثل ما إذا أخطرت بالبال استدارة الشمس وتورها وقعت
المرآة المجلوة في قلبك وترآى لك الشبه منها فيها ، وكذلك إذا نظرت إلى الوشي
منشوراً وتطلبت لحسنة ونقشه واختلاف الأصباغ فيه شهاً حضرك ذكر
الروض مطوراً مفترأ عن أزهاره متبسماً عن أنواره ، وكذلك إذا نظرت إلى
السيف الصقيل عند سله وبريق منته لم يتباعد عنك أن تذكر لمعان البرق وإن
كان هذا أقل ظهوراً ، وأما الغريب فهو مثل تشبيه الشمس بالمرآة في كف
الأشل ، وتشبيه البرق بأصبع السارق في قول كشاجم :

أرقت أم نمت لضوء بارق مؤتلق مثل فؤاد العاشق

كأنه إصبع كف السارق

وإن أردت أن تعلم السبب في سرعة بعض الشبه إلى الفكر وإبائه بعض أن
يكون له ذلك الإسراع فإن ههنا ضربين من العبرة أولها أنا نعلم أن الجملة أبدأ
أسبق إلى النفوس من التفصيل ، وأنت تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة إلى
التفصيل ، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة ثم ترى التفصيل عند
إعادة النظر ، ولذلك قالوا النظرة الأولى حمقاء ، وقالوا لم ينعم النظر ولم
يستقص النامل ، وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواس ، فإنك تدرك
من تفاصيل الصوت والذوق في المرة الثانية ما لم تدرك في الأولى ، فمن يروم
التفصيل كمن يبتغي الشيء من بين جملة يريد تمييزه بما اختلط به ومن يروم

حُضُورِ الْمَشَبِّهِ فِي الذَّهْنِ ، إِمَّا عِنْدَ حُضُورِ الْمَشَبَّهِ ، لِقُرْبِ الْمُنَاسَبَةِ

الإجمال كمن يريد أخذ الشيء جزافاً وجرفاً ، وكذا حكم ما يدرك بالعقل ترى
الجلل أبدأ تسبق إلى الذهن وتقع في الخاطر أولاً ، وترى التفاصيل مغمورة فيما
بينها لا تحضر إلا بعد إعمال الرويه واستعانة بالتذكر ، ويتفاوت الحال في الحاجة
إلى الفكر بحسب مكان الوصف ومرتبته من حد الجملة وحد التفصيل وكلما كان
أوغل في التفصيل كانت الحاجة إلى التوقف والتذكر أكثر والفقر إلى التأمل
والتمهل أشد ، وإذا قد عرفت هذه العبرة فالاشتراك في الصفة إذا كان من
جهة الجملة على الإطلاق بحيث لا يشوبه شيء من التفصيل نحوه : إن كلاً
الشيئين أسود أو أحمر فهو يقل عن أن يحتاج فيه إلى قياس وتشبيه فإن دخل
في التفصيل شيئاً نحو : إن هذا السواد صاف براق والحرة دقيقة ناصعة ،
احتجت بقدر ذلك إلى إدارة الفكر ، وذلك مثل تشبيه حمرة الخد بحمرة التفاح
والورد ، فإن زاد تفصيله بخصوص تدق العبارة عنه ويتعرف بفضل تأمل ،
ازداد الأمر قوة في اقتضاء الفكر ، وذلك نحو تشبيه سقط النار بعين الديك
في قول غيلان :

وَسَقَطِ كَعَيْنِ الدِّيكِ عَاوَرْتُ صُحْبَتِي أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لِمَوْضِعِهَا وَكُرَا

والعبرة الثانية أن مما يقتضى كون الشيء على الذكر وثبوت صورته في النفس
أن يكثر دورانه على العيون ويدوم ترده في مواقع الإبصار ، وإن تدركه
الحواس في كل وقت أو في أغلب الأوقات ، وبالعكس وهو أن من سبب
بعد ذلك الشيء عن أن يقع ذكره بالخاطر وتعرض صورته في النفس قلة رؤيته
وأنه مما يحس على طريق الندرة ، وإذا كان ذلك كذلك بأن منه أن كل شبه
رجع إلى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن ترى وتبصر أبدأ ، فالتشبيه

كثبته الجرّة الصغيرة بالكوز في المقدار والشكل ، أو مطلقاً

المعقود عليه نازل مبتذل وما كان بالضد من هذا ، وفي الغاية القصوى من مخالفته ، فالتشبيه المردود إليه غريب نادر بديع ، ثم إن التفصيل وإن كانت دقائقه لا تكاد تضبط ، إلا أن الأغلب الأعرف منها وجهان : أحدهما أن تأخذ بعضاً وتضع بعضاً ، كما فعل امرؤ القيس في قوله :

حَمَّتْ رُدَيْدِيًّا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

فعرل الدخان عن السنا وأثبتته مفرداً كما ترى وكما فعل الآخر حين فصل الحدق عن الجفون وأثبتها مفردة فيما شبهه وذلك قوله :

لَهَا حَدَقٌ لَمْ يَتَّصِلْ بِجُفُونٍ *

والثاني أن تنظر من المنسب في أمور لتعتبرها كلها وتطلبها في المشبه به كاعتبارك في تشبيه الريا بالمنقود الأنجم أنفسها والشكل واللون والمقدار واجتماعها على المسافة المخصوصة في القرب ، ثم اعتبارك في المنقود المنور من الملاحية مثل ذلك وتبعده ، فإن توافقت نفسك إلى شيء من الشرح لعبارة المصنف فأليك ذلك . قوله أو قائل : التفصيل معطوف على أمراً جلياً ، وقوله : لقرب المناسبة ، يعني بين المشبه والمشبه به ، وقوله أو مطلقاً : معطوف على قوله عند حضور المشبه ، وقوله لتكرره : علة لغلبة المشبه به مطلقاً ، وقوله لمعارضة الخ ، يعني وإنما كانت قلة التفصيل في وجه الشبه مع غلبة حضور المشبه به بسبب قرب المناسبة أو التكرار على الحس سبباً لظهوره المؤدى إلى الابتذال مع أن التفصيل من أسباب الغرابة ، لأن قرب المناسبة في الصورة الأولى والتكرار على الحس في الثانية ، يعارض كل منهما التفصيل بواسطة اقتضائهما سرعة الانتقال من المشبه إلى المشبه به ، فيصير وجه الشبه كأنه أمر جلي لا تفصيل فيه ، فيصير سبباً للابتذال ، وقوله كما مر : يعني في تشبيه البنفسج بنار

لِتَكَرَّرَ عَلَى الْحَسِّ ، كَالشَّمْسِ بِالْمِرْآةِ الْمَجْلُوتَةِ ، فِي الْإِسْتِدَارَةِ وَالِاسْتِنَارَةِ ،

الكبريت ، وقوله لكونه وهمياً الخ : فالوهمى كتشبيه نصال السهام بأنياب
الأغوال ، والخيالي كتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من
الزبرجد ، والنقلي كتشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الخمار يحمل أسفاراً ، وقد
مر ذلك ، فأنت ترى أن كلا سبب لندرة حضور المشبه به في الذهن ، وقوله
أو لقلة : معطوف على قوله لكونه وهمياً ، وقوله فالغرابية فيه : أى في تشبيهه
الشمس بالمرآة في كفا الأثل ، وقوله من وجهين : فأحد الوجهين كثرة التفصيل ،
وثانيهما : قلة تكرره على الحس . هذا ومن أبلغ الاستقصاء في التفصيل
وعجبية قول ابن المعتز :

كَأَنَّ أَوْضَوْهُ الصَّبِيحِ يَسْتَمْعِلُ الدَّجِيَّ نَطِيرُ غُرَابًا ذَا قَوَادِمَ جُونٍ^(١)

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط أن
تكون قوادم ريشها بيضاء ، لأن تلك الفرق من الظلمة يقع في حواشها
من حيث تلي معظم الصبح وعموده لمع نور يتخيل فيها في العين كشكل قوادمهم
إذا كانت بيضاء ، وتتمام التدقيق والسحر في هذا التشبيه في شيء آخر وهو
أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى
ويستعملها ، ولا يرضى منها أن تتمهل في حركتها ، ثم لما بدأ بذلك أولاً اعتبره
في التشبيه آخراً ، فقال : نطير غراباً ولم يقل غراباً يطير مثلاً ، وذلك أن
الغراب وكل طائر إذا كان واقعاً هادئاً في مكان فأزعج وأخيف وأطير منه

(١) قوادم الطير : مقادير ريشه ، وهي عشرة في كل جناح ، والجون

بالضم : جمع جون بالفتح ، والمراد به هنا الأبيض .

لِمَعَارِضَةٍ كَمَا مِنَ الْقُرْبِ وَالتَّكْرَارِ التَّفْصِيلِ ، وَإِمَّا بَعِيدٌ غَرِيبٌ وَهُوَ
بِمُخَالَفَةِ لِعَدَمِ الظُّهُورِ ، وَإِمَّا لِكثْرَةِ التَّفْصِيلِ كَقَوْلِهِ : وَالشَّمْسُ بِكَأَمْرِ آتٍ

أو كان قد حبس في يد أو قفص فأرسل ، كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه
وأعجل ، وأمد له وأبعد لأمده ، فإن تلك الفزعة التي تعرض له من تنفيره أو
الفرحة التي تدركه وتحدث فيه من خلاصه وانفلاته ، بما دعتة إلى أن يستمر
حتى يفتب عن الأفق ويصير إلى حيث لا تراه العيون ، وليس كذلك إذا
طار عن الاختيار ، لأنه يجوز حينئذ أن يصير إلى مكان قريب من مكانه
الأول ، وأن لا يسرع في طيرانه بل يمشى على هيئة ويتحرك حركة غير المتعجل
واعلم أن هذا الأمر وهو التفصيل يتفاوت حاله ، فنه ما يبلغ من كرم الموقع
ولطف التأثير في النفس مبلغاً لا يدرك شأوه ، ومنه ما دون ذلك ، وبين هذا
بالمقالة ، فأنت إذا قابلت قول بشار : كأن مثار النقع البيت ، بقول المتنبي :

يُرْوَرُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسِنَّةٌ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ

أو قول عمرو بن كلثوم :

تَبَى سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرُوسِهِمْ سَقْفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ

وجدت لبنت بشار من الفخامة والنبل والرفعة والشرف ، ما لا يوجد
لصاحبيه ، ذلك لأن كلا منهما وإن راعى التنصیل في التشبيه ، إلا أنه اقتصر
على أن أراك لمعان الأسنان والسيوف في أثناء العجاجة ، بخلاف بشار فإنه لم
يقتصر على ذلك كما بيناه فيما تقدم ، وكذلك تجد قول ابن المعتز في الأذريون :

مَدَاهِنٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةٍ

أغلى وأفضل من قوله :

في كَفِّ الأَشْلِّ : أو نُدُورِ حُضُورِ المُشَبَّهِ بِهِ ، إِمَّا عِنْدَ حُضُورِ المُشَبَّهِ لِمُقَدِّ
النَّاسِبَةِ كَأَمْرٍ ، وَإِمَّا مُطْلَقًا لِكَوْنِهِ وَهَمِيًّا أَوْ مُرَكَّبًا خَيَالِيًّا أَوْ عَقْلِيًّا
كَأَمْرٍ ، أَوْ لِقِلَّةِ تَكَرُّرِهِ عَلَى الحِسِّ كَقَوْلِهِ : وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ ، فَأَعْرَابُهُ
فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ ، وَالْمُرَادُ بِالتَّفْصِيلِ أَنَّ تَنْظُرَ فِي أَكْثَرِ مِنْ وَصْفٍ ، وَيَقَعُ
عَلَى وَجْهِهِ ، أَعْرَفُهَا أَنَّ تَأْخُذَ بَعْضًا وَتَدَعِ بَعْضًا كَمَا فِي قَوْلِهِ :

حَمَلْتُ رُدَيْنِيًّا كَانَ سِنَانُهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِهِ
وَأَنْ تَعْتَبِرَ الجَمِيعَ ، كَأَمْرٍ ، مِنْ تَشْبِيهِ الثَّرِيَّا ، وَكَلَّمَآ كَانَ التَّرَكِيبُ

وَطَافَ بِهَا سَاقِي أَدِيبٍ بِمِيزَلٍ كَخِمْجَرٍ عِيَّارٍ صِنَاعَتُهُ الفَتَكُ (١)
وَحُمِّلَ أَذْرِيُونَةً فَوْقَ أَذْنِهِ كَكَأْسٍ عَقِيقٍ فِي قَرَارَتِهَا مَسْكُ

ذَلِكَ لِأَنَّ السَّوَادَ الَّذِي فِي بَاطِنِ الأَذْرِيُونَةِ المَوْضُوعِ بِإِزَائِهِ الغَالِيَةِ ، وَالمَسْكُ
فِيهِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَيْسَ بِشَامِلٍ لَهَا ، وَالثَّانِي أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدِرْ فِي قَعْرِهَا بَلْ ارْتَفَعَ
مِنْهُ حَتَّى أَخَذَ شَيْئًا مِنْ سَمَكِهَا مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ وَلَهُ فِي مَنَقَطِعِهِ هَيْئَةٌ تُشَبِّهُ آثَارَ الغَالِيَةِ
فِي جَوَانِبِ المَدْهَنِ إِذَا كَانَتْ بَقِيَّةَ بَقِيَّتِ عَنِ الأَصَابِعِ ، وَقَوْلُهُ فِي قَرَارَاتِهَا مَسْكُ :
يُبَيِّنُ الأَمْرَ الأَوَّلَ ، وَيُؤَمِّنُ مِنْ دُخُولِ النَفْصِ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ يَدْخُلُ لَوْ قَالَ فِيهَا
مَسْكٌ وَلَمْ يَشْتَرِطْ أَنْ يَكُونَ فِي القَرَارَةِ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كَمَا يَدُلُّ
قَوْلُهُ : بِتَيَّابِ غَالِيَةٍ ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ المَسْكِ وَالشَّيْءِ اليَابِسِ إِذَا فَصَلَ
فِي شَيْءٍ مُسْتَدِيرٍ لَهُ قَعْرٌ أَنْ يَسْتَدِيرَ فِي القَعْرِ وَلَا يَرْتَفِعُ ، فِي الجَوَانِبِ وَالارْتِفَاعِ

(١) يَصِفُ الخَمْرَ : المِيزَلُ مَا يَصْفَى بِهِ الشَّرَابَ ، وَالأَذْرِيُونَةُ : وَرَدَ لَهُ
أَوْرَاقٌ حَمْرٌ فِي وَسْطَةِ سِوَادٍ لَهُ نَبْوٌ وَارْتِفَاعٌ وَهُوَ يَكُونُ أَصْفَرَ .

مِنْ أُمُورٍ أَكْثَرَ كَانَتِ الشَّيْبَةُ أَبْعَدَ ، وَالْبَلِيغُ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ .
لِغَرَابَتِهِ ، وَلِأَنَّ نَيْلَ الشَّيْءِ بَعْدَ طَلْبِهِ أَلْذَّ ، وَقَدْ يُتَصَرَّفُ فِي الْقَرِيبِ بِمَا
يَجْعَلُهُ غَرِيبًا كَقَوْلِهِ :

الذي في سواد الأذريونة ، بخلاف الغالية فإنها رطبة ثم تأخذ بالأصابع فلا يد
في البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هي لتعومتها ترق فتكون
كالصبيغ الذي لا يظهر له جرم وذلك أصدق للشبه (والبلوغ ما كان من هذا
الضرب) لا يقال عدم الظهور ضرب من التعقيد والتعقيد كما علمنا مذموم ،
لأننا نقول التعقيد كما سبق له سريان : الأول : سوء ترتيب الالفاظ ، والثاني :
اختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو المقصود باللفظ ،
والمراد بعد الظهور في التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته ، أو ترتيب بعض
المعاني على بعض ، فإن المعاني الشريفة لا بد فيها في غالب الأمر من بناء ثان
على أول وردت تال إلى سابق . قال الشيخ : وهل شيء أحلى من الفكرة إذا
استمرت وصادفت نهجاً قوياً ، وطريقة تنقاد وتبينت لها الناية فيما ترتاد .
قال الجاحظ في أثناء فصل يذكر فيه ما في الفكر من الفضيلة : وأين تقع لذة
البهيمة بالعاوفة ، ولذة السبع بلطع الدم ، وأكل اللحم من سرور الظفر
بالأعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه . وبعد ، فإذا أعدت الحلقات
لجري الجياد ، ونصبت الأهداف ليعرف فضل الرماة في الأبعاد والسداد ،
فرهان العقول التي تستبق ونضالها التي تمتحن قواها في تعاطيه هو الفكر
والروية والاستنباط (ولأن نيل الشيء بعد طلبه ألد) ولذلك ضرب المثل لكل
ما لطف موقعه يبرد الماء على الظمأ كما قال القطامي :

وَهُنَّ يَغْبِذْنَ مِنْ قَوْلِ يُصْبِنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي .
(وقد يتصرف في القريب بما يجعله غريباً) وهذا على وجوه ، منها أن .

لَمْ تَلَقَ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءٌ
وقوله :

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِبًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَقُولُ
وَيُسَمَّى هَذَا التَّشْبِيهِ الْمَشْرُوطَ : وَبِاعْتِبَارِ أَدَاتِهِ إِمَامُؤُكَ كَدُّ ، وَهُوَ

يكون كقول أبي الطيب من قصيدة يمدح بها هرون بن عبد العزيز .
لم تلاق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس به حياء
وقول الآخر :

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخُدْرِ تَطْلُعُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَأَحْلَامُ نَأْمِ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّأْيِ كِبِ يُوْشَعُ
فإن تشبيهه وجوه الحسان بالشمس مبتذل ، لكن كل واحد من حديث
الحياء في الأول ، والتشكيك مع ذكر يوشع عاينه السلام في الثاني ، أخرجه من
الابتذال إلى الغرابة ، وشبيهه بالاول قول الآخر :

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرَتْ إِلَى نَدَاكَ فَفَقَّاسَتْهُ بِمَا فِيهَا
ومنها أن يكون كقول الطواط :

عزوماته مثل النجوم ثواقباً . لو لم يكن للثاقبات أقول
وقوله :

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَانَا أَوَانِسَ قَنَا الْخَلَطُ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ (١)

(١) يصف النساء بسعة العيون وطول القدود .

مَا حُذِفَتْ أَدَاتُهُ ، مِثْلُ : وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ ، وَمِنْهُ نَحْوُ :
وَالرَّيْحُ تَمَبَّتْ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى * ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ

وقوله :

يَكَادُ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَائِقَ الْمُحَيَّا يُمَطِّرُ الذَّهَبَا
وَالْبَدْرُ لَمْ يَغِبْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَالْأَسَدُ لَوْ لَمْ تُصَدِّ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَّبَا

وهذا يسمى التشبيه المشروط ، ومنها أن يكون كقوله :

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مَحَاسِنِهَا وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَنْذِيرِهَا

وقول ابن بابك :

أَلَا يَا رِيَّاضَ الْحُزْنِ مِنْ أَبْرِقِ الْحَمِي نَسِيمِكَ مَسْرُوقٌ وَوَصْفِكَ مُنْتَحَلٌ
حَكَيْتِ أَبَا سَعْدٍ فَذَشْرُكُ نَشْرُهُ وَآكِنَ لَهُ صِدْقُ الْهَوَى وَلَكَ الْمَلَأُ

وقد يفرج من الابتدال بالجمع بين عدة تشبيهات كقوله :

كَتَمَّا يَبْسَمُ عَنْ لَوْلُو مَنْصُدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقَاخِ

كما يزداد بذلك لطفاً وغمابة ، كقول امرئ القيس :

لَهُ أَيُّطَلَا ظَهِي وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفَلٍ (١)

(والريح تهبث بالغصون) البيت لابن خفاجة الأندلسي وهبث الريح بالغصون

(١) شبه خاصرتي هذا الفرس بخاصرتي الظبي في الضمر ، وشبه ساقيه بساق النعامة في الانتصاب والطول ، وعدوه بإرخاء الذئب ، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب ، لجمع بين أربعة تشبيهات كما ترى ، والإرخاء : ضرب من عدو الذئب ، والتقريب : وضع الرجلين ووضع اليدين في العدو .

أَوْ مُرْسَلٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ ، كَمَا مَرَّ . وَبِاعْتِبَارِ الْغَرَضِ إِمَّا مَقْبُولٌ وَهُوَ
الْوَاقِعُ بِإِفَادَتِهِ ، كَأَنَّ يَكُونُ الْمَشْبَهَ بِهِ أَعْرَفُ بِوَجْهِ الشَّبَهِ فِي بَيَانِ الْحَالِ ،
أَوْ أَيْضًا شَيْءٌ فِيهِ فِي الْحَقِّ النَّاقِصِ بِالْكَامِلِ ، أَوْ مُسَلَّمِ الْحُكْمِ فِيهِ ،
مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ فِي بَيَانِ الْإِمْكَانِ ، أَوْ مُرَدُّودٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ

عمارة عن إمالتها إياها ، والأصيل : هو الوقت بعد العصر إلى الغروب ،
يوصف بالصفرة ويعد من أطيب الأوقات كالسحر قال :

وَرُبَّ نَهَارٍ لِلْفِرَاقِ أَصِيلُهُ وَوَجْهِي كَلَّا لَوْنَيْهِمَا مُتَنَاسِبُ
قال الأبيوردي :

لِيَأْلِيهِ أَشْحَارٌ وَفِيهِ هَوَاجِرٌ كَمَا خَضِبَتْ وَالشَّمْسُ تَنْعَسُ أَصَالُ
فذهب الأصيل : صفرة شعاع الشمس فيه ، وقوله على لجين الماء ، فاللجين
الفضة : أي على ماء كالفضة في البياض والصفاء ومثل البيت قول الشاعر يصف
القمز لآخر الشهر قبل السرار :

كَأَنَّمَا أَدْهَمُ الْإِظْلَامَ حِينَ نَجَا مِنْ أَشْهَبِ الشَّيْخِ الْقِي نَعْلَ حَافِرِهِ
وقول الشريف الرضي :

أَرْسَى النَّسِيمُ بِيَوَادِيكُمْ وَلَا بَوَجَّتْ حَوَائِلُ الزَّنِّ فِي أَجْدَائِكُمْ تَضَعُ
وَلَا يَزَالُ جَنِينُ النَّبْتِ تَرْجَمُهُ عَلَى قُبُورِكُمْ الْعَرَاضَةُ الْهَمْعُ (١)

(وهو بخلافه) أي ما ذكر أدانه وصار مرسلًا من التأكيد المستفاد من
حذف الأداة المشعر بحسب الظاهر أن المشبه هو المشبه به (كما مر)
من الأمثلة المذكور فيها أداة التشبيه (وهو بخلافه) أي القاصر عن إفادة

(١) الأجدات : القبور ، والعراضة : السحاب ذو الرعد والبرق والهمع الماطرة .

(خاتمة) أعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة باعتبار ذكر

الغرض . (تكملة) ذهب بعض الناس إلى أنه لا فرق بين نحو قولك : رأيت أسداً يرمى ، وبين قولك : زيد أسد ، وأن الثاني استعارة كالأول وليس بتشبيه والصواب بمنزل عن ذلك . قال الإمام عبد القاهر ما خواه : إنه إذا جرى في الكلام لفظ دلت التورية على تشبيه شيء بمعناه ، كان ذلك على وجهين : أحدهما أن يسقط ذكر المشبه من البين حتى لا يعلم من ظاهر الخال أنك أردته ، كقولك : عنيت لنا ظبية وأنت تريد امرأة ، ووردنا بحراً وأنت تريد المدوح وهذا تقول فيه إنه استعارة لا تتحاشى بقة . والثاني : أن يكون المشبه مذكوراً مقدراً وحينئذ فالمشبه به إن كان خبراً أو منزلاً منزله ، يعني أن يكون خبر كان وإن ومفعولاً ثانياً لباب علمت وحالاً ، فالوجه أن هذا يسمى تشبيهاً ولا يطلق عليه الاستعارة ، لأن المشبه به إذا وقع هذه المواضع كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه ، فإذا قلت زيد أسد ، فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد . وإذا امتنع لإثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الإسد له فيكون اجتناباً لإثبات التشبيه ، فيكون خالياً بأن يسمى تشبيهاً إذ كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى فإن المشبه به فيها لم يحتل لإثبات معناه للشيء ، كما إذا قلت جاءني أسد ورأيت أسداً ، فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرقية واقعة منك عليه ، لا لإثبات معنى الأسد للشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه ، وكان قصد التشبيه أمراً مطوياً في النفس مكنوناً في الضمير لا يعلم إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر والتأمل ، وإذا افرقت الصورتان هذا الاقتران ، ناسب أن يفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة بأن تسمى إحداهما

أَرْكَانِهِ كُلِّهَا أَوْ بَعْضَهَا حَذَفَ وَجْهَهُ وَأَدَاتِهِ ، فَقَبِطُ ، أَوْ مَعَ حَذَفِ الْمُشَبَّهِ

تشبيهاً والأخرى استعارة . ثم قال : فإن أبيت إلا أن تطلق الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة كقولك : زيد الأسد وهو شمس النهار ، فإنه يحسن أن يقال : زيد كالأسد وخلته شمس النهار ، وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في إطلاقه ، وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك زيد أسد ، فإنه لا يحسن أن يقال زيد كأسد ، ويحسن أن يقال : كأن زيدا أسد ، ووجدته أسداً ، وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير لصورة الكلام كان إطلاقه أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه ، وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به ، كقولك فلان بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب ، وكقوله :

شَمْسٌ تَأْتِي وَالْفِرَاقُ غُرُوبُهَا عَنَا وَبَدْرٌ وَالصَّدُودُ كَسُوفُهُ

فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة ونحوها ، إلا بتغيير صورته ، كقولك هو كالبدري إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنها لا تغيب . وكالشمس المتألفة إلا أن الفراق غروبها ، والبدري إلا أن الصدود كسوفه . وقد يكون في الصفات التي تجيء في هذا النحو ، والصلوات التي توصل بها ما يخيل تقدير أداة التشبيه فيه ، فيقرب حينئذ من القبيل الذي تطلق عليه الاستعارة من بعض الوجوه ، وذلك مثل قول أبي الطيب :

أَسَدٌ دَمُ الْأَسِيدِ الْهَزْبَرِ خِضَابُهُ مَوْتٌ فَرِيصٌ الْمَوْتِ مِثْلُهُ تَرَعْدُ (١)

فإنه لا سبيل إلى أن يقال المعنى هو كالأسد وكالموت ، لما في ذلك من

(١) الفريص جمع فريصة : وهي لحمة بين الثدي والكتف ، ترعد من الفزع

ثُمَّ حَذَفَ أَحَدَهَا كَذَلِكَ ، وَلَا قُوَّةَ لِغَيْرِهَا .

الواقض . لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم الهزبر الذي هو أقوى الجنس خضاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك لا يضح أن يشبه بالموت المعروف ثم يجعل الموت يخاف منه وكذا قول البحري :

وَبَدْرًا أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعَ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدٌ مُظْلِمٌ

إن رجع فيه إلى التشبيه الساذج حتى يكون المعنى هو كالبدر لزم أن يكون قد جعل البدر المعروف موصوفاً بما ليس فيه ، فظهر أنه إنما أراد أن يثبت من الممدوح بديراً له هذه الصفة العجيبة التي لم تعرف للبدر ، فهو مبني على تخميل أنه زاد في جنس البدر واحداً له تلك الصفة ، فالكلام موضوع لإثبات الشبه بينهما ولكن لإثبات تلك الصفة ، فهو كقولك زيد رجل كيت وكيت لم تقصد لإثبات كونه رجلاً لكن لإثبات كونه متصفاً بما ذكرت ، فإذا لم يكن اسم المشبه به في البيت محتلباً لإثبات الشبه ، تبين أنه خارج عن الأصل الذي تقدم من كون الاسم محتلباً لإثبات الشبه ، فالكلام فيه مبني على أنه كون الممدوح بديراً أمر قد استقر وثبت وإنما العمل في إثبات الصفة الغريبة ، وكما يمتنع دخول السكاف في هذا ونحوه يمتنع دخول كأن وحسبت لافتراضهما أن يكون الخبر والمفعول الثاني أمراً ثابتاً في الجملة إلا أن كونه متعلقاً بالاسم والمفعول الأول يشكوك فيه كقولنا : كأن زيداً منطلقاً ، أو خلاف الظاهر كقولنا كأن زيداً أسد ، والنكرة فيما نحن فيه غير ثابتة ، فدخول كأن وحسبت عليهما كالقياس على المجهول ، وأيضاً هذا النحو إذا فليت عن سره وجدت محصوله أنك تدعى حدوث شيء هو من الجنس المذكور ، إلا أنه اختص بصفة عجيبة لم يتوهم جوازها على ذلك الجنس فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى

﴿ الْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ ﴾

وَقَدْ يُقَيِّدَانِ بِاللُّغَوِيِّينَ * الْحَقِيقَةُ الْكَلِمَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِيمَا وُضِعَتْ

هذا إذا كان المشبه به خبراً عن المشبه أو منزلاً منزلة كما علمت ، أما إن لم يكن كذلك نحو قولهم : رأيت به أسداً ولقيني منه أسد ، فلا يسمى استعارة (١) لأنه إنما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة ، إذا جرى على ما يدعى أنه مستعار ، له إما باستعماله فيه أو بإثبات معناه له ، والإسم في مثل هذا غير جار على المشبه بوجه ، ولأنه يجيء على هذه الطريقة مالا يتصور فيه التشبيه ، فيظن أنه استعارة كقوله تعالى : لهم فيها دار الخلد . إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد إذ هي نفسها دار الخلد وكقول الشاعر :

يَا خَيْرَ مَنْ يَرَى كَبُ الْمَطِيِّ وَلَا يَشْرَبُ كَأَسًا بِكَفٍّ مَنْ بِمَخْلَا

فإنه لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى أنه ليس ببخيل . ولا يسمى تشبيهاً أيضاً لأن المشبه به لم يجتاب فيه لإثبات التشبيه كما سبق : وقد عد هذا صاحب المفتاح تشبيهاً .

(الحقيقة والمجاز) الحقيقة إما فاعيل بمعنى مفعول من قولك حققت الشيء إذ أثبتته أو فاعيل بمعنى فاعل من قولك حق الشيء يحق إذا ثبت ، أي المثبتة أو الثابتة في موضوعها الأصلي ، والمجاز مفعول من جاز المكان يجوزه إذا تعداه ، وإذا عدل باللنظ عما يوجبها أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً (وقد يقيدان باللغويين) لتمييزا عن الحقيقة والمجاز العقائين والأكثر ترك هذا التقييد لئلا يتوهم خروج الشرعي والعرفي

(١) سيأتي أن هذا النوع يسمى مجردياً .

لَهُ فِي اصْطِلَاحِ التَّخَاطُبِ ، وَالْوَضْعُ تَعْيِينُ اللَّفْظِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى بِنَفْسِهِ ،
فَخَرَجَ الْمَجَازُ ، لِأَنَّ دَلَالَتَهُ بِقَرِينَةٍ ، دُونَ الْمَشْتَرَكِ ، وَالْقَوْلُ بِدَلَالَةِ اللَّفْظِ
لِذَاتِهِ ظَاهِرُهُ فَاسِدٌ ، وَقَدْ تَأَوَّلَهُ السَّكَاكِيُّ . وَالْمَجَازُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ

(في اصطلاح التخاطب) احترزوا بذلك عن المجاز الذي استعمل فيما وضع
له لا في اصطلاح به التخاطب كلفظ الصلاة يستعمله المخاطب بعرف الشرع
في الدعاء مجازاً (لأن دلالاته بقريئة) وحينئذ لا يسمى التعيين فيه وضعاً
(دون المشترك) وهو ما وضع معيين أو أكثر وضعاً متعدداً ، وإنما لم
يخرج عن الحد لأنه قد عين الدلالة على كل من المعنيين بنفسه ، وعدم الدلالة
على أحد المعنيين بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافي ذلك ، فالقرء مثلاً عين
مرة ليدل بالاستقلال على الطهر . ومرة أخرى ليدل كذلك على الحيض ، فإذا
استعمل في أحدهما واحتيج إلى القريئة المعينة للبراد لم يضر ذلك في كونه
حقيقة (والقول الخ) رأى عباد بن سليمان الصيمري أن دلالة الألفاظ على
معانيها لا تحتاج إلى الوضع بل بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية تقتضي دلالة
كل لفظ على معناه لذاته ، فذهب المصنف وكثير من العلماء إلى فساد
هذا الرأي لاقتضائه أن يمنع نقله إلى المجاز ، وجعله علماً ووضعاً للمتضادين ،
كالجون للأسود والأبيض ، والناهل للعطشان والريان ، فإن ما بالذات لا
يزول بالغير ، ولاختلاف اللغات باختلاف الأمم . أما السكاكي فإنه تأول
هذا القول وقال إنه تذييه على ما عليه أئمة علم الاشتقاق والتصريف من أن
للحروف في أنفسها خواص بها تختلف ، كالجر والهمس والشدة والرخاوة
والتوسط بينهما وغير ذلك ، مستدعية أن العالم بها إذا أخذ في تعيين شيء منها
لمعنى لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة ، كالقصر بالفاء الذي هو

أما المفرد فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح
التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته ، فلا بد من العلاقة
ليخرج الغلط والكناية ، وكل منهما لغوي شرعي وعرفي خاص

حرف رخو لكسر الشيء من غير أن يبين ، والقسم بالقاف الذي هو حرف
شديد لكسر الشيء حتى يبين ، وكالثم بالميم الذي هو حرف خفيف للخلل في
الجداز ، والثلب بالباء الذي هو حرف شديد للخلل في العرض ، وكالزفير
بالفاء لصوت الحمار ، والزئير بالهمز الذي هو شديد لصوت الأسد وماشاكل
ذلك ، وأن للتركيبات كالفعلان والفعلي بالتحريك كالنزوان والحيدى وفعل
مثل شرف وغير ذلك خواص أيضاً فيلزم فيها ما يلزم في الحروف ، وفي ذلك
نوع تأثير لا نفس الكلام في اختصاصها بالمعاني . . وبعد ، فهذا التأويل
خلاف المصحح نقله عن عباد ، فإن المنقول عنه أن المناسبة كافية في دلالة
اللفظ على المعنى فلا يحتاج إلى الوضع ، يدرك ذلك من خصه الله تعالى به كما
في القافة ويعرفه غيره منه . وهذا كما ترى بعيد عن تأويل السكاكي (في
اصطلاح التخاطب) زاد هذا القيد ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله
المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فإنه وإن كان مستعملاً فيما وضع له
في الجملة فليس يستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به وقع التخاطب
(فلا بد من العلاقة) ليتحقق الاستعمال على وجه يصح (ليخرج الغلط
والكناية) يقول إن قولنا على وجه يصح ليخرج الغلط كما تقول : خذ
هذا الفرس ، مشيراً إلى كتاب ، وقولنا مع قرينة عدم إرادته لتخرج الكناية
لأنها مستعملة في غير ما وضع له مع جواز إرادة ما وضع له (وكل منهما
لغوي) أما الحقيقة فلأن واضعها إن كان واضع اللغة فلغوية ، وإن كان

أَوْعَامٌ ، كَأَسَدٍ لِلسَّبْعِ وَالرَّجُلِ الشَّجَاعِ ، وَصَلَاةٍ لِلْعِبَادَةِ الْمُخْصُوصَةِ
وَالدُّعَاءِ ، وَفِعْلٍ لِلْفِطْرِ وَالْحَدِيثِ ، وَدَابَّةٍ لِذِي الْأَرْبَعِ وَالْإِنْسَانِ ، وَالْمَجَّازُ
مُرْسَلٌ ، إِنْ كَانَتْ الْعَلَاقَةُ غَيْرَ الْمَشَابَهَةِ وَإِلَّا فَاسْتِعَارَةٌ ، وَكَثِيرًا مَا تُطْلَقُ

الشارع فشرعية وإلا فعرفية ، والعرفية إن تبين صاحبها نسبت إليه كقولنا
فهمية ونحوية وإلا بقيت مطابقة ، وأما المجاز فلأن الاصطلاح الذي به وقع
التخاطب وكان اللفظ مستعملا في غير ما وضع له في ذلك الاصطلاح إن كان
هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوي وإن كان اصطلاح الشرع فشرعي وإلا فعرفي
عام أو خاص : الحقيقة اللغوية كأسد إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في
السبع المخصوص ، أما في الرجل الشجاع فمجاز لغوي والحقيقة الشرعية كصلاة
إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع في العبادة المخصوصة . أما في الدعاء فمجاز
شرعي ، والحقيقة العرفية الخاصة كفعل إذا استعمله المخاطب بعرف النحو في
الكلمة المخصوصة ، أما في الحديث فمجاز عرفي خاص ، والعرفية العامة كدابة
إذا استعملها المخاطب بالعرف العام في ذي الأربع . أما في الإنسان فمجاز
عرفي عام (مرسل) سموه كذلك لإرساله . عن التقييد بعلاقة المشابهة
(وإلا فاستعارة) فالاستعارة على هذا هي اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه
الأصلي لعلاقة المشابهة كظلمية في قولك : عنت لنا ظبية ، وأنت تريد امرأة .
وكثيراً ما تطلق على فعل المتكلم أي استعمال اسم المشبه به في المشبه ، وحينئذ
تكون بمعنى المصدر ويصح منه الاشتقاق فيسمى المشبه به مستعاراً منه والمشبه
مستعاراً له ، واللفظ مستعاراً . ثم قال المصنف : والمرسل هو ما كانت
العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسه غير التشبيه كاليد إذا استعملت
في النعمة لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها

الإِشْتِعَارَةُ عَلَى اسْتِعْمَالِ اسْمِ الْمَشْبَهِ بِهِ فِي الْمَشْبَهِ ، فِيمَا مُسْتَعَارٌ مِنْهُ
وَمُسْتَعَارٌ لَهُ وَاللَّغْظُ مُسْتَعَارٌ ، وَالْمُرْسَلُ كَالْيَدِ فِي النُّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالرَّأْيَةِ

قال الإمام عبد القاهر : ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى مصدر تلك
النعمة وإلى المولى لها . فلا يقال اتسعت اليد في البلد أو اقتنيت يداً ، كما يقال
اتسعت النعمة في البلد أو اقتنيت نعمة ، وإنما يقال جلت يده عندي وكثرت
أياديه لدى ونحو ذلك ، ونظير هذا قولهم في صفة راعي الإبل إن له عليها
أصبعاً أرادوا أن يقولوا له عليها أثر حذق فدلوا عليه بالأصبع ، لأنه ما من
حذق في عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تصريف الأصابع ، واللفظ في
وفيهما ووضعهما كما في الخط والنقش ، وعلى ذلك قيل في تفسير قوله تعالى : بلى
قادرين على أن نسوي بنانه ، أي نجعلها نخف البعير فلا يتمكن من الأعمال
اللطيفة فأرادوا بالأصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حذق في الصنعة
لا مطلقاً ، حتى يقال رأيت أصابع الدار ، وله أصبع حسنة وأصبع قبيحة ، على
معنى أثر حسن وأثر قبيح ونحو ذلك ، وينظر إلى هذا قولهم : ضربته سوطاً
لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط ، فجعلوا أثر السوط سوطاً
وتفسيرهم له بقوله المعنى ضربته بالسوط بيان لما كان الكلام عليه في
أصله (والقدرة) أي وكاليد في القدرة ، لأن أكثر ما يظهر سلطان القدرة في
اليد وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدفع والوضع والرفع
إلى سائر الأفعال التي تنبئ عن وجوه القدرة ومكانها : وقد تكون اليد
للقدرة على سبيل التمثيل كما في قوله تعالى : والسماوات مناهيات بيمينه .
فليس ذلك من باب المجاز المرسل كما ظنه بعضهم ، ولذلك قال الزمخشري رحمه
الله : إن الغرض من الآية إذا أخذ بجملة ومجموعه هو تصوير عظمته تعالى

فِي الْمَزَادَةِ ، وَمِنْهُ تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ جُزْئِهِ ، كَالْعَيْنِ فِي الرَّبِيئَةِ ، وَعَكْسُهُ

والتوقيف على كنهه جلاله لا غير ، من غير ذهاب بالقبضة ، ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز (١) ، فإن السامع لذلك إذا كان له فهم يقنع على الزبدة والمخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة ، وأن الأفعال العظيمة التي تتحير فيها الأذهان هيئة عليه هو أن لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا بإجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخيل . قال : ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا أطف من هذا الباب ، ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله ، فإن أكثره وعليته تخيلات قد زلت فيها الأقدام ، وما أتى من زل إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقيب ، حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدروه . حق قدره لما خفي عنهم أن العلوم كلها مفتقرة لإياه وقيامه عليه ، إذ لا يحل عقدة من عقدها المؤربة ، ولا يفك قيودها المكربة ، إلا هو ، وم من آية أو حديث قد ضميم وسيم الخسف بالتأويلات البعيدة والوجوه الرثة ، لأن من تناول ليس من هذا العلم في غير ولا نفير ، ولا يعرف قبيلاً منه من دبير ، هذا وأما اليد في قوله عليه السلام : المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم . فمن باب التشبيه أي هم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة ، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضاً وأن تختلف بها الجهة في التصرف ، كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم على الشركين ، لأن كلمة التوحيد جامعة لهم (وكأروية في المزايدة) الراوية : البعير الذي يستقي عليه ، والمزايدة : سقاء الماء ، فاستعمال الأول في الثاني ضرب من المجاز المرسل للعلاقة الموجودة بين البعير ، والمزايدة بسبب جملة إياها . ومثل ذلك إطلاق الخفض متاع البيت على البعير الذي يحمله (كالعين في الربئة)

(١) يعني المجاز المرسل .

كأَصَابِعِ فِي الْأَنْمَالِ ، وَتَسْمِيَّتُهُ بِاسْمِ سَبَبِهِ ، نَحْوُ : رَعَيْنَا الْغَيْثَ ، أَوْ
مُسَبَّبِهِ ، نَحْوُ : أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا ، أَوْ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، نَحْوُ : وَآتَوْنَا الْيَتَامَى
أَمْوَالَهُمْ ، أَوْ مَا يُؤَلُّ إِلَيْهِ ، نَحْوُ : إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ، أَوْ تَحْمَلُ نَحْوُ :
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، أَوْ حَمَلَهُ نَحْوُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِمَا رَحْمَةِ اللَّهِ ،

الربیثة النسخ یطلع علی عورات العدو فی مکان عال ، فإطلاق العین علیه ،
لأن العین هی المقصود فی کون الرجل ربیثة ، إذ ما عداها لا یغنی شیئاً مع
فقدما ، فصارت كأنها النسخ کله فلا بد فی الجزء المطلق علی الكل من أن
یکون له مزيد اختصاص بالمعنی الذی قصد بالکل ، مثلاً لا یجوز إطلاق الید
أو الأصبع علی الربیثة وإن کان کل منهما جزءاً منه . ونظیر إطلاق العین علی
الربیثة إطلاق الرقبة علی الإنسان فی نحو قوله تعالی : فتحریر رقبة (وعکسه)
یعنی تسمية الشیء باسم کله (كأصابع فی الأنامل) فی قوله تعالی : يجعلون
أصابعهم فی آذانهم من الصواعق . والآلة بجزء من الأصبع ، والغرض منه
المبالغة كأنه جعل جمیع الأصبع فی الأذن لئلا یسمع شیء من الصاعقة (نحو
رعینا الغیث) أي النبات الذی سببه الغیث (نحو وآتوا الیتامی أموالهم)
أي الذین كانوا یتامی ، إذ لا یتم بعد اللوغ (فایدع نادیه) أي أهل نادیه
(والاستعارة) وهی كما علمت ما كانت علاقته المشابهة ، أي قصد أن الإطلاق
بسبب المشابهة ، فإذا أطلق نحو المشفر علی شفة الإنسان ، فإن أريد تشبیهاً
بمشفر الإبل فی الغافل فهو استعارة كما قال الفرزدق :

فَلَوْ كُنْتُ ضَبِيًّا عَرَفْتُ قَرَابَتِي وَلَكِنْ زَنْجِيٌّ غَلِيظُ الْمَشَافِرِ

أي ولكنك زنجی ، كأنه بعیر لا یتدی لشرفی ، وكذا قول الخطیبة
مخاطب الزبرقان :

أَيْ فِي، الْجَنَّةِ أَوْ آتِيهِ نَحْوُ: وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ. أَيْ ذِكْرًا

قَرَّوَا جَارَكَ الْعِيَانَ لَمَّا جَفَوْتَهُ وَقَلَّصَ عَن بَرِّ الشَّرَابِ مَشَافِرُهُ (١)

فإنه وإن عني نفسه بالجار جاز أن يقصد إلى وصف نفسه بنوع من سوء الحال ليزيد في التمسك بالبرقان ، ويؤكد ما قصده من رمية بإضاعة الضيف وإسلامه للضر والبؤس . وإن أريد أنه من إطلاق المقيد على المطلق ، فهو مجاز مرسل كإطلاق المرسل على الأنف في قول العجاج : وفاخماً ومرسناً مسرجاً . . . واعلم ، أن صميم هذا العلم في الحقيقة هو هذا الضرب من البيان ، أغنى الاستعارة التي تتضمن التشبيه ، فهي أمد ميداناً وأشد اقتناناً وأعجب حسناً وإحساناً ، وأوسع سعة وأبعد غوراً ، وأذهب نجداً في الصناعة وعوراً من أن تجمع شعبيها وشعريها ، وتخصر فنونها وضروبها ، نعم وأسحر سحرها وأملأ بكل ما يملأ صدرها ، وأهدى إلى أن تهدي إليك عذارى قد تخير لها الجمال ، وعنى بها الكمال ، وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدت في الشرف والفضيلة باعاً لا يقصر ، وأبدت من الأوصاف الجائلة محاسن لا تنكر ، وأن تثير من معدنها تبراً لم تر مثله ، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلي وتريك الحلي الحقيقي ، وأن تأنيك على الجملة بعقائل يأنس لها الدين والدينا ، وشرائع لها من الشرف الرتبة العليا ، وهي أجل من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها ، وتستوفي جملة حالها ، ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدأ في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا ، وتوجب له بعد الفضل فضلاً ، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد ، حتى تراها مكررة في مواضع ، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف مفرد وفضيلة مرموقة

(١) العيان : العطشان إلى اللبن أشد العطش ، ومشافره : فاعل قلص .

حَسَنًا ، وَالِاسْتِعَارَةُ قَدْ تَقَيَّدُ بِالتَّحْقِيقِيَّةِ لِتَحَقُّقِ مَعْنَاهَا حِسًا أَوْ عَقْلًا ، كَقَوْلِهِ :

وخلابة موموقة . ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها ، أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدقة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنى من الفصن الواحد أنواعاً من الثمر ، وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة ، ومعهما يستحق وصف البراعة ، وجدتها تفتقر إلى أن تعبرها حلاها . وتقتصر عن أن تنازعها مداها ، وصادفتها نجوماً هي بدرها ، وروضاً هي زهرها ، وعرائس مالم تعرها حلبيها فهي عواطل ، وكواعب مالم تحسنها فليس لها في الحسن حظ كامل ، فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جليلة ، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها ، ولا رونق لها مالم تزنها ، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة مالم تكنها إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون ، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لاتنالها إلا الظنون . « وبعد ، فقد يدور بخلدك أن في وسع الناس جميعاً أن يجيدوا في هذا الباب ويأتوا فيه بالإبداع والإحسان ، وهو وربك أكبر من أن يظن به مثل هذا الظن ، ولقد كتبنا فيه وقال الله كثير من فرسان البلاغة وأئمة البيان ، إنهم أبو نواس حيث يقول :

رَسَمُ الْكَرَى بَيْنَ الْجُفُونِ مَحْمِلُ عَنِّي عَلَيْهِ بُكَاءُ عَلَيْكَ طَوِيلُ

سئل مسلم بن الوليد عن هذا البيت ، فقال إن كان قول أبي العذافر :

* يَا ضَ الْهُوَى فِي فُؤَادِي وَفَرَّخَ التَّدْكَارُ *

حسناً كان هذا حسناً .

ومنهم أبو تمام حيث يقول :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْدَعِيكَ فَقَدْ أَخْبَجْتَ هَذَا الْأَنَامِ مِنْ خُرْقِكَ (١)

واقعد أسرف أبو تمام في هذا فنهى عليه وأطلق لسان عائبه ، وأكد له الحجية على نفسه ، فمن ذلك قوله :

وَكَمْ أَحْرَزَتْ مِنْكُمْ عَلَى قُبْحِ قَدِّهَا ضُرُوفُ الرَّدَى مِنْ مُرْهَفِ حَسَنِ الْقَدِّ
وقوله يرثي غلاماً :

أَنْزَلَتْهُ الْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ إِبْتَاتِ رِجْلِهِ فِي الرَّكَّابِ

ولا وجه لاستيعاب ذلك ، لأن قليله دال على كثيره ، ولكن النظر إلى قول الحماسي :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَيْسَ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا
أو قول مسلم :

تَجْرِي الرِّيَاحُ بِهَا حَسْرَى مُوَاهِبَةً حَيْرَى تَلُودُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ
أو قول أبي العتاهية :

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِمْ تَجْرُرُ أَذْيَالَهَا

أو قول الحجاج من خطبة له : إن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه ، فمجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً وأصلها بكسراً ، فرماكم بي لأنكم طالمنا أوضعتم في المنة ، واضطجعتم في مراقد الضلال . فأنت إذا نظرت إلى مثل

(١) الخرق بالضم : العنف ، وكذلك الحق والجهل ، وضم الراء للشعر ،

ويريدون بتقويم الأخدعين : وهما عرقان في صفحتي العنق (كاليتين) لإزالة الكبر والعنف ، لأنهم يقولون في المتكبر العاني : شديد الأخدعين .

* لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدَّفٍ * أَيْ رَجُلٍ شَجَاجٍ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

هذا كلام وجدت هناك استعارة قد أصابت المحز وطبقت المفصل ، فإن أدركت من نفسك تلك المنة وإلا أطلقت عليك لسان العائنين (قد تقييد بالتحقيقية) وبهذا التقييد تتميز عن التخيلية ، والمسمى عنها . قال وإنما تسمى محقيقية لتحقق معناها ، أي ما عني بها واستعمات هي فيه حسياً أو ذقلاً بأن يكون ذلك المعنى أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ، ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية ، فيقال إن اللفظ قد نقل عن مسماه الأصلي لجعل اسماً لهذا المعنى ، على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه . أما الحسى فمكقول زهير بن أبي سلمى :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدَّفٍ لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ أَمْ تَقَلِّمُ (١)

أي لدى رجل شجاع ، ومن لطيف ذلك ما يقع التشبيه فيه في الحركات ، كقول أبي دلالة يصف بغلته :

أَرَى الشَّهْبَاءَ تَعَجُّنُ إِذْ غَدَوْنَا بِرِجْلَيْهَا وَتَحْبِزُ بِالْيَدَيْنِ

شبه حركة رجاها حيث لم تثبتا على موضع تعتمد بهما عليه ، وهوتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدي العاجن ، فإنهما لا تثبتان في موضع بل تزلان إلى قدام لرخاوة العجين ، وشبه حركة يديها بحركة يدي الخابز ، فإنه يثنى يده نحو بطنه ويحدث فيها ضرباً من التقويس ، كما تجد في يد الدابة إذا اضطربت

(١) شاكي السلاح وشائك السلاح وشاك السلاح : أي تام السلاح كله من الشوك ، وهي العدة والقوة . مقذف : أي يقذف به كثيراً إلى الوقائع ، واللبد جمع لبدة : وهي ما تلبد من شعر الأسد على منكبيه .

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، أَي الدِّينَ الْحَقَّ ؛ وَدَلِيلُ أَنَّهَا بَجَازٌ لِعَوِيٍّ كَوْنُهَا

فِي سِيرِهَا وَلَمْ تَقْوِ عَلَى ضَبْطِ يَدَيْهَا ، وَأَنْ تَرْمِيَ بِهَا إِلَى قَدَامٍ وَأَنْ تَشُدَّ اعْتِمَادَهَا حَتَّى تَثْبُتَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تَقَعُ عَلَيْهِ ، فَلَا تَزُولُ عَنْهُ وَلَا تَنْثَنِي ، وَأَمَّا الْعَقْلِيُّ فَكَقَوْلُهُ تَعَالَى : أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، أَي الدِّينَ الْحَقَّ (وَدَلِيلُ أَنَّهَا بَجَازٌ لِعَوِيٍّ) اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ فِي الِاسْتِعَارَةِ هَلْ هِيَ بَجَازٌ لِعَوِيٍّ أَوْ عَقْلِيٍّ ، فَذَهَبَ الْكَثِيرُ إِلَى أَنَّهَا بَجَازٌ لِعَوِيٍّ نَظَرًا إِلَى اسْتِعْمَالِ الْأَسَدِ فِي غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ ، فَإِنَّا وَإِنِ ادْعَيْنَا لِلشَّجَاعَةِ الْأَسَدِيَّةِ ، فَلَا نَتَجَاوَزُ فِي هَذِهِ الدَّعْوَى حَدِيثَ الشَّجَاعَةِ حَتَّى نَدْعِيَ لِلرَّجُلِ صُورَةَ الْأَسَدِ وَهَيْئَتَهُ وَعِبَالَةَ عُنُقِهِ وَمَخَالِبَهُ وَسَائِرَ أَوْصَافِهِ الظَّاهِرَةِ الْبَادِيَةِ لِلْعَيُونِ ، وَإِنَّ كَانَتِ الشَّجَاعَةُ مِنْ أَخْصِ أَوْصَافِ الْأَسَدِ وَأَمَكْنَهَا ، فَإِنَّ اللُّغَةَ لَمْ تَضَعْ الْأَسْمَ لَهَا وَحْدَهَا ، بَلْ لَهَا فِي مِثْلِ تِلْكَ الْجِئَةِ ، وَهَاتِيكَ الصُّورَةَ وَالْهَيْئَةَ وَتِلْكَ الْأَنْبِيَابَ وَالْمَخَالِبَ إِلَى سَائِرِ مَا يَعْلَمُ مِنَ الصُّورِ الْخَاصَةِ فِي جَوَارِحِهَا كُلِّهَا ، وَلَوْ كَانَتْ وَضَعَتْهُ لِتِلْكَ الشَّجَاعَةِ الَّتِي تَعْرِفُهَا وَحْدَهَا لَسَكَنَ صِفَةَ لَا إِسْمًا وَلَسَكَنَ كُلَّ شَيْءٍ يَفْضِي فِي شِبَاعَتِهِ إِلَى ذَلِكَ الْحَدِّ ، مُسْتَحَقًّا لِلْأَسْمِ اسْتِحْقَاقًا حَقِيقِيًّا لِأَعْلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ وَالتَّأْوِيلِ ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهَا بَجَازٌ عَقْلِيٌّ بِمَعْنَى أَنْ التَّصَرُّفَ فِي أَمْرِ عَقْلِيٍّ لَا لِعَوِيٍّ ، لِأَنَّهَا لَا تَطَاقُ عَلَى الْمَشْبَهَةِ إِلَّا بَعْدَ ادْعَاءِ دُخُولِهِ فِي جِنْسِ الْمَشْبَهَةِ بِهِ ، لِأَنَّ نَهْلَ الْأَسْمِ وَحِيدَهُ لَوْ كَانَ اسْتِعَارَةَ اسْكَاثٍ الْأَعْلَامِ الْمُنْقُولَةِ كَبَزِيدٍ وَيَشْكُرَ اسْتِعَارَةَ ، وَلَمَّا كَانَتِ الِاسْتِعَارَةُ أَبْلَغَ مِنَ الْحَقِيقَةِ لِأَنَّهُ لَا بِلَاغَةَ فِي إِطْلَاقِ الْأَسْمِ الْمَجْرُودِ عَارِيًّا عَنْ مَعْنَاهُ ، وَلَمَّا صَحَّ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ قَالَ رَأَيْتَ أَسَدًا يَعْنِي زَيْدًا أَنَّهُ جَعَلَهُ أَسَدًا ، كَمَا لَا يُقَالَ لِمَنْ سَمِيَ وَلَدَهُ أَسَدًا أَنَّهُ جَعَلَهُ أَسَدًا ، لِأَنَّ جَعْلَ إِذَا تَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ كَانَ بِمَعْنَى صَيْرٍ ، فَأَفَادَ إِثْبَاتِ صِفَةِ لِلشَّيْءِ ، فَلَا تَقُولُ جَعَلْتَهُ أَمِيرًا إِلَّا عَلَى مَعْنَى أَنَّكَ أَثْبَتَ لَهُ صِفَةَ الْإِمَارَةِ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانًا ، الْمَعْنَى أَنَّهُمْ أَثْبَتُوا

مَوْضُوعَةٌ لِلْمُشَبَّهِ وَلَا لِلْأَعْمِّ مِنْهُمَا ، وَقِيلَ إِنَّهَا مَجَازٌ عَقْلِيٌّ ، بِمَعْنَى أَنَّ
التَّصَرُّفَ فِي أَمْرِ عَقْلِيٍّ لَا لَفَوِيٍّ ، لِأَنَّهَا لَمَّا لَمْ تُطْلَقْ عَلَى الْمَشَبَّهِ إِلَّا بَعْدَ
ادِّعَاءِ دُخُولِهِ فِي جِنْسِ الْمَشَبَّهِ بِهِ كَانَ اسْتِعْمَالُهَا فِيهَا وَضِعَتْ لَهُ ، وَهَذَا صَحَّ
التَّعَجُّبُ فِي قَوْلِهِ :

قَامَتْ تَظَلَّلَانِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تَظَلَّلَانِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تَظَلَّلَانِي مِنَ الشَّمْسِ

لِلْمَلَائِكَةِ صِفَةُ الْأَنْوَانَةِ وَاعْتَقَدُوا وَجُودَهَا فِيهِمْ ، وَعَنْ هَذَا الْاِعْتِقَادِ صَدَرَ
عَنْهُمْ إِطْلَاقُ اسْمِ الْإِنَاثِ عَلَيْهِمْ ، لَا أَنَّهُمْ أَطْلَقُوا مِنْ غَيْرِ اِعْتِقَادِ ثَبُوتِ مَعْنَاهُ
لَهُمْ بَدَلِيلٌ قَوْلُهُ : أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ ، وَإِذَا كَانَ نَقْلُ الْاسْمِ تَبَعًا لِنَقْلِ الْمَعْنَى كَانَ
الْاسْمُ مُسْتَعْمَلًا فِيهَا وَضِعَ لَهُ ، وَقَالُوا ، لِذَلِكَ صَحَّ التَّعَجُّبُ فِي قَوْلِ ابْنِ الْعَمِيدِ :

قَامَتْ تَظَلَّلَانِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تَظَلَّلَانِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تَظَلَّلَانِي مِنَ الشَّمْسِ

وَالنَّهْيُ عَنِ التَّعَجُّبِ فِي قَوْلِ ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ طَبَاطِبَا :

يَا مَنْ حَبَسِي الْمَاءَ فَرَطُ رِقْنِهِ وَقَلْبُهُ مِنْ قَسَاوَةِ الْحَجَرِ
يَا أَيَّتَ حَظِّي كَحَظِّ ثَوْبِكَ مِنْ جِسْمِكَ يَا وَاحِدًا مِنَ الْبَشَرِ
لَا تَعْجَبُوا مِنْ بَلِي غِلَاظِهِ قَدْ زَرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ (١)

وقول الآخر :

تَرَى الثُّيَابَ مِنَ الْمَكْتَانِ يَلْمَحُهَا نُورًا مِنَ الْبَدْرِ أَحْيَانًا فَيُبْلِيهَا

(١) البلي من بلى الثوب : خلق ، والغلالة : شعار يابس تحت الثوب وتحت الدرع .

وَالنَّهْيُ عَنَّهُ فِي قَوْلِهِ :

لَا تَعْجَبُوا مِنِّي بِغِيَابَتِي قَدْ زَرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ
وَرُدَّ بِأَنَّ الْإِدْعَاءَ لَا يَقْتَضِي كَوْنَهَا مُسْتَعْمَلَةً فِيمَا وُضِعَتْ لَهُ ، وَأَمَّا

فَكَيْفَ تُنْكِرُ أَنْ تَبْلَى مَعَاجِرُهَا وَالْبَدْرُ فِي كُلِّ وَقْتٍ طَالِعٌ فِيهَا (١)

فلولا أن ابن العميد ادعى لغلومه معنى الشمس الحقيقي لما كان لهذا التعجب معنى ، فليس ببدع ولا منكرا أن يظلل إنسان حسن الوجه إنساناً ويقبه وهجاً بشخصه ، ولولا أن أبا الحسن جعل صاحبه قرأ حقيقياً لما كان للنهي عن التعجب معنى ، لأن السكتان إنما يسرع إليه البلي حين يلبس القمر الحقيقي لا إنساناً بلغ في الحسن غاية ، وكذلك القول في شعر ثالث الشعراء . أجاب الفريق الأول عن هذا بأن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرج عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له ، وأما التعجب والنهي عنه فيما ذكر فإبناء الاستعارة على تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة ، فإن قيل إصرار المتكلم على ادعاء الأسدية للرجل ينافي نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ، فإننا نقول لا منافاة هناك . قال صاحب المفتاح : وجه التوفيق وهو أن تبني دعوى الأسدية للرجل ينافي نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ، فإننا نقول الذي له غاية جراءة المقدم ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة ، وغير متعارف وهو الذي له تلك الجراءة وتلك القوة لامع تلك الصورة ، بل مع صورة أخرى على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادعاء في عد نفسه وجماعته من جنس الجن وعد جماله من جنس الطير حين قال :

(١) المعاجر جمع معجر ، كمنبر : ثوب نعتجر به المرأة ، أي تشده على رأسها .

التَّعَجُّبُ وَالذَّهْيُ عَنْهُ فَلِإِبْنَاءِ عَلَى تَنَاسِيِ التَّشْبِيهِ ، قَضَاءِ لِحَقِّ الْمُبَالَغَةِ .
وَالِإِسْتِعَارَةِ تَفَارِقِ الْكُذْبِ بِالْبِنَاءِ عَلَى التَّأْوِيلِ وَنَصْبِ الْقَرِينَةِ عَلَى
إِرَادَةِ خِلَافِ الظَّاهِرِ ، وَلَا تَكُونُ عَلَمًا ، لِإِنْفَاتِهِ الْجِنْسِيَّةِ ، إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ

نَحْنُ نَوْمٌ مِلْجِنٌ فِي زِيِّ نَابِنٍ . فَوْقَ طَائِرٍ لَهَا سُخُوصُ الْجَمَالِ
مستشهداً لدعواك هاتيك بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة من نحو
حكهم إذا رأوا أسداً هرب عن ذئب إنه ليس بأسد ، وإذا رأوا إنساناً ،
لا يقاومه أحد أنه ليس بإنسان وإنما هو أسد أو هو أسد في صورة إنسان ،
وأن تخصص القرينة بنفسها المتعارف الذي يسبق إلى الفهم ليتعين ما أنت
تستعمل الأسد فيه ومن البناء على هذا التثويب قوله :

* تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ * (١)

وقولهم : عتابك السيف . وقوله عز وجل : يوم لا ينفع مال ولا بنون
إلا من أتى الله بقلب سليم ، ومنه قوله :

وَبَلَدَةٍ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسٌ إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَالْأَلَيْسُ (٢)

(بالبناء على التأويل) في دعوى دخول المشبه في جنس المشبه به يجعل
أفراد المشبه به قسمين كما مر ، والكاذب يتبرأ من التأويل (ونصب القرينة
على إرادة خلاف الظاهر) والكاذب لا ينصب دليلاً على خلاف زعمه
وأنى ينصب وهو لترويج ما يقول راكب كل صعب وذلول (ولا تكون
علماً) لأنها تعتمد إدخال المشبه في جنس المشبه به يجعل أفراده قسمين كما

(١) صدره هـ وخيل قد دلفت لها بخيل هـ والبيت لعمر بن معد يكرب .

(٢) اليعفور : ولد البقرة الوحشية ، والعيس : الإبل البيضاء .

نَوْعٍ وَصَفِيَّةٍ كَحَاتِمٍ ، وَقَرِيذَتُهَا إِمَّا أَمْرٌ وَاحِدٌ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ : رَأَيْتُ أَسَدًا
يَرْمِي ، أَوْ أَكْثَرَ ، كَقَوْلِهِ :

فَإِنْ تَعَاَفَوْا الْعَدْلَ وَالْإِيمَانَ فَإِنَّ فِي إِيْمَانِنَا نِيرَانًا
أَوْ مَعَانَ مُلْتَثِمَةً ، كَقَوْلِهِ :

سبق ، وذلك غير ممكن في العلم لمنافاته الجنسية ، لأنه يقتضى التشخص ومنع
الاشتراك ، والجنسية تقتضى العموم وتناول الأفراد ، واستدل في الإيضاح
على أنها لا تكون علماً بأن العلم لا يدل إلا على تعين شيء من غير إشعار بأنه
إنسان أو فرس أو غيرهما ، فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا في مجرد التعيين
ونحوه من العوارض العامة التي لا يكفي شيء منها جامعاً في الاستعارة (إلا إذا
تضمن نوع وصفية) بسبب اشتهاؤه بوصف من الأوصاف كحاتم ، فإنه
يتضمن الاتصاف بالجود ، وحينئذ يجوز أن يشبه شخص بحاتم في الجود
ويتناول في حاتم فيجعل كأنه موضوع للجود ، سواء كان ذلك الرجل المعهود
من طي أو غيره ، كما جعل أسد كأنه موضوع للشجاع ، سواء كان متعارفاً أو
غيره ، فهذا التأويل يكون حاتم متناولاً للفرد المتعارف المعهود والفرد الغير
المتعارف وهو من يتصف بالجود ، لكن استعماله في غير المتعارف يكون
استعمالاً في غير الموضوع له فيكون استعارة نحو رأيت اليوم حاتماً (كقوله
فإن تعافوا) فتعاقى قوله تعافوا بكل من العدل والإيمان قرينة على أن المراد
بالنيران آلة الحرب التي تشبهها في الزمان ، لدلالته على أن جوابه أنهم يحاربون
ويقسرون على الطاعة بالسيف (أو معان ملتثمة) أي مربوط بعضها ببعض
يريد أن تكون القرينة أمراً مركباً (كقوله) أي البحترى : فانظر ماذا
صنع حين أراد استعارة السحاب لأنامل يمين المدوح تفریباً على ما جرت

وَصَاعِقَةٌ مِنْ نَصْلِهِ تَنَكَّفِي بِهَا ۖ عَلَى أَرْوُسِ الْأَقْرَانِ خَمْسُ سَجَائِبَ
وَهِيَ بِاعْتِبَارِ الطَّرَفَيْنِ قِسْمَانِ ، لِأَنَّ اجْتِمَاعَهُمَا فِي شَيْءٍ ، إِذَا تَمَكَّنَ
نَحْوُ أَحْيِينَاهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، أَيْ ضَالًّا فَيَهْدِينَاهُ
وَلتَسْمُ وَفَاقِيَّةً ، وَإِذَا تَمْتَنَعَ ، كاستِعَارَةِ اسْمِ الْمَعْدُومِ لِلْمَوْجُودِ ، لِعَدَمِ

به العادة من تشبيهه الجواد بالبحر الفياض تارة ، وبالسحاب الهطلال أخرى ،
ذكر أن هناك صاعقة ، ثم قال من نصله فبين أن تلك الصاعقة من نصل سيفه
ثم قال على أروس الأقران ، ثم قال خمس ، فذكر العدد الذي هو عدد جميع
أنامل اليد فجعل ذلك كله قرينة لما أراد من استعارة السجائب للأنامل ، وتنكفي
من انكها : أي انقلب (نحو أحييناه) والإحياء والهداية لاشك في جواز
اجتماعهما في شيء ، وإنما قال نحو أحييناه . لأن الطرفين في استعارة الميت
للضال بما لم يمكن اجتماعهما في شيء إذ الميت لا يوصف بالضلال (وفاقية)
لما بين الطرفين من الوفاق (وإما بمتنع) والمراد به ما كان وضع التشبيه فيه
على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة لخلوها بما هو ثمرتها والمقصود
بها وما إذا خلت منه لم تستحق الشرف (كاستعارة اسم المعدوم للوجود
لعدم غنائه) أي لا تنفاه نفعه كما في المعدوم ، وكذلك استعارة اسم الموجود
للمعدوم إذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه فيكون مشاركاً
للوجود في ذلك أو اسم الميت للحي الجاهل لأنه عدم فائدة الحياة ، والمقصود
بها أعنى العلم فيكون مشاركاً للميت في ذلك ، ولذلك جعل النوم موتاً لأن
النائم لا يشعر بما يحضرته كما لا يشعر الميت ، أو للحي العاجز لأن العجز كالجهل

عَنَائِهِ ، وَأُتْسِمَ عِنَادِيَّةً . وَمِنْهَا التَّهَكُّمِيَّةُ وَالتَّمْلِيحِيَّةُ ، وَهُمَا مَا اسْتُعْمِلَ
فِي ضِدِّهِ أَوْ تَقْيِيضِهِ ، لِأَمَّا مَرَّةً نَحْوُ : فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ؛ وَاعْتِبَارُ الْجَامِعِ
قِسْمَانِ ، لِأَنَّهُ إِمَّا دَاخِلٌ فِي مَفْهُومِ الطَّرْفَيْنِ ، نَحْوُ : كَلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ

يُحِطُ مِنْ قَدْرِ الْحَى (وَتُسَمَّى عِنَادِيَّةً) لِتَعَادُلِ طَرَفَيْهَا فِي الْاجْتِمَاعِ (١) فِي
التَّشْبِيهِ مِنْ أَنَّ التَّضَادَّ أَوْ التَّنَاقُضَ كِلَاهُمَا يَنْزِلُ مِنْزِلَةَ التَّنَاسُبِ بِوَسْطَةِ تَمْلِيحٍ
أَوْ تَهْكُمْ (نَحْوُ فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ) أَيْ أَنْذَرَهُمْ اسْتَعِيرَتِ الْبَشَارَةَ الَّتِي هِيَ الْأَخْبَارُ
بِمَا يَظْهَرُ سُرُورَ الْمَخْبِرِ بِهِ لِلْإِنْذَارِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا بِإِدْخَالِهِ فِي جَنْسِهَا عَلَى سَبِيلِ التَّمْلِيحِ
وَالِاسْتِهْزَاءِ (نَحْوُ كَلَّمَا) نَحْوَهُ قَوْلُ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي الْحَرْثِ تَرَى قَتِيلًا :

لَوْ يَشَاءُ طَارَتْ بِهِ ذُو مَيْعَةٍ لَأَحِقُّ الْأَطَالِ نَهْدٌ ذُو خُصَلٍ (١)
وَقَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ :

وَجِرَّتْ بِمَنْعُصَلِي فِي يَعْمَلَاتٍ دَوَامِي الْأَيْدِ يَحْبِطُنَ السَّرِيحَا

يَقُولُ : إِنَّهُ قَامَ بِسَيْفِهِ مَسْرَعًا إِلَى نَوْقٍ فَعَقَرَهُنَّ وَدَمِيَّتْ أَيْدِيَهُنَّ ، فَحَبِطُنَ
السِّيُورُ الْمَشْدُودَةُ عَلَى أَرْجَانِ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ اسْتِعَارَةُ التَّقْطِيعِ لِتَفْرِيقِ الْجَمَاعَةِ
وَلِإِبْعَادِ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَقَطَعْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا ، فَإِنَّ الْقَطْعَ
مَوْضُوعٌ لِإِزَالَةِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْأَجْسَامِ الَّتِي بَعْضُهَا مَاتَزَقَ بِبَعْضٍ فَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا
لِإِزَالَةِ الْاجْتِمَاعِ الَّتِي هِيَ دَاخِلَةٌ فِي مَفْهُومِهَا وَهِيَ فِي الْقَطْعِ أَشَدُّ وَاسْتِعَارَةُ الْخِيَاطَةِ
لِزُرْدِ الدَّرْعِ فِي قَوْلِ الْقَطَامِيِّ :

(١) الْمَيْعَةُ : أَوَّلُ جَرَى الْفَرَسِ وَأَنْشَطُهُ ، وَالْأَطَالُ جَمْعُ إِطْلٍ بِكَسْرِ فَسْكَوْنِ
وَبِكْسَرَتَيْنِ : وَهِيَ الْخَاصِرَةُ ، وَالْمَرَادُ ضَامِرُ الْجَنْبَيْنِ ، وَالنَّهْدُ بِالْفَتْحِ : الْفَرَسُ
الْعَظِيمُ الْمَشْرُفُ ، وَخُصَلُ الشَّعْرِ : مَعْرُوقَةٌ .

إليها ، فإنَّ الجَماعَ بَينَ العَدُوِّ وَالطَّيْرانِ هُوَ قَطْعُ المَسافَةِ بِسُرْعَةٍ ، وَهُوَ
دَاخِلٌ فِيهِمَا ، وَإِما غَيْرُ دَاخِلٍ كَأَمْرٍ ؛ وَإِضا إِما عَامِيَّةٌ ، وَهِيَ المَبْتَدَلَةُ

لَمْ تَلَقَ قَوْمًا هُمْ شَرٌّ لِإِخْوَتِهِمْ مِثْلَ عَشِيَّةٍ يَجْرِي بِالدَّمِ الوادِي
نَقْرِيهِمْ لَهْدَمِيَّاتٍ نَقْدُ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كَأَنَّ زَرادٍ (١)
فإنَّ الخِياطَةَ تَضُمُ خَرَقَ القَمِيصِ . وَالزرد يَضُمُ حَاقَ الدرعِ ، فَالجَماعُ بَينَهما
الضَمُّ الَّذي هُوَ دَاخِلٌ فِي مَفهُومِهما وَهُوَ فِي الأوَّلِ أَشَدُّ . وَاسْتِعارةُ النثرِ لِإِسقاطِ
المنهزمينِ وَتَفريقِهِمُ فِي قولِ أَبِي الطَّيِّبِ :

نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الأُحْيَدِ نَثْرَةً كَمَا نَثَرْتُ فَوْقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمَ (٢)
لأنَّ النثرَ أنْ تَجتمعَ أَشياءُ فِي كَفِّ أو وَعاءٍ ثُمَّ يَقعُ فَعَلٌ تَتَفَرَّقُ مَعَهُ دَفْعَةً
مِنَ غَيرِ تَرتِيبٍ وَنِظامٍ ، وَقَدِ اسْتِعارَهُ لَمَّا يَتَضَمَّنُ التَّفريقُ عَلى الوَجهِ المَخْصوصِ
وَهُوَ ما اتَّفَقَ مِن تَساقُطِ المَنهزمينِ فِي الحَربِ دَفْعَةً مِن غَيرِ تَرتِيبٍ وَنِظامٍ ،
وَنِسبَةً إِلى المَمدوحِ لِأنَّهُ سَبِيحُهُ بِرَهِدًا وَأَمَّا قولُهُ كَلِمًا سَمِعَ هِيعَةَ طَيارِ إِليها فَهُوَ
جِزءٌ حَدِيثٌ وَنِظْمُهُ : خَيرَ النَّاسِ رِجُلٌ عَمَسَكَ بَعنانُ فَرَسِهِ كَلِمًا سَمِعَ هِيعَةَ طَيارِ
إِليها ، أو رِجُلٌ فِي شَعْفَةِ فِي غَنيمَةٍ لَهُ يَعبُدُ اللهُ تَعالَى حَتى يَأْتِيهِ المَوْتُ . قالَ
الزَّمَخْشَرِيُّ : الهِيعَةُ الصَّيحَةُ الَّتِي يَفزَعُ مِئانُها ، وَأَصابُها مِن هِماعٍ يَهِيعُ إِذا جَبَنَ .
وَالشَعْفَةُ رَأْسُ الجَبَلِ ، وَالمَعنى خَيرَ النَّاسِ رِجُلٌ أَخذَ بَعنانَ فَرَسِهِ وَاسْتَعَدَّ لِلجِهادِ
فِي سَبيْلِ اللهِ ، أو رِجُلٌ اعْتَزَلَ النَّاسَ وَسَكَنَ فِي رِئِيسِ بَعْضِ الجَبالِ فِي غَنمٍ لَهُ قَليلٌ
يَربَعُها وَيَكْتَفِي بِها فِي أَمْرِ مَعايشِهِ وَيَعبُدُ اللهُ حَتى يَأْتِيهِ المَوْتُ (كَأَمْرٍ) مِن اسْتِعارةِ

(١) نَقْرِيهِمْ : نَضيفُهُم ، وَاللَّهُمَّ مِن السَّنانِ : الحادِ ، وَالقَد : إِشْق ،

وَالزَرادِ : صانِعُ الدرعِ (٢) الأُحْيَدِ : اسمُ جَبَلٍ ، وَنَثَرْتَهُمْ : فَرَقْتَهُمْ .

يُظهِورُ الْجَامِعَ فِيهَا ، نَحْوُ : رَأَيْتُ أَسَدًا يَرْمِي ، أَوْ خَاصِيَّةً ، وَهِيَ الْغَرِيبَةُ
وَالْغَرَابَةُ قَدْ تَكُونُ فِي نَفْسِ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِهِ :

وَإِذَا احْتَبَى قَرَبُوسُهُ بَعْنَانِهِ عَاكَ الشُّكِيمَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ

وَقَدْ تَحْصُلُ بِتَعَرُّفٍ فِي الْعَامِيَّةِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :

« وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ »

الأسد للرجل الشجاع ، والشمس للوجه المنهال ونحو ذلك (وهي الغريبة)
التي لا ينظر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة (كما في قوله) أي قول يزيد
ابن مسleme بن عبيد الملك يصف فرساً له بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه وألقى
عنانه في قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه . القربوس : مقدم السرج ،
والشكيم : الحديدية المعترضة في فم الفرس . شبه هيئة العنان في موقعه من
قربوس السرج بهيئة الثوب في موقعه من ركبة المحتبى ، فكانت الاستعارة
غريبة لغرابة الشبه . قال : وقد تحصل الغرابة بتصرف في العامية بأن يكون
التشبيه مشهوراً ولكنه يذكر على وجه بديع كما في قول كثير عزة :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على دم المطايا رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رانح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

المقصود وسالت ، فإنه أراد أن الإبل سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة
وكانت سرعة في لين وسلامة ، حتى كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح
فجرت بها ، ومثاها في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز :

إِذْ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَبَاطِحِ دُونَ الْمَطِيِّ وَأَعْنَاقِهَا ، وَأَدْخَلَ
الْأَعْنَاقَ فِي السَّيْرِ . وَبِاعْتِبَارِ الثَّلَاثَةِ سِتَّةُ أَقْسَامٍ ، لِأَنَّ الطَّرْقَيْنِ إِنْ
كَانَا حِسِّيَيْنِ فَالْجَامِعُ إِمَّا حِسِّيٌّ نَحْوُ : فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورَانٌ ،
فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ وَوَلَدَ الْبَقْرَةَ ، بِالْمُسْتَعَارِ لَهُ الْحَيَوَانُ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى
مِنْ حُلِيِّ الْقَبْطِ ، وَالْجَامِعُ الشَّكْلُ ، وَالْجَمِيعُ حِسِّيٌّ ؛ وَإِمَّا عَقْلِيٌّ نَحْوُ :
وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ، فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ كَشَطُ الْجِلْدِ عَنْ

سَأَلَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَعَا أَنْصَارَهُ بِوُجُوهِهِ كَالدَّانِيَرِ

أَرَادَ أَنَّهُ مَطَاعٌ فِي الْحَيِّ وَأَنَّهُمْ يَسْرِعُونَ إِلَى انصرتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَدْعُوهُمْ لِحُطْبِ
إِلَّا أَتَوْهُ وَكَثُرُوا عَلَيْهِ وَازْدَحَمُوا حَوْلَيْهِ ، حَتَّى تَجِدَهُمْ كَالسِّيُولِ نَجْمِيٍّ . هَذَا هَهُنَا
هَهُنَا ، وَتَنْصِبُ مِنْ هَذَا الْمَسِيلِ وَذَلِكَ حَتَّى يَغْصُ بِهَا الْوَادِي وَيُطْفَحُ مِنْهَا ،
وَهَذَا شَبَهٌ مَعْرُوفٌ ظَاهِرٌ ، وَلَكِنْ حَسَنُ التَّصْرِيفِ فِيهِ أَفَادُ الْلُطْفِ وَالغَرَابَةِ ،
وَذَلِكَ إِنْ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَبَاطِحِ وَالشُّعَابِ دُونَ الْمَطِيِّ أَوْ أَعْنَاقِهَا وَالْأَنْصَارِ
أَوْ وُجُوهِهِمْ ، حَتَّى أَفَادَ أَنَّهُ امْتَلَأَتْ الْأَبَاطِحُ مِنَ الْإِبِلِ وَالشُّعَابُ مِنَ الرِّجَالِ
كَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ، وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا شَيْءٌ ذِيَرٌ الَّذِي فِي
الْآخِرِ يُؤَكِّدُ أَمْرَ الدَّقَّةِ وَالغَرَابَةِ ، أَمَّا الَّذِي فِي الْأَوَّلِ فَهُوَ أَنَّهُ أَدْخَلَ الْأَعْنَاقَ
فِي السَّيْرِ فَإِنَّ السَّرْعَةَ وَالْبَطْءَ فِي سَيْرِ الْإِبِلِ يَظْهَرُ إِذَا غَالِبًا فِي أَعْنَاقِهَا ، وَأَمَّا الَّذِي
فِي الثَّانِي فَهُوَ أَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ ، فَعَدَى الْفِعْلَ إِلَى ضَمِيرِ الْمَمْدُوحِ بَعْلِي ، فَأَكَّدَ مَقْصُودَهُ
مِنْ كَوْنِهِ مَطَاعًا فِي الْحَيِّ . هَذَا وَوَدَّ تَحْصِيلَ الْغَرَابَةِ بِالْجَمْعِ بَيْنَ عِدَّةِ اسْتِعَارَاتِ
لِلْحَقِّ الشَّكْلُ بِالشَّكْلِ كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

نحو الشاة ، والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل ، وهما حسيان
والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر ، وإما مختلف ، كقولك : رأيت
شمساً وأنت تريد إنساناً كالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن ، وإلا فهما
إما عقليان : نجر : من بهشنا من مرقدنا ، فإن المستعار منه الرقاد ، والمستعار
له الموت ، والجامع عدم ظهور الفعل والجميع عقلي ، وإما مختلفان ،
والحسي هو المستعار منه نحو : فأصدع بما تؤمر ، فإن المستعار منه كسر

فئات له أما تغطى بصائبه وأردف أجزاً وناء بكل كل

أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلباً يغطي به إذ كان كل ذي
صلب يزيد شياً في طوله عند نمطيه وبالغ في ذلك بأن جعل له أجزاً يردف
بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمساكبه ،
فاستعار له كلاً ينوء به . وقال الشيخ عبد القاهر : لما جعل الليل صلباً قد تغطى
به فني ذلك فجعل له أجزاً قد أردف بها الصلب ، وذلك فجعل له كلاً قد
ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشئخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا
نظر قدامه وإذا نظر خلفه ، وإذا رفع البصر ومدته في عرض الجو (مكان
الليل) يلقى ظله (والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر) كترتيب
ظهور اللحم على كسوط الجلد ، وترتب الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل .
هذا ، وقد وقع في عبارة الشيخ عبد القاهر والسكاكي ، أن المستعار له
ظهور النهار من ظلمة الليل ، وظاهر أن المراد بالظهور في كلامهما التميز ، أي
تميز النهار عن ظلمة الليل (نحو فأصدع بما تؤمر) فسكأنه قيل أين الأمر
إبانة لا تضحى كما لا ياتهم صدع الزجاجاة ونظير الآية قوله تعالى : ضربت عليهم

في : زَيْدٌ فِي نِعْمَةٍ ، فَيُقَدَّرُ فِي نَطَقَتِ الْحَالُ ، وَالْحَالُ نَاطِقَةٌ بِكَذَا لِلدَّلَالَةِ
بِالنُّطْقِ ، وَفِي لَامِ التَّعْلِيلِ نَحْوُ : فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا

ابتداء الغاية وإلى معناها انتهاء الغاية ، وكى معناها الغرض ، فهذه ليست معاني
الحروف ، وإلا لما كانت حروفاً بل أسماء ، لأن الاسمية والحرفية إنما هي
باعتبار المعنى وإنما هي متعلقات لمعانيها ، أي إذا أفادت هذه الحروف معاني
رجعت تلك المعاني إلى هذه بنوع استلزام . وهذا الذي ذكره السكاكي هو
ما جرى عليه علماء هذا الفن (فيقدر) أي حيث كان التشبيه لمعنى المصدر
ولمتعلقات معنى الحروف فيقدر في قوائنا : نطقت الحال بكذا والحال ناطقة
بكذا ، لدلالة الحال بنطاق الناطق في أقضاح المعنى للذهن ، ثم تدخل الدلالة في
جنس النطق فيستعار لها لفظ النطق ، ثم يشتق منه الفعل والصفة فتكون
الاستعارة في المصدر أصلية وفي الفعل والصفة تبعية ويقدر في لام التعليل (١)
نحو : فالنقطة آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحرناً للعداوة والحزن الحاصلين
بعد الالتقاط بالعلة النائية للالتقاط ، كالمحبة والتبني في الترتب على الالتقاط
والحصول بعده ، ثم استعمل في العداوة والحزن ما كان حقه أن يستعمل في
العلة الغائية . وهذا الذي ذكره المصنف مأخوذ من كلام صاحب الكشف
حيث قال معنى التعليل في اللام وارد على طريق المجاز لأنه لم يكن داعيهم إلى
الالتقاط أن يكون لهم عدوًّا وحرناً ولكن المحبة والتبني ، غير أن ذلك لما كان
نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل . الفاعل الفعل لأجله ، ثم قال :
وهذه اللام حكمها حكم الأسى حيث استعيرت لها يشبه التعليل كما يستعار

(١) ويقدر في قوله تعالى : ولأصليبتكم في جذوع النخل ، للجذوع
الأوعية ثم المصلوب بالموعى ، فاستعيرت في تبعاً لذلك وقس على هذا مثله .

الزُّجَاجَةُ وَهُوَ حَسِّيٌّ ، وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ التَّبْيِيعُ ، وَالْجَامِعُ التَّأْيِيرُ ، وَهُمَا عَقْلِيَّانِ
وَإِمَّا عَكْسُ ذَلِكَ نَحْوُ : إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَا كُمْ فِي الْجَارِيَةِ ، فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ
لَهُ كَثْرَةُ الْمَاءِ وَهُوَ حَسِّيٌّ ، وَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ التَّكْبِيرُ ، وَالْجَامِعُ الْإِسْتِعْلَاءُ
الْمُقَرَّبُ ، وَهُمَا عَقْلِيَّانِ . وَبِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ قِسْمَانِ ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اسْمُ جِنْسٍ
فَأَصْلِيَّةٌ ، كَأَسَدٍ وَقَتْلٍ ، وَإِلَّا فَتَبَعِيَّةٌ ، كَالْفِعْلِ وَمَا يَشْتَقُّ مِنْهُ وَالْحَرْفِ
فَالْتَشْبِيهِ فِي الْأَوَّلَيْنِ لِمَعْنَى الْمَصْدَرِ ، وَفِي الثَّلَاثِ لِمَتَعَلَّقِي مَعْنَاهُ كَالْمَجْرُورِ

الذلة ، أى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم ، فهم فيها كما يكون في القبة من
ضربت عليه أو جعلت ماصقة بهم حتى لزمهم ضربة لازب ، كما يضرب الطين
على الحائط فيلزمه ، فالمستعار منه ، إما ضرب القبة على الشخص ، وإما ضرب
الطين على الحائط وكلاهما حسى والمستعار له حالهم مع الذلة والجامع الإحاطة
أو اللزوم وهما عقليان (اسم جنس) هو مادل على ذات صالحة لأن تصدق
على كثيرين ولو تأويلا من غير اعتبار وصف من الأوصاف ، فدخيل نحو
أسد ونحو قتل الأورل اسم عين والثاني اسم معنى ونحو حاتم من قولك : رأيت
اليوم حاتماً وخرج بقولنا الصالحة لأن تصدق على كثيرين الأعلام التي لم تتضمن
وصفية والمضمرات وأسماء الإشارة ، وقولنا من غير اعتبار وصف من
الأوصاف خرج به المشتقات كضارب ، فإنه اسم وضع لذات منصفة
بالضرب (وما يشتق منه) : كاسم الفاعل ، واسم المنعول ، والصفة ، المشبه ،
وأفعل التفضيل ، وأسماء الزمان والمسكان ، والآلة (الأولين) أى الفعل وما يشتق
منه (الثالث) أى الحرف (كالمجروح في زيد في نعمة) أما السكاكي فإنه قال وأعنى
بمتعلقات معانى الحروف ما يعبر به عنها عند تفسيرها مثل قولنا من معناها

وَحَزَنًا ، لِلْعِدَاوَةِ وَالْحُزْنِ بَعْدَ الْإِلْتِقَاطِ بِعَلْتِهِ الْغَائِيَّةِ : وَمَدَارُ قَرِينَتَيْهَا

فِي الْأَوَّابِينَ عَلَى الْفَاعِلِ ، نَحْوُ : نَطَقَتِ الْحَالُ ، أَوْ الْمَنْعُولِ نَحْوُ :

* قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا *

وَنَحْوُ : * تَقْرِيهِمْ لِهَيْذِمِيَّاتٍ نَقَدُ بِهَا *

أَوْ الْمَجْرُورِ نَحْوُ : فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابِ الْعَذَابِ ، وَبِإِعْتِبَارِ آخِرِ ثَلَاثَةِ أَقْسَامِ

الأسد لمن يشبه الأسد . « وبعد ، فللقوم في هذا المقام كلام طويل عزيز ليس من سنتنا في هذا الشرح التعرض لمثله فراجعه هناك إن شئت . قال المصنف : ومدار قرينة الاستعارة التبعية في الأفعال والصناعات المشتقة منها على نسبتها إلى الفاعل ، كقولك نطقت الحال بكذا : الحال ليس من ينطق حقيقة ، فدل ذلك على أن المراد بالنطق الدلالة أو إلى المنعول كقول ابن المعتز :

جَمَعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِسْمِ قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا

فالذي دل على أن قتل وأحيى مستعاران إنما هو إسنادهما إلى البخل والسماخ ولو قال قتل الأعداء وأحيى الأحياء لم يكن قتل استعارة بوجه وكذلك أحيى أو المنعول الثاني كقول القطامي :

لَمْ تَأْتِ قَوْمًا هُمْ شَرُّ لِإِخْوَتِهِمْ مِمَّا عَشِيَّةً يَجْرِي بِالدَّمِ الرَّادِي

تَقْرِيهِمْ لِهَيْذِمِيَّاتٍ نَقَدُ بِهَا مَا كَانَ خَاطِبًا عَلَيْهِمْ كُلُّ زُرَادٍ

اللاهزم من الأسننة : القاطع ، فأراد بامهذميات طعنات منسوية إلى الأسننة

القاطعة ، أو أراد نفس الأسننة ، والنسبة للمبالغة كأحمرى ، والقند : القطع ، وزرد

الدرع وسردها : نسجها . فإسناد الفري إلى الهذميات قرينة على أن تقريرهم استعارة .

مُطَابَقَةٌ وَهِيَ مَا لَمْ تَقْتَرِنْ بِصِفَةٍ وَلَا تَفْرِيْعَ ، وَالْمُرَادُ الْمَعْنَوِيَّةُ لَا النَّقْطُ
وَمُجَرَّدَةٌ ، وَهِيَ مَا قُرِنَ بِمَا يَلَائِمُ الْمُسْتَعَارَ لَهُ ، كَقَوْلِهِ :
* غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا *

أو إلى المجرور نحو : فبشرهم بعذاب ألِيم ، فذكر العذاب قرينة على أن بشر
استعارة (بصفة ولا تفریع) أى صفة تلائم أحد الطرفين أو تفریع كلام ،
كذلك اعلم أن الملائم إذا كان من تنمة الكلام الذى فيه الاستعارة فهو
صفة وإن كان كلاماً مستقلاً جىء به بعد ذلك الكلام فهو تفریع ، سواء
كان بحرف التفریع أو لا (كقوله غمر الرداء) فقد استعار الرداء للمعروف
لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى
هو وصف المعروف لا الرداء فنظر إلى المستعار له ، رالبيت لكثير عزة
وتمامه * غالقت لضحكته رقاب المسال * أى إذا تبسم غالقت رقاب أمواله فى
أيدي السائلين ، يقال غاق الرهن فى يد المرتهن : إذا لم يقدر على انفكاكه ،
ونظير البيت قوله تعالى : فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ، حيث قال إذا قها ولم
يقبل كساها ، فإن المراد بالاذقة إصابتهم بما استعير له اللباس ، كأنه قال فأصابها
الله بلباس الجوع والخوف : قال الزمخشري : الإذاقة جرت عندهم بجرى الحقيقة
لشيوعها فى البالاي والشدائد وما يمس الناس منها ، فيقولون ذاق فلان البؤس
والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضر والألم بما يدرك من طعم المر
والبشع ، فإن قيل الرشيح أبلغ من التجريد فهلا قيل فكساها الله لباس الجوع
والخوف ، قلنا لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك بالنس من غير عكس
فكان فى الإذاقة إشعار بشدة الإصابة بخلاف الكسوة ، فإن قيل لم لم يقل
فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ، قلنا لأن الطعم وإن لامم الإذاقة فهو مفوت

وَمُرَشَّحَةٌ ، وَهِيَ مَا قُرِنَ بِمَا يَلْتَمُ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ ، نَحْوُ : أَوْلَيْكَ
الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ ، وَقَدْ يَجْتَمِعَانِ ،
كَقَوْلِهِ :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّيَاحِ مُقَدَّفٍ لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ
وَالْتَرَشِيحُ أَبْلَغُ ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى تَحْقِيقِ الْمِبَالِغَةِ ، وَمَبْنَاهُ عَلَى تَنَاسِي

لما يفيد لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عم أثرهما جميع البدن عموم
الملابس (نحو أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فإنه استعار الاشتراء
للاختيار وقفاه بالربح والتجارة الذين هما من متعلقات الاشتراء فنظر إلى المستعار
منه ومن هذا الباب قول الشاعر :

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدٌ عَمْرٍو زَوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرٍو بْنَ بَكْرٍ
لِي الشُّطْرُ الَّذِي مَنَّاكَتَ يَمِينِي وَذَوْنَكَ فَاغْتَجِرُ مِنْهُ بِشَطْرِ
فإنه استعار الرداء للسيف لنحو ، سبق ووصفه بالاعتجار الذي هو وصف
الرداء فنظر إلى استعار له (كقوله لدى أسد) فقوله شاكي السلاح مقذف
تجريد لأنه وصف يلائم المستعار له ، وقوله له لبدا أظفاره لم تقلم ترشيح لأنه
وصف يلائم المستعار منه ، والبيت لزهير بن أبي سلمى ، وشاكي السلاح : تامه ،
ومقذف : مرعى به في الوقائع والحروب . واللبد جمع لبدة : ما تلبد من شعر الأسد
على منكبيه (والترشيح أبغ) الترشيح الذي هو ذكر ملائم المستعار منه أبغ من
الإطلاق والتجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة في التشبيه ولهذا كان مبناه على تناسي
التشبيه وصرف النفس عن توهمه حتى إنه يوضع الكلام في علو القدر وسمو المنزلة
وضعه في علو المكان ، كما قال أبو تمام يمدح يزيد الشيباني :

التشبيه ، حتى إنه يُبني على علو القدر ما يُبنى على علو المكان ،
كقوله :

ويصعد حتى يظن الجهو — ل بأن له حاجة في السماء
فلولا أن قصده أن ينسى التشبيه ويدفعه بجهده ، ويصمم على إنكاره
وجرده ، فيجعله صاعداً في السماء من حيث المسافة المكانية ، لما كان لهذا
الكلام وجه ومن أبلغ ما يكون في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أَعْلَمُ النَّاسِ بِالنُّجُومِ بَنُونُو نَحَتْ عِلْمًا لَمْ يَأْتِيهِمْ بِالْحِسَابِ
بَلْ بَانَ شَاهِدُوا السَّمَاءَ سُمُورًا بَتَرَقِي فِي الْمَكْرُمَاتِ الصُّعَابِ
مَبْلَغًا لَمْ يَكُنْ لِيَبْلُغَهُ الظَّا لِبُ إِلَّا بِتِلْكَ الْأَسْبَابِ

وأعاده في مرضع آخر فزاد الدعوى قوة ، ومر فيها مرور من يقول
صدقاً ويذكر حقاً :

يَا آلَ نُوحٍ لَا عَدِمْتُمْكُمْ وَلَا تَبَدَّاتُ بَعْدَكُمْ بَدَلًا
إِنْ صَحَّ عِلْمُ النُّجُومِ بَانَ لَكُمْ حَقًّا إِذَا مَا سِوَاكُمْ انْتَحَلَا
كَمْ عَالِمٍ فِيكُمْ وَلَيْسَ بَانَ قَاسَ وَلَكِنْ بَانَ رَقِي فَعَلَا
أَعْلَاكُمْ فِي السَّمَاءِ سَجْدُكُمْ فَاسْتُمْ تَجْهَلُونَ مَا جُهَلَا
شَافَيْتُمْ الْبَدْرَ بِالسُّؤَالِ عَنِ الْأُمِّ رِ إِلَى أَنْ بَلَّغْتُمْ زُحَلَا

ومنه قول بشار :

أَتَشْنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تَبْرَحُ الْفَلَكَ

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَطْنَ الْجَهْوُ لُ بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ

وقول المتنبي:

كَبُرَتْ نَحْوَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ

وقوله:

وَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَدْرُ نَحْوَهُ وَلَا رَجُلًا قَامَتْ تَعَانِقُهُ الْأَسْدُ

ومنه مامر من التعجب في قوله:

قَامَتْ تَطْلُمَانِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تَطْلُمَانِي مِنَ الشَّمْسِ

والنهي عن التعجب في قوله:

لَا تَعْجَبُوا مِنْ بَابِي غَالَتِهِ قَدْ زَرَّ أُرْرَارَهُ عَلَى الْقَمَرِ

أو ماترى هؤلاء فيما فعلوا كيف نبدوا أمر التشبيه وراء ظهورهم ، وكيف نسوا حديث الاستعارة ، كأب لم يجر منهم على بال ، ولم يروه ولا طيفاً خيال ، وإذا كانوا مع التشبيه والاعتناء بالأصل يسوغون أن لا يبدوا إلا على الفرغ ويقولون :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَرَّ القُوَادَ عَزَاءً جَمِيلاً

فَإِنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّمُودُ وَإِنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولُ (١)

أو يقولوا:

وَعَدَّ الْبَدْرُ بِأَزْيَارَةِ أَيْدِيهِ فَإِذَا مَا فِي قَضَيْتُ نَدْوِي

قُلْتُ يَا سَيِّدِي وَلِمَ تُوَثِّرُ اللَّيْلَ عَلَى طَائِعَةِ الصَّبَاحِ الْمُنِيرِ

وَنَحْوُهُ مَا مَرَّ مِنَ التَّعَجُّبِ وَالنَّهْيِ عَنْهُ ، وَإِذَا جَازَ الْبِنَاءَ عَلَى الْفَرْعِ
مَعَ الْإِعْتِرَافِ بِالْأَصْلِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُونًا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلًا
فَإِنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَإِنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ

قَالَ لَا أَحِبُّ تَغْيِيرَ رَسْمِي هَكَذَا الرَّسْمُ فِي طُلُوعِ الْبُدُورِ (١)
أَوْ يَقُولُوا :

قُلْتُ زُورِي فَأَرْسَلَتْ أَنَا آتِيكَ سُحْرَهُ
قُلْتُ فَلَالَيْلٍ كَانَ أَخْفَى وَأَدْنَى مَسْرَهُ
فَأَجَابَتْ بِحُجَّةٍ زَادَتْ الْقَلْبَ حَسْرَهُ
أَنَا شَمْسٌ وَإِنَّمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ بُكْرَهُ

فهم إن تسويغ ذلك مع جحد الأصل في الاستعارة أقرب ، وماله طبقة
عالية في هذا القبيل وشكل يدل على شدة الشكيمة وعلو المآخذ قول الفرزدق :
أَبِي أَحْمَدُ الْغَيْثِيُّنِ صَعَصَعَةُ الَّذِي مَتَى تُخْلِفِ الْجُوزَاهُ وَالذَّلُؤُ يُمْطَرُ
أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدِينَ وَمَنْ يُجْرُ عَلَى الْمَوْتِ تَعَلَّمَ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفَرِ
ادعى لأبيه اسم الغيث ادعاء من سلم له ذلك ، ومن لا يخاطر بماله أنه
متناول له من طريق التشبيه وكذلك قول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشيين

(١) الأبيات لسعيد بن حميد وكذلك التي بعدها .

فَمَعَ جَحْدِهِ أَوْلَى . وَأَمَّا الْمُرَكَّبُ فَهُوَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيمَا شُبِّهَ
بِمَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ تَشْبِيهَ التَّمْثِيلِ لِلْمَبَالِغَةِ ، كَمَا يُقَالُ لِلْمُتَرَدِّدِ فِي أَمْرٍ : إِنْ

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مِائَةً بَيْضَاءَ مُحْكَمَةً هُمَا تَسَجَاهَا
تُطَوَى إِذَا وَرَدَا مَكَانًا مُحْزِنًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أَشْبَهَتْ نَشْرَاهَا

(وأما المركب) كل ما مر عليك من ضروب المجاز وأمثله إنما هو في المجاز المفرد ، وهذا هو القول في المجاز المركب المعروف بالتمثيل . المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة ، أي تشبه لإحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه ، فتذكر بالفظا من غير تغيير بوجه من الوجوه ، كما كتب الوليد بن يزيد لما بويع إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له : أما بعد فإنني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى . فإذا أنك ككتاني هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام . شبه صورة تردده في المبالغة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى . وكما يقال لمن يعمل في غير معمل : أراك تنفخ في غير فحم وتخط على الماء ، والمعنى أنك في فعلك كمن يفعل ذلك ، وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه إلى ما كان يمتنع منه : ما زال يفتل منه في الذروة والغارب ، حتى بلغ منه ما أراد ، والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه وفقاً يشبه حاله فيه حال من يجيء إلى البعير الصعب فيحكه ، ويقتل الشجر في ذروته وغاربه ، حتى يسكن ويستأنس ، وهذا في المعنى نظير قولهم فلان يقرء فلاناً ، أي يتأطّب به فعل من ينزع القراد من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتسكن

أَرَاكَ تُقَدِّمُ رِجَالًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى ، وَهَذَا يُسَمَّى النَّحِيلَ عَلَى سَبِيلِ

من أخذه وكذا قوله تعالى : والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والمعنى والله أعلم أن مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله وقدرته ، وأنه لا يشذ شيء مما فيها عن سلطانه عز وجل ، مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منا الجامع يده عليه . وكذا قوله تعالى : والسموات مطويات بيمينه ، أى يخلق فيها صفة الطي حتى ترى كالكتاب المطوى بيمين الواحد منا ، وخص اليمين ليكون أعلى وأنعم للمثل لأنها أشرف اليدين وأقواهما والتي لاغناء للأخرى دونها ، فلا يش إنسان لشيء إلا بدأ بيمينه فيها لها لنيله ، ومتى قصد جعل الشيء في جهة العناية جعل في اليد اليمنى ، ومتى قصد خلاف ذلك جعل في اليسرى كما قال البحرى :

وَإِنَّ يَدِي وَقَدْ اسْتَدَّتْ أَمْرِي إِلَيْهِ الْيَوْمَ فِي يَدِكَ الْيَمِينِ (١)

وقال ابن ميادة :

أَلَمْ أَكُ فِي يَمِينِي يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَلَا تَجْعَلِينِي بَمَدَّهَا فِي شِمَالِكَ

أى كنت مكرماً عندك فلا تجعليني مهاناً ، وكنت في المكان الشريف منك فلا تحطيني في المنزل الوضيع ، وكذا قوله تعالى : ولما سكنت عن موسى الغضب . قال الزمخشري : كأن الغضب كان يغريه على ما فعل وبقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وجر برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة ، وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة : ولما سكن عن موسى الغضب ، لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزرة ، وطرفاً من تلك الروعة .

(١) إليه : أى إلى يونس بن بغا وكان حظياً عند المدوح وهو المعتر بالله .

الاستعارة ، وقد يُسَمَّى التَّمثِيلُ مُطْلَقًا ، وَمَتَى فَشَا اسْتِعْمَالُهُ كَذَلِكَ سُمِّيَ
مَثَلًا ، وَلِهَذَا لَا تُغَيَّرُ الْأَمْثَالُ .

﴿ فِضْل ﴾

قَدْ يُضْمَرُ التَّشْبِيهُ فِي النَّفْسِ ، فَلَا يُصْرَحُ بِشَيْءٍ مِنْ أَرْكَانِهِ

وكل هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة ، وقد يسمى التمثيل مطلقاً من التقييد بقولنا على سبيل الاستعارة ، ويمتاز عن التشبيه التمثيلي بأن يقال له تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلي ، والتمثيل متى فشا استعماله كذلك أى على سبيل الاستعارة سمي مثلاً ، ولكون الأمثال واردة على سبيل الاستعارة لا تغير ومن هنا لا يلتفت في الأمثال إلى مضاربهما تذكيراً وتأنيثاً وإفراداً وتثنية وجمعاً ، بل إنما ينظر إلى موارها مثلاً إذا طلب رجل شيئاً ضيعه قبل ذلك قيل : الصيف ضيعت الابن ، بكسر التاء لأنه في الأصل لامرأة ، وأما ما يقع في كلامهم من نحو ضيعت الابن في الصيف بناء المتكلم ، فليس بمثل بل مأخوذ منه وإشاره إليه ، ولكون المثل مما فيه غرابة استعير لفظه للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ، وهذا في القرآن كثير ، قال تعالى : مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ، أى عالمهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً ، وقال جل شأنه : والله المثل الأعلى ، أى الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة ، وقال : مثلهم في التوراة ، أى صفاتهم وشأنهم المتعجب منه ، وقال : مثل الجنة التي وعد المتقون ، أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ في بيان عجائبها إلى غير ذلك مما لا يسكاد يحصى (فصل) قد تضافرت آراء الناس على أنه إذا شبه أمر بأخر من غير تصريح بشيء من أركان التشبيه سوى المشبه ودل عليه بذكر ما يخص المشبه به كان هناك استعارة بالكناية وتخيلية ، لكن اضطربت أقوالهم في تعيين المعنيين

الذين يطلق عليهما هذا اللفظان ، ومحصل ذلك يرجع إلى ثلاثة أقوال : أحدها ما يفهم من كلام القدماء ، والثاني : ما ذهب إليه السكاكي ، والثالث : ما أورده المصنف ههنا . ذهب السلف إلى أن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه به المستعار للمشبه المرموز إليه بشيء من لوازمه الدالة عليه ، فالمقصود بقولنا أظفار المنية استعارة السبع للمنية ، كاستعارة الأسد للرجل الشجاع في قولنا : رأيت أسداً ، لسكنا لم نصرح بذكر المستعار أعني السبع ، بل اجتزأنا عنه بذكر لازمه لينتقل منه إلى المقصود كما هو شأن الكناية ، فالمستعار هو لفظ السبع الغير المصرح به والمستعار منه هو الحيوان المفترس والمستعار له هو المنية وبهذا يشعر كلام صاحب الكشف في قوله تعالى : ينقضون عهد الله ، حيث قال شاع استعمال النقض في إبطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من إثبات الوصلة بين المتعاهدين ، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ، ونحوه قولك : شجاع يفترس أقرانه . وعالم يغترف منه الناس ، وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا إلا وقد نهيت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر ، وعلى المرأة بأنها فراش . وسيجىء في الفصل التالي مذهب السكاكي ، وستسمع في هذا الفصل مذهب المصنف ، أما الشيخ الإمام رحمه الله فلم يشعر كلامه بذكر الاستعارة بالكناية ، وإنما ذكر على أن في قولنا أظفار المنية استعارة بمعنى أنه أثبت للمنية ما ليس لها بناء على تشبيهها بما له الأظفار وهو السبع ، وهذا قريب مما ذكره المصنف في التخيلية ، قال في أسرار البلاغة : الاستعارة على قسمين : أحدهما أن ينقل الاسم عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم يمكن أن ينص عليه ، وذلك قولك رأيت أسداً وأنت تعنى رجلاً شجاعاً ، ورنيت لنا ظبية وأنت تعنى امرأة ، والثاني أن

سِوَى الْمُشَبَّهِ ، وَيدَكُ عَلَيْهِ بِأَنَّ يُثَبَّتَ لِلْمُشَبَّهِ أَمْرٌ مُخْتَصٌّ بِالمُشَبَّهِ
بِهِ ، فَيُسَمَّى التَّشْبِيهُ اسْتِعَارَةً بِالكِنَايَةِ ، أَوْ مَكْنِيًّا عَنْهَا ، وَإِثْبَاتُ

يؤخذ الاسم عن حقيقةه ويوضع موضعاً لا يبين فيه شيء يشار إليه ، فيقال هذا
هو المراد بالاسم والذي استعير له ، ومثاله قول لبيد :

وَعَدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقِرَّةً إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامِهَا

وذلك أنه جعل للشمال يداً ، ومعلوم أنه ليس هناك مشار إليه يمكن
أى تجرى اليد عليه كإجراء الأسد على الرجل في قولك : انبرى لى أسد يزأر ،
ولهذا لا يصح أن يقال إذ أصبحت بشيء مثل اليد للشمال ، كما يقال رأيت
رجلاً مثل الأسد ، وإنما يتأتى لك التشبيه في هذا بعد أن تغير الطريقة
وتخرج عن الحدو الأول ، فتقول : إذ أصبحت الشمال ولها في قوة تأثيرها في
العداة شبه المالك تصرف الشيء بيده ، فأنت كما ترى تجد الشبه المنتزع ههنا
لا يأتاك من المستعار نفسه بل عما يضاف إليه ، لأنك أردت أن تجعل
الشمال كذى اليد من الأحياء ، فتجعل المستعار له أعنى الشمال مثلاً ذا شيء ،
وغرضك أن تثبت له حكم من يكون له ذلك الشيء ، وقال أيضاً : لاخلاف
في أن لفظ اليد استعارة مع أنه لم ينقل عن شيء إلى شيء ، إذ ليس
المعنى على أنه شبه شيئاً باليد ، وإنما المعنى على أنه أراد أن يثبت للشمال يداً
(عليه) أى على ذلك التشبيه المضمرة في النفس (بأن يثبت للشبه أمر مختص
بالمشبه به) من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجرى عليه اسم

(١) الفوة والتمر : البرد . يقول كم عداة تهب فيها الشمال وهي برد الرياح .

وبرد قد ملكت الشمال زمامه يد كمنفت عادية البرد عن الناس بنجر الجزر

لهم : تحرير المعنى : وكم من برد كمنفت غرب عاديته بإطعام الناس .

ذَلِكَ الْأَمْرَ لِلْمُشَبَّهِ اسْتِعَارَةً تَخْيِيلِيَّةً ، كَمَا فِي قَوْلِ الْهَذَلِيِّ :
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
شَبَّهَ الْمَنِيَّةَ بِالسَّبْعِ فِي اغْتِيَالِ النَّفُوسِ بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ مِنْ غَيْرِ تَفَرُّقَةٍ
بَيْنَ نَفَاجٍ وَضَرَارٍ ، فَأَثْبَتَ لَهَا الْأَظْفَارَ الَّتِي لَا يَكْمُلُ ذَلِكَ فِيهِ بِدُونِهَا ،
وَكَمَا فِي قَوْلِ الْآخِرِ :

وَلَئِنْ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بَرِّكَ مُفْصِحًا فَلِسَانَ حَالِي بِالشَّكَايَةِ أَنْطَقُ
شَبَّهَ الْحَالَ بِالسَّانِ مَتَّكِمًا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمُضْجُودِ ، فَأَثْبَتَ مَا لِسَانَ
الَّذِي بِهِ قَوَامُهَا فِيهِ ، وَكَذَا قَوْلُ زُهَيْرٍ :

صَحَا الْقَابُ عَنِ سَمْعِي وَأَقْصَرَ بِاطْلَالِهِ وَعَوَّرَى أَفْرَاسَ الصَّبَا وَرَوَّاحِلَهُ

ذَلِكَ الْأَمْرَ (كَمَا فِي قَوْلِ الْهَذَلِيِّ) يَعْنِي أبا ذؤيب من قصيدة قالها ، وقد هلك
له خمس بنين في عام واحد وكانوا فيمن هاجر إلى مصر . والتميمة هي الخرزة
التي تعاق على الصبي لتسكون له حجاباً زعموا من العين والجنون . يقول الهذلي :
إذا مكن الموت أظفاره من شيء ليذهب به بطات الوقايات والحيل وأسباب
النجاة . وهذا ، وقد مثل المصنف بثلاثة أمثله ، الأول : ما تكون التخيلية
لإثبات ما به كمال المشبه به ، والثاني : ما تكون لإثبات ما به قوام المشبه به ،
والثالث : ما تحتمل الاستعارة فيه أن تكون تخيلية ، وأن تكون تحقيقية
فاعرف ذلك (وإن نطقت) قبله :

لَا تَحْسَبِينَ بِشَاشَتِي لَكَ عَنْ رِضَى فَوَاحِقُ جُودِكَ إِنِّي أَتَسَاقَى
(صحاح) أي سلا مجازاً من الصحو بخلاف السكر وأقصر بالله) يقال أقصر
عن الشيء : إذا أوقع عنه ، أي تركه وامتنع عنه . وبعد ، فقد ظهر لك

أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهُ تَرَكَ مَا كَانَ يَرْتَكِبُهُ زَمَنَ الْحَبَّةِ ، مِنْ الْجَهْلِ
وَالنَّفْسِ ، وَأَعْرَضَ عَنْ مُعَاوَدَتِهِ ، فَبَطَلَتْ آيَاتُهُ ، فَشَبَّهَ الصَّبَا بِجِهَةٍ مِنْ
جِهَاتِ الْمَدِيرِ ، كَالْحَجِّ وَالتَّجَارَةِ ، قَضَى مِنْهَا الْوَطَرَ فَأَهْمَانُ آيَاتُهَا ، فَأَثْبَتَ
لَهُ الْأَفْرَاسَ وَالرَّوَاهِلَ ، فَالصَّبَا مِنَ الصَّبْوَةِ بِمَعْنَى الْمَيْلِ إِلَى الْجَهْلِ وَالْفُتُوَّةِ .
وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ دَوَاعِيَ النُّفُوسِ وَشَهَوَاتِهَا وَالْقُوَى الْخَاصِلَةَ لَهَا فِي اسْتِيفَاءِ
الذَّاتِ ، أَوْ الْأَسْبَابَ الَّتِي قَلَّمَا تَتَّخِذُ فِي اتِّبَاعِ الْعَيْ إِلَّا أَوَانَ الصَّبَا ،
فَتَكُونُ الْإِسْتِعَارَةُ تَحْقِيقِيَّةً .

﴿ فَصْلٌ ﴾

عَرَفَ السَّكَاكِيَّ الْحَقِيقَةَ اللُّغَوِيَّةَ بِالْكَلِمَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِيمَا وَضِعَتْ

من كلام المصنف هذا أن الاستعارة بالكناية هي التشبيه المضمحل في النفس .
قال الشيخ التفتازاني : وعي هذا لا وجه لتسميتها استعارة ، بل هي مجرد تسمية
خالية عن المناسبة ، قال وهذا التفسير شيء لا مستند له في كلام السلف ، ولا
هو يبنى على مناسبة لغوية وكأنه استنباط منه ، والمعنى الصحيح هو ما ذهب
إليه السلف (أراد) أي بالأفراس والرواحل (فصل) تعرض فيه المصنف
لما ذهب إليه السكاكي ، في الحقيقة والمجاز والاستعارة بالكناية والاستعارة
التخييلية ، ويبحث معه في ذلك . « وبعد » فلا يذهب على الفارسي أن من
سندنا في هذا الشرح الإبعادي عن كل ما لا طائل فراه ولا غناء فيه ، وليس
بطالب البلاغة إليه حاجة ، ومن هنا لا نريد أن نزيد في هذا الفصل على شرح
كلام المصنف شيئاً حتى لا نزيد الظن ببله والظهور فغمة ، ومن تأقت نفسه

لَهُ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِي الْوَضْعِ ، وَاحْتَرَزَ بِالْقَيْدِ الْأَخِيرِ عَنِ الْإِسْتِعَارَةِ
عَلَى أَصْحَاحِ الْقَوْلَيْنِ ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ بِتَأْوِيلٍ ، وَعَرَفَ
الْمَجَازَ اللَّغَوِيَّ بِالْكَلِمَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي غَيْرِ مَا وَضِعَتْ لَهُ بِالتَّحْقِيقِ فِي
اصْطِلَاحِ بِهِ التَّخَاطُبِ مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ عَنِ إِرَادَتِهِ ، وَأَتَى بِقَيْدِ التَّحْقِيقِ

إلى الوقوف على شيء وراء هذا فليُنظر في كتب القوم (الأخير) وهو قوله
من غير تأويل في الوضع (على أصح القولين) وهو القول بأن الاستعارة
بجواز لغوي فإنها على هذا مستعملة فيما وضعت له وضماً بالتأويل ، وهو ادعاء
دخول المشبه في جنس المشبه به يجعل أفراد المشبه به قسمين : متعارفاً وغير
متعارف ، وأما على القول بأنها مجاز عقلي ، بمعنى أن التصرف في أمر عقلي
وهو جعل غير الأسد أسداً ، وأن اللفظ مستعمل فيما وضع له فيكون حقيقة
لغوية فلا يصح الاحتراز عنها (وعرف المجاز اللغوي) بأنه الكلمة المستعملة
في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير ، بالنسبة إلى نوع
حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع . هذا لفظ السكاكي
عدل عنه المصنف كما ترى لما فيه من الإبهام والخفاء ، وقوله بالنسبة متعاقب
بالغير واللام في الغير للعهد ، أي المستعملة في معنى غير المعنى الذي الكلمة
موضوعة له في اللغة أو الشرع أو العرف ، غيراً بالنسبة إلى نوع حقيقة
تلك الكلمة ، حتى لو كان نوع حقيقتها لغوياً ، تكون الكلمة قد استعملت
في غير معناها اللغوي فتكون مجازاً لغوياً وعلى هذا القياس (على ما مر)
من أنها مستعملة فيما وضعت له بالتأويل لا بالتحقيق ، فلولا قيد الوضع
بالتحقيق لم تدخل هي في التعريف ، لأنها ليست مستعملة في غير ما وضعت

لِتَدْخُلَ الْإِسْتِعَارَةُ عَلَى مَا مَرَّ : وَرَدَّ بِأَنَّ الْوَضْعَ إِذَا أُطِيقَ لَا يَتَنَاوَلُ
الْوَضْعَ بِتَأْوِيلٍ ، وَبِأَنَّ التَّقْيِيدَ بِاصْطِلَاحِ التَّخَاطُبِ لَا بَدَّ مِنْهُ فِي تَعْرِيفِ
الْحَقِيقَةِ ، وَقَسَمَ الْمَجَازَ اللُّغَوِيَّ إِلَى الْإِسْتِعَارَةِ وَغَيْرِهَا ، وَعَرَّفَ الْإِسْتِعَارَةَ
بِأَنَّ تَذَكُّرَ أَحَدِ طَرَفَيْ التَّشْبِيهِ وَتُرِيدَ بِهِ الْآخَرَ ، مَدَّعِيًا دُخُولَ الْمَشْبِهِ
فِي جِنْسِ الْمَشْبِيهِ بِهِ ، وَقَسَمَهَا إِلَى الْمَصْرَحِ بِهَا وَالْمَكْنِيِّ عَنْهَا ، وَعَنَى
بِالْمَصْرَحِ بِهَا أَنْ يَسْكُونَ الْمَذْكُورُ هُوَ الْمَشْبِهُ بِهِ ، وَجَعَلَ مِنْهَا تَحْقِيقِيَّةً

له بالتأويل (ورد) يقول : إن ما ذكره السكاكي مردود لأمرين ، الأول :
أن الوضع وما يشق منه كالموضوعة والموضوع له ، إذا أطلق لا يفهم منه
الوضع بتأويل ، وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق لما سبق من تفسير الوضع
فلا حاجة إلى تقييد الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل . وفي تعريف
المجاز بالتحقيق ، قال في الإيضاح : اللهم إلا أن يراد زيادة البيان لا تميم
الحد . الثاني : أن تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه كالذي عبر به (١)
السكاكي إذا كان لا بد منه في تعبير المجاز ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا
استعملها المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فلا بد منه في تعريف الحقيقة
أيضاً ، ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق ، وقد أهمله في تعريفها (وقسم)
مهد المصنف بنقل هذا التقسيم للبحث مع السكاكي في عدد التمثيل
الذي هو مجاز مركب من الاستعارة التي جعلها قسماً من المجاز
المفرد (وغير ما) كالمجاز المرسل (منها) أي من الاستعارة المصريح

(١) وهو قوله سادها لا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها .

وَتَخْيِيلِيَّةٌ ، وَفَسَّرَ التَّحْقِيقِيَّةَ بِمَا مَرَّ ، وَعَدَّ التَّمثيلَ مِنْهَا ؛ وَرَدَّ بِأَنَّهُ
مُسْتَأْزِمٌ لِلتَّرْكِيبِ الْمَنَافِي لِلْأَفْرَادِ ، وَفَسَّرَ التَّخْيِيلِيَّةَ بِمَا لَا تَحَقُّقَ
لِمَعْنَاهُ حِسًّا وَلَا عَقْلًا ، بَلْ هُوَ صُورَةٌ وَهَمِيَّةٌ مُخَضَّةٌ ، كَلَفَظَ الْأَظْفَارِ
فِي قَوْلِ الْهَذَلِيِّ ، فَإِنَّهُ لَمَّا شَبَّهَ الْمَنِيَّةَ بِالسَّبْعِ فِي الْإِغْتِيَالِ أَخَذَ الْوَهْمَ
فِي تَصْوِيرِهَا بِصُورَتِهِ وَاخْتَرَعَ لَوَازِمَهُ لَهَا ، فَاخْتَرَعَ لَهَا مِثْلَ صُورَةِ
الْأَظْفَارِ ، ثُمَّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَفْظَ الْأَظْفَارِ ؛ وَفِيهِ تَعَسُّفٌ ، وَيُخَالِفُ تَفْسِيرَ
غَيْرِهِ لَهَا بِجَعْلِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ ، وَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ التَّرْشِيحُ تَخْيِيلِيَّةً

بها (بما مر) أى بما يكون المشبه المتروك متحققاً حساً أو عقلاً ، (منها) أى
من التحقيقية (ورد) يقول إن عد التمثيل من الاستعارة التحقيقية التى هى
قسم من المجاز المفرد مردود بأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا
مركباً كما تقدم فكيف يكون قسماً من المجاز المفرد (محضة) لا يشوبها
شئ من التحقق العقلى أو الحسى (لوازمه) أى ما يلزم صورته ، ويتم به
شكله من الهيئات والجوارح ، وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتياله للنفوس
به من الأنياب والمخالب (عليه) أى على ذلك المثل يعنى على الصورة التى هى
مثل صورة الأظفار (وفيه تعسف) أى أخذ على غير الطريق لما فيه من كثرة
الاعتبارات التى لا يدل عليها دليل ولا تمس إليها حاجة (ويخالف تفسير غيره
لها بجعل الشئ للشئ) غير السكاكى فسر التخيلية بجعل الشئ للشئ بجعل اليد
للشمال فى قول لبيد :

وَعَدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقِرَّةَ إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

لِلزُّومِ مِثْلُ مَا ذَكَرَهُ فِيهِ ، وَعَنَى بِالْمَكْنِيِّ عَنْهَا أَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ
هُوَ الْمَشْبَهَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَنِيَّةِ السَّبْعُ بِإِدْعَاءِ السَّبْعِيَّةِ لَهَا ، بِقَرِينَةٍ

فعلى تفسير السكاكي يجب أن يجعل للشمال صورة متوهمة شبيهة باليد ، ويكون
إطلاق اليد عليها استعارة تصريحية تخيلية واستعمالاً للفظ في غير ما وضع له ،
وعند غيره الاستعارة هو إثبات اليد للشمال ولفظ اليد حقيقة لغوية
مستعملة في معناه الموضوع له ، ولهذا قال الشيخ عبد القاهر : لا خلاف في
أن اليد استعارة ، ثم إنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ اليد قد نقل عن شيء
إلى شيء ، إذ ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد بل المعنى على أنه أراد أن يثبت
للشمال يداً (للزوم مثل ما ذكره فيه) لأن الترشيح فيه إثبات بعض ما يخص
لمشبه به للمشبه ، إلا أن التعبير عن المشبه في التخيلية بلفظ الموضوع له ،
وفي الترشيح بغير لفظه وهذا لا يفيد فرقاً (وعنى بالمكني عنها) هذا بحث
آخر ، يقول إن السكاكي : أراد بالاستعارة المكني عنها أن يكون المذكور من
طرفي التشبيه هو المشبه ، على أن المراد بالمنية في قول الهذلي : وإذا المنية
أنشبت أظفارها السبع بادعاء السبعية لها وإنكار أن يكون شيئاً غير السبع
بقريئة إضافة الأظفار التي هي من خواص السبع إلى المنية ، فقد ذكر المشبه
وهو المنية وأريد به المشبه به وهو السبع ، قال المصنف : وهذا التفسير
مردود بأن لفظ المشبه في الاستعارة بالكناية مستعمل فيما هو موضوع له على
التحقيق للقطع بأن المراد بالمنية في البيت هو الموت لا الحيوان المفترس ولا شيء
من الاستعارة مستعملاً في معناه الموضوع له تحقيقاً ، لأن السكاكي نفسه
فسر الاستعارة بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر وجعلها
تقسماً من المجاز اللغوي المفسر بالكناية المستعملة في غير ما وضعت له ،
قال أما إضافة نحو الأظفار فقريئة التشبيه ، قال في الإيضاح : وأما ما ذكره

إِضَافَةَ الْأُظْفَارِ إِلَيْهَا ، وَرُدُّ بَأَنَّ لَفْظَ الْمَشَبِّهِ فِيهَا مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا وَضِعَ لَهُ
تَحْقِيقًا ، وَالِاسْتِعَارَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ ، وَإِضَافَةُ نَحْوِ الْأُظْفَارِ قَرِينَةُ
التَّشْبِيهِ ، وَاخْتَارَ رَدَّ التَّبَعِيَّةِ إِلَى الْمَكْنِيِّ عَنْهَا ، بِجَعْلِ قَرِينَتِهَا مَكْنِيًّا
عَنْهَا وَالتَّبَعِيَّةِ قَرِينَتِهَا ، عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِ فِي الْمَنِيَّةِ وَأُظْفَارِهَا ؛ وَرُدُّ بَأَنَّ

السكاكي في تفسير كلامه ، من أنا ندعى ههنا أن اسم المنية اسم لل سبع ، مرادف
لفظ السبع بارتكاب تأويل وهو أن تدخل المنية في جنس السبع للبالغة
في التشبيه ثم تذهب على سبيل التخيل إلى أن الواضع كيف يصح منه أن يضع
اسمين لحقيقة واحدة ، ولا يكونان مترادفين ، فينبأ لنا بهذا الطريق دعوى
السبعية للمنية مع التصريح بلفظ المنية فلا يفيد ذلك لا يقتضى كون اسم
المنية غير مستعمل فيما هو موضوع له على التحقق من غير تأويل فيدخل في
تعريفه للحقيقة ويخرج من تعريفه للجاز (واختار رد التبعية إلى المكنى عنها)
وليك ما قاله في آخر فصل الاستعارة التبعية : هذا ما أمكن من تلخيص كلام
الاصحاب في هذا الفصل ، ولو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم
الاستعارة بالكناية بأن قلبوا فجعلوا في قولهم نطقت الحال بكذا الحال التي
ذكرها عندهم قرينة الاستعارة بالتصريح استعارة بالكناية عن المتكلم
بوساطة المبالغة في التشبيه على مقتضى المقام ، وجعلوا نسبة النطق إليه قرينة
الاستعارة كما تراهم في قوله :

✽ وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أُظْفَارَهَا ✽

يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ويجعلون إثبات الأظفار لها
قرينة لاستعارة ، وهكذا لو جعلوا البخل استعارة بالكناية عن حي أبطات
حياته بسيف أو غير سيف ، فالتحق بالعدم ، وجعلوا نسبة القتل إليه قرينة

إِنْ قَدَّرَ التَّبَعِيَّةَ حَقِيقَةً لَمْ تَكُنْ تَخْيِيلِيَّةً ، لِأَنَّهَا مَجَازٌ عِنْدَهُ ، فَلَمْ تَكُنْ
الْمَكْنَى عَنْهَا مُسْتَأْزِمَةً لِلتَّخْيِيلِيَّةِ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ بِالِاتِّفَاقِ ، وَإِلَّا فَتَكُونُ
اسْتِعَارَةً ، فَلَمْ يَكُنْ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُغْنِيًا تَمَّازُكَ غَيْرُهُ .

﴿ فُضِّلَ ﴾

حُسْنُ كُنْ مِنْ التَّحْقِيقِيَّةِ وَالتَّشْبِيلِ بِرِعَايَةِ جِهَاتِ حُسْنِ التَّشْبِيهِ

ولو جعلوا أيضاً للهدميات استعارة بالكناية عن المطعومات الطيفة الشبيهة على
التهمك وجعلوا نسبة لفظ القرى إليها قرينة الاستعارة لكان أقرب إلى الضبط .
وقال، المصنف وهذا مردود ، لأن السبعية التي جعلها قرينة لقرينتها التي جعلها
استعارة بالكناية كمنطقت ، في قولنا نطقت الحال بكذا . لا يجوز أن
يقدرها حقيقة حينئذ لأنه لو قدرها حقيقة لم تكن استعارة تخييلية ، لأن
الاستعارة التخيلية عنده مجاز ولو لم تكن تخييلية لم تكن الاستعارة بالكناية
مستلزمة للتخييلية واللازم باطل بالاتفاق فيتعين أن يقدرها مجازاً وإذا قدرها
مجازاً لزمه أن يقدرها من قبل الاستعارة ، لسكون العلاقة بين المعنيين هي
المشابهة فلا يكون ما ذهب إليه مغنياً عن قسمة الاستعارة إلى أصالية وتبعية
هـ هذا ، ما أحيدنا ذكره في هذا الفصل مجتزئين به عما لا طائل تحنه مما تشبهت
به القوم محكمين أنفسهم بين المصنف والسكاكي ، فإن تشوفت إلى ذلك قول
نظرك عن كتابنا واعيد به إلى أطول المصام ومطول التفتازاني واجمع إليهما
حاشيتي عبد الحكيم والجرجاني (برعاية جهات حسن التشبيه) مثل أن يكون التشبيه
وافياً بإفادته ما عاق به من الغرض ، وأن يكون وجه الشبه غير مبتذل بأن يكون
قريباً لطيفاً الكثرة التفصيل أو لندرة حضوره في الذهن ، إلى غير ذلك مما سبق

وَأَنَّ لَا يُشَمُّ رَاحَتَهُ لَفْظًا ، وَلِذَلِكَ يُوحَى أَنْ يَكُونَ الشَّبَهُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ
جَلِيًّا ، لِئَلَّا تُصِيرَ الْغَازَا ، كَمَا لَوْ قِيلَ رَأَيْتُ أَسَدًا وَأُرِيدُ إِنْسَانَ أُنْجَرُ ،
وَرَأَيْتُ إِبِلًا مِائَةً لَا تُجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً وَأُرِيدُ النَّاسَ ، وَبِهَذَا ظَهَرَ أَنَّ
التَّشْبِيهَ أَعْمَ مَحَلًّا ؛ وَيَتَّحِيلُ بِهِ أَنَّهُ إِذَا قَوِيَ الشَّبَهُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ حَتَّى
اتَّخَذَا كَالْعِلْمِ وَالنُّورِ وَالشَّبَهَةِ وَالظُّلْمَةِ لَمْ يَحْسُنِ التَّشْبِيهُ وَتَعَيَّنَتْ
الِاسْتِعَارَةُ : وَالْمَكْنَى عَنْهَا كَالْحَقِيقِيَّةِ ، وَالتَّخْيِيلِيَّةُ حُسْنًا بِحَسَبِ حُسْنِ
الْمَكْنَى عَنْهَا .

ذِكْرُهُ (وَأَنَّ لَا يُشَمُّ رَاحَتَهُ لَفْظًا) لِأَنَّ ذَلِكَ يَبْطُلُ الْغَرَضُ مِنَ
الِاسْتِعَارَةِ ، أَعْنَى ادْعَاءِ دُخُولِ الْمَشْبَهِ فِي جِنْسِ الْمَشْبُوهِ بِهِ (وَرَأَيْتُ إِبِلًا مِائَةً
لَا تُجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً) هَذَا مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : النَّاسُ
كَإِبِلٍ مِائَةٍ لَا تُجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً ، يَعْنِي أَنَّ الْمُخْتَارَ مِنَ النَّاسِ فِي عِزَّةِ وَجُودِهِ كَالنَّجْمِيَّةِ
الَّتِي لَا تَوْجِدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْإِبِلِ (أَعْمَ مَحَلًّا) أَي أَنَّ كُلَّ مَا يَتَأْتَى فِيهِ
الِاسْتِعَارَةُ الْحَقِيقِيَّةُ أَوْ التَّمثِيلُ ، يَتَأْتَى فِيهِ التَّشْبِيهُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَتَأْتَى فِيهِ
التَّشْبِيهُ يَتَأْتَى فِيهِ الِاسْتِعَارَةُ الْحَقِيقِيَّةُ أَوْ التَّمثِيلُ ، لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ
الشَّبَهِ فِيهِ خَفِيًّا فِيصِيرُ تَعْمِيَةً رَأً الْغَازَا كَالْمَثَالَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ (لَمْ يَحْسُنِ التَّشْبِيهُ)
فَإِذَا فَهِمَ الرَّجُلُ الْمَسْئَلَةَ فَإِنَّهُ يَقُولُ حَصَلَ فِي قَلْبِي نُورٌ ، وَلَا يَقُولُ كَأَنَّ نُورًا
حَصَلَ فِي قَلْبِي ، وَإِذَا وَقَعَ فِي شَبَهَةٍ يَقُولُ رَقَعَتْ فِي ظِلْمَةٍ ، وَلَا يَقُولُ كَأَنِّي فِي
ظِلْمَةٍ (كَالْحَقِيقِيَّةِ) فِي أَنَّ حُسْنَهَا بِرِعَايَةِ جِهَاتِ حُسْنِ التَّشْبِيهِ (بِحَسَبِ حُسْنِ
الْمَكْنَى عَنْهَا) لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا تَابِعَةً لَهَا عِنْدَ الْمُصَنِّفِ . وَأَمَّا صَاحِبُ الْمَفْتَاحِ
فَقَدْ لَمْ يَقُلْ بِوَجُوبِ كَوْنِهَا تَابِعَةً لِلْمَكْنَى عَنْهَا ، قَالَ إِنَّ حُسْنَهَا بِحَسَبِ حُسْنِ

﴿ فِضْلٌ ﴾

وَقَدْ يُطْلَقُ الْجَازُ عَلَى كَلِمَةٍ تَغَيَّرَ حُكْمُ إِعْرَابِهَا بِحَذْفِ لَفْظٍ
أَوْ زِيَادَةِ لَفْظٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَجَاءَ رَبُّكَ ، وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى :

المكنى عنها حتى كانت تابعة لها ، وقلنا تحسن الحسن الباقع غير تابعة لها ، ولذلك
استهجننا في قول العلامى :

لَا تَسْقِيَنِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبٌّ قَدِ اسْتَعَذَّبْتُ مَاءَ بُكَائِي

(فصل) اعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لتقبل لها عن معناها كما مضى
كذلك توصف به لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها الحذف
لفظ أو زيادة لفظ ، أما الحذف فكقوله تعالى : واسأل القرية ، الأصل واسأل
أهل القرية ، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل ، وعلى الحقيقة هو الجر بالحذف
المضاف واكتسى المضاف إليه إعرابه ، واعلم أن الحكم بالحذف هنا إنما
هو الأمر يرجع إلى غرض المتكلم ، حتى لو رأيت سل القرية في غير التنزيل
لم تقطع بأن ههنا محذوفاً ، لجواز أن يكون كلام رجل مر بقرية قد خربت
وباد أهلها ، فأراد أن يقول لصاحبه واعظاً ومذكراً أو لنفسه متعظاً ومعتبراً
سل القرية عن أهلها وقل لها ما صنعوا ، على حد قولهم : سل الأرض من شق
أنهارك . وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك . فإنها إن لم تجبك حواراً ، أجايتك
اعتباراً . وأما الزيادة فكقوله تعالى : ليس كمثل شيء . على القول بزيادة الكاف
أى ليس مثله شيء ، فأعراب مثله في الأصل هو النصب فزيدت الكاف فصار
جراً : وعندى أن اليكاف ليست بزائدة وأن الآية من باب الكناية . قال في
الكشاف ، قالوا مثلك لا يبخل . فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن
ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية . لأنهم إذا نفوه عن

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، أَيْ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَأَهْلَ الْقَرْيَةِ ، وَلَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ .

﴿ الْكِنَايَةُ ﴾

الْكِنَايَةُ لَفْظٌ أُرِيدَ بِهِ لَازِمٌ مَعْنَاهُ مَعَ جَوَازِ إِرَادَتِهِ مَعَهُ ، فَظَهَرَ أَنَّهَا تُخَالِفُ الْمَجَازَ مِنْ جِهَةِ إِرَادَةِ الْمَعْنَى مَعَ إِرَادَةِ لَازِمِهِ ، وَفُرُقَ بِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ

يسد مسددة وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم ، كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ، ومنه قولهم قدأيفعت لداته وبلغت أترابه ، يريدون إيفاعه وبلوغه ، فحينئذ لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء ، وبين قوله ليس كمثل شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها ، وكأنهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد ، وهو نفي المماثلة عن ذاته ، ونحوه قوله عز وجل : بل يدها مبسوطتان . فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها ، لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئاً آخر حتى إنهم استعملوها فيمن لا يده له ، فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له . هذا ، وأما إن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الإعراب كما في قوله تعالى : أو كصيب من السماء ، إذ أصله أو كمثل ذوى صيب لحذف ذوى لدلالة يجعلون أصابعهم في آذانهم عليه وحذف مثل لما دل عليه عطفه على قوله : كمثل الذى استوقد ناراً ، إذ لا يخفى أن التشبيه ليس من صفة المنافقين العجيبة الشأن ، وذوات ذوى صيب ، وكقوله : فبما رحمة من الله لنت لهم ، فلا توصف الكلمة بالمجاز كما حقق ذلك الشيخ الإمام رحمه الله .

﴿ الكناية ﴾ هي في عرف اللغة أن تتكلم بشيء وتريد به غيره وقد كُنيت بكذا عن كذا أو كنوت وأنشد أبو زياد :

فِيهَا مِنَ الْأَلْزِمِ ، وَفِيهِ مِنَ الْمَلْزُومِ ، وَرُدَّ بِأَنَّ الْأَلْزِمَ مَا لَمْ يَكُنْ مَلْزُومًا
لَمْ يُنْتَقَلْ مِنْهُ ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْإِنْتِقَالُ مِنَ الْمَلْزُومِ . وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

وَإِنِّي لَا كُنُوعَ قَدُورٍ بَغْيَرِهَا . وَأَعْرَبُ أَحْيَانًا بِهَا فَصَارِحُ

وفي مصطلح النظار من علماء البيان ، قال الشيخ الإمام : أن يريد المتكلم
إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء
إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي به إليه ويجعله دليلاً عليه . وقال
غير الشيخ : الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ ،
كقولك فلان طويل النجاد : أي طويل القامة ، وفلانة نؤم الضحى ، أي مرفهة
مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات ، وذلك أن وقت الضحى
وقت يسعى فيه نساء العرب وراء المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه
في تهية المتناولات وتدبير إصلاحها ، فلا تنام فيه من نساءهم إلا من تكون
لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك . ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد
والنوم في الضحى من غير تأويل ، فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه أي
من جهة جواز إرادة المعنى مع إرادة لازمة ، فإن المجاز ينافي ذلك فلا يصح
في نحو قولك : في الجلام أسد ، إن تريد معنى الأسد من غير تأويل ، لأن المجاز
ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة كما تقدم وملزوم معاند الشيء معاند لذلك
الشيء ، وفرق السكاكي وغيره بينهما بوجه آخر أيضاً ، وهو أن مبنى الكناية
على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ، كالانتقال من طول النجاد الذي هو لازم
لطول القامة إليه ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم كالانتقال
من الأسد الذي هو ملزوم الشجاع إلى الشجاع . قال المصنف : وهذا مردود
بأن "لازم ما لم يكن ملزوماً يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم . لأن اللازم من

الأولى المطلوبُ بِهَا غَيْرُ صِفَةٍ وَلَا نَسْبَةٍ ، فَمِنْهَا مَا هِيَ مَعْنَى وَاحِدٍ كَقَوْلِهِ :

* وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ *

وَمِنْهَا مَا هِيَ مَجْمُوعٌ مَعَانٍ كَقَوْلِنَا - كِنَايَةً عَنِ الْإِنْسَانِ - حَتَّى
مُسْتَوَى الْقَامَةِ عَرِيضُ الْأُظْفَارِ ، وَشَرْطُهُمَا الْإِخْتِصَاصُ بِالْمَكْنَى عَنْهُ ؛
وَالثَّانِيَةُ الْمَطْلُوبُ بِهَا صِفَةٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِنْتِقَالُ بِوَاسِطَةٍ فَقَرِيبَةٌ :

حيث أنه لازم ، يجوز أن يكون أعم من الملزوم ، ولا دلالة للعام على الخاص
فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم إلى اللازم كما في المجاز ، فلا يتحقق الفرق
(فمنها) أى فمن الأولى (كقوله والطاعنين مجامع الأضغان) فمجامع
الأضغان معنى واحد كناية عن القلب وصدر البيت :

* الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَيْبَضٍ مَخْدَمٍ *

والمخدّم : القاطع ، ونظير البيت قول البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها
قتله للذئب :

فَاتَّبَعْتُنِيَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصَائِبَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحِقْدُ

فقوله بحيث يكون اللب والرعب والحقد ، ثلاث كنايات لا كناية واحدة ،
لاستقلال كل واحد منها بإفادة المقصود (وشرطهما الاختصاص بالمكنى
عنه) ليحصل الانتقال منهما إليه (والثانية المطلوب بها صفة) يقول : الثانية
من أقسام الكناية المطلوب بها صفة من الصفات ، كالجود والكرم والشجاعة
وهو ضربان قريبة وبعيدة ، فالقريبة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة

وَاضِحَةٌ ، كَقَوْلِهِمْ - كِنَايَةٌ عَنِ طُولِ الْقَامَةِ - طَوِيلٌ نَجَادُهُ وَطَوِيلٌ
النَّجَادِ ، وَالْأُولَى سَادِجَةٌ ، وَفِي الثَّانِيَةِ تَصْرِيحٌ مَّا لَتَتَضَمَّنِ الصِّفَةَ الضَّمِيرَ
أَوْ خَفِيَّةٌ ، كَقَوْلِهِمْ - كِنَايَةٌ عَنِ الْأَبْلَهِ - عَرِيضُ الْقَفَا ، وَإِنْ كَانَ

وهي إما واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل نجاهه ، وهذه كناية
ساذجة لا يشوبها شيء من التصريح ، وطويل النجاد وهذه كناية مشتملة على
تصريح ما لتضمن الصفة فيه وهي طويل ضمير الموصوف ، وإما خفية يتوقف
الانتقال منها على تأمل وإعمال روية ، كقولهم كناية عن الأبله عريض القفا ،
فإن عرض القفا وعظم الرأس إذا أفرطا فيما يقال دليل الغباوة ، ألا ترى إلى
قول طرفة بن العبد :

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَّاشٌ كَرَأْسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ (١)
والبعيدة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة ، كقولهم كثير الرماد ،
كناية عن المضياف ، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الخطب تحت
القدور ومنها إلى كثرة الطبايح ، ومنها إلى كثرة الأكلة ، ومنها إلى كثرة
الضيافان ومنها إلى المقصود وكقوله :

وَمَا يَكُ فِي مِثِّ عَيْبٍ فَإِنِّي جِبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ

فإنه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من
هو بمرصد ، لأن يعس دونها مع كون الهرير في وجه من لا يعرفه طبيعياً له
إلى استمرار تأديبه ، لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ، ومن

(١) الضرب : الرجل الخفيف اللحم ، ورجل خشاس : هو الماضي من
الرجال ، وشبهه تيقظه وذكاه ذهنه بتوقد رأس الحية .

الانتقال بواسطة فبعبدة ، كقولهم : كثير الرماد ، كناية عن المضياف
فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الخطب تحت
القدور ، ومنها إلى كثرة الطبايح ، ومنها إلى كثرة الأكلة ،

ذلك إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوها إثر وجوه ،
ومن ذلك إلى كونه مقصد أدان وأقاص ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قري
الأضياف ، وكذلك ينتقل من هزال الفصيل إلى فقد الأم ، ومنه إلى قوة
الداعى إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لاسيما المثليات (١) ، ومنها إلى
صرفها إلى الطبايح ، ومنها إلى أنه مضياف ومن هذا النوع قول نصيب :

اعبد العزير على قومه وغيرهم من ظاهرة
فبأبك أسهل أبوابهم ودارك مأهولة عامرة
وكنبتك آنس بالزائرين من الأم بالابنة الزائرة

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر إلى أن الزائرين معارف عنده ، ومن
ذلك إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلا ونهاراً . ومنه إلى لزومهم سده ، ومنه
إلى تسنى مباحثهم لديه من غير انقطاع ، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاص
والعام وهو المقصود ، ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلاً يكأه من حبه وهو أعجم
ومنه قول إبراهيم بن هرمة :

لأمتنع العوذ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

(١) أى التى لها أولاد تتلوها ، من أتلت الناقة : إذا تبعها ولد .

وَمِنْهَا إِلَى كَثْرَةِ الضِّيْفَانِ ، وَمِنْهَا إِلَى الْمَقْصُودِ . الثَّالِثَةُ : الْمَطْلُوبُ بِهَا
نِسْبَةً ، كَقَوْلِهِ :

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى * فِي قَبَّةٍ ضَرَبَتْ عَلَى ابْنِ الْحُشْرَجِ
فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُثَبِّتَ اخْتِصَاصَ ابْنِ الْحُشْرَجِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، فَتَرَكَ
التَّصْرِيحَ بِأَنْ يَقُولَ إِنَّهُ مُخْتَصٌّ بِهَا أَوْ نَحْوَهُ إِلَى الْكِنَايَةِ بِأَنْ جَعَلَهَا

فإنه ينتقل من عدم إلتاعها إلى أنه لا يبقى لها فصاها لتأنس بها ، ويحصل لها
الفرح الطبيعي بالنظر إليها ، ومن ذلك إلى نحرها أو لا يبقى العوذ إبقاء على
فصاها ، وكذا قرب الأجل ينتقل منه إلى نحرها ومن نحرها إلى أنه مضياف .
ومن لطيف هذا القسم قوله تعالى : ولما سقط في أيديهم ، أي ولما اشتد ندمهم
وحسرتهم على عبادة العجل ، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرتة أن يعرض
يده غمماً فتصير يده مسقوطاً فيها ، لأن فاه قد وقع فيها (نسبة) أي لإثبات
أمر لأمر أو نفيه عنه ، وهذا معنى قول صاحب المفتاح : إن المطلوب تخصيص
الصفة بالموصوف ، ولم يرد بالتخصيص الحضر إذ لا وجه له هنا (كقوله)
أي قول زياد الأعمى ، فإنه أراد كما لا يخفى أن يثبت هذه المعاني والأوصاف
خلالاً للمدوح وضرائب فيه ، فنرك أن يصرح فيقول إنها لمجموعة فيه أو
مقصورة عليه وما شاكل ذلك بما هو صريح في إثبات الأوصاف المذكورين بها
وعدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح لجعل كونها في القبة المضروبة عليه
عبارة عن كونها فيه ، فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة وظهر
فيه ما أنت ترى من الفخامة ، ولو أنه أسقط هذه الوساطة من البين لما كان
إلا كلاماً غفلاً وحديثاً ساذجاً . وبما هو لطيف في هذا المعنى قول أبي مواس

فِي قُبَّةٍ مَضْرُوبَةٍ عَدِيهِ ، وَنَحْوَهُ قَوْلُهُمْ : الْمَجْدُ بَيْنَ تَوْبِيهِ وَالْكَرَمُ بَيْنَ
بُرْدِيهِ ، وَالْمَوْصُوفُ فِي هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ مَذْكَورٍ كَمَا يُقَالُ
فِي عَرَضٍ مَنْ يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ : الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ . .
السَّكَاتِي : الْكِنَايَةُ تَتَفَاوَتْ إِلَى تَعْرِيفٍ وَتَلْوِيحٍ وَرَمَزٍ وَإِشَارَةٍ

فَمَا جَارَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

وقول الآخر :

يَصِيرُ أَبَانُ قَرِينِ السَّمَاءِ حِ وَالْمَكْرُمَاتِ مَعًا حَيْثُ صَارَا

وقول الثالث :

* وَحَيْثُمَا يَكُ أَمْرٌ صَالِحٌ تَكُنْ *

كل ذلك توصل إلى إثبات الصفة في الممدوح بإثباتها في المكان الذي يكون
فيه . وإلى لزومها له بلزومها الموضع الذي يحله . وهكذا إذا اعتبرت قول
الشنفرى الأزدي يصف امرأة بالغة :

يَدِيْتُ بِمِنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتُهَا إِذَا مَا بِيُوتُ بِالْمَلَامَةِ حُلَّتْ

وجدته يدخل في معنى بيت زياد . وذلك أنه توصل إلى نفي اللوم عنها
وإبعادها عنه بأن نفاه عن بيتها وباعد بينه وبينه . وكان مذهبه في ذلك مذهب
زياد في التوصل إلى جعل السباحة والمرومة والندى في ابن الحشرج ، بأن
جعلها في القبة المضروبة عليه ، وإنما الفرق أن هذا ينفي وذاك يثبت ، وذلك
فرق لا في موضع الجمع ، فهو لا يمنع أن يكونا من نصاب واحد (في عرض)
العرض بضم العين : الناحية والجانب ، يريد كما يقال في التعريض بمن يؤذي
المسلمين إلى الخ (كما يقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فإنه كناية عن

وَإِيمَاءَ ، وَالْمُنَاسِبُ لِلْعَرْضِيَّةِ التَّعْرِيضُ ، وَالغَيْرُهَا - إِنَّ كَثُرَتْ
الْوَسَائِطُ - التَّلْوِيحُ ، وَإِنْ قَامَتْ مَعَ خَفَاءِ الرَّمْزِ ، وَبِلَا خَفَاءِ الْإِيمَاءِ
وَالْإِشَارَةِ ، ثُمَّ قَالَ : وَالتَّعْرِيضُ : يَكُونُ بِحَازِلٍ ، كَقَوْلِكَ آذَيْتَنِي

نفي الإسلام عن المؤذي (تتفاوت) يريد تنوع (والمناسب للعرضية
التعريض) إليك عبارة السكاكي . متى كانت الكناية عرضية (١) كان إطلاق
التعريض عليها مناسباً (٢) وإذا لم تكن كذلك ، فإن كان بينها وبين المسمى
عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في كثير الرماد وأشباهه كان إطلاق
اسم التلويح عليها مناسباً ، لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد وإن
كانت المسافة قريبة من نوع من الخفاء كعريض القفا وعريض الوسادة كان
إطلاق اسم الرمز عليها مناسباً ، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على
سبيل الخفية قال :

رَمَزْتُ إِلَى مَخَافَةٍ مِنْ بَعَائِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُبْدِيَ هُنَاكَ كَلَامَهَا
وإن لم يكن هناك خفاء ، فالمناسب أن تسمى إيماء وإشارة ، كقول أبي
تمام يصف إبلا :

أَبَيْنَ فَمَا يَزُرُنَّ سِوَى كَرِيمٍ وَجَسْبُكَ أَنْ يَزُرُنَّ أبا سَعِيدٍ
فإنه في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف ، وكقول البحري :

(١) أي مسوقة لموصوف غير مذكور .

(٢) لأن التعريض إمالة الكلام إلى عرض أي جانب يدل على المقصود ،
يقال عرضت بفلان ولفلان : إذا قلت قولاً وأنت تعنيه ، فكأنك أشرت به
إلى جانب وأنت تريد جانباً آخر .

فَسَتَّعَرِفُ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ إِنْسَانًا مَعَ الْمُخَاطَبِ دُونَهُ ؛ وَإِنْ أُرِدْتَهُمَا جَمِيعًا
كَانَ كِنَايَةً وَلَا بُدَّ فِيهِمَا مِنْ قَرِينَةٍ .

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أُلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ
فإنه في إفادة أن آل طلحة أماجد ظاهر ، وكقول الآخر :

إِذَا اللَّهُ لَمْ يَسْقِ إِلَّا الْكِرَامَ فَسَقَى وُجُوهَ بَنِي حَنْبَلٍ
وَسَقَى دِيَارَهُمْ نَاكِرًا مِنَ الْغَيْثِ فِي الزَّمَنِ الْمُنْجَلِ
وكقول الآخر :

مَتَى تَخْلُو بِتَمِيمٍ مِنْ كَرِيمٍ وَمَسَلَمَةَ بْنِ عَمْرٍو مِنْ تَمِيمٍ
وأما قوله :

سَأَلْتُ النَّدَى وَالْجُودَ مَا لِي أَرَاكَ تَبَدَّلْتَا ذَلَا بَعْرَ مُؤَبِّدٍ
وَمَا بَالُ رُكْنِ الْمَجْدِ أَمْسَى مَهْدِمًا فَقَالَا أَصْبْنَا بَابِنِ يَحْيَى مُحَمَّدٍ
فَقُلْتُ فُهَلَا مَتَا عِنْدَ مَوْتِهِ فَقَدْ كُنْتَا عَبْدِيهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
فَقَالَا أَقْنَا كِي نَعَزَى بِفَقْدِهِ مَسَافَةَ يَوْمِ نَمَّ نَتْلُوهُ فِي غَدٍ

فعلى ما ترى من الظهور (دونه) أى دون المخاطب ، أى لا تريد تهديده
أى وحيث تريد بهذا الكلام تهديد غير المخاطب دون المخاطب صارت
تاء الخطاب غير مراد بها أصلها ، وإذن يكون هذا الكلام مجازاً . تكلمة ،
قال صاحب الكشاف : الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ،
والتعريض أن تذكر شيئاً يدل به على شيء لم تذكره ، كما يقول المحتاج
إليه ، جئتكم لأسلم عليكم ولأنظر إلى وجهك الكريم ، ولذلك وهرا : حسبك
بالتسليم منى تقاضياً . فكانه إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود

﴿فصل﴾

أُطْبِقَ الْبُلَاغَ عَلَى أَنَّ الْمَجَازَ وَالْكِنَايَةَ أَبْلَغُ مِنَ الْحَقِيقَةِ وَالتَّصْرِيحِ ،
لِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ فِيهِمَا مِنَ الْمَلْزُومِ إِلَى اللَّازِمِ فَهُوَ كَدَعْوَى الشَّيْءِ بِيَدَيْهِ ،
وَأَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ أَبْلَغُ مِنَ التَّشْبِيهِ ، لِأَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ الْمَجَازِ .

ويسمى التلويح ، لأنه يلوح منه ما يريد ، وقال ابن الأثير : الكناية ما دل على
معنى يجوز جملة على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما ، وتكون في
المفرد والمركب ، والتعريض هو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي
أو المجازي ، بل من جهة التلويح والإشارة ، فيختص باللفظ المركب كقول من
يتوقع صلة والله إني لمحتاج ، فإنه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا
مجازاً ، وإنما فهم المعنى من عرض اللفظ أي جانبه ، وعرض كل شيء جانبه .

﴿فصل﴾ أجمع أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للدعوى ، على أن
المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة ، والكناية أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع
من التصريح ، وأن الاستعارة مزينة وفضلا على التصريح بالتشبيه قال الشيخ
الإمام : ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه
لا يفيدها خلافاً ، بل لأنه يفيد تأكيداً لإثبات المعنى لا يفيد خلافاً ، فليست
فضيلة قولنا : رأيت أسداً على قولنا رأيت رجلاً هو والأسد سواء
في الشجاعة ، أن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها
الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة له لم يفده الثاني .
وليست فضيلة قولنا كثير الرماد على قولنا كثير القرى ، أن الأول أفاد زيادة
لقراءة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات كثرة القرى له
لم يفده الثاني ، فالسبب في أن للكناية مزينة لا تكون للتصريح ، أن كل عاقل

﴿ الفن الثالث علم البديع ﴾

وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة
ووضوح الدلالة ، وهي ضربان : معنوي ونمطي ، أما المعنوي فإنه

يعلم أن إثبات الصفة بإثبات دليها أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها
فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً ، وذلك أنك لا تدعي دليل الصفة إلا والامر ظاهر
معروف ، وبجيت لا يشك فيه ولا يظن بالخبر التجوز والغلط ؛ وأما
الاستعارة : فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة أنك إذا قلت رأيت أسداً ،
كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة ، حتى جعلتها كالشيء
الذي يجب له الثبوت والحصول وكالامر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده ،
وذلك أنه إذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة وكالمستحيل
أو الممتنع أن يعرف عنها ، وإذا صرحت بالتشبيه فقلت رأيت رجلاً كالأسد
كنت قد أثبتتها إثبات الشيء بترجح بين أن يكون وبين ألا يكون ، ولم يكن
من حديث الوجوب في شيء (وجوه تحسين الكلام) لعلم أنه قد أطبق
البلغاء على أن هذه المحسنات البديعية لا سيما اللفظية منها لا تحل محلها من
القول ، ولا تقع موقفاً من الحسن ، حتى يكون المعنى هو الذي استدعاها .
وسايرها نحوه ، وحتى تجدها لا تبتغي بها بدلاً ولا تجد عنها حولا ، ومن هنا
ذم الاستكثار منها والويلوع بها لأن المعاني لا تدين في كل موضع لها إذ هي في
الباب الفاظ ، والألفاظ خدم المعاني ، مصرفة في حكمها ، فمن نصر اللفظ
على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنة
الاستكراه . وفيه فتح أبواب العيب والتعرض للشين ، ولهذا الحالة كان
كلام المتقدمين الذين تركوا فصل الاحتفاء بالبديعيات ولزموا بحجة الطبع

المطابقة ، وتسمى الطباق والتضاد أيضاً ، وهي الجمع بين متضادين
أى معنيين متقابلين في الجملة ، ويكونان بلفظين من نوع اسمين

أمكن في القول وأوضح للراد ، وأسلم من التفاوت وأبعد من التعمد الذي
هو ضرب من الخداع بالتزويق . وقد تجد في كلام المتأخرين كلاماً حمل صاحبه
فرط شغفه بالبديعيات إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليعين ، ويخيل
أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء ،
وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يتكلمه
على المعنى وأفسده كمن أثقل العروس بأصناف الحلوى حتى ينالها من ذلك مكروه
في نفسها ، ولعمري إن تجد أيمن طائراً ، وأحسن أولاً وآخراً ، وأهدى إلى
الإحسان وأجلب ، مستحسان ، من أن ترسل المعاني على سجيته ، وتدعها تطلب
لأنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها ، ولم
تلبس من المعارض إلا ما يزينها ، فأما أن تضع في نفسك أنه لا بد من أن
تجنس أو تسجع اللفظين مخصوصين مثلاً فهو الذي أنت منه بعرض الاستكراه
وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم ، وهو الذي يجعل عبارتك حرة
بقول أبي الطيب :

إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيْئِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبٌ

(أى معنيين متقابلين في الجملة) يعني ليس المراد بالمتضادين ههنا الأمرين
الموجودين المتواردين على محل واحد بينهما غاية الخلاف ، كالسواد
والبياض ، بل أعم من ذلك وهو ما يكون بينهما تقابل وتناف في الجملة ،
ون بعض الأحوال سواء كان التقابل حقيقياً أو اعتبارياً وسواء كان تقابل
التضاد أو تقابل الإيجاب والسلب ، أو تقابل العدم والملك ، أو تقابل التضايف

نحو : وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَانًا وَهُمْ رُقُودٌ ، أَوْ فَعِلَيْنِ نَحْوُ : يُحْيِي وَيُمِيتُ ،
أَوْ حَرْفَيْنِ ، نَحْوُ : لَمَّا مَا اكْتَسَبْتُمْ وَغَايِبًا مَا اكْتَسَبْتُمْ ، أَوْ مِنْ نَوْعَيْنِ
نَحْوُ : لَوْ مِنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : طَبَاقُ الْإِيحَابِ ، كَمَا مَرَّ ،

وما يشبه شيئاً من ذلك (نحو يحيي ويميت) مثله قوله تعالى : تَوَتَّى الْمَلِكُ مِنَ
تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مِنْ تَشَاءُ وَتَذَلُّ مِنْ تَشَاءُ . وقوله صلى الله
عليه وسلم للأَنْصَارِ : إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرَزِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ ،
وقول بشارة :

إِذَا أَيْقَظْتِكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَنَبِيَّةٌ لَهَا عَمْرًا ثُمَّ نَمَّ

(نحو لها ما اكتسبت) فإن في اللام معنى الانتفاع ، وفي على معنى
التضرر ، أى لها ما اكتسبت من خير ، وعليها ما اكتسبت من شر ، لا ينتفع
بطاعتها ، ولا يتضرر بمعصيتها غيرها ، وتخصيص الخير بالكسب والشر
بالاكتساب ، لأن الاكتساب فيه احتمال والشر أشبهه النفس وتنجذب إليه ،
فكانت أجد في تحصيله وأعمل ، وبما كان الطباق فيه بين حرفين قول الشاعر :

عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَنْ أَجْمَلَ الْبُهْوَى وَأَخْلَصَ مِنْهُ لَا عَلَى وَلَا لِيَا
(نحو أو من كان ميتاً فأحييناه) فإن أحدهما اسم والآخر فعل ، ومثله

قول طفيل الغنوى يصف فرساً :

بِإِسْمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقَطَّعْ أَبَاجِيهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْدُودٌ

هـ هذا ، ومن لطيف الطباق قول أبي تمام :

أَسْمَ بِلِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ إِسْمَعَا وَأَصْبَحَ مَعْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَمَا
وقالوا هذا أحسن ابتداء في مرثية إسلامية . وقوله أيضاً :

وَطَبَاقُ السَّلْبِ نَحْوُ : وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ، وَنَحْوُ :
فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَأَخْشَوْنِي ، وَمِنْ الطَّبَاقِ نَحْوُ قَوْلِهِ :

تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا آتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُندُسٍ خُضْرُ

وَضَلَّ بِكَ الْمُرْتَادُ مِنْ حَيْثُ يَهْتَدِي وَضَرَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ تَنْمَعُ

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِأَبِي الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ

ومنه قول كثير بن هراسة لابنه : يا بني إن من الناس ناساً يتقصونك إذا
زدتهم ، وتهود عليهم إذا أكرمهم ، ليس لرضاهم موضع فتقصده ، ولا لسخطهم
موقع فتحذره ، فإذا عرفت أولئك بأعيانهم ، فأبد لهم وجه المودة ، وامنعهم
موضع الخاصة . ليكون ما أبديت لهم من وجه المودة حاجزاً دون شرم ،
وما منعتهم من موضع الخاصة قاطعاً بحرمتهم (وطباق السلب) وهو أن
يجمع في الكلام بين الثبوت والانتفاء . ومنه قول امرئ القيس :

هَضِمَ الْجَشِيَّ لَا يَمْلَأُ الْكَفَّ خِضْرُهَا وَيَمْلَأُ مِنْبَأَ كُلِّ حِجَابٍ وَدُمْنَجُ

وقول السموأل :

وَتُنَكِّرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنَكِّرُونَ الْقَوْلَ حِينَ تَقُولُ

وقول أبي تمام :

إِلَى سَالِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ كُلِّ عَائِبٍ وَلَيْسَ لَهُ مَالٌ عَلَى الْجُرُودِ سَالِمٌ

(ومن اللباق نحو قوله) أي قول أبي تمام من قصيدته التي يرى بها أبا
نهشل حين استشهد وأولها :

كَذَا فَلَإِي جَاءَ الْخَطْبُ وَلَيَنْدَحِ الْأَمْرُ وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفْعَرْ مَا وَهَى عَذْرُ

وَيَلْحَقُ بِهِ نَحْوُ : أَشَدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ
مُسَبَّغَةٌ عَنِ اللَّيْنِ ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

وهي من أعيان المرائي . وهذا النوع من الطباق سماه بعضهم تدبيجاً ،
وقسره بأن يذكر في معنى المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية ،
أما تدبيج الكناية فكبيت أبي تمام فإنه ذكر فيه لون الحمر والخضرة ، وكنى
بالأول عن القتل وبالثاني عن دخول الجنة ، وأما تدبيج التورية فكقول
الحريري . فذازور المحبوب الأصفر ، واغبر العيش الأخضر ، أسود يومى
الأبيض ، وأبيض فودى الأسود ، حتى يرثى لى العدو الأزرق فيما جازا الموت
الأحمر ، فقوله المحبوب الأصفر : تورية عن الذهب ، لأن معناه القريب إنسان
له صفرة (هذا) ومن طباق التدريج قول عمرو بن كلثوم فى معاقته :

بَأَنَّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضًا وَنُصَدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوَيْنَا

وقول ابن حيوس :

إِنْ تُرِدْ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ فَالْقَهْمُ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نِزَالٍ

تَلَقَّ بِيضَ الْوُجُوهِ سَوْدَ مِثَارِ النَّعْجِ خُضْرَ الْأَكْنَفِ حُمْرَ النَّصَالِ

(خضر) : هو سرفوع على أنه خبر بعد خبر لا بالجر صفة لسندس ، لأن

القوافى مضمومة الروى (ويلحق به) أى بالطباق شيطان : فأولها الجمع بين

معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعاق مثل السببية واللزوم كما فى

الآية ، فإن الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدة ، فهى مسببة عن اللين الذى هو ضد

الشدة ، وثانيتها الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما

لَا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ * ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
وَيُسَمَّى الثَّانِي إِيهَامَ التَّضَادِ ، وَدَخَلَ فِيهِ مَا يَخْتَصُّ بِاسْمِ الْمُقَابَلَةِ
وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، ثُمَّ بَما يُقَابَلُ ذَلِكَ عَلَى
التَّرْتِيبِ . وَالْمُرَادُ بِالتَّوَافُقِ خِلَافُ التَّقَابُلِ ، نَحْوُ : فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا
وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا .

الحقيقتان كما في البيت ، فإنه لا تقابل بين البكاء وظهور المشيب ، لكنه عبر
عن ظهور المشيب بالضحك الذي معناه الحقيقي مقابل للبكاء ، وهذا البيت
لدعبل وبعده :

قَدْ كَانَ يَضْحَكُ فِي شَبَابِهِ

وَالآنَ يَحْسُدُ كُلَّ مَنْ ضَحِكَ

لَا تَأْخُذًا بِظِلَامَتِي أَحَدًا

قَابِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْتَرَاكَ

ومثله قول أبي تمام :

مَا إِنْ تَرَى الْأَسْمَاءَ بَيْضًا وَضِحًا

إِلَّا بِحَيْثُ تَرَى الْمَنَامِيَا سُودًا

وفوله أيضاً في الشيب :

لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضٌ نَاصِعٌ

وَأَكِنَّةٌ فِي الْقَمَبِ أَسْوَدٌ أَسْفَعُ

(ويسمى الثاني إيهام التضاد) لأن المعنيين قد ذكرا بدمعطين بوهمان

التضاد نظراً إلى الظاهر (فيه) أي في الطباق (ما يخص باسم المقابلة)

جعله السكاكي وغيره قسماً برأسه من المحسنات المعنوية (والمراد بالتوافق

خلاف التقابل) فلا يشترط أن يكون المعنيان متناسبين أو متماثلين (نحو

فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً) مثله قول الذبياني :

ونحو قوله :

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا * وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ
وَنَحْوُ : فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَّ لَهُ لِلْإِسْرَى ،
وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَّ لَهُ لِلْإِسْرَى ، وَالْمُرَادُ
بِاسْتِغْنَى أَنَّهُ زَهَدَ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى كَأَنَّهُ اسْتِغْنَى عَنْهُ فَلَمْ يَتَّقِ ،
أَوْ اسْتِغْنَى بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا عَنِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ فَلَمْ يَتَّقِ ، وَزَادَ السَّكَانِي :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعَادِيَا

(ونحو قوله) أى قول أبى دلامة ومثله قول أبى الطيب :

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجُدُّ مُقْبِلٌ وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجُدُّ مُدْبِرٌ
هذا ، وإنما كرر المصنف كلمة نحو لانه مثل : أولاً لما كان فيه مقابلة
اثنين باثنين ، وثانياً لمقابلة ثلاثة بثلاثة ، وثالثاً لأربعة بأربعة والمقابلة فى الآيه
الثانية مركبة من طباق وملحق به كما لا يخفى (وزاد السكاكى وإذا شرط) .
عبارته : المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما ، ثم إذا
شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده كقوله تعالى : فأما من أعطى الآيتين ،
لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والانتقاء والتصديق جعل ضده ، وهو
التعسير مشتركاً بين أضداد تلك ، وهى المنع والاستغناء والتكذيب (ومنه)
أى ومن المعنوى (وقوله) أى قول البحرى فى وصف الإبل الأنضاء .
ومثله قول أسيد فى عنقاء المزارى :

وَإِذَا شُرِطَ هُنَا أَمْرٌ شُرِطَ ثَمَّةٌ ضِدُّهُ كَمَا تَيْنِ الْآيَتَيْنِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا جُعِلَ
التَّيْسِيرُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الإِعْطَاءِ وَالِاتِّقَاءِ وَالتَّصْدِيقِ جُعِلَ ضِدُّهُ مُشْتَرَكًا
بَيْنَ أَضْدَادِهِمَا . . . وَمِنْهُ مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ ، وَيُسَمَّى التَّنَاسُبَ وَالتَّوْفِيقَ ،
وَهُوَ جَمْعُ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَا بِالتَّضَادِّ نَحْوُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ،
وقوله :

كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْمِهِمْ مَثَرِيَّةً بِلِ الْأَوْتَارِ
وَمِنْهَا مَا يُسَمِّيهِ بَعْضُهُمْ تَشَابُهَ الْأَطْرَافِ ، وَهُوَ أَنْ يُخْتَمَ الْكَلَامُ
بِمَا يُنَاسِبُ ابْتِدَاءَهُ فِي الدُّعَى ، نَحْوُ : لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ، وَيَلْحَقُ بِهَا نَحْوُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ

كَأَنَّ الثَّرِيَّا عُلِقَتْ فِي جَبِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشَّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْبَدْرُ
وقول ابن خناجة يصف فرساً :

مِنْ جُلْنَارٍ نَاضِرٍ خَدَّهُ وَأَذْنُهُ مِنْ وَرَقِ الْأَسِي

أ (ومنها) من مراعاة النظير (نحو لا تدركه الأبصار) فإن اللطف يناسب
مما لا يدرك بالبصر ، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً فإن من يدرك شيئاً يكون خبيراً
به (بها) أي بمراعاة النظير (نحو الشمس والقمر بحسبان) أي بحساب معلوم
وتقدير سوى ، والنجم : النبات الذي ينجم من الأرض لاساق له كالبقول والشجر
الذي له ساق ، وسجودهما : انقيادهما لله فيما خلقا له ، فالنجم بهذا المعنى وإن لم
يكن مناسباً للشمس والقمر ، فقد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما

وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ، وَيُسَمَّى إِيهَامَ التَّنَاسُبِ . وَمِنْهُ الْإِرْصَادُ .

ولهذا سمي إيهام التناسب (ومنه الإرصاد) وهو في الأصل : نصب الرقيب في الطريق ، من رصده أي رقبته ، والرصيد : السبع الذي يرصد ليثب ، والرصد : القوم يرصدون كالحرس ، يستوى فيه الواحد والجمع المؤنث . وهذا النوع قالوا إنه من محمود الصنعة ، فإن خير الكلام ما دل بعضه على بعض ، وفي الافتخار به يقول ابن نباتة السعدي :

خُذْهَا إِذَا أَنْشِدْتَ فِي الْقَوْمِ مِنْ طَرَبٍ ضِدُّورُهَا عُرِفَتْ مِنْهَا قَوَافِيهَا
يَنْتَسِي لَهَا الرَّأِيبُ الْعَجَلَانَ حَاجَتَهُ وَيُضْبِحُ الْخَاسِدُ الْفَضْبَانَ يَطْوِيهَا

ومن لطيف هذا النوع قول زهير :

سَمِّتْ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ
وقول الراعي :

وَإِنْ وُزِنَ الْحَمَى فَوَزَنَتْ قَوْمِي وَوَجَدْتُ حَصَى ضَرِيبتِهِمْ رَزِينًا
وقول البحري :

أَبْنَيْكَمَا دَمَمًا وَلَوْ أَنِّي عَلَى قَدْرِ الْجَوَى أَبْنَى بِكَتَيْكَمَا دَمَا
وقوله أيضاً :

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَمَتْ بِلَا سَبَبٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَلَامِي
فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّتْهُ بِمُجَالٍ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَمَتْهُ بِمِحْرَامِ

فليس يذهب على السابع ، وقد عرف القافية وصدر البيت الثاني ، أن

وَيُسَمِّيهِ بَعْضُهُمُ التَّسْيِيمَ ، وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ قَبْلَ الْعَجْزِ مِنَ الْفِقْرَةِ أَوْ الْبَيْتِ
مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِذَا عُرِفَ الرَّوِيُّ نَحْوُ : وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَتَكُنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ، وَقَوْلُهُ :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
وَمِنْهُ الْمَشَاكَلَةُ ، وَهِيَ ذِكْرُ الشَّيْءِ بِلَفْظٍ غَيْرِهِ لَوْ قَوَّعَهُ فِي مَحَبَّتِهِ
بِحَقِّيقَةٍ أَوْ تَقْدِيرٍ ، فَالْأَوَّلُ نَحْوُ قَوْلِهِ :

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدُ لَكَ طَبِيخَهُ قُلْتُ اطْبُخُوا لِي حَبَّةً وَقَمِيصًا
وَنَحْوُ : تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، وَالثَّانِي نَحْوُ : صَبَغَةَ
اللَّهِ ، وَهُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لِأَمْنًا بِاللَّهِ ، أَيْ تَطْهِيرَ اللَّهِ ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ

عجزه هو مقاله البحري (التسليم) من البرد ، المسمم : أي المخطط (إذا
لم تستطع) هو لعمر بن معد يكرب (نحو قوله) أي قول ابن الرقعمق فإنه
ذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام (ونحوه تعلم
ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) حيث أطلق النفس على ذات الله تعالى لوقوعه
في صحبة نفسي ، هذا ، ومن لطيف المشاكلة قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا لَا يَجْهَلَانِ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ
(وهو مصدر مؤكد لِأَمْنًا بِاللَّهِ) أصل هذا الكلام لصاحب الكشاف
رحمه الله قال : صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله ، وهو
فعله من صبغ كالجلسة من جاس ، والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس

يُطَهَّرُ النَّفُوسَ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَغْمِسُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءٍ
أَصْفَرَ يُسَمُّونَهُ الْمَعْمُودِيَّةَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ تَطْهِيرٌ لَهُمْ ، فَعُسِّرَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ

والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه
المعمودية ، ويقولون هو تطهير لهم ، وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال
الآن صار نصرانياً حقاً ، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله
وسبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا ،
أو يقول المسلمون صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتك ، وإنما جرى
بالصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار : اغرس كما يغرس
فلان ، تريد رجلاً يصنع الكرم . قال في الإيضاح بعد هذا النوع : ومنه
الاستطراد وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول
التوصل إلى ذكر الثاني كقول الحماني :

وَإِنَّمَا لَقَوْمٌ لَأَنْتَرَى الْقَتْلَ سَبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَأُولُ

وعليه قوله تعالى : يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً
ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . قال الزخشي :
هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوات ، وخصف الورق
عليها إظهاراً للينة فيما خاق الله من اللباس ، ولما في العرى وكشف العورة من
المهانة والفضيحة ، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى هذا
أصله ، وقد يكون الثاني هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه كقول
أبي إسحاق الصابي :

إِنْ كُنْتُ خُنْتُكَ فِي الْمَوَدَّةِ سَاعَةً فَذَمَّتْ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُخْشُودَا

بِصِبْغَةِ اللَّهِ لِلْمُشَارَكَةِ بِهَذِهِ الْقَرِينَةِ . وَمِنْهُ الْمَزَاوِجَةُ : وَهِيَ أَنْ يُزَاوَجَ
بَيْنَ مَعْنِيَيْنِ فِي الشَّرْطِ وَالْجُزَاءِ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى أَصَاخَتْ إِلَى الْوَأَشِيِّ فَلَجَّ بِهَا الْهَجْرُ
وَمِنْهُ الْعَكْسُ ، وَهُوَ أَنْ يُقَدَّمَ جُزْءٌ مِنَ الْكَلَامِ ثُمَّ يُؤَخَّرَ ، وَيَقَعُ
عَلَى وُجُوهِهِ ، مِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ أَحَدِ طَرَفَيْ جُمْلَةٍ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ نَحْوُ :
عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ . وَمِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ مُتَمَلِّقَيْ فِئَلَيْنِ

وَزَعَمْتُ أَنْ لَهُ شَرِيكًا فِي الْعَلَا وَجَعَدْتُهُ فِي فَضْلِهِ التَّوْحِيدَا
قَسَمًا لَوْ أَنِّي حَالِفٌ بِعَمُوسِيهَا لِغَرِيمِ دَيْنٍ مَا أَرَادَ مَزِيدَا
ولا بأس أن يسمى هذا إيهام الاستطراد (أن يزواج) أى يجعل
معنيان واقعان في الشرط والجزاء ، مزدوجين في أن يرتب على كل منهما
معنى مرتب على الآخر (كقوله) أى قول البهتري ، فقد زواج بين نهى الناهي
وإصاقتها للواشي ، الواقعين في الشرط والجزاء في أن يرتب عليهما لجلاج شيء ،
ومن المزاوجة قول البهتري أيضاً :

إِذَا احْتَرَبْتَ يَوْمًا فَمَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَمَاضَتْ دُمُوعُهَا
فزواج بين الاحتراب وتذكر القربي الواقعين في الشرط والجزاء في ترتب
فيضان شيء عليهما (ومنه العكس) قالوا وهو أن تقدم في الكلام جزء ثم
تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت وهذا أوضح مما قاله المصنف (أضيف)

في بُجْلَتَيْنِ ، نَحْوُ : يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ،
وَمِنْهَا أَنْ يَتَعَ بَيْنَ لَفْظَيْنِ فِي طَرَفَيْ بُجْلَتَيْنِ ، نَحْوُ : لَاهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ * وَمِنْهُ الرُّجُوعُ ، وَهُوَ الْعَوْدُ إِلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ
بِالنَّقْضِ لِنُسْكَتِهِ ، كَقَوْلِهِ :

قِفْ بِالذَّبَارِ الَّتِي لَمْ يَعْنُهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالذِّيمُ
وَمِنْهُ التَّوْرِيَّةُ ، وَيُسَمَّى الْإِيهَامَ أَيْضًا ؛ وَهُوَ : أَنْ يُطْلَقَ لَفْظٌ لَهُ

أى ذلك الطرف (نحو يخرج الحي من الميت) مثله قول الحماسي :

قَرَدٌ شُعُورُهُنَّ السُّودَ بِيضًا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا

(نحو لاهن حل لهم) مثله قول أبي الطيب :

فَلَا تَجِدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وقول الآخر :

إِنَّ اللَّيَالِيَّ لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ تَطْوَى وَتُنَشِّرُ دُونَهَا الْأَعْمَارُ

فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهَمُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ الشُّرُورِ قِصَارٌ

(قف بالديار) هو لزهير بن أبي سلمى : الأرواح : الرياح ، والذيم

جمع ديمة : وهي المطر الدائم في سكون . فقد دل صدر البيت على أن تطاول

الزمان وتقادم العهد لم يعف الديار ، ثم عاد إليه ونقضه بأنه قد غيرها الرياح

والأمطار لنسكته ، وهو إظهار الكآبة والحزن والحيرة والدهشة ، حتى كأنه

أخبر أولاً بما لم يتحقق ، ثم تاب إليه عقله فتدارك كلامه ، فقال بلى ، وغيرها

الأرواح والذيم ، ومثل هذا بيت الحماسة :

مَعْنِيَانِ قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ وَيُرَادُ الْبَعِيدُ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ : مُجَرَّدَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُجَامِعُ شَيْئًا مِمَّا يَلْتَمُّ الْقَرِيبَ ، نَحْوُ : الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، وَرَشْحَةٌ نَحْوُ : وَالسَّمَاءُ بَدِينَاهَا بِأَيْدٍ . وَمِنْهُ الْإِسْتِخْدَامُ : وَهُوَ أَنْ يُرَادَ بِلَفْظٍ لَهُ مَعْنِيَانِ : أَحَدُهُمَا تُنْمَ يُرَادُ بِضَمِيرِهِ الْآخِرُ ، أَوْ يُرَادُ بِأَحَدِ ضَمِيرَيْهِ أَحَدُهُمَا تُنْمَ يُرَادُ بِالْآخِرِ الْآخِرُ ، فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِهِ :

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتَهَا إِلَيْكَ وَكَأَنَّ لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ
وقول الآخر :

فَأَفِّ لِهَذَا الدَّهْرِ لَا بَأْسَ لِأَهْلِهِ

(نحو الرحمن على العرش استوى) فإنه أريد باستوى معناه البعيد ، وهو استولى ولم يقترن به شيء مما يلائم القريب الذي هو الاستقرار (ومرشحة) وهي التي قربت بها ما يلائم القريب المورى به عن البعيد (نحو والسماء بيناها بأيد) فإن المراد بالأيدى المعنى البعيد وهو القدرة ، وقد قرن بها ما يلائم القريب الذي هو الجارحة المخصوصة وهو قوله بيناها ، هذا ، والذي ذكره صاحب الكشاف في قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى إنه تمثيل لأنه لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك ، ولما امتنع ههنا المعنى الحقيقي صار مجازاً كقوله : وقالت اليهود يد الله مغلولة ، أي هو بخيل ، بل يذاه ميسوطتان أي جواد من غير تصور يد ولا غل ولا وسط ، والتفسير بالنعمة والتحمل للتشبيه ، من ضيق

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ :

فَسَقَى الْغُضَى وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمْ شَبَّوهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي
وَمِنْهُ اللَّفُّ وَالنَّشْرُ : وَهُوَ ذِكْرٌ مُتَعَدِّدٌ عَلَى التَّفْصِيلِ ، أَوْ الْإِجْمَالِ ،
ثُمَّ مَا لِكُلِّ وَاحِدٍ ، مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ ، ثِقَّةً بِأَنَّ السَّامِعَ يَرُدُّهُ إِلَيْهِ ،

لعطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام ، وكذلك قوله جل شأنه :
والسما بيناها بأيدٍ ، تمثيل وتصوير لعظمته من غير ذهاب بالأيدى إلى جهة
حقيقة أو مجاز (١) ، وقد شدد النسكير على تفسير اليد بالنعمة والأيدى
بالقدرة والاستواء بالاستيلاء ، وقد ذكر الشيخ في دلائل الإعجاز ما يؤيد ذلك ،
وشنع على من يذهب هذه المذاهب من المفسرين أكبر تشنيع ، حتى لقد
قال : ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن توهموا أبدأ في الألفاظ
الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها ، فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا
الغرض ، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة ، وبمكان
الشرف ، وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون
في غير طائل هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه ، وزند ضلالة قد
قدحوا به ، نسأل الله تعالى العصمة والتوفيق (كقوله إذا نزل) فإنه أراد
بالسما الغيث ، وبضميرها النبت ، والبيت قيل لجرير ، وقيل لمؤذ الحكماء
(كقوله فسقى الغضا) فإنه أراد بضمير الغضا في قوله والساكنيه المكان ،
وفي قوله شبوه : أى أوقدوا الشجر ، والبيت للبحترى من قصيدة بائية وحقيقته :
فسقى الغضا والساكنيه وإن هم شبوه بين جوانح وقلوب

(١) يعنى المجاز المرسل ، وإلا فهو مجاز بالاستعارة لأنه تمثيل كما قال .

فَالْأَوَّلُ ضَرْبَانِ : لِأَنَّ النَّشْرَ إِيمَاءٌ عَلَى تَرْتِيبِ اللَّفِّ نَحْوُ : وَمِنْ رَحْمَتِهِ
جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِمَاءٌ عَلَى غَيْرِ
تَرْتِيبِهِ ، كَقَوْلِهِ :

كَيْفَ أَسْلَوْنَا أَنْتَ حَقِيفٌ وَغَضَنٌ وَغَزَالٌ لِحِطًّا وَقَدًّا وَرِدْفًا
وَالثَّانِي نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا

(نحو ومن رحمته) مثله قول ابن حيوس :

فِعْلُ الْمُدَامِ وَلَوْ نَهَا وَمَذَاقُهَا فِي مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرَبِيقِهِ
وقول ابن الرومي :

أَرَأَيْتُمْ وَوَجُوهَكُمْ وَسَيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نَجُومٌ
فِيهَا مَعَالِمٌ لِلْهَدَى وَمَصَابِيحٌ تَجَلُّو الدَّجَى وَالْأَخْرِيَّاتُ رُجُومٌ

(كقولهِ) أى قول ابن حيوس . والحقفة : الرمل العظيم المستدير يشبه
به الكنل في العظم والاستدارة : فاللحظ للغزال ، والقذ : للغصن ، والردف :
للحقف . وهذا ، وهناك نوع آخر من اللف لطيف المسلك ، وهو أن يذكر
متعدد على التفصيل ثم يذكر ما اسكل ويؤتى بعده بذكر ذلك المتعدد على الإجمال
ملفه ظاً أو مقدرأ فيمع النشر بين لعظين : أحدهما مفصل والآخر مجمل ، وعلى
هذا جاء قوله تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر
فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هداكم ولعالمكم تشكرون . قال صاحب الكشاف : الفعل المعلل
مخروف مدلول عليه بما سبق تقديره : ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما

أَوْ نَصَارَى ، أَيْ قَالَتِ الْيَهُودُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا ، وَقَالَتِ
النَّصَارَى لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ نَصَارَى ، فَلَفَّ لِعَدَمِ الْإِلْتِبَاسِ ،
لِلْعِلْمِ بِتَضَلُّلِ كُلِّ فَرِيقٍ صَاحِبِيهِ . وَمِنْهُ الْجَمْعُ : وَهُوَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ
مُتَعَدِّ فِي حُكْمٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،
وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ
وَمِنْهُ التَّفْرِيقُ : وَهُوَ إِيقَاعُ تَبَايُنٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، مِنْ نَوْعٍ ، فِي الْمَدْحِ
أَوْ غَيْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

مَا نَوَالُ الْغَنَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ وَقْتَ سَخَاءِ

هداكم ولعالمكم تشكرون ، شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم
الشهر ، وأمر المرخص بمراعاة عدة ما أفطر فيه ، ومن الترخيص في إباحة
الفطر ، فقوله لتكلموا : علة الأمر بمراعاة العدة ، ولتكلموا : جملة ما علم من
كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ، ولعالمكم تشكرون : علة الترخيص
والتيسر ، وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى إلى تبيينه إلا بالنقاب
المحدث من علماء البيان (إن الشباب) هو لآبي العتاهية ، والجددة : الاستغناء
(ما نوال الغنم) هو لرشيد الدين الوطواط . وبدرة العين : جلد ولد الضأن
مملوءاً من الدراهم . ففقد أوقع التباين بين النوالين مع أنهما من نوع واحد وهو
مطلق نوال ، ومن لطيف هذا النوع قوله :

مَنْ قَلَسَ جَدْوَاكَ بِالْغَنَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَنْكَلَيْنِ

فَنَوَالُ الْأَسِيرِ بَدْرَةٌ عَيْنٌ * وَنَوَالُ الْغَمَامِ قَطْرَةٌ مَاءٍ
وَمِنْهُ التَّقْسِيمُ : وَهُوَ ذِكْرٌ مُتَعَدِّدٌ ، ثُمَّ إِضَافَةٌ مَا لِكُلِّ إِلَيْهِ عَلَى

التَّعْيِينِ ، كَقَوْلِهِ :

وَلَا يَقِيمُ عَلَى ضِيمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانَ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْخُسْفِ مَرَبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ
وَمِنْهُ الْجُمُوعُ مَعَ التَّفْرِيقِ : وَهُوَ أَنْ يَدْخَلَ شَيْءٌ فِي مَعْنَى وَيُفْرَقَ

أَنْتَ إِذَا جُبِدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا * وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ
(وهو ذكر متعدد) وقال السكاكي هو أن تذكر شيئاً ذا جزئين أو أكثر ،
ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك كقوله :

أَدِيَّانٍ فِي بَلَخٍ لَا يَأْ كَلَانَ إِذَا صَحِبَا الْمَرْءَ غَيْرَ الْكَيْدِ
فَهَذَا طَوِيلٌ كَطَلِّ الْقَنَاءِ وَهَذَا قَصِيرٌ كَطَلِّ الْوَتْدِ

وهذا يقتضى أن يكون التقسيم أعم من اللف والنشر (كقوله ولا يقيم)
البيتان للتلس : الضيم : الظلم ، والعير : الحمار غاب على الوحشى . والمناسب هنا
الأهلى ، والخسف : الذل ، والرمة : قطعة من جبل ، والشج : الدق والكسر ،
والمعنى ظاهر ، فقد ذكر العير والوتد ، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف ،
وإلى الثانى الشج على التعيين . ومن جيد التقسيم قول أبى تمام :

فَمَا هُوَ إِلَّا الْوَحْيُ أَوْ حَدُّ مَرْهَفٍ تَمِيلَ خَلْبَاهُ أَخْدَعَى كُلِّ مَائِلٍ
فَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ وَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ

بَيْنَ جِهَتِي الْأِدْخَالِ ، كَقَوْلِهِ :

فَوَجَّهَكَ كَالنَّارِ فِي ضَوْئِهَا وَقَابِي كَالنَّارِ فِي حَرِّهَا
وَمِنْهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّقْسِيمِ : وَهُوَ جَمْعٌ مُتَعَدِّدٌ تَحْتَ حُكْمٍ ، ثُمَّ
تَقْسِيمُهُ ، أَوْ الْعَكْسُ ، فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِهِ :

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَابِ خَرَشْنَةَ تَشَقَّى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ
لِلسَّبِي مَا نَكَّجُوا وَالْقَتْلُ مَا أَوْلَدُوا وَالنَّهْبُ مَا جَمَعُوا وَالنَّارُ مَا زَرَعُوا
وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا

(كَقَوْلِهِ فَوَجَّهَكَ) فَقَدْ شَبِهَ وَجْهَ الْحَبِيبِ وَقَلْبَ نَفْسِهِ بِالنَّارِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ
وَجْهِ الْمَشَابَهَةِ وَالْبَيْتِ لِلطَّوْطَاطِ (أَوْ الْعَكْسِ) أَيْ تَقْسِيمٍ مُتَعَدِّدٍ . ثُمَّ جَمَعَهُ
تَحْتَ حُكْمِ (حَتَّى أَقَامَ) الْبَيْتَانِ لِلتَّنْبِيْهِ ، وَالْأَرْبَابُ جَمْعُ رِبْضٍ : وَهُوَ مَا حَوْلَ
الْمَدِينَةِ . وَخَرَشْنَةُ : بَلَدٌ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَالشَّاهِدُ فِي الْبَيْتَيْنِ ظَاهِرٌ (كَقَوْلِهِ قَوْمٌ)
الْبَيْتَانِ لِحَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَالْبَدْعُ جَمْعُ بَدْعَةٍ : وَهِيَ الْحَدِيثُ فِي الدِّينِ بَعْدَ الْكِبَالِ ،
وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا مُحَدَّثَاتُ الْأَخْلَاقِ . فَقَدْ قَسَمَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ صِفَةَ الْمَدُودِحِينَ
إِلَى ضَرْبِ الْأَعْدَاءِ وَنَفَعَ الْأَوْلِيَاءِ ، ثُمَّ جَمَعَهُمَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي حَيْثُ قَالَ سَجِيَّةً
تِلْكَ ، وَمِنْ لَطِيفِ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُ الْآخَرِ :

لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمْ فِيهِ يَدُومُ لَكُمْ ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا
لَكِنْ رَأَيْتُ اللَّيَالِي غَيْرَ تَارِكَةٍ مَأْسَرَةٍ مِنْ حَادِثٍ أَوْ سَاءِ مُطَرِّدَا

سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ * إِنَّ الْخَلَائِقَ فَأَعْلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعُ
وَمِنْهُ الْجُمُعُ مَعَ التَّفْرِيقِ وَالتَّقْسِيمِ : كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ
نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا
زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ
إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ . وَقَدْ يُطْلَقُ التَّقْسِيمُ
عَلَى أَمْرَيْنِ آخَرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تُذَكَرَ أَجْوَالُ الشَّيْءِ مُضَافًا إِلَى كُلِّ
مَا يَلِيْقُ بِهِ ، كَقَوْلِهِ :

فَقَدْ سَكَتُ إِلَى أَنِّي وَأَنْتُمْ سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا

فَقَوْلُهُ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ جَمْعٌ لِمَا قَسَمَ لَطِيفٌ ، وَقَدْ أَزْدَادَ لَطْفًا بِحَسَنِ مَا بَنَاهُ
عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ فَقَدْ سَكَتُ إِلَى أَنِّي وَأَنْتُمْ (كَقَوْلِهِ تَعَالَى يَوْمَ يَأْتِي) أَمَا الْجَمْعُ
فِي قَوْلِهِ : يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ نَفْسٌ مُتَعَدَّدٌ مَعْنَى ، وَأَمَا
التَّفْرِيقُ فِي قَوْلِهِ : فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . وَأَمَا التَّقْسِيمُ فِي قَوْلِهِ : فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا
إِلَى آخِرِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ . يَأْتِي أَي اللَّهُ سَبْحَانَهُ ، أَي أَمْرُهُ أَوْ يَأْتِي الْيَوْمَ أَي هَوْلُهُ ،
وَالزَّفِيرُ : إِخْرَاجُ النَّفْسِ بِشِدَّةٍ . وَالشَّهِيقُ : رَدُّهُ بِشِدَّةٍ ، وَغَيْرُ مَجْذُودٍ : غَيْرُ
مَقْطُوعٍ ، وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ قَوْلُ ابْنِ شَرَفٍ الْفَيْرَوَانِي :

لِمُخْتَلَفِي الْحُجَّاتِ جَمْعٌ بِبَابِهِ فَيَهْدَا لَهُ فَنُّ وَهَذَا لَهُ فَنُّ
فَالْإِخَامِلُ الْمَلِيًّا وَالْمُعْدِمُ الْغَنَى وَالْمَذْنِبُ الْعَثْبِيُّ وَالْإِخَائِفُ الْأَمِينُ

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقِنَا وَمَشَايخِ كَانْتَهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّمَعُوا مَرْدُ
يُقَالُ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٌ إِذَا دُعُوا كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا
وَالثَّانِي : اسْتِيفَاءُ أَقْسَامِ الشَّيْءِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا

(كَقَوْلِهِ سَأَطْلُبُ) الْبَيْتَانِ الْمَتْنِي ، وَالْقِنَا : الرِّمَاحُ وَأَرَادَ بِالْمَشَايخِ قَوْمَهُ ،
وَالْإِلْتِمَامُ : وَضْعُ اللَّثَامِ عَلَى الْفَمِ وَالْأَنْفِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ دَابِّ الْعَرَبِ ، فَقَوْلُهُ
مِنْ طُولِ مَا التَّمَعُوا : أَيِ شَدُّوا اللَّثَامَ حَالَةَ الْحَرْبِ ، يَرِيدُ كَثِيرًا مَا شَنُوا
الْفَارَاتِ ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِشِدَّةِ الْوَطْأَةِ عَلَى الْعِدَا وَالثَّبَاتِ عَلَى الْإِقَاءِ ، وَأَنَّهُمْ
مُسْرِعُونَ إِلَى الْإِجَابَةِ إِذْ دُعُوا إِلَى كِفَايَةِ مَهْمٍ ، وَمَدَافِعَةَ خُطْبِ مَدْلِهِمْ ، وَأَنَّ
الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَقُومُ مَقَامَ جَمَاعَةٍ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَقَدْ ذَكَرَ أَحْوَالَ الْمَشَايخِ وَأَضَافَ
إِلَى كُلِّ حَالٍ مَا يَنْسَبُهَا وَهُوَ ظَاهِرٌ (كَقَوْلِهِ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا) فَإِنَّ
الْإِنْسَانَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ لَا يَكُونَ ، فَإِنْ كَانَ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ذَكَرًا أَوْ
أُنْثَى أَوْ ذَكَرًا وَأُنْثَى ، وَقَدْ اسْتَوْفَى جَمِيعَ الْأَقْسَامِ وَإِنَّمَا قَدِمَ ذَكَرَ الْإِنَاثِ لِأَنَّ
سِيَاقَ الْكَلَامِ أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا مَا يَشَاءُ الْإِنْسَانُ ، فَكَانَ ذَكَرَ الْإِنَاثِ
الَّلَاتِي هُنَّ مِنْ جَمَلَةٍ مَالَا يَشَاءُ الْإِنْسَانُ أَمْ ، وَلِيْلِي لَجِنْسِ الَّذِي كَانَتْ الْعَرَبُ
تَعُدُّهُ بِلَاءَ ذَكَرِ الْبِلَاءِ ، فَلَمَّا أَخْرَجَ الذَّكَورَ لِذَلِكَ عَذْرَاكَ تَأْخِيرَهُمْ وَهُمْ أَحْقَاءُ بِالْتَّقْدِيمِ
بِتَعْرِيفِهِمْ ، لِأَنَّ التَّعْرِيفَ تَنْوِيهٌ وَتَشْمِيرٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الْفَرَسَانِ
الْإِعْلَامِ الْمَذْكُورِينَ الَّذِينَ لَا يَخْفُونَ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ أُعْطِيَ بَعْدَ ذَلِكَ كَلَامَ الْجِنْسِينَ
حَقَّهُ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، وَعَرَفَ أَنَّ تَقْدِيمَهُمْ لَمْ يَكُنْ لِتَقْدِيمِهِمْ وَلَكِنْ لِمَقْتَضَى
آخِرٍ : وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ مَا حَكَى بَعْضُ أَعْرَابِي وَقَبَّ عَلَى حَلِيقَةِ الْحَسَنِ فَقَالَ :
وَحَمَّ اللَّهُ مِنْ تَصَدَّقَ مِنْ فَضْلِ أَوْ آسَى مِنْ كَمَافٍ أَوْ آثَرُ مِنْ قُوتِ ، فَقَالَ
الْحَسَنُ : مَا تَرَكَ لِأَحَدٍ عَذْرًا ، وَمِنْهُ قَوْلُ طَرِيحٍ :

وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ
عَقِيًّا . وَمِنَهُ التَّجْرِيدُ : وَهُوَ أَنْ يُنْتزِعَ مِنْ أَمْرٍ ذِي صِفَةٍ آخَرُ مِثْلُهُ فِيهَا
مُبَالَغَةٌ لِكُلِّهَا فِيهِ ، وَهُوَ أَقْسَامٌ : مِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِمْ : مِنْ فُلَانٍ صَدِيقٌ
حَمِيمٌ ، أَيْ بَلَغَ فُلَانٌ مِنَ الصَّدَاقَةِ حَدًّا صَحَّ مَعَهُ أَنْ يُسْتَخْلَصَ مِنْهُ
آخَرُ مِثْلُهُ فِيهَا ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِمْ : لَيْسَ سَأَلْتُ فُلَانًا لَتَسْأَلَنِي بِهِ الْبَحْرَ ،
وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

وَشَوْهَاءَ تَعْدُو بِي إِلَى صَارِحِ الْوَعْيِ * بِمُسْتَلْتِمٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُرْحَلِ

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخْفُوهُ وَإِنْ عَالَمُوا شَرًّا أَدَاعُوهُ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا
وقول أبي تمام في الأفسين لما أحرق :

صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقُودَهَا مَيْتًا وَيَدْخُلُهَا مَعَ النَّجَّارِ

(نحو قولهم الخ) مما يكون حاصلًا بمن التجريدية (حميم) في الصحاح
حميمك : قريبك الذي تهتم لأمره (نحو قولهم الخ) مما يكون حاصلًا بالباء
التجريدية الداخلة على المنتزع منه ، وهذا القول يقال في مقام المبالغة في
وصف فلان بالكرم (نحو قوله الخ) مما يكون حاصلًا بدخول الباء في
المنتزع (وشوهاء) فرس شوهاء صفة محمودة يراد بها سمة أشداقها ، وصارخ
الوعى : أي المستغيث ، في الحرب ، والمستائم : لابس اللأمة وهي الدرع ، والفنيق :
الفحل المكرم عند أهله ، والمرحل : من رحل البعير أشخصه عن مكانه وأرسله ،
فقد بالغ في اتصافه بالاستعداد للحرب ، حتى انتزع منه مستعداً آخر

وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ، أَيْ فِي جَهَنَّمَ ، وَهِيَ دَارُ

الْخُلْدِ ؛ وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

فَاتِنِ بَقِيَّتُ لَأَرْحَلْنَ بِغَزْوَةٍ تَحْوِي الْغَنَائِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمٌ

وَقِيلَ تَقْدِيرُهُ أَوْ يَمُوتَ مَعْنَى كَرِيمٌ ؛ وَفِيهِ نَظْرٌ ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

يَا خَيْرَ مَنْ يَرَى كَبُّ الْمَطِيِّ وَلَا يَشْرَبُ كَأْسًا بِكَفٍّ مَنْ بَخَلًا

وَمِنْهَا مُخَاطَبَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ ، كَقَوْلِهِ :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْخَالُ

لابساً درعاً (ومنها نحو قوله تعالى) مما يكون حاصلًا بدخول في على المتزغ منه ، فإن جهنم أعادنا الله منها هي دار الخلد ، لكن انتزع منها مثابها ، وجعل معداً فيها للكفار تهويلاً لأمرها ومبالغة في اتصافها بالشدة (ومنها نحو قوله) مما يكون ماصلاً بدون توسط حرف ، وعنى بالكريم نفسه . فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه ، والبيت لقنادة بن مسلة الخنق (وقيل) تقديره أَوْ يَمُوتَ مَعْنَى كَرِيمٌ) فيكون من قبيل لي من فلان صديق حميم فلا يكون قسماً آخر (وفيه نظر) لحصول التجريد وتمام المعنى بدون هذا التقدير (ومنها نحو قوله) أي قول الأعشى : فإن فيه تجريداً بطريق الكناية حيث انتزع من الممدوح جواداً يشرب هو الكأس بكفه على طريق الكناية لأنه إذا نفي عنه الشرب بكف البخيل ، فقد أثبت له الشرب بكف كريم ، ومعلوم أنه يشرب بكفه فهو ذلك الكريم (كقوله لا خيل عندك) هو للشئبي ومثله قول الأعشى :

وَمِنْهُ الْمِبَالغةُ الْقَبُولَةُ : وَالْمِبَالغةُ أَنْ يَدَّعَى لِرِوَصْفٍ بُلُوغُهُ فِي الشَّدَّةِ
أَوْ الضَّعْفِ حَدًّا مُسْتَحِيلًا أَوْ مُسْتَبَعَدًا ، لِئَلَّا يُظَنَّ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَنَاهِ فِيهِ ،

وَدَّعَى هُرَيْرَةُ إِنَّ الرِّكْبَ مَرُّ تَحِيلٍ . وَهَلْ تَطِيقُ وَدَاعًا أُيْهَا الرَّجُلُ

هـ هذا ، ومن لطيف التجريد قول المعري :

مَا جَتَ نَمِيرٌ فَهَاجَتَ مِنْكَ ذَا لِيَدٍ وَاللَّيْثُ أَفْتَكُ أَفْعَالًا مِنَ النَّمِيرِ

وقول الآخر :

إِنْ تَلَقَّنِي لِاتْرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ تَنْسُ السَّلَاحَ وَتَعْرِفُ جَبْهَةَ الأَسَدِ

(المقبولة) يشير بهذا إلى الرد على من زعم أنها مردودة مطلقاً محتجاً
بأن خير الكلام ما خرج مخرج الحق ، وكان على منهج الصدق ، كما قال السيد
حسان بن ثابت :

وَإِنَّمَا الشَّعْرُ لُبُّ الرِّءُ يَعْرِضُهُ عَلَى المَجَالِسِ إِنْ كَانَ كَيْسًا وَإِنْ حُفَاً

وَإِنْ أَشْعَرَ بَيْتِ أَنْتَ قَائِمُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا

وعلى من زعم أنها مقبولة مطلقاً ، وأن الفضل مقصور عليها ، والمحاسن
كلها منسوبة إليها ، محتجاً بأن أحسن الشعر أكذبه ، وخير الكلام ما بولغ فيه ،
ولهذا استدرك النابغة على السيد حسان في قوله :

لَنَا الجُفْنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالصُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

حيث استعمل جمع الفلة ، يعنى الجنينات والأسياف ، وقد ذكر وقت

الضحوة وهو وقت تناول الطعام ، وهال يقطرن دون إسان أو يفضن أو نحو

ذلك (فيه) أى فى الشدة أو الضعف (كقوله) أى قول امرئ القيس

وَتَنْحَصِرُ فِي التَّبْلِيغِ وَالْإِغْرَاقِ وَالْفُلُوقِ ، لِأَنَّ الْمُدَّعَى إِنْ كَانَ مُمَكِّنًا
عَقْلًا وَعَادَةً فَتَبْلِيغٌ ، كَقَوْلِهِ :

فَمَا دَى عِدَاءٍ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ * ذِرَاكَ فَلََمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُفْسَلِ
وَإِنْ كَانَ مُمَكِّنًا عَقْلًا لَا عَادَةً فَاغْرَاقٌ ، كَقَوْلِهِ :

حيث وصف هذا الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشيين في مضمار واحد
ولم يعرق ، وذلك غير ممتنع عقلاً ولا عادة . . . ومن الحسن في باب المبالغة
قول الحماسي :

رَهَنْتُ يَدِي بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بَرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكْرِ مَزِيدُ
وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتَطَعْتُهُ وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ

وقول ابن نباتة السعدي في سيف الدولة :

لَمْ يَبْقَ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَوْ مَلَهُ تَرَكَتَنِي أَصْحَابُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ
ومن المبالغة في البخل قول ابن الرومي :

لَوْ أَنَّ قَضْرَكَ يَا بْنَ يُوسُفَ مُمْتَلِ إِبْرًا يَضِيقُ بِهَا فِنَاءَ الْمَنْزِلِ
وَأَتَاكَ يُوسُفُ يَسْتَعِيرُكَ إِبْرَةً لِيَخِيطَ قَدَّ قَيْصِهِ لَمْ تَفْعَلِ
وقال أيضاً :

فَتَى عَلَى خُبْرِهِ وَنَادِيهِ أَشْفَقُ مِنْ وَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ
رَغِيْفُهُ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ مَكَانَ رُوحِ الْجَبَّانِ مِنْ جَسَدِهِ

(كَقَوْلِهِ) أَي عَمْرُو بْنُ الْإِيهِمِ التَّغْلِبِيُّ : أَدْبَى أَنْ جَارَهُ لَا يَمِيلُ عَنْهُ إِلَى .

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِيْنَا وَنُتْبِعُهُ الْكِرَامَةَ حَيْثُ مَا لَأ
وَهُمَا مَقْبُولَانِ ، وَإِلَّا فَفُلُوتُ ، كَقَوْلِهِ :
وَأَخَفْتِ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

جهة إلا وهو يتبعه الكرامة . وهذا ممتنع عادة وإن كان غير ممتنع عقلا ، ومن
هذا النوع قول امرئ القيس :

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرُعَاتِ وَأَهْلِيهَا بِيَثْرِبِ أَدْنَىٰ دَارِهَا نَظْرًا عَالِي
وقول القائل :

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوِّي وَصَبَابَةٍ عَلَىٰ جَلِي لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ كَافِرُ

يريد أنه لو كان مابه من الحب بجمل لنحل حتى يدخل في سم الخياط
(كقوله وأخفت) هو لأن نواس من قصيدة يمدح بها الرشيد ، ولما يتصل
بهذا ما يحكى أن العتابي الشاعر لقي أبا نواس فقال : أما استحيت من الله بقولك ،
وأخفت أهل الشرك . . . البيت ، فقال له أبو نواس وأنت أما استحيت من
الله بقولك :

مَازَلْتُ فِي عَمْرَاتِ الْمَوْتِ مُطْرَحًا بِضَيْقٍ عَنِّي وَسَبِيحُ الرَّأْيِ مِنْ حَيْلِي
فَلَمْ تَزَلْ دَائِبًا تَسْعَىٰ بِأُطْفِكِ لِي حَتَّىٰ اخْتَسَسْتَ حَيَاتِي مِنْ يَدَيْ أَجَلِي
ومن الغلو قول البحرى :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَسْكَفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْمِهِ لَسَعَىٰ إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ
ومن هنا أخذ المتنبي قوله :

لَوْ تَعَقَّلَ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا مَدَّتْ مُحِيَّةً إِلَيْكَ الْأَغْصَنَاءَ

وَالْمَقْبُولُ مِنْهُ أَصْنَافٌ : مِنْهَا مَا أُدْخِلَ عَلَيْهِ مَا يُقَرَّبُهُ إِلَى الصِّحَّةِ نَحْوُ :
يَكَادُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، وَمِنْهَا مَا أَبْضَعَنَ
نَوْعًا حَسَنًا مِنَ التَّخْيِيلِ ، كَقَوْلِهِ :
عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا لَوْ تَبَتَّغِي عِنَقًا عَلَيْهِ لَأَمْكَنَا
وَقَدْ اجْتَمَعَا فِي قَوْلِهِ :

ومن الغلو الغث قول المتنبي :

فَتَى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ أَقَلُّ جُزْئِيءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ

ومثل هذا من الكلام مردود ، لا يشتغل بالاحتجاج عنه له ، والتحسين
لامره ، وهو بترك التداول أولى ، إلا على وجه التعجب منه ، ومن قائله
(والمقبول منه) أى من الغلو (عقدت) هو للتنبي من قصيدة يمدح بها ابن
عمار وقبله :

أَقْبَلْتَ تَبَسُّمُ وَالْجِيَادُ عَوَائِسُ يَخْبُئِينَ بِالْحَلَقِ الْمَضَاعِفِ وَالْقَنَا

السنايك جمع سنيك : وهو طرف الحافر ، والعشير : التراب ، والعنق : نوع
من السير . ادعى تراكم الغبار المرتفع من سنايك الخيل فوق رؤسها ، بحيث
صار أرضاً يمكن سيرها عليه ، وهذا ممتنع عقلاً وعادة ، لكنه تخييل حسن
(وقد اجتمع) أى إدخال ما يقربه إلى الصحة ، وتضمن التخييل الحسن
(فى قوله) أى فى قول القاضى الأرجانى يصف الليل بالطول . يقول يخيل لى
أن الشهب محكمة بالمسامير فى الظلام لانفتل من مكانها ، وأن أجفان عيني
قد شدت بأهدابها إلى الشهب ، أطول سهرى فى ذلك الليل ، وهذا تخييل

يُخَيَّلُ لِي أَنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ فِي الدُّجَى وَشَدَّتْ بِأَهْدَابِي إِلَيْهِنَّ أَجْفَانِي
وَمِنْهَا مَا أَخْرَجَ مُخْرَجَ الْهَزَلِ وَالْخَلَاةِ ، كَقَوْلِهِ :
أَسْكُرُ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الشَّرِّ بِ غَدَاً إِنْ ذَا مِنْ الْعَجَبِ
وَمِنْهُ الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ ، وَهُوَ إِيرَادُ حُجَّةِ الْمَطْلُوبِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ
الْكَلَامِ ، نَحْوُ : لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، وَقَوْلِهِ :

حسن ، ولفظ يخيل يزيد ، حسناً ، وهذا ، ومن المقبول في الغلو قول أبي
العلاء المعري :

تَكَادُ قَسِيئُهُ مِنْ شَغِيرِ رَامٍ تَمَكَّنُ فِي قُلُوبِهِمُ النَّبَالَا
يُدِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا الْفِئْدُ يَمْسِكُهُ لَسَالَا
وقول ابن المعتز يصف فرساً :
يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ إِذَا تَدَلَّى السَّوْطُ لَوْلَا اللَّبَبُ
وقال الفرزدق :
يَكَادُ يَمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاخَتِهِ رُكْنُ الْخَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
وقال آخر :
يَكَادُ يَخْرُجُ سُرْعَةً عَنْ ظِلِّهِ لَوْ كَانَ يَرْتَعِبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِ

وادم أعرابي رجلاً فقال : يكاد بعدى لومه من تسمى باسمه ، ومثل هذا
النوع في الكلام كثير (أسكر بالأمس) لا يعلم قائله ، ومعناه ظاهر (ومنه
المذهب الكلامي) وأول من ذكره الجاحظ وأنكر وجرده في القرآن
(طريقة أهل الكلام) هي أن تكون الحجة بعد تسليم المقدمات مستلزمة
للمطلوب (لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا) واللازم وهو فساد السموات

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ
لَيْنٍ كُنْتَ قَدْ بُلَّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمُبْلَغِكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ
وَلَا كُنْتُ كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبُ مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
مُلُوكٍ وَإِخْوَانٍ إِذَا مَا مَدَحْتَهُمْ أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ
كَفَعَالِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنَبُوا
وَمِنْهُ حُسْنُ التَّعْلِيلِ : وَهُوَ أَنْ يُدْعَى لِيُوصَفَ عِلَّةٌ مُنَاسِبَةٌ لَهُ
بِاعْتِبَارِ لَطِيفٍ غَيْرِ حَقِيقِي ، وَهُوَ أَرْبَعَةٌ أُضْرِبُ : لِأَنَّ الصِّفَةَ إِمَّا ثَابِتَةٌ
قَصِيدَ بَيَانٍ عَلَيْهَا ، أَوْ غَيْرُ ثَابِتَةٍ أُرِيدَ إِثْبَاتُهَا ، وَالْأُولَى إِمَّا أَنْ لَا يَظْهَرُ

والأرض باطل ، لأن المراد به خروجها عن النظام الذي هما عليه فكذا
الملزوم وهو تعدد الآلهة . ومثل الآية قوله تعالى أيضاً : وهو الذي يبدأ الخلق
ثم يعيده وهو أهون عليه ، أى والإعادة أهون عليه من البدء ، والأهون من
البدء أدخل في الإمكان من البدء ، فالإعادة أدخل في الإمكان من البدء
وهو المطاوب ، وقوله تعالى : فلم يعذبكم بذنوبكم ، أى أنتم تعذبون والبنون لا
يعذبون فليست ببينين له (وقوله حلفت) الأبيات للناطقة الذبياني من قصيدة
يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر ، وقد كان مدح آل جفنة بالشام ، فتنكر النعمان
من ذلك ، والريبة : الشك ، ومستراد : معناه موضع يتردد فيه لطلب الرزق .
ومنتجع : من راد الكلالة . فهو يقول : أنت أحسنت إلى قوم فدحوك ، وأنا
أحسن إلى قوم فدحتهم ، فكما أن مدح أولئك لك لا يعد ذنباً ، فكذلك
مدحى لمن أحسن إلى لا يعد ذنباً .

لَهَا فِي الْعَادَةِ عِلَّةٌ ، كَقَوْلِهِ :
لَمْ يَحِكْ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا * نَحْتُ بِهِ فَصِيدِيهَا الرَّحَضَاءُ
أَوْ يَظْهَرُ لَهَا غِلَّةٌ غَيْرُ الْمَذْكَورَةِ ، كَقَوْلِهِ :
مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ * يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرَجُّو الذَّنَابُ
فَإِنَّ قَتْلَ الْأَعْدَاءِ فِي الْعَادَةِ لِيَدْفَعَنَّ مَضَرَّتِهِمْ ، لَا لِمَا ذَكَرَهُ

(كقولہ لم يحك) هو للمتنبي ، والنائل : العطاء ، والرحضاء : العرق أثر الحمى :
فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة له لا يظهر لها علة في العادة . وقد عله
بأنه عرق حماها الناجمة عن عطاء الممدوح . ومن هذا الضرب قول أبي تمام :
لَا تُنْكِرِي عَطْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي
علل عدم إصابة الغنى الكريم بالقياس على عدم إصابة السيل المكان العالي
كالطود العظيم من جهة أن الكريم لا تصافه بعلو القدر . كالمكان العالي والغنى
لحاجة الخلق إليه كالسيل . وقول ابن نباتة في صفة فرس أدهم محجل القوائم
ذى غرة :

وَأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلُ مِنْهُ وَتَطَّلَعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثَّرِيَا
سَرَى خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطِيرُ مَشِيًّا وَيَطْوِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاقَ طِيًّا
فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْفُوتِ مِنْهُ تَشَبَّثَ بِالنَّقْوَاءِ وَالْمَحِيَا
وفي معناه وهو جيد إلى الغاية :

وَكَأَنَّمَا لَظَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَبَخَّاضَ فِي أَحْسَائِهِ
(كقولہ) أى قول المتنبي من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار (لا لما ذكره)

وَالثَّانِيَّةُ : إِمَّا مُمَكِّنَةٌ ، كَقَوْلِهِ :
يَا وَاشِيًّا حَسُنْتَ فِينَا إِسَاءَتُهُ نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْفَرَقِ

من أن طبيعة الكرم قد غلبت عاينه ، وعجبت أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه ، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم ، وهذا مبالغة في وصفه بالجود ، ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييلي ، أي تنهى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم ، فإذا غدا للحرب رجعت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه . ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز :

فَلَوْ اشْتَنَكْتُ عَيْنَهُ فَقُلْتُ لَهُمْ
نُحْرَتُهَا مِنْ دِمَاءٍ مَنْ قَتَلَتْ
مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلِ نَالَهَا الْوَصْبُ
وَالدَّمُ فِي النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبُ
وقول الآخر :

أَتَنِّي تُؤَنَّبُنِي بِالْبُكَاءِ فَأَهْلًا بِهَا وَبِتَأْنِيهَا
تَقُولُ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ أَتَبْكِي بِعَيْنٍ تَرَانِي بِهَا
فَقُلْتُ إِذَا اسْتَحْسَنْتُ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ الدَّمُوعَ بِتَأْدِيهَا

وذلك أن العادة في دمع العين أن يكون السبب فيه لإعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ، ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب (والثانية) أي الصفة الغير الثابتة التي أريد لإثباتها (كقوله) أي قول مسلم بن الوليد (حذارك) أي حذارى إياك (إنساني) أي إنسان عيني (نجى إنسانه الخ) أي حيث ترك

فَإِنَّ اسْتِحْسَانَ إِسَاءَةِ الْوَأَشِيِّ مُمَكِّنٌ ، لَكِنَّ لَمَّا خَالَفَ النَّاسَ فِيهِ
عَقَّبَهُ بِأَنَّ حِدَارَهُ مِنْهُ نَجَّى إِنْسَانَهُ مِنَ الْغَرَقِ فِي الدَّمُوعِ ، أَوْ غَيْرُ
مُمَكِّنَةٍ ، كَقَوْلِهِ :

لَوْلَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجُوزَاءِ خِدْمَتَهُ . لَمَّا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقِ
وَأَلْحَقَ بِهِ مَا يُبْنَى عَلَى الشُّكِّ ، كَقَوْلِهِ :

كَانَ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنٌ مَدَامِعُ

البكاء خوفاً منه - من الواشى - (كقوله لو لم تكن) فنية الجوزاء خدمة
المددوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها ، والانتطاق : شد المنطقة ، ونطاق
الجوزاء : كواكب حولها ، وهذا البيت مترجم من الفارسية ومثله قول الآخر :
لَوْلَمْ يَكُنْ أَقْحُوَانَا نَغْرُ مَبْسِمِهَا مَا كَانَ يَزْدَادُ طِيبًا سَاعَةَ السَّحْرِ
(والحق به ما يبني على الشك) ولكونه مبنياً على الشك لم يجعل من
حسن التعليل لأن فيه ادعاء وإصراراً والشك ينافيه (كقوله كان السحاب)
البيت لأبي تمام . والغر : جمع الأغر . والسحاب : اسم جنس يطاق على الواحد
والجميع . ومن ثم وصفه بالجمع والمراد السحاب الماطرة : الغزيرة الماء . والضمير
في تحتها للرب في قوله قبل هذا البيت :

رُبِّي شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا إِلَى الْمَزْنِ حَتَّى جَادَهَا وَهُوَ هَامِعُ
وترقا أصله ترقا بالهمز . فقد عال على سبيل الشك نزول المطر من
السحاب بأنها غيبت حبيباً تحت تلك الربا . فهي تبكي عليه . وهذا البيت يشير
إلى قول محمد بن وهيب :

وَمِنْهُ التَّفْرِيعُ : وَهُوَ أَنْ يُثَبَّتَ لِتُعَلَّقَ أَمْرٌ حُكْمٌ بَعْدَ إِثْبَاتِهِ
لِتُعَلَّقَ آخَرَ ، كَقَوْلِهِ :

أَحْلَامُكُمْ لِسِقَامِ الْجَهْلِ شَاقِيَةٌ * كَمَا دِمَاؤُكُمْ تُشْفَى مِنَ الْكَلْبِ

طَمَّالَانَ طَالَ عَلَيَّهَا الْأَمْدُ دَرَسَا فَلَا عِلْمَ وَلَا نَصْدُ

لَيْسَ الْبَيْتُ فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَحْبَةِ مِثْلَ مَا أُجِدُ

وَنظِيرُهُ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي :

رَحَلَ الْعِزَاءُ بِرِحْلَتِي فَكَأَنِّي أَتَّبَعْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ

علة تصعيد الأنفاس في العادة ، هي التحسر والتأسف ، لا ما جوز أن يكون إياه ، والمعنى رحل عني العزاء بارتحال عنك ، أي معه أي بسنيبه ، فكأنه لما كان الصدر محل الصبر ، وكانت الأنفاس تتصعد منه أيضاً ، صار العزاء والتنفس الصعداء كأنهما نزيلان ، فلما رحل ذلك كان حقاً على هذا أن يشيعه قضاء لحق الصحبة (كقوله أحلامكم) فقد أثبت لدماثهم أنها تشفى من الكلب بعد أن أثبت لأحلامهم أنها تشفى من سقام الجهل ، والبيت للكسيت من قصيدة يمدح بها أهل البيت ، والكلب : ما يحدث في الإنسان عقيب عض الكلب ولا دواء له ، زعموا أنجع من شرب دم الملوك ، يقول : أنتم أرباب العقول الراجحة كما أنكم أشراف وملوك ، وفي طريقته قول الخمسي :

بِنَاءُ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَةُ كَلِمٍ دِمَائِكُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشُّفَاءُ

هذا ومن التفریع قول الشريف الرضي :

إِذَا فَاتَ شَيْءٌ سَمِيحَةً دَلَّ أَنْفَهُ وَإِنْ فَاتَ عَيْنِيهِ رَأَى بِالْمَسَامِعِ

وَمِنْهُ تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الدَّمَّ : وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَفْضَاهُمَا أَنْ
يُسْتَنْثَى مِنْ صِفَةِ دَمٍ مَنَفِيَّةٍ عَنِ الشَّيْءِ صِفَةً مَدْحٍ ، بِتَقْدِيرِ دُخُولِهَا
فِيهَا ، كَقَوْلِهِ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ * بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ
أَيُّ إِنْ كَانَ فُلُولُ السَّيْفِ عَيْبًا ، فَأَثْبَتَ شَيْئًا مِنْهُ عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهِ

وقول ابن المعتز :

كَلَامُهُ أَخْذَعُ مِنْ لِحْظِهِ وَوَعْدُهُ أَكْذَبُ مِنْ طَيْفِهِ

فبينما هو يصف خدع كلامه أثبت خدع لحظه ، وبينما هو يصف كذب
وعده أثبت كذب طيفه (ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم) النظر في هذه
التسمية إلى الأعم الأغلب ، وإلا فقد يكون ذلك في غير المدح والذم ويكون
من محسنات الكلام كقوله تعالى : وَلَا تَنْسَكُوا مَا نَسَكَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ، يعني إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل
لكم غيره ، وذلك غير ممكن ، والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى
إباحته وليس تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه (كقوله) أي قول النابغة الذبياني ،
فلول جمع قل : وهو الثلم يصيب السيف في حده (قراع الكتائب) مضاربة
الجيوش عند اللقاء (فأنبت) أي فقد أثبت الشاعر شيئاً من العيب على تقدير
كون فلول السيوف من العيب وهذا محال ، لأنه كناية عن كمال الشجاعة فهو
في المعنى تعليق بالمحال كما يقال حتى يبيض القار^(١) ، وحتى يلج الجمل في سم

(١) القار : الزفت .

منه ، وهو محال ، فهو في المعنى تعليق بالمحال ، والتأكيدي فيه من جهة
أنه كدعوى الشيء ببيئته ، وأن الأصل في الاستثناء الاتصال ، فذكر
أداته قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج شيء مما قبلها ، فإذا وليها صفة
مدح جاء التأكيدي ، والثاني أن يثبت لشيء صفة مدح ، وتعقب بأداة
استثناء ، يلينها صفة مدح أخرى له ، نحو : أنا أفصح العرب بيد أنني
من قریش ، وأصل الاستثناء فيه أيضاً أن يكون منقطعاً لكنه
لم يقدر متصلاً ، فلا يفيد التأكيدي إلا من الوجه الثاني ، ولهذا كان

الخياط ، وتأكيدي المدح في هذا الضرب من وجهين : أحدهما أنه كدعوى
الشيء ببيئته كأنه استدلال على أنه لا عيب فيهم بأن ثبوت عيب فيهم معلق
بكون فلول السيوف عيباً وهو محال ، والثاني أن الأصل في الاستثناء الاتصال
أي كون المستثنى منه بحيث يدخل فيه المستثنى على تقدير السكوت عن
الاستثناء ، ليسكون ذكر المستثنى إخراجاً له عن الحكم الثابت للمستثنى منه ،
وذلك لأن الاستثناء المنقطع مجاز على ما تقرر في أصول الفقه ، وإذا كان
الامر كذلك فإذا نطق المتكلم بإلا أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما
بعدها أن ما يأتي بعدها يخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتاً ، فإذا
ولها صفة مدح جاء التوكيد لكونه مدحاً على مدح ، وإن كان فيه شيء من
السحر ونوع من الخلاب (بيد) بيد هنا بمعنى غير وهو أداة استثناء (وأصل
الاستثناء فيه) يقول أصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون منقطعاً كما أن الاستثناء
في الضرب الأول منقطع لعدم دخول المستثنى في المستثنى منه ، وهذا لا ينافي
أن الأصل في مطاق الاستثناء هو الاتصال (لكنه لم يقدر متصلاً) بل بقي

الأول أفضل ، ومنه ضرب آخر ، نحو : وما تنقم منا إلا أن آمننا
بآيات ربنا ، والاستدراك في هذا الباب كاستثناء كما في قوله :
هو البدر إلا أنه البحر زائرا * سوى أنه الضم غام لكنه الويل
ومنه تأكيد الذم بما يشبه المدح : وهو ضربان : أحدهما أن يستثنى
من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم ، بتقدير دخولها فيها ، كقوله :
فلان لا خير فيه إلا أنه يسى إلى من أحسن إليه ، وثانيهما أن يثبت
للشيء صفة ذم ، وتمقّب بأداة استثناء ، تليها صفة ذم أخرى له ،
كقولك : فلان فاسق إلا أنه جاهل ، وتحقيقهما على قياس ما مرّ

على حاله من الانقطاع ، لأنه ليس في هذا الضرب صفة ذم منفية عامة يمكن
تقدير دخول صفة المدح فيها (فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني)
وهو أن الأصل في مطلق الاستثناء الاتصال ، فذكر أداته قبل ذكر المستثنى
يوهم إخراج شيء مما قبلها من حيث أنه استثناء ، فإذا ذكر بعد الأداة صفة
مدح أخرى جاء التأكيد ولا يأتي فيه التأكيد من الوجه الأول أعني دعوى
الشيء ببيئته لأنه مبنى على التعليق بالحال المبني على تقدير الاستثناء متصلا (ومنه)
أي ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم (نحو وما تنقم منا) أي وما تعيب منا إلا أصل
المناقب والمفاخر كما ، وهو الإيمان بآيات الله (كما في قوله هو البدر) فالأولان
فيه استثناء أن مثل : بيد أنى من قرش ، وقوله لكنه الويل ، استدراك يفيد
من التأكيد ما يفيد هذا الضرب من الاستثناء ، لأنه استثناء منقطع وإلا فيه
بمعنى لكن ، والبيت لبديع الزمان الهمداني مدح به خالف بن أحمد السجستاني

وَمِنْهُ الْإِسْتِتْبَاعُ : وَهُوَ الْمَدْحُ بِشَيْءٍ عَلَى وَجْهِ اسْتِتْبَاعِ الْمَدْحِ بِشَيْءٍ

آخَرَ ، كَقَوْلِهِ :

نَهَبْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهِنْتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ

مَدَحُهُ بِالنَّهْيَةِ فِي الشَّجَاعَةِ عَلَى وَجْهِ اسْتِتْبَاعِ مَدْحِهِ بِكَوْنِهِ سَبَبًا لِصَلَاحِ

الدُّنْيَا وَنِظَامِهَا ، وَفِيهِ أَنَّهُ نَهَبَ الْأَعْمَارَ دُونَ الْأَمْوَالِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ظَالِمًا

فِي قَتْلِهِمْ . وَمِنْهُ الْإِدْمَاجُ : وَهُوَ أَنْ يُضْمَنَ كَلَامٌ سَبَقَ لِمَعْنَى مَعْنَى آخَرَ

(نهبت من الأعمار) هو للتعني (مدحه للنهية في الشجاعة) إذ كثر

قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لخلد في الدنيا (على وجه استتبع مدحه بكونه

سبباً لصلاح الدنيا) حيث جعل الدنيا مهنة بخلوده ، ولا معنى لتنهته أحد

بشيء لا فائدة له فيه ولا ثمرة يجنيها منه (وفيه) يقول إن في البيت وجهين

آخرين من المدح ذكرهما على بن عيسى الربعي ، فأولها أنه نهب الأعمار دون

الأموال وهذا مما يشف عن علو الهمة ، وثانيهما أنه لم يكن ظالماً في قتل أحد

من مقتوليه لأنه لم يقصد بذلك لإصلاح الدنيا وأهلها ، فهم مسرورون ببقائه

(ومنه الإدماج) يقال أدمج الشيء في الثوب : إذا لفته فيه (وهو أن يضمن

كلام سبق لمعنى معنى آخر) فهذا المعنى الثاني يجب ألا يكون مصرحاً به

ولا يسكون في الكلام إشعار بأنه مسوق لأجله ، فن قال في قول الشاعر يهنيء

بعض الوزراء لما استوزروا :

أَبِي دَهْرٍ نَا إِسْعَافَنَا فِي نَفُوسِنَا وَأَسْعَفْنَا فِيْمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ

فَقُلْتُ لَهُ نِعْمَاكَ فِيْمِمْ أُمَّتَهَا وَدَعَّ أَمْرَنَا إِنْ الْمِهِمَّ الْمَقْدَمُ

فَهُوَ أَعْمَ مِنَ الْإِسْتِتْبَاعِ ، كَقَوْلِهِ :

أَقْبَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي * أَعْدْتُ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا

فَإِنَّهُ ضَمَّنَ وَصَفَ اللَّيْلِ بِالطُّوْلِ ، الشُّكَايَةَ مِنَ الدَّهْرِ ، وَمِنْهُ مَنْ

قَالَ لِأَعْوَرَ : * لَيْتَ عَيْنَيْهِ سِوَا *

إنه أدمج شكوى الزمان ، وما هو عليه من اختلال الأحوال ، في التهنئة فقدسها ، لأن الشكاية مصرح بها فكيف تكون مدحجة ولو جعل التهنئة مدحجة لكان أقرب (فهو أعم من الاستتباع) لشموله المدح وغيره ، واختصاص الاستتباع بالمدح (كقوله) أى قول أبي الطيب يصف طول الليل عليه ، ومثله قول ابن المعتز في الخيري :

قَدْ نَفَضَ الْعَاشِقُونَ مَا صَنَعَ الْهَجْرُ بِأُلْوَانِهِمْ عَلَى وَرَقِهِ

فإن الغرض وصف الخيري بالصفرة ، فأدمج الغزل في الوصف ، وكذلك

قول ابن نباتة :

وَلَا بَدَّ لِي مِنْ جَهْلَةٍ فِي وَصَالِهِ * فَمَنْ لِي بِخَلِّ أَوْدِعَ الْحِلْمَ عِنْدَهُ

فإنه ضمن الغزل الفخر بكونه حلما المكنتى عنه بالاستفهام عن وجود نخل صالح ، لأن يودعه حله ، وضمن الفخر بذلك بإخراج الاستفهام مخرج الإنكار شكوى الزمان لتغير الإخوان حتى لم يبق فهم من يصلح لهذا الشأن ، ونبه بذلك على أنه لم يعزم على مفارقة حله جملة أبداً ، ولكن إذا كان يريد أن لوصل هذا المحبوب المستلزم للجهل المنافي للحلم ، عزم على أنه إن وجد من يصلح لأن يودعه حله أودعه إياه ، فإن الودائع تستعاد (كقول من قال لأعور ليت عينيه سواء) فإنه يحتمل تمني أن تصير العين العوراء صحيحة

السكاكى : وَمِنْهُ مُتَشَابِهَاتُ الْقُرْآنِ بِاعْتِبَارٍ . وَمِنْهُ الْهَزْلُ الَّذِي

يُرَادُ بِهِ الْجِدُّ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَا تَمِيحِي أَتَاكَ مُفَاخِرًا * فَقُلْ عَدُّ عَنْ ذَا كَيْفَ أَكُلَاكَ لِلضَّبِّ

وَمِنْهُ تَخَاهُلُ الْعَارِفِ : وَهُوَ كَمَا سَمَّاهُ السَّكَاكِيُّ سَوَقُ الْمَعْلُومِ .

فيكون مدحاً أو بالعكس فيكون ذمّاً . والقائل هو بشار بن برد قاله في خياط
أعور يسمى عمرو وصدرة :

* خَاطَ لِي عَمْرُو قِبَاءً *

(قال) السكاكى : وللمتشابهات من القرآن مدخل في هذا النوع ، يعنى
التوجيه ، باعتبار وهو احتمالها للوجهين المختلفين . أى وتفارقه باعتبار آخر
وهو عدم استواء الاحتمالين لأن أحد المعنيين في المتشابهات قريب والآخر
بعيد لما ذكره السكاكى نفسه من أن أكثر متشابهات القرآن من قبيل التورية
والإيهام . ويجوز أن يكون وجه المفارقة هو أن المعنيين في المتشابهات لا يجب
تضادهما ، إذ يجوز اجتماعهما كالقذرة واليد بمعنى الجارحة ، بخلاف التوجيه
فإنه يجب فيه تضاد المعنيين . (ومنه الهزل الذى يراد به الجد) وترجمته تعنى عن
تفسيره ، ومن أمثاله قول امرئ القيس :

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلَى وَإِنْ كَانَ بَعَاءً . بَانَ الْفَتَى يَهْدَى وَلَيْسَ بِفَعَالٍ

فهو الفاتح لهذا الباب (كقوله) أى قول أبى نواس ، فإنه أورده على

سبيل الهزل ، والمراد به الجد . قالوا لأن تمبها كانت تكثر أكل الضب

مَسَاقٍ غَيْرِهِ لِسُكُوتِهِ ، كَالْتَوْبِيخِ فِي قَوْلِ الْخَارِجِيَّةِ :
أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ
وَالْمُبَالَغَةِ فِي الْمَدْحِ ، كَقَوْلِهِ :
أَلْمَعُ بَرَقَ سَرَى أُمِّ ضَوْءٍ مِصْبَاحِ - أُمِّ ابْتِسَامَتِهَا بِالْمُنْظَرِ الضَّاحِيِ
أَوْ فِي الذَّمِّ كَقَوْلِهِ :

وَمَا أُدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أُدْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِصْنِ أُمِّ نِسَاءِ
وَالْتَدَلُّهُ فِي الْحُبِّ فِي قَوْلِهِ :

بِاللَّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أُمُّ لَيْلَى مِنَ الْبَشْرِ
وَمِنْهُ الْقَوْلُ بِالْمُوجِبِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَقَعَ صِفَةٌ
فِي كَلَامِ الْغَيْرِ كِنَايَةً عَنْ شَيْءٍ ، أُثْبِتَ لَهُ حُكْمٌ فَتَشْبِهُتْهَا لِغَيْرِهِ مِنْ

وتعير به (في قول الخارجية) هي ليلي بنت طريف ، ترفى أخاها حين قتل
وبعد البيت :

فَقِي لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ النَّقِيِّ وَلَا الرِّزْقَ إِلَّا مِنْ قَنَّا وَسُيُوفِ
(الخابور) نهر من ديار بكر تلت على حافتيه أشجار (ألمع برق) هو
للبحثري ، والمنظر أراد به الوجه ، والضاحي : الظاهر المشرق (وما أدري)
هو لزهير (بالله يا ظبيات) هو للحسين بن عبد الله الغريبي ، ومثله قول
ذي الرمة :

أَيَا ظَبِيَّةَ الْوَعَسَاءِ مِثْنِ جَلَّاجِلِ وَبَيْنَ النَّقَا آبَاتِ أُمِّ أُمِّ سَلَمِ

غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِثُبُوتِهِ ، أَوْ نَفْيِهِ عَنْهُ ، نَحْوُ : يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذْلَ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَالثَّانِي حَمْلُ لَفْظِ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ مِمَّا يَحْتَمِلُهُ بِذِكْرِ مُتَعَلِّقِهِ ، كَقَوْلِهِ :

قُلْتُ ثَقَلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارًا * قَالَ ثَقَلْتُ كَاهِلِي بِالْأَيْدِي

وَمِنْهُ الْإِطْرَادُ : وَهُوَ أَنْ تَأْتِيَ بِأَسْمَاءِ الْمَذُوحِ أَوْ غَيْرِهِ وَآبَاءِهِ عَلَى

وَالْقَاعُ : هُوَ الْمَسْتَوِيُّ مِنَ الْأَرْضِ (الْقَوْلُ بِالْمَوْجِبِ) وَيَسْمَى أَسْلُوبَ الْحَكِيمِ (نَحْوُ يَقُولُونَ) فَإِنَّهُمْ كَانُوا بِالْأَعَزِّ عَنْ فَرِيقتِهِمْ ، وَبِالْأَذْلِ عَنْ فَرِيقتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَثْبَتُوا الْأَعَزَّ الْإِخْرَاجَ ، فَأَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ صِفَةَ الْعِزَّةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِثُبُوتِ حَكْمِ الْإِخْرَاجِ لِلْمُوصُوفِينَ بِصِفَةِ الْعِزَّةِ وَلَا لِنَفْيِهِ عَنْهُمْ (كَقَوْلِهِ قُلْتُ ثَقَلْتُ) فَلَفْظُ ثَقَلْتُ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ بِعَنْ حَمَلَتِكَ الْمُؤَنَّةَ ، وَثَقَلْتُكَ بِالْإِنْيَانِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَقَدْ حَمَلَهُ عَلَى تَثْقِيلِ عَاتِقِهِ بِالْأَيْدِي وَالْمَنْزَنِ وَبَعْدَ الْبَيْتِ :

قُلْتُ طَوَّلْتُ قَالَ لَا بَلْ تَطَوَّلْتُ وَأَبْرَمْتُ قَالَ حَسِلَ وَدَادَى

أَي طَوَّلْتُ الْإِقَامَةَ وَالْإِيْمَانَ ، وَأَبْرَمْتُ : أَي أَمَلْتُ ، وَأَبْرَمَ أَيْضاً : أَحْكَمَ ، وَالنَّطُولُ : الْإِنْعَامُ ، فَقَوْلُهُ أَبْرَمْتُ أَيْضاً مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْقَاضِي الْأَرْجَانِيِّ :

غَالِبَتْنِي إِذْ كَسَّتْ جِسْمِي الضَّنَّ كِسْوَةً عَرَّتْ مِنْ اللَّحْمِ الْعِظَامَا

نَمْ قَالَتْ أَنْتَ عِنْدِي فِي الْهَوَى مِثْلُ عَيْنِي صَدَقْتَ لَكِنْ سَقَامَا
(وَمِنْهُ الْإِطْرَادُ) لِأَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ فِي تَحْدِثِهَا كَلِمَاءُ الْجَارِي فِي إِطْرَادِهِ

ترتيب الولاة من غير تكلف ، كقوله :

إن يقتلوك فقد تلت عروشهم * بعثت بن الحارث بن شهاب
وأما اللفظي : فإنه الجنس بين اللفظين ، وهو تشابههما في اللفظ ،
والتام منه أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها ، فإن
كانا من نوع واحد كاسمين سمي مماثلاً ، نحو : ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة ، وإن كانا من نوعين سمي مشتقاً ، كقوله :
مامات من كرم الزمان فإنه * يحيا لدى يحيى بن عبد الله

وسهولة انسجامه (أن يقتلوك) أي إن تبجحوا بقتلك وفرحوا به ، فقد
أثرت في عزمهم وهدمت أساس مجدهم بقتل رئيسهم . هذا آخر المحسنات المعنوية
وقد أخذ المصنف في بيان المحسنات اللفظية وذكر منها في هذا الكتاب سبعة
أنواع : (أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها) فخرج نحو
يفرح ويمرح ، ونحو الساق والمساق ، ونحو البرد والبرد ، ونحو الفتح والفتح
(نحو ويوم تقوم الساعة) ومثل قول أبي تمام :

إذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا صدور العوالي في صدور الكتائب
وقول الشاعر :

حَدَقُ الْأَجَالِ آجَالُ وَالْهَوَى لِلْمَرْءِ قَتَالُ

الأول جمع أجل بالكسر : وهو الفطيع من بقر الوحش ، والثاني جمع
أجل : والمراد به منتهى الأعمار (مامات) هو لأبي تمام :

وأيضاً إن كان أحد لفظيه مرّكباً سُمي جناساً التركيب ، فإن
اتفقا في الخطّ خصّ باسم المتشابه ، كقوله :

إِذَا مَلَكَ لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَةً * فَدَعَهُ فَدَوْلَتَهُ ذَاهِبَةً

وإلا خصّ باسم المفروق ، كقوله :

كَلِمَةٌ قَدْ أَخَذَ الْجَامِ مَ وَلَا جَامَ لَنَا

مَا الَّذِي ضَرَّ مُدِيرَ الْجَامِ لَوْ جَامَلْنَا

وإن اختلفا في هيات الحروف فقط سُمي محرفاً ، كقولهم : جَبَّةُ

الْبُرْدِ جَبَّةُ الْبُرْدِ وَنَحْوُهُ : الْجَاهِلُ إِمَّا مَفْرُطٌ أَوْ مَفْرَطٌ ، وَالْحَرْفُ الْمُسَدَّدُ

فِي حُكْمِ الْمُخَفَّفِ ، وَكَقَوْلِهِمْ : الْبِدْعَةُ شَرَكُ الشَّرِكِ ، وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي

(خص باسم المتشابه) لتشابه اللفظين في الكتابة (إذا ملك) هو لأبي الفتح

البيسي ، وقوله لم يكن ذاهبة : أي صاحب هبة وعطاء ، وقوله فدولته ذاهبة : أي

غير باقية (كلكم قد أخذ الجام) هو لأبي الفتح أيضاً ، والجام : إناء يشرب فيه الخمر ،

ومديره : يعني به الساق ، وقوله لو جاملنا : أي عاملنا بالجميل (خص باسم

المفروق) لافتراق اللفظين في صورة الكتابة (سمي محرفاً) لانحراف هيئة

أحد اللفظين عن هيئة الآخر (كقولهم جبة البرد الخ) فقد وقع الاختلاف

بين البرد والبرد ، لأن الباء في الأول ضمّه ، وفي الثاني فتحة ، وأما الجبة والجنة

فمن التجنيس اللاحق لا المحرف ، والجنة : الوقاية (إما مفرط أو مفرط) الأول

من الإفراط وهو تجاوز الحد ، والثاني من التفريط وهو التقصير (كقولهم

البدعة) مثله قول أبي العلاء المعري :

وَالْحُسْنُ يَطْهَرُ فِدَ بَيْتَيْنِ رَوْنَقُهُ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ

أَعْدَادِهَا سُمِّيَ نَاقِصًا ، وَذَلِكَ إِمَّا بِحَرْفٍ فِي الْأَوَّلِ ، مِثْلُ : وَالتَّتَفَتِ السَّاقُ
بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ، أَوْ فِي الْوَسْطِ ، نَحْوُ : بَجَدِّي جَهْدِي
أَوْ فِي الْآخِرِ ، كَقَوْلِهِ :

* يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصِي عَوَاصِمِ *

وَرُبَّمَا سُمِّيَ هَذَا مُطَرَفًا ، وَإِمَّا بِأَكْثَرِ ، كَقَوْلِهَا :

إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشَّفَاةُ مِنَ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ

(سمي ناقصاً) لنقصان أحد اللفظين عن الآخر (جدى جهدى) أى حظى
من الدنيا وغناى فيها وإنما هو باجتهادى وسعي (كقوله يمدون) تمامه :

* تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ *

والبيت لأبي تمام ، وقوله من أيد : فمن زائدة على مذهب الأخفش أو
للتبعيض مثلها فى قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه . وبالجملة هو الواقع
موقع مفعول يمدون ، وعواص جمع عاصية من عصاه ضربه بالعصى : أى
السيف ، وعواصم : من عصمه حنظله وحماه ، وفواض جمع قاضية : من قضى عليه
قتله ، وقواضب جمع قاضب من قضبه جمعه : أى يمدون للضرب يوم الحرب
أيدياً ضاربات للأعداء حاميات للأولياء صائلات على الأقران بسيف
قاتلة قاطعة (وربما سمي مطرفاً) يعنى هذا القسم الذى تكون فيه الزيادة
فى الآخر لتطرف الزيادة فيه . وهذا ، ووجه حسنه أنك تتوهم قبل ، أن يرد
عليك آخر الكلمة كالميم من عواصم أنها هى التى مضت ، وإنما أتى بها
للتأكيد حتى إذا تمكن آخرها فى نفسك ووعاه سمعك ، انصرف عنك ذلك

وَرُبَّمَا سُمِّيَ هَذَا مُذْبِلًا ، وَإِنْ اختلفا في أنواعِهَا فَيُشْتَرَطُ أَنْ لَا يَقَعَ
بِأَكْثَرِ مِنْ حَرْفٍ ، ثُمَّ الْحَرْفَانِ إِنْ كَانَا مُتَقَارِبَيْنِ سُمِّيَ مُضَارِعًا ، وَهُوَ
إِمَّا فِي الْأَوَّلِ نَحْوُ : بَيْنِي وَبَيْنَ كِنْيَ كَيْلٌ دَامِسٌ وَطَرِيقٌ طَامِسٌ ، أَوْ فِي
الْوَسَطِ نَحْوُ : وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ، أَوْ فِي الْآخِرِ نَحْوُ : الْخَيْلُ مَعْقُودٌ
بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ ، وَإِلَّا سُمِّيَ لَاحِقًا ، وَهُوَ أَيْضًا إِمَّا فِي الْأَوَّلِ ، نَحْوُ : وَيْلٌ
لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٍ ، أَوْ فِي الْوَسَطِ ، نَحْوُ : ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ، أَوْ فِي الْآخِرِ نَحْوُ : وَإِذَا جَاءَهُمْ
أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ ، وَإِنْ اختلفا في تَرْتِيبِهَا سُمِّيَ تَجْنِيسَ الْقَابِ ، نَحْوُ :
حُسَامُهُ فَتَنَحَّ لِأَوْلِيَاءِهِ حَتْفٌ لِأَعْدَائِهِ ، وَيُسَمَّى قَابَ كُلِّ ، وَنَحْوُ : اللَّهُمَّ

التوهم . وفي ذلك حصول الفائدة بعد أن يخاطبك اليأس منها قاله الشيخ الإمام
(كقولها) أي الخنساء . والجوى : الحرقه (مذبلا) لأن تلك الزيادة في
آخره كالذيل (سمى مضارعا) لمضارعة المباين من اللفظين لصاحبه في المخرج
(نحو بيني) هذا كلام للحريري . والكن : المنزل . والدامس : الشديد الظلمة .
والطامس : المطموس الغلامات الذي لا يهتدى فيه إلى المراد (ويل لكل همزة
لمزة) الهمز : الكسر . واللمز : الطعن . والمراد الكسر من أعراض الناس
والغض منهم . وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها ونحوهما
اللغة والضحكة (سمى تجنيس القاب) لوقوع القاب : أي عكس بعض الحروف
في أحد اللفظين بالنظر للآخر (نحو حسامه) هذا مأخوذ من قول الأحنف
ابن قيس :

اسْتُرَّ عَوْرَاتِنَا وَأَمِنَ رَوْعَاتِنَا ، وَيُسَمَّى قَلْبَ بَعْضٍ وَإِذَا وَقَعَ أَحَدُهُمَا فِي أَوَّلِ
الْبَيْتِ وَالْآخِرِ فِي آخِرِهِ سُمِّيَ مَقْلُوبًا مُجَنَّبًا ، وَإِذَا وُلِيَ أَحَدُ الْمُتَجَانِسِينَ
الْآخَرَ سُمِّيَ مُزْدَوَجًا وَمَكْرَرًا وَمُرْدَدًّا نَحْوُ : وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ .
وَيَلْحَقُ بِالْجِنَاسِ شَيْئَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنْ يَجْمَعَ اللَّفْظَيْنِ الْإِشْتِقَاقُ نَحْوُ : فَأَقِمَّ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ، وَالثَّانِي أَنْ يَجْمَعَهُمَا الْمَشَابَهَةُ ، وَهِيَ مَا يُشَبِّهُ الْإِشْتِقَاقَ
نَحْوُ : قَالَ إِنْ لِعَمَلِكُمْ مِنَ النَّالِينَ . وَمِنْهُ رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ وَهُوَ فِي

حُسَامُكَ فِيهِ لِلْأَخْبَابِ فَتَحَّ وَرُمُحِكَ فِيهِ لِلْأَعْدَاءِ حَتَفُ

(سمي مقلوباً مجنّباً) لأن اللفظين كأنهما جناحان للبيت . وبنينا كقول

ابن نباتة :

سَاقِي يُرِينِي قَلْبُهُ قَسْوَةً وَكُلُّ سَاقِي قَلْبُهُ قَاسٍ

(نحو وجئتك من سبأ) ونحو قولهم من طلب وجد وجد . وقولهم من

قرع باباً ولج ولج . وقولهم النبيذ بغير النغم غم . وبغير الدسم سم (نحو فأقم

وجهك) مثله قوله تعالى : فروح وزريحان . وقوله عليه السلام : الظلم ظلمات

يوم القيامة . وقول الإمام الشافعي وقد سئل عن النبيذ : أجمع أهل الحرمين

على تحريمه ، وقول أبي تمام :

* فَبَادِمَعُ أَتَجِدُنِي عَلَى سَاكِنِي تَمَجِدُ *

وقول البحتري :

يَعِشِي عَنِ الْمَجْدِ الْغَيْبِيِّ وَأَنْ تَرَى فِي سُودَدٍ أَرْبَا لَغَيْرِ أَرِيْبِ

(نحو قال) وقوله تعالى : ورجى الجنة دان . وقول البحتري :

النَّثْرُ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ الْمَكْرُورَيْنِ أَوْ الْمُتَجَانِسَيْنِ أَوْ الْمُلْحَقَيْنِ بِهِمَا فِي
أَوَّلِ الْفِقْرَةِ ، وَالْآخَرُ فِي آخِرِهَا ، نَحْوُ : وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَخْشَاهُ ، وَنَحْوُ : سَأَيْلُ اللَّيْمِ يَرْجِعُ وَدَمُهُ سَائِلٌ ، وَنَحْوُ : اسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا وَنَحْوُ : قَالَ إِنْ لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ، وَفِي النَّظْمِ
أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا فِي آخِرِ الْبَيْتِ وَالْآخَرُ فِي صَدْرِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ أَوْ
آخِرِهِ أَوْ صَدْرِ الثَّانِي ، كَقَوْلِهِ :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ * وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ

وَإِذَا مَارِ يَاحُ جُودِكَ هَبَّتْ * صَارَ قَوْلُ الْعَدُولِ فِيهَا هَبَاءً

(ومنه) أي ومن اللفظي (المكررين) يعني المتفقين في اللفظ والمعنى
(أو المتجانسين) أي المتشابهين في اللفظ دون المعنى (أو الملحقين بهما)
أي المتجانسين والمراد بهما اللفظان اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق
وقد مثل المصنف لهذه الأربعة على الترتيب (أحدهما) أي أحد اللفظين
المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما (والآخر في صدر المصراع الأول
أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني) وعلى هذا تصير الأقسام ستة عشر ناجمة
عن ضروب أربعة أقسام: المكررين والمتجانسين والملحقين اشتقاقاً والملحقين
بشبه الاشتقاق في أربعة ، وهي كون اللفظ المقابل لما في عجز البيت واقعاً في
صدر المصراع الأول ، أو حشوه أو آخره ، أو صدر الثاني ، والمصنف أورد
ثلاثة عشر مثالا وأهمل ثلاثة اكتفاءً إياه بأمثلة الاشتقاق ، وسندكرها أخرة
إن شاء الله (كقوله سريع) فيما يكون المكرر الآخر في صدر المصراع

وقوله :

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ تَجَدُّ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ

وقوله :

وَمَنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ مُغْرَمًا فَمَازَلْتُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِبِ مُغْرَمًا

وقوله :

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعْرَجَ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلًا

الأول والبيت للأفيشر وتقدم السبب في قوله له (وقوله تمتع) فيما يكون المكرر الآخر في حشو المصراع الأول والبيت للصة بن عبد الله القشيري ، والعزاز : وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة ، وموضع من عرار رفع على أنه اسم ما ومن زائدة ، وتمتع مقول أقول في قوله :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْمَيْسُ شَهْوَى بِنَا بَيْنَ الْمَنِيْفَةِ فَالضَّمَارِ

(وقوله ومن كان) فيما يكون المكرر الآخر في آخر المصراع الأول ، والبيت لأبي تمام ، والكواعب جمع كاعب : وهي الجارية حين يبدو ثديها للنهوض ، والبيض القواضب : السيوف القواطع (وقوله وإن لم يكن) فيما يكون المكرر الآخر في صدر المصراع الثاني ، والبيت لذى الرمة وقبلة :

أَلِمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتَهَا بَيْنَنَا أَهْلَهَا مَا كَانَ وَخْشًا مَقِيلًا

الإلام : النزول القليل ، والتعريج على الشيء : الإقامة عليه ، وانتصب معرج على أنه خبر يكن واسمه ضمير الإلام ، وقيل صفة مؤكدة ، لأن القلة تفهم من إضافة التعريج إلى الساعة ، وقيلها فاعل نافع أو هو مبتدأ ونافع خبره ، والضمير في قايها للساعة أي قليل التعريج في الساعة ينفعني ويبل أوامى ويروى

وقوله :

دَعَايِ مِنْ مَلَامِكُمْ سَفَاهًا فدَاعِي الشُّوقِ قَبْلَكُمْ دَعَايِ

وقوله :

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَا فَانْفِ الْبَلَابِلِ بِأَحْتِسَاءِ بَلَابِلِ

وقوله :

فَمَشْغُوفٌ بِآيَاتِ الْمَثَانِي وَمُفْتُونٌ بِرِنَاتِ الْمَثَانِي

وقوله :

أَمَلْتُهُمْ ثُمَّ تَأَمَّلْتُهُمْ فَلَاخَ لِي أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ فَلَاخَ

غاتي (وقوله دعائي) فيما يكون المتجانس الآخر في صدر المصراع الأول ، دعائي الأول بمعنى اتركاني ، والثاني من الدعاء بمعنى الطالب ، والسفاه : الطيش ، والبيت للقاضي الأبرجاني (وقوله وإذا البلابل) فيما يكون المتجانس الآخر في حشو المصراع الأول البلابل الأول جمع ببل وهو الطائر المعروف ، والثاني جمع بابال وهو الحزن ، والثالث جمع بابللة وهو لبريق الخمر ، والاحتساء : الشرب ، والمقصود بالتمثيل هو البلابل ، الثالث بالنسبة إلى الأول والبيت للشعالي (وقوله فمشغوف) فيما يكون المتجانس الآخر في آخر المصراع الأول ، المثاني الأول القرآن (١) والآخر أوتار المزمار التي ضم طاق منها إلى طاق ، ورناتها : نغماتها ، والبيت للحريري (وقوله أماتهم) فيما يكون المتجانس الآخر

(١) فالي الجوهري : المثاني من القرآن ما كان أقل من المائتين ، وتسمى فاتحة الكتاب مثاني لأنها ثلثي في كل ركعة ، ويسمى جميع القرآن مثاني أيضاً لاقتران آية الرحمة بآية العذاب .

وقوله :

ضَرَائِبُ أَبْدَعْتَهَا فِي السَّمَاحِ . فَلَسْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرْبِيًّا

وقوله :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزَنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ . فَمَا يَسَّ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَانِ

وقوله :

لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمْ . وَالْعَذْبُ يُهَجَّرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ

وقوله :

فَدَعِ الْوَعِيدَ ثَمَّ وَعَيْدُكَ طَائِرِي . أَطْنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ

في صدر المصراع الثاني ومعناه ظاهر وهو للقاضي الأرجاني (وقوله ضرائب)
فيما يكون الملاحق الآخر بالمتجانسين اشتقاقاً في صدر المصراع الأول ،
فالضرائب جمع ضريبة : وهي الطبيعة والسجية التي طبع الرجل عليها ،
والضرب : المثل وأصله المثل في ضرب القداح فهما راجعان إلى أصل واحد في
الاشتقاق والبيت للبحتري (وقوله إذا المرء) مما يكون الملاحق الآخر اشتقاقاً
في حشو المصراع الأول : أي إذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما
يعود ضرره إليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه فيخزن
وخزان مما يجمعهما الاشتقاق ، والبيت لامرئ القيس (وقوله لو اختصرتم)
مما وقع أحد الملاحقين في آخر البيت والآخر في حشو المصراع الأول ويجمعها
شبه الاشتقاق والبيت لأبي الغلاء المعري ، قوله والعذب يعني من الماء والخصر
البرودة ، يقول إن بعدى عنكم لكثرة ما أنعمتم على وطوقتموني من الإحسان
(وقوله فدع الوعيد) فيما يكون الملاحق الآخر اشتقاقاً في آخر المصراع الأول

وقوله :

وَقَدْ كَانَتْ الْبَيْضُ الْقَوَاضِبُ فِي الْوَشْيِ * بَوَاتِرَ نَهَى الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرُ
وَمِنْهُ السَّجْعُ : وَهُوَ تَوَاطُؤُ الْفَاصِلَيْنِ مِنَ النَّثْرِ عَلَى حَرْفٍ
وَاحِدٍ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ السَّكَاكِيِّ : هُوَ فِي النَّثْرِ كَالْقَافِيَةِ فِي الشُّعْرِ ،

فضائر ويضير مما يجمعهما الاشتقاق ، والبيت لابن عيينة المهامي (وقوله وقد كانت) فيما يكون الملاحق الآخر اشتقاقاً في صدر المصراع الثاني . قوله القواضب أي القواطع من ذاتها ، وقوله بواتر : أي قواطع لحسن استعماله إياها ، وبتر جمع أتر : مقطوع الفائدة ، فالبواتر والبتير مما يجمعهما الاشتقاق والبيت لأبي تمام من قصيدته التي رثى بها محمد بن نهشل حين استشهد ، وهذا ، وأما الأمثلة الثلاثة التي أهملها المصنف ، فمثال ما يقع أحد الملاحقين الذين يجمعهما شبه الاشتقاق في آخر البيت ، والآخر في صدر المصراع الأول قول الحريري :

وَلَا حَ يَلْحَى عَلَى جَرِي الْعِنَانِ إِلَى مَلْهَى فَسُخِقًا لَهُ مِنْ لَأْسِحِ لَاحِ
فالأول ماضى يلوح والآخر اسم فاعل . من لحاه أبعده ، ومثال ما وقع
الآخر في آخر المصراع الأول قول الحريري أيضاً :

وَمُضْطَلِعٌ بِتَأْخِيضِ الْعَانِي وَمُطَّلِعٌ إِلَى تَخْلِيصِ عَانِي

فالأول من عنى يعني ، والثاني من عنا يعنو ، ومثال ما وقع الآخر في صدر
المصراع الثاني قول الآخر :

مَمْرِي لَقَدْ كَانَ الثَّرِيًّا مَكَانَهُ ثَرَاهُ فَأَخْسَى الْآنَ مَشْوَاهُ فِي الثَّرَى
فالثراء : وأوى من الثروة ، والثرى : يائي (ومنه السجع) وليس قصاراه

(١) المضطلع بالشيء القوي فيه الناهض به وتخليص العاني فكالك الأسير .

وَهُوَ مُطَرَّفٌ ، إِنْ اخْتَفَا فِي الْوِزْنِ ، نَحْوُ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ، وَإِلَّا فَإِنْ كَانَ مَا فِي إِحْدَى الْقَرِينَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَهُ
مِثْلَ مَا يُقَابَلُهُ مِنَ الْآخَرَى فِي الْوِزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ فَتَرْصِيْعٌ نَحْوُ : فَهُوَ يَطْبَعُ
الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرٍ لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرٍ وَعَظْمِهِ ، وَإِلَّا فَمُتَوَازٍ ،

أَنْ تَقْفَ عِنْدَ تَوَاطُؤِ الْفَوَاصِلِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ
الْإِظْهَارُ الْمَسْجُوعَةُ حَلْوَةٌ حَادَةٌ ، لِأَغْثَةٍ وَلَا بَارِدَةٌ ، وَإِلَّا كُنْتَ كَمَنْ يَنْقُشُ
أَنْوَابًا مِنَ الْكِرْسَفِ ، أَوْ يَنْظِمُ عَقْدًا مِنَ الْحَرْفِ الْمَلُونِ ، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ
يَكُونَ اللَّفْظُ فِيهِ تَابِعًا لِلْمَعْنَى وَإِلَّا كَانَ كِظَاهِرٌ مَمُوهٌ عَلَى بَاطِنٍ مَشُوهٍ ، فَإِذَا تَوَفَّرَتْ
هَذِهِ الْأُمُورُ فَإِنْ وُجِدَ ذَلِكَ مَطْلُوبًا آخَرَ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَقْرَتَيْنِ
دَالَّةً عَلَى مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْآخَرَى ، وَإِلَّا لَكَ تَطْوِيلٌ
كَقَوْلِ الصَّابِيِّ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَدْرِكُهُ الْأَعْيُنُ بِالْحَاضِرِ ، وَلَا تَحْدَهُ الْأَلْسُنُ
بِالْغَاظِ ، وَلَا تَخْلُقُهُ الْعُصُورُ بِمَرُورِهَا ، وَلَا تَهْرِمُهُ الدُّهُورُ بِكُرُورِهَا ، ثُمَّ انْتَهَى
إِلَى الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : لَمْ يَرِ لِلْكَفْرِ أَثْرًا إِلَّا طَمَسَهُ وَمَحَاهُ ،
وَلَا رِسْمًا إِلَّا أَزَالَهُ وَعَفَاهُ ، إِذْ لَافَرِقَ بَيْنَ مَرُورِ الْعُصُورِ وَكُرُورِ الدُّهُورِ ،
وَكَذَلِكَ لَافَرِقَ بَيْنَ مَحُوِّ الْأَثْرِ وَعَفَاءِ الرَّسْمِ (الْقَرِينَتَيْنِ) أَيِ الْفَقْرَتَيْنِ ،
سَمِيَتْ الْفَقْرَةُ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَقَارَنُ أَخْتَهَا (فَتَرْصِيْعٌ) وَسَمِيَتْ كَذَلِكَ تَشْبِيْهُهَا
بِجَعْلِ إِحْدَى اللَّوْلُؤَتَيْنِ فِي الْعَقْدِ فِي مَقَابِلَةِ الْآخَرَى ، وَهَذَا النَّوْعُ لِمَا فِيهِ مِنْ
تَعَمُّقِ الصَّنِيعَةِ وَتَعَسُّفِ السَّنْكَفَةِ ، لَا يَوْجَدُ إِلَّا فِي كَلَامِ الْمُتَفَصِّحِينَ (نَحْوُ فَهُوَ
يَطْبَعُ) فَإِنْ الْحَرِيرِيُّ كَمَا تَرَى قَدْ جَعَلَ يَطْبَعُ بِإِزَاءِ يَقْرَعُ ، وَالْأَسْجَاعُ بِإِزَاءِ
الْأَسْمَاعِ ، وَجَوَاهِرُ بِإِزَاءِ زَوَاجِرَ ، وَنَفْظُهُ بِإِزَاءِ وَعَظْمُهُ (وَإِلَّا) أَيِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ
مَا فِي إِحْدَى الْقَرِينَتَيْنِ وَلَا أَكْثَرَهُ مِثْلَ مَا يُقَابَلُهُ مِنَ الْآخَرَى ، فَهُوَ السَّجْعُ

نحو: فيها سررٌ مرفوعةٌ وأكوابٌ موضوعةٌ. قيل: وأحسنُ السجعِ
ماتساوتُ قرأينهُ، نحو: في سدرٍ مخضودٍ وطلحٍ منضودٍ وظلٍ ممدودٍ،
ثم ما طالتُ قرينتهُ، الثانيةُ نحو: والنَّجمِ إذا هوى ماضلٌ صاحبكمُ
وما غوى، أو الثالثةُ، نحو: خذوه فغلوهُ ثم الجحيمِ صلوهُ، ولا يحسنُ

المتوازي وذلك بأن يكون ما في إحدى القرينتين أو أكثره وما يقابله من
الأخرى مختلفين في الوزن والتقفية جميعاً كما في الآية، أو في الوزن فقط نحو:
والمرسلات عرفاً فالماضفات عصفاً، أو في التقفية فقط كقولهم حصل الناطق
والصامت^(١)، وهلك الحاسد والشامت (قيل) قال ابن الأثير: السجع
ثلاثة أقسام، الأول: أن يكون الفصلان متساويين كقوله تعالى: فأما اليتيم فلا
تقهر وأما السائل فلا تنهر، وهذا أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه،
الثاني أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول لا طولاً يخرج به عن الاعتدال
كثيراً وإلا كان قبيحاً، فن ذلك قوله تعالى: وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد
جئتم شيئاً شديداً إذا تسكاد السموات يتفطرن منه وتلشق الأرض وتخر الجبال
هداً، فإن الأول ثمان لفظات والثاني تسع، وله في القرآن غير نظير ويستثنى
منه ما كان على ثلاث، فإن الأولين يحسبان في عدة واحدة واحدة ثم تأتي الثالثة
بحيث تزيد عليها طولاً، ويجوز أن تجيء مساوية لها كقوله تعالى: وأصحاب
اليمين ما أصحاب اليمين في سدرٍ مخضوضٍ وطلحٍ منضودٍ وظلٍ ممدودٍ فهذه الثلاث
كل منها من لفظتين ولو جعلت الثالثة منها نفس لفظات أو ستاً كان حسناً، الثالث
أن يكون الآخر أقصر من الأول وهو عندي عيب فاحش، لأن السمع قد
استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طولهِ ثم يجيء الفصل الثاني قصيراً عن الأول

(١) أي وجد عندي الناطق وهو العبيد، والصامت نحر الإبل والعقار.

أَنْ يُؤَلَّى قَرِينَةً أَقْبَرَّ مِنْهَا كَثِيراً . وَالْأَسْجَاعُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى سَكُونِ الْأَعْجَازِ .
كَقَوْلِهِمْ : مَا أَبْعَدَ مَا فَاتَ وَمَا أَقْرَبَ مَا هَوَات ، قِيلَ : وَلَا يُقَالُ فِي
الْقُرْآنِ أَسْجَاعٌ بَلْ يُقَالُ فَوَاصِلٌ ، وَقِيلَ : السَّجْعُ غَيْرُ مُخْتَصٍ بِالنَّثْرِ ،

فَيَكُونُ كَالشَّيْءِ الْمَبْتُورِ فَيَبْقَى الْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ ، كَنْ يَرِيدُ الْإِنْتِهَاءَ إِلَى غَايَةٍ
فَيَمْتُرُ دُونَهَا هَذَا ، وَالسَّجْعُ لِمَا قَصِيرٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتُ
عَصْفًا ، أَوْ طَوِيلٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَإِنَّ أَذْقِنَا الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَةٍ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا
مِنْهُ لِأَنَّهُ لِيؤَسَّ كَفُورٌ وَإِنَّ أَذْقِنَاهُ نَعْمًا بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَهٍ لِيَقُولَ ذَهَبَ
السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ، أَوْ مُتَوَسِّطٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ
وَانشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوُا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ . وَمِنْ لَطِيفِ
السَّجْعِ قَوْلُ الْبَيْدِيِّ الْهَمْدَانِي مِنْ كِتَابِ لَهُ إِلَى ابْنِ فَرِيقُونَ : كِتَابِي
وَالْبَحْرُ وَإِنْ لَمْ أَرَهُ ، فَقَدْ سَمِعْتُ خَبْرَهُ ، وَاللَيْثُ وَإِنْ لَمْ أَلْقَهُ ، فَقَدْ تَضَوَّرْتُ
خَلْقَهُ ، وَالْمَلِكُ الْعَادِلُ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ لَقِيْتَهُ ، فَقَدْ لَقِنِي صَيْتَهُ ، وَمَنْ رَأَى
مِنَ السَّيْفِ أُرَّهُ ، فَقَدْ رَأَى أَكْرَهُ (وَالْأَسْجَاعُ) فَوَاصِلُ الْأَسْجَاعِ ،
مَوْضُوعَةٌ عَلَى أَنْ تَكُونَ سَاكِنَةً الْآخِرُ مَوْفُوفًا عَلَيْهَا ، لِأَنَّ الْغَرَضَ
أَنْ يَرَاوَجَ بَيْنَهَا ، وَلَا يَتَمُّ ذَلِكَ فِي كُلِّ ضُورَةٍ إِلَّا بِالْوَقْفِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ وَصَلْتَ
قَوْلَهُمْ : مَا أَبْعَدَ مَا فَاتَ وَمَا أَقْرَبَ مَا هَوَات . لَمْ يَكُنْ بَدَلٌ مِنْ إِجْرَاءِ كُلِّ مَنْ
الْفَاصِلَتَيْنِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ حِكْمُ الْإِعْرَابِ ، فَيَفُوتُ الْغَرَضُ مِنَ السَّجْعِ ، وَإِذَا
رَأَيْتَهُمْ يُخْرِجُونَ الْكَلِمَ مِنْ أَوْضَاعِهَا لِلْأَزْدِوَاجِ فِي قَوْلِهِمْ إِنْ لَأَتِيَهُ بِالْغَدَايَا
وَالْعَشَايَا : أَيِ بِالْغَدَاوَاتِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ (قِيلَ وَلَا يُقَالُ فِي الْقُرْآنِ
أَسْجَاعٌ) السَّجْعُ نَوْعٌ مِنَ الْكَلَامِ يَعْتَمِدُ الصَّنْعَةَ ، وَقَلِيلًا يَنْجُو مِنَ التَّكْلِيفِ
وَالْتَعَسُفِ ، وَمَنْ قَصَدَهُ فِي كَلَامِهِ أَجْبَرَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْمَعْنَى تَابِعًا لَهُ وَهَذَا نَقَصٌ

ومثاله من النظم قوله :

في الكلام كبير ، وعيب يخمش وجه الفصاحة ، فلذلك ذهب العقلاء إلى أن القرآن برىء من السجع ، وهذا الذي يظن به أنه سجع إنما هو فواصل يستريح الكلام إليها . قال الباقلاني : قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض ، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع ، وليس كذلك ما اتفق بما هو في تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى ، وفصل بين أن ينظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجابلاً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى ، ثم قال ولو كان الذي في القرآن سجعاً لكان مذموماً ، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه واختلقت طرقه كان قبيحاً من الكلام ، والسجع منهج مرتب وطريق مضبوط متى أحل به المتكلم نسب إلى الخروج عن الفصاحة ، وهذا الذي يظن به أنه سجع قد علمنا أن بعضه متقارب الفواصل ، متداني المقاطع ، وبعضه مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير ، وهذا في السجع غير محمود (ومثاله من النظم قوله) وقول ذي الرمة :

كجلا في برج صفراء في نجاج كأنها فضة قد مسها ذهب

وقول الخنساء :

حايي الحقيقة محمود الخليفة مهدي الطريقة نافع وضوار

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي وَأَثَرْتُ بِهِ يَدِي * وَفَاضَ بِهِ تِمْدِي وَأُورَى بِهِ زَنْدِي
وَمِنَ السَّجْعِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مَا يُسَمَّى التَّشْطِيرَ ، وَهُوَ جَعْلُ كُلِّ

جَوَابُ قَاصِيَةِ جَزَارُ نَاصِيَةِ عَقَادُ أَلْوِيَةِ لِلخَيْلِ جَرَارُ
حَلْوٌ حَلَاوَتُهُ فَضْلٌ مَقَالَتُهُ فَاشِ حِمَالَتُهُ لِلْعَظْمِ جَبَارُ
وقول أبي صخر الهذلي :

سُودٌ ذَوَائِبُهَا بَيْضٌ تَرَائِبُهَا مَحْضٌ ضَرَائِبُهَا صِيغَتٌ مِنَ الْكُرْمِ
وهذا النوع كثير لا يحصره الاستقصاء (تجلي) هو لآي تمام ، قوله تجلي
به رشدي : يريد ظهر بهذا الممدوح بلوغى المقاصد ، وأثرت : أى صارت ذات
ثروة ، والتمد : الماء القليل لا مادة له ، والمراد هنا المال القليل ، ومعنى أورى
به زندي : صار ذا وري ، وهو عبارة عن الظاهر بالمطلوب (ومن السجع على
هذا القول ما يسمى التشطير) وكذلك منه ما يسمى التصريع ، وهو جعل
العروض مقفاة تقنية الضرب ، والعروض هو آخر المصراع الأول من البيت
والضرب آخر المصراع الثاني منه . قال ابن الأثير : التصريع ينقسم إلى سبع
مراتب ، الأولى : أن يكون كل مصراع مستقلا بنفسه في فهم معناه ، ويسمى
التصريع الكامل كقول امرئ القيس :

أَفَاطِمُ مَرَّيلاً بَهْضَ هَذَا التَّدَلِّ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرَمَعْتِ صَرْمِي فَأَجَلِي
الثانية : أن يكون الأول غير محتاج إلى الثاني ، فإذا جاء مرتباً به
كقوله أيضاً :

حَقّاً نَبِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقَطِ اللُّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
الثالثة : أن يكون المصراعان بحيث يصح وضع كل منهما موضع الآخر ،
كقول ابن الججاج البغدادي :

مِنْ شَطْرِي الْبَيْتِ سَجْعَةً مُخَالَفَةً لِأُخْتِهَا ، كَقَوْلِهِ :

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ * لِلَّهِ مَرْتَقِبٍ فِي اللَّهِ مَرْتَقِبٍ

مِنْ شُرُوطِ الصَّبُوحِ فِي الْمِهْرَجَانِ خِزْنَةُ الشَّرْبِ مَعَ خُلُوقِ الْمَكَانِ

الرابعة : الا يفهم معنى الاول إلا بالثاني ويسمى التصريح الناقص كقول

أبي الطيب :

مَعَانِي الشَّعْبِ طَيْبًا فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

الخامسة : أن يكون التصريح بلفظة واحدة في المصراعين ويسمى التصريح

المكسر ، وهو ضربان ، لأن اللفظة أما متحدة المعنى في المصراعين كقول عبيد

ابن الأبرص :

فَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُوُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُوُوبُ

وهذا أنزل درجة . وأما مختلفة المعنى لكونه مجازاً كقول أبي تمام :

فَتَى كَانَ شَرِبًا لِلْعَفَاةِ وَمَرْتَمًا فَأَصْبَحَ لِلْهِنْدِيَّةِ الْبَيْضِ مَرْتَمًا

السادسة : أن يكون المصراع الأول معلقاً على صفة يأتي ذكرها في أول

الثاني ويسمى التعليق : كقول امرئ القيس :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِضْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

لأن الأول معلق بصبح وهذا معيب جداً . السابعة : أن يكون التصريح في

البيت مخالفاً لقافيةه ويسمى التصريح المشطور . كقول أبي نواس :

أَقْلَنِي قَدْ نَدَانْتُ مِنَ الذُّنُوبِ وَبِالْإِقْرَارِ عُدْتُ عَنِ الْجُحُودِ

فصرع بالياء ثم قناه بالبدال انتهى . وهذا السابع خارج مما نحن فيه

(كقوله تدبير) فالشطر الأول كما ترى سبعة مبني على الميم والثانية سبعة

وَمِنْهُ الْمَوَازِنَةُ : وَهِيَ تَسَاوِي الْفَاصِلَاتَيْنِ فِي الْوِزْنِ دُونَ التَّقْنِيَةِ نَحْوُ :
وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَائِبُ مَبْشُوثَةٌ ، فَإِنْ كَانَ مَا فِي إِحْدَى الْقَرِيْنَتَيْنِ
أَوْ أَكْثَرَهُ مِثَالًا مَا يُقَابَلُهُ مِنَ الْأُخْرَى فِي الْوِزْنِ ، خُصَّ بِاسْمِ الْمَائِلَةِ
نَحْوُ : وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، وَقَوْلِهِ :
مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ فَمَا لَخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ
وَمِنْهُ الْقَلْبُ ، كَقَوْلِهِ :

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوٍ وَهَلْ كَلَّ مَوَدَّتُهُ تَدُومُ

مبنيّة على الباء . والبيت لأبي تمام . والمرغب في الله : الراغب فيما يقربه من
رضوانه . والمرغب : المنتظر الثواب الخائف العقاب (ومنه) أي ومن اللفظي
(نحو ونمارق) فلفظا مصفوفة ومبشوثة متساويان في الوزن لافي النقفية . لأن
الأول على الناء والثاني على الناء . ولا عبرة ببناء التانيك لما هو معروف من
علم القوائى (مها الوحش) هو لأبي تمام يصنف النساء بسعة العيون وطول
القدود ، والمها جمع مهاة : البقرة الوحشية . والخط : موضع تنسب إليه الرماح
المستقيمة والمثالان - الآية البيت - بما يكون أكثر ما في إحدى القرينتين
مثل ما يقابله من الأخرى لعدم تماثل آتيناهما وهديناهما وزناً ، وكذا هاتما وتلك
ومثال الجميع قول أبي تمام :

فَأُخِجَمَ لِمَا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَعَامَةً وَأَقْدَمَ لِمَا لَمْ يَجِدْ عِنْدَكَ مَهْرَبًا

(ومنه القاب) وهو أن يكون الكلام بحيث إذا قلبت حروفه لم تتغير
قراءته ، ولا بد مع ذلك أن يكون جيد السبك منسجم المعانى . ويجرى هذا

وَفِي التَّنْزِيلِ : كُلٌّ فِي فَلَكٍ ، وَرَبِّكَ فَكَبْرٌ . وَمِنْهُ التَّشْرِيحُ :
وَهُوَ بِنَاءُ الْبَيْتِ عَلَى قَافِيَتَيْنِ يَصِحُّ الْمَعْنَى عِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا ،
بِقَوْلِهِ :

يَاخَاطِبَ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةِ إِنَّهَا شَرِكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ

النوع في النظم والنثر . أما في النظم فقد يكون بحيث يكون كل من المصراعين
قلباً للآخر كقوله :

* أَرَانَا الْإِلَهَ هَلَالًا أَنَارًا *

وقد يكون بمجرع البيت قلباً لمجموعه ، كقول الفاضل الأرجاني : مودته
تدوم البيت ، وأما في النثر فكما في قوله تعالى : كل في فلك . وقول جل شأنه :
وربك فكبر . قالوا والحرف المشدد في هذا الباب في حكم المخفف . لأن المعبر
هو الحروف المكتوبة (ومنه التشریح) ويسمى التوشيح . قال ابن الأثير :
وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفين . فإذا وقف من البيت
على القافية الأولى كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض . وإذا أضاف إلى
ذلك ما يبنى عليه شعره من القافية الأخرى كان كذلك شعراً مستقيماً من بحر
آخر على عروض ، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح ، فمن ذلك
قول بعضهم :

إِسْلَمَ وَدُمْتَ عَلَى الْخَوَادِثِ مَارَسًا رُكْنَا ثَبِيرٍ أَوْ هِضَابُ حِرَاءِ
وَنَالِ الْمَرَادَ مُمَكَّنًا مِنْهُ عَلَى رَغْمِ الدُّهُورِ وَقَرَّ بِطُولِ بَقَاءِ
إذا نظر إلى هذين البيتين وجدوهما يذكران على قافية أخرى وبحر آخر
وذاك أن يقال :

وَمِنْهُ لُزُومٌ مَّالًا يَلْزَمُ : وَهُوَ أَنْ يَجِيءَ قَبْلَ حَرْفِ الرَّوِيِّ أَوْ مَا فِي

إِسْنَمَ وَدُمْتَ عَلَى الْحَوَا دِثِ مَارَسَا رُكْنَا ثَبِيرِ
وَنَلِ الْمَرَادَ مُمَكَّنَا مِنْهُ عَلَى زَعْمِ الدُّهُورِ

وقد استعمل ذلك الحريري في مقاماته نحو قوله :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ إِنِّهَا شَرِكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتُ فِي يَوْمِهَا أَبْكْتُ نَدَا بَعْدًا لَهَا مِنْ دَارِ
غَارَاتِهَا لَا تَنْقُضِي وَأَسِيرُهَا لَا يُمْتَدِي بِجَلَائِلِ الأَخْطَارِ
واعلم أن هذا النوع لا يحسن إلا إذا كان يسيراً . كالرقم في الثوب أو
الشية في الجلد . وحسنه منوط بما فيه من الصناعة . لا بما فيه من البراعة .
(ومنه لزوم مالا يلزم) قال ابن الأثير : وهو من أشق هذه الصناعة مذهباً
وأبعدها مسلماً . وذلك لأن مؤلفه يلتزم مالا يلزمه . فإن اللازم في هذا
الموضوع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من
الكلام المنشور في قوافيها . وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف
التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي
قبل روى الأبيات الشعرية ، ومن هذا النوع نثر ما رواه صاحب الأغاني
أن لقيط بن زرارَةَ تزوج بنت قيس بن خالد بن ذي الجدين فخطبت عنده
وحظي عندها ثم قتل فأمت بعده وتزوجت زوجاً غيره فكانت كثيراً ما تذكر
لقيطاً ، فلامها على ذلك فقالت : إنه قد خرج في يوم دجن وقد تطيب وشرب
فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتاني وبه نضج دم ، فضممني ضمة وشمني شمة
فليتني مت شمة ، فلم أرَ منظاراً كان أحسن من لقيط ، فقولها ضممني ضمة وشمني

مَعْنَاهُ مِنَ الْفَبَاصِلَةِ مَا لَيْسَ بِالْأَزْمِ فِي السَّجْعِ ، نَحْوُ : فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَقَوْلُهُ :

شبهة فإيتني مت ثمة : من الكلام الخلو في باب اللزوم ولا كلفة عليه ، وهكذا
فليكن ومن ذلك قول الحماسي :

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فُوَادَكَ مَاءً خُلِقْتَ هَوَاكَ كَاخْلُقْتَ هَوَى لَهَا
بَيْضَاهُ بَاكِرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا
حَجَبَتْ تَمْوِينَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا
وَإِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةَ شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْوَادِ فَسَلَّهَا

ومعنا من اللطافة على ما يشهد لنفسه ، وكذلك قول الفرزدق :

مَنْعَ الْحَيَاةِ مِنَ الرَّجَالِ وَنَمَعَهَا حَدَقَ تَقْلِبَهَا النِّسَاءَ مِرَاضُ
وَكَأَنَّ أَفئِدَةَ الرَّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءَ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ

ومن قصد من العرب قصيده كله على اللزوم كثير عزة ، وهي القصيدة

التي أولها :

خَابِلِيَّ هَذَا وَبَعْ عِزَّةَ فَاعِقِلَا قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ اخْلَلَا حَيْثُ حَلَّتِ

وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتاً ، وهي مع ذلك سهلة لينة تكاد تفرق
من لينة وسهوانها . وبالجملة ما يقع من هذا النوع المتقدم فهو غير مقصود
منه ، ولذلك لا يرى عليه من أثر الكلمة شيء ، أما المتأخرون فنصدوا عمله
وأكثروا منه ، حتى أن أبا العلاء المعري عمل من ذلك ديواناً كاملاً سماه
اللزوم ، فأنى فيه بالجيد الذي يحمد والردى الذي يذم (وقوله) أى قول

سَأَشْكُرُ عُمْرًا مَا تَرَاحَتْ مَنِيتِي أَيَادِي لَمْ تُمَنَّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتَى غَيْرُ مُحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مَظْهَرِ الشُّكُومِ إِذَا النُّعْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ
وَأَصْلُ الْحَسَنِ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٌ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ تَابِعَةً لِلْمَعَانِي
دُونَ الْعَكْسِ . . .

خاتمة

(في السرقات الشعرية وما يتصل بها وغير ذلك)
اتفاق القائلين إن كان في الغرض على العموم ، كالتوصيف بالشيخاعة
والسخاء فلا يعد سرقة ، لتقرره في العقول والعادات ، وإن كان في وجه
الدلالة ، كالتشبيه والمجاز والكناية ، وكذكر هيئات تدل على

عبد الله بن الزبير الأسدي في عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما (لم
تمن) أي لم تقطع ، أو لم تخاط بمنة (إذا النعل زلت) زلة القدم والنعل :
كنية عن نزول الشر والمحنة (خلتي) الخلة : الخصاصة والفقر (وأصل
الحسن في ذلك) قد أسلفنا أول البيدع جملة كافية في هذا المعنى فاجعلها على
ذكر منك وعض عليها بالنواجذ تسكن من الفائزين (وما يتصل بها) مثل
الافتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح (وغير ذلك) مثل القول في
الابتداء والتخلص والانتها (في الغرض على العموم) أي فيما يشترك فيه
الناس عامة من الأغراض والمقاصد (لتقرره) فيشترك فيه الفصيح والأعجم
والشاعر والمفحم (وجه الدلالة) أي طريق الدلالة على الغرض .

الصِّفَةِ لِاخْتِصَاصِهَا بِمَنْ هِيَ لَهُ ، كَوَصْفِ الْجَوَادِ بِالتَّهَلُّلِ عِنْدَ وُرُودِ
الْعُقَاةِ ، وَالبَخِيلِ بِالْعُبُوسِ مَعَ سَعَةِ ذَاتِ اليَدِ ، فَإِنْ اشْتَرَكَ النَّاسُ
فِي مَعْرِفَتِهِ ، لِاسْتِقْرَارِهِ فِيهِمَا ، كَتَشْبِيهِ الشُّجَاعِ بِالأَسَدِ ، وَالجَوَادِ
بِالبَحْرِ ، فَهُوَ كالأَوَّلِ ، وَإِلَّا جَازَ أَنْ يُدْعَى فِيهِ السَّبْقُ وَالزِّيَادَةُ ، وَهُوَ
ضَرْبَانِ : خَاصٌّ فِي نَفْسِهِ غَرِيبٌ ، وَعَامٌّ تُصْرَفُ فِيهِ بِمَا أُخْرِجَهُ مِنْ
الإِبْتِدَالِ إِلَى الغَرَابَةِ ، كَأَمْرٍ ، فَالأَخْذُ وَالسَّرِقَةُ نَوْعَانِ : ظَاهِرٌ ، وَغَيْرُ
ظَاهِرٍ ، أَمَّا الظَّاهِرُ : فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ اللَّغْوُ كُلُّهُ مَعَ اللَّفْظِ كُلِّهِ أَوْ بَعْضِهِ ،
أَوْ وَحْدَهُ ، فَإِنْ أُخِذَ اللَّفْظُ كُلُّهُ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ لِنِظْمِهِ فَهُوَ مَذْمُومٌ ، لِأَنَّهُ
مَرَقَةٌ مَحْضَةٌ ، وَيُسَمَّى نَسْخًا وَانْتِحَالًا ، كَمَا حُكِيَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ
أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِقَوْلِ مَعْنٍ بْنِ أَوْسٍ :

(العفاة) أى السائلين جمع عاف (مع سعة ذات اليد) وأما العبوس مع قلة
ذات اليد فمن أوصاف الأبخياء (معرفته) أى معرفة وجه الدلالة (فيهما) أى
في العمول والعادات (فهو كالأول) أى فالانفاق في هذا النوع من وجه
الدلالة على الغرض كالانفاق في الغرض العام فى أنه لا يعد سرقة ولا أخذاً
(وإلا) أى وإن لم يشترك الناس فى معرفته بأن كان مما لا ينال إلا بفكر
فهذا الذى يجوز أن يدعى فيه الاختصاص والسبق ، وأن يقضى بين القائتين
فيه بالتفاضل ، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر ، وأن الثانى زاد على الأول
أو نقص عنه (كما مر) فى باب التشبيه والاستعارة (كما حكى) حكى أن عبد الله
ابن الزبير الشاعر دخل على معاوية فأشده البيتين فقال له معاوية لقد شعرت

فَإِذَا أَنْدَلَتْ تَنْصِفُ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرْفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَسْقِلُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيْعَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَرْحَلٌ

بعدي يا أبا بكر ، ولم يفارق عيد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزني ،
فأنشده قصيدته التي أولها :

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لِأَوْجَلُ عَلَى أَيِّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

حتى أتى عليها ، وفيها ما أنشده عبد الله ، فأقبل معاوية على عبد الله ، وقال
له ألم تخبرني أنهما لك ، فقال المعنى لي واللفظ له ، وبعد فهو أخى من الرضاة .
وأنا أحق بشعره . قوله من أن تضيمه : أى بدلا من أن تظلمه ، وشفرة السيف
حده ، ومرحل من زحل عن مكانه زحولا : إذا انتحى وتباعد . يقول إنه
لا يبالي أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليه
ضيم أو يلحقه هضم أو احتقار متى لم يجد عن ركوبه مبعدا ولا معدلا . وهذا
ومما هو من قبيل ذلك ما روى للأبيرد اليربوعي :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا السَّنَةُ الشَّيْبَاءُ أَعْوَزَ هَا الْقَطْرُ

ولأبي نواس :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

قال ابن الأثير : ومما كنت أستحسنه من شعر أبي نواس قوله من قصيدته
التي أولها :

* دَعَّ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاهُ *

دَارَتْ عَلَى فِتْنَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا يُصَيِّبُهُمْ إِلَّا بِنَا شَاوُوا

وَفِي مَعْنَاهُ أَنْ يُبَدَّلَ بِالْكَلِمَاتِ كُلِّهَا أَوْ بَعْضِهَا مَا يُرَادُ فِيهَا ، وَإِنْ
كَانَ مَعَ تَغْيِيرٍ لِنِظْمِهِ ، أَوْ أُخِذَ بَعْضُ اللَّفْظِ ، سُمِّيَ إِغَارَةً وَمَسْبُحًا ،

وهذا من على الشعر ، وقفت في كتاب الأغاني لأبي الفرج على هذا
البيت في أصوات معبد وهو :

لَهْفِي عَلَى فِثْيَةِ ذَاكَ الزَّمَانِ لَهُمْ فَمَا أَصَابَهُمْ إِلَّا بِمَا شَاؤُوا
وما أعلم كيف هذا ، وقد أكثر الفرزدق وجريير من هذا في شعرهما ، حتى
لقد حكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليلي كان يتحدث إليها الشباب ، فدخل
الفرزدق إليها وجعل يحادثها ، وأقبل فتى من قومها كانت تألفه ، فدخل إليها
فأقبلت عليه وتركت الفرزدق ، فغاضه ذلك ، فقال للفتى أتصارعتني ، فقال ذلك
إليك ، فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرعه وجلس على صدره فصرط ،
فوثب الفتى عنه وقال : يا أبا فراس هذا مقام العائذ بك ، والله ما أردت
ما جرى ، فقال ويحك والله ما بي أنك صرعتني ، ولكن كاني بابن الأتان ،
يعني جريراً ، وقد بلغه خبري فقال يهجونى :

جَلَسْتَ إِلَى لَيْلِي لِتَحْظَى بِقُرْبِهَا نَحَانِكَ دُبْرًا لَا يَزَالُ يَخُونُ
فَلَوْ كُنْتَ ذَا حَزْمٍ شَدَدْتَ وَكَاءَهُ كَأَشَدِّ جُرْبَانَ الدَّلَاصِ قِيُونُ

قال فوالله ما مضى إلا أيام حتى بلغ جريراً الخبر ، فقال فيه هذين البيتين ،
وهذا من أغرب ما يكون في مثل هذا الموضع وأعجبه (أن يبدل) كقول
امرئ القيس :

وَقُوفًا بِهَا تَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ
وقول طرفة :

وَقُوفًا بِهَا تَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ

فَإِنْ كَانَ الثَّانِي أْبْلَغَ لِإِخْتِصَاصِهِ بِفَضِيلَةٍ ، فَمَمْدُوحٌ ، كَقَوْلِ بَشَّارٍ :
مَنْ رَقَبَ النَّاسَ لَمْ يَطْفُرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهِيحُ

وَقَوْلِ سَلْمٍ :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ هَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورِ
وَإِنْ كَانَ دُونَهُ فَمَمْدُومٌ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

وَقَوْلِ حَاتِمٍ :

وَمَنْ يَبْتَدِعُ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمِهَا
وَقَوْلِ الْأَعْوَرِ :

وَمَنْ يَقْتَرِفُ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمِهَا
(لاختصاصه بفضيلة) كحسن السبك أو الاختصار أو الإيضاح أو زيادة
معنى (كقول بشار) فبيت سلم قالوا أجود سبكاً وأخصر لفظاً ، وقد روى
عن أبي معاذ راوية بشار أنه قال أنشدت بشاراً قول سلم فقال : ذهب والله
بنتي فهو أخف منه وأعذب ، والله لا أكلت اليوم ولا شربت . . . هذا ، ومن
السرقات الممدوحة قول الشاعر :

خَلَقْنَا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ بِسْمْرِ الْقَنَا وَالْبَيْضِ عَيْنًا وَحَاجِبٍ
وَقَوْلِ ابْنِ نَبَاتَةَ بَعْدَهُ :

خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا فِي ظُهُورِهِمْ عِيُونًا لَهَا وَقَعُ الشُّيُوفِ حَوَاجِبُ
فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى ، وهو الإشارة إلى انهمزامهم ،
ومن الناس من جعلهما متساويين (كقول أبي تمام) فإن مصراعه أحسن

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَسْكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بِخَيْلًا

وَإِنْ كَانَ مِثْلَهُ فَأَبْعَدُ مِنَ الدَّمِّ ، وَالْفَضْلُ لِلأَوَّلِ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

سبقنا من مصراع أبي الطيب ، لأن أبا الطيب أراد أن يقول ولقد كان الزمان به بخيلا فعدل عن الماضي إلى المضارع للوزن . فإن قلت المعنى أن الزمان لا يسمح بهلاكه ، قلنا السخاء بالشئ هو بذاه للغير ، فإذا كان الزمان قد سخا به فقد بذاه فلم يبق في تصريفه حتى يسمح بهلاكه أو يبخل به (أعدى الزمان) أى تعلم الزمان منه السخاء لجأده به ، وأخرجه من العدم إلى الوجود ولولا سخاؤه الذى استفاده منه لبخل به على الدنيا واستبقاه لنفسه (فأبعد من الدم) هذا على تقدير ألا يكون فى الثانى دلالة على العروة باتفاق الوزن والقافية ، وإلا فهو بالدم حقيق كقول أبي تمام :

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلِقَتْ رِكَابِي فِي البِلَادِ
وَمَا سَافَرْتُ فِي الآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَإِنِّي عَنكَ بَعْدَ غَدٍ لَعَادِي وَقَلْبِي عَنْ فِنَائِكَ غَيْرُ غَادٍ
مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهْتَ رِكَابِي وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ البِلَادِ

(كقول أبي تمام) وقول بشار :

يَأْقَوْمُ أُذُنِي لِبَعْضِ الحَيِّ عَاشِقَةً وَالأُذُنُ تَعَشِقُ قَبْلَ العَيْنِ أَحْيَانًا

وَقَوْلِ ابْنِ الشَّحْنَةِ المَوْضِلِي :

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفُوسِ دَلِيلًا

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَخْبَابِ مَا وَجَدْتِ لَهَا الْمَنَابِيَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا

وَإِنْ أَخَذَ لَأَمْنِي وَخَدَهُ سُنْبِي إِيَّامًا وَسَلَخًا ، وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ كَذَلِكَ

أَوْهَا كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَإِنِّي أَمْرٌ أَحَبُّبْتُكُمْ لِمَكَارِمِ سَمِعْتُ بِهَا وَالْأَذْنَ كَالْعَيْنِ تَعَشَّقُ

وَكَذَا قَوْلِ الْأَرَجَانِيِّ :

لَمْ يُبَكِّبْنِي إِلَّا حَدِيثُ فِرَاقِكُمْ لَمَّا أُسْرَ بِهِ إِلَيَّ مُودَعِي

هُوَ ذَلِكَ الدُّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُمْ فِي مِسْمَعِي الْقَيْئَةُ مِنْ مَدْمَعِي

وَقَوْلِ جَارِ اللَّهِ :

وَقَائِلَةِ مَا هَبْذِهِ الدُّرُّ الَّتِي تَسَاقَطُهَا عَيْنَاكَ سِمَطَيْنِ سِمَطَيْنِ

فَقُلْتُ هِيَ الدُّرُّ الَّتِي قَدْ حَشَا بِهَا أَبُو مُضَرٍّ أُذُنِي تَسَاقَطُ مِنْ عَيْنِي

(كقول أبي تمام لو حار) فإن أبا الطيب أخذ المعنى برمته مع بعض الألفاظ كالمنية والفرق والوجدان واليتان متساويان في البلاغة ، والارتداد الطاب ، وإضافة المرتاد إلى المنية بيانية والمعنى ظاهر (إيلاً) من ألم بالشيء إذا قصده وأصله من ألم بالمنزل إذا نزل به (وسلخاً) وهو كشط الجلد عن نحو الناة ، واللفظ للمعنى بمنزلة الجلد ، فكأنه كشط عن المعنى جلدًا والبسه جلدًا آخر (كذلك) أي مثل ما يسمى إغارة ومسخاً ، لأن الثاني لما أبلغ من الأول أو دونه أو مثله (كقول أبي تمام) وكقول البحري

هُوَ الصَّنْعُ إِنْ يَعَجَلَ فَيُخَيَّرُ وَإِنْ يَرِثُ فَلَا رَيْثُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَنْفَعُ
وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَمِنْ أَخْيَرِ بَطْنِ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعُ الشَّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامِ
وثانيتها كقول البحترى :

تَصُدُّ حَيًّا، أَنْ تَرَكَ بِأَوْجِهِ أَيْ الذَّنْبَ عَاصِيهَا فَلَيْمَ مُطِيعُهَا
وقول أبي الطيب :

وَجُرِّمِ جَرَّهُ سَفَاهًا قَوْمِ وَحَلَّ بَغِيرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ
فإن بيت أبي الطيب أحسن سبكاً ، وكأنه اقتبس من قوله تعالى : أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، وكقول الآخر :

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغَنَى إِذَا كَانَتْ الْعُلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
وقول أبي تمام بعده :

يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُوْدَدٌ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءٌ نَاهِدٌ

فبيت أبي تمام أخصر وأبلغ ، لأن قوله ولو برزت في زي عذراء ناهد : زيادة حسنة (كقول أبي تمام هو الصنع) فبيت المتنبي أبلغ لاشتغاله على زيادة بيان ، والريث : الإبطاء ، والسيب : العطاء ، والجهام : السحاب الذي لا ماء فيه (كقول البحترى) فإن بيت أبي الطيب دون بيت البحترى ، لأنه قد فاته ما أفاده البحترى بلفظي تألق ، والمصقول من الاستعارة التخيلية حيث أتت التألق والصقالة للكلام ، كإثبات الأظفار للنية ، ويلزم من هذا تشبيهه كلامه بالسيف وهو الاستعارة بالكناية ، ومعنى تألق : لمع ، والندى : المجلس القاص بأشراف الناس ، والمصقول : المنقح ، والعضب : السيف القاطع . شبه لسانه بسيفه .

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدِيِّ كَلَامُهُ الْمَصْتُقُولُ خِلْتِ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ
وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

كَأَنَّ السُّنْتَهُمْ فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّمَنِ خُرُصَانَا
وَتَأْتِيهَا كَقَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ :

وَلَمْ يَكُ أَكْثَرَ الْفِتْيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعًا

وخرصان الرماح : أسننها أو الحلق ، تطيف بأسافل الأسنان ، وواحدها خرص
بالضم والكسر ، وصف فصاحة السنة الممدوحين وطلاقتها . يقول إن السنتهم
في المضاء والنفاد تشابه أسنتهم عند الطمن ، فكان أسنتهم جعلت أسنة
رماحهم . ومن هذا التسميم قول بعض الأعراب :

وَرِيحُهَا أَطْيَبُ مِنْ طِيْبِهَا وَالطَّيْبُ فِيهِ الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ
وقول بشار :

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَبًا غَابَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ
وكذلك قول أشجع :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانِ ضَوْءِ الضُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغْمَتُهُ وَإِذَا هَدَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامِ
وقول أبي الطيب :

يَرَى فِي النَّوْمِ رُجْحَكَ فِي كَلَامِهِ وَيَحْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشَّهَادِ
فقصر بذكر السهاد لأنه أراد اليقظة فأخطأ ، إذ ليس كل يقظة سهاداً
ولنما السهاد امتناع الكرى في الليل ، وأما المستيقظ بالنهار فلا يسمى سهاداً .
(كقول الأعرابي) وكذا قول أبي بكر بن النطاح :

وَقَوْلِ أَشْجَعِ :

وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى * وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ
* وَأَمَّا غَيْرُ الظَّاهِرِ فَمِنْهُ أَنْ يَتَشَابَهَ الْمَعْنِيَانِ ، كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

كَأَنَّكَ بَعْدَ السُّكْرِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى تَنْزِرُ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ
وقول أبي الطيب :

فَكَأَنَّهُ وَالطَّعْنُ مِنْ قُدَامِهِ مُتَخَوِّفَاتٍ مِنْ خَافِهِ أَنْ يُطْعَمَ *
وكذا قول الآخر يذكر ابناً له مات :

الصَّبْرُ يَتَمَدُّ فِي الْمَوَادِنِ كَأَنَّهَا إِلَّا عَائِكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ
وقول أبي تمام بعده :

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِأَبْسِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجُوعُ
وفلان رجب الذراع والباع : سبى (كقول جرير) فإن تعبير جرير
عن الرجل بنى العمامة كتعبير أبي الطيب عنه بن فى كفه قناة ، وكذا العبارة
عن المرأة بذات الخمار ، وبن فى كفه خضاب : ومن هذا النوع قول الطرمح
ابن حكيم الطائي :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنْبَى بَغِيضٍ إِلَى كُلِّ امْرَأَةٍ غَيْرِ طَائِلِ
وقول أبي الطيب :

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنَّيَ كَامِلِ

فَلَا يَمْنَعُكَ مِنْ أَرْبٍ لِحَاظِهِمْ سَوَاءٌ ذُو الْعِمَامَةِ وَالْخِمَارِ
وقول أبي الطيب :

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاطَةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابٌ
وَمِنْهُ أَنْ يُنْقَلَ الْمَعْنَى إِلَى مَعْنَى آخَرَ ، كَقَوْلِ الْبُحْتَرِيِّ :

سَلَبُوا وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحْمَرَّةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا
وقول أبي الطيب :

فإن ذم الناقص أبا الطيب كبعض من هو غير طائل ذلك الرجل ، وشهادة
ذم الناقص أبا الطيب بفضله كزيادة حب الطرماح لنفسه ، وكذا قول أبي العلاء
المعري في مرثية :

وَمَا كَأَنَّكَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ قَدِيمَةً وَلكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطْمِ
وقول القيسراني :

وَأَهْوَى الَّذِي أَهْوَى لَهُ الْبَدْرُ سَاجِدًا أَلَسْتَ تَرَى فِي وَجْهِهِ أَثَرَ التُّرْبِ
ولا يغرنك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيباً والآخر مديحاً
أو هجاء أو افتخاراً أو غير ذلك ، فإن الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المختاس
لينظمه تحمیل في إخفائه فغير لفظه وعدل به عن نواحه ووزنه وقافيته (كقول
البحترى) فإن أبا الطيب كما ترى نقل المعنى من التتلى والجرحى إلى السيف .
سلبوا : أى سلبوا ثيابهم ، وأشرفت الدماء عليهم : أى فظهرت الدماء عليهم
ملايسة لإشراق شعاع الشمس ، فكأنهم لم يسلبوا لأن الدماء المشرقة كانت
بمنزلة ثياب لهم : وأصل هذا المعنى من قول بعض العرب

يَلِيَسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغَمَّدٌ

وَمِنْهُ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَشْمَلَ : كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا

وَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

وَمِنْهُ التَّلَبُّ : وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الثَّانِي تَقْيِضَ مَعْنَى الْأَوَّلِ ،

كَوَلِ أَبِي الشَّيْصِ :

وَ رَقْتُ بَيْنَ ابْنَيْ هُشَيْمٍ بِطُغْنَةٍ لَهَا عَائِدٌ يَكْسُو السَّايِبَ إِزَارًا^(١)

(النجيع) النجيع من الدم : ما كان إلى السواد ، وهو دم الجوف

(كقول جرير) فإن جريراً جعل الناس كلهم بني تميم ، وأبا نواس جعل العالم

كا في واحد (كقول أبي الشيص) فإن ما في بيته منافض لما في بيت

أ الطيب ، لأنه صرح بحب الملامة ، والمتنبي في حبا بهمزة الإنكار ، لكن

كما منهما باعتبار آخر ، ولهذا قالوا الأحسن في هذا النوع أن يبين السبب

كما في هذين البيتين^(٢) إلا أن يكون ظاهراً كما في قول أبي تمام :

وَ نَعْمَةٌ مُعْتَنِي جَدْوَاهُ أَحَلَى عَلَى أُذُنَيْهِ مِنْ نَعْمِ السَّمَاعِ

(١) عند العرق سال فلم يكدي رقا ، وهو عرق عاند .

(٢) فإن الأول علل حب الملامة بحبه لذكره ، والثاني علل كراهيته

له بكونها تصدر من الأعداء .

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَدِيدَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْلَتْنِي الْوَجْمُ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وَمِنْهُ أَنْ يُؤْخَذَ بِمَعْنَى الْمَعْنَى وَيُضَافَ إِلَيْهِ مَا يُحَسِّنُهُ كَقَوْلِ الْأَفْوَاهِ :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتَمَارَ

وَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَقَدْ ظَلَمْتَ عِقْبَانَ أَعْلَامِهِ فَعَى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلِ

فَإِنَّ أَبَا تَمَامٍ لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْنَى قَوْلِ الْأَفْوَاهِ رَأَى عَيْنٍ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَالْجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَعْمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَبِيهِ بِسْوَالٍ

أراد أبو تمام أن المدح يستلذ نغمات السائرين لما فيه من غاية الكرم ونهاية الجود، وأراد أبو الطيب أنه إن سبقت نعمة من سائل طعام المدح بلغ ذلك منه مبالغ الجراحة من المجروح، لأن عاده أن يعطى نعيم سؤال (تلي آثارنا) ورامنا تابعة لنا (رأى عين) يعنى عياناً (ستمار) أى استطعم من لحوم من تقتلهم من القتلى (وقد ظلت) يقول: إن رايات المدح التي هي كالعقبان قد صارت مظلة بالعقبان من الطيور النواهل في دماء القتلى، لأنه إذا خرج للغزو تسير العقبان فوق إناثه، وثوقاً بأنها استطعم لحوم القتلى فتأقظ ظلالها عليها، والنواهل جمع ناهلة: من نهل إذا روى (فإن أبا تمام)

وَ مِنْ قَوْلِهِ ثِقَّةٌ أَنْ سَتَمَارُ ، لَكِنْ زَادَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهُا لَمْ تُقَاتِلْ
وَ نَوْلِهِ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلُ ، وَ بِإِقَامَتِهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنَ الْجَيْشِ
وَ نَبَا نَيْبِمْ حُسْنُ الْأَوَّلِ ، وَ أَوْ كَثُرُ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَ نَحْوِهَا مَقْبُولَةٌ ، بَلْ
مِهَا مَا يُخْرِجُهُ حُسْنُ التَّصَرُّفِ مِنْ قَبِيلِ الْإِتِّبَاعِ إِلَى حَيْزِ الْإِبْتِدَاعِ ،
وَ أَلَمَّا كَانَ أَشَدَّ خَفَاءً كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْقَبُولِ ، هَذَا كُلُّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ
إِنِّي أَخَذَ مِنَ الْأَوَّلِ ، لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّفَاقُ مِنْ قَبِيلِ تَوَارِدِ

بِأَنَّ أَبَا تَمَامٍ أَخَذَ بَعْضَ مَعْنَى بَيْتِ الْأَفْوهِ لِأَنَّ الْأَفْوَهَ أَفَادَ بِقَوْلِهِ
رَى عَيْنَ قَرَبِ الطَّيْرِ مِنَ الْجَيْشِ لِأَنَّهَا إِذَا بَعَدَتْ تَخِيلَتْ وَلَمْ تَرَوْهَا يَكُونُ
تَوَقُّعًا لِلْفَرِيَسَةِ ، وَ هَذَا يُوَكِّدُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ أَعْنَى وَصْفِهِمْ بِالشَّجَاعَةِ
وَ لَافْتِدَارِ عَلَى قَتْلِ الْأَعَادِي ، ثُمَّ قَالَ ثِقَّةٌ أَنْ سَتَمَارُ لِجَمْعِهَا وَاثِقَةٌ بِالْمِيرَةِ ، وَ أَمَا
أَبُو تَمَامٍ فَلَمْ يَلْمِ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، لَكِنْ زَادَ عَلَى الْأَفْوهِ بِقَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهُا لَمْ تُقَاتِلْ ،
وَ قَوْلُهُ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلُ ، ثُمَّ بِإِقَامَتِهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنَ الْجَيْشِ ،
وَ هَذَا يَتِمُّ حَسْنَ قَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهُا لَمْ تُقَاتِلْ ، وَ هَذِهِ الزِّيَادَاتُ حَسَنَتْ قَوْلَهُ ،
وَ كَانَتْ قَدْ تَرَكَ بَعْضَ مَا أَتَى بِهِ الْأَفْوَهُ . فَقَوْلُ الْمَصْنُفِ وَبِهَا أَيُّ هَذِهِ
الْيَادَةُ الْأَخِيرَةُ وَهِيَ إِقَامَتُهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنَ الْجَيْشِ ، وَ قَوْلُهُ الْأَوَّلُ
فِي قَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهُا لَمْ تُقَاتِلْ (إِذَا عَلِمَ أَنَّ الثَّانِيَّ أَخَذَ مِنَ الْأَوَّلِ) بِأَنَّ يَلْمُ أَنَّهُ
لَمْ يَحْفَظْ قَوْلَ الْأَوَّلِ حِينَ نَظَّمَ قَوْلَهُ ، أَوْ بِأَنَّ يَخْبِرُ هُوَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُ
لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّفَاقُ مِنْ قَبِيلِ تَوَارِدِ الْخَوَاطِرِ (كَمَا وَقَعَ لِي فِيمَا دَرَجَ مِنْ
أَيَّامِ أَيَّامِ كُنْتُ لَا أَعْرِفُ شِعْرًا وَلَا شَاعِرًا ، وَ ذَلِكَ بَيْتُ قَائِلِهِ فِي صَدِيقِ غَابِ
بِحِرْسٍ مِنَ الزَّمَنِ وَهُوَ :

الخواطر ، أئى مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد للأخذ ، فإذا
لم يُعلم قيل قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا .

ومما يتصل بهذا القول فى الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتاميح .
أما الاقتباس : فهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على
أنه منه ، كقول الخريزى : فلم يكن إلا كمنح البصر أو هو أقرب ،
حتى أنشد فأغرب ، وقول الآخر :

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جرم فصبر جميل
وإن تبدلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

وسا كنت أدرى قبل بعدك ما الجوى ولا حادثات الدهر كيف تنوب

فأسمعه صاحباً لى فقال إن مثله لكثير عزة وهو :

وما كنت أدرى قبل عزة مالك ولا موجعات القاب حتى تولت

فما كاد يتمه حتى أخذت منى هزة الطرب ، وكدت أخرج من جلدى فرحاً
وقلت الآن أغبط نفسى إذ طبعت على غرار أعيان الشعراء ، وكما يحكى عن ابن
ميادة أنه أنشد لنفسه :

مفيد ومثلاف إذا ما أتيتته تهلل واهتز اهتزاز الهند

فقيل له أين يذهب بك هذا للحطيمية ، فقال الآن علمت أنى شاعر ، إذ
وافقت على قوله ولم أسمع (الآخر) هو أبو القاسم بن الحسن الكاتبى
(أزمعت) أى عزمتم (من غير ما جرم) من غير ذنب صدر من فازائده

وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : قَلْنَا شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، وَقُبِحَ اللَّكْعُ وَمَنْ يَرُجُوهُ .

قَوْلِ ابْنِ عَبَّادٍ : .

قَالَ لِي ابْنُ رَقِيْبِي سَيِّءُ الْخُلُقِ فِدَارُهُ

قُلْتُ دَعْنِي وَجْهَكَ الْجَنَّةُ خَفَّتْ بِالْمَكَارِهِ

وَهُوَ ضَرْبَانِ : مَا لَمْ يُنْقَلْ فِيهِ الْمُقْتَبَسُ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ ، كَمَا

دَعْنٌ ، وَخِلَافُهُ ، كَقَوْلِهِ :

ابْنُ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِيكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي

أَقْدَمْتُ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

وَلَا بَأْسَ بِتَعْيِيرِ يَسِيرٍ لِلْوَزْنِ أَوْ غَيْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

لَنَا شَاهَتِ الْوُجُوهُ) أَي قُبِحَتْ وَهُوَ لَفْظُ الْحَدِيثِ ، فَإِنَّهُ رَوَى أَنَّهُ لَمَّا اشْتَدَّتْ
لِرَبِّ يَوْمِ حَنْبِينَ ، أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا مِنَ الْحَصْبَاءِ فَرَمَى بِهِ
شُرَكَائِهِ ، وَقَالَ شَاهَتِ الْوُجُوهُ (اللَّكْعُ) أَي اللَّثِيمُ ، وَيُقَالُ هُوَ الْعَبْدُ الذَّالِيلُ
نَفْسُ (فِدَارِهِ) مِنَ الْمَدَارَاتِ ، وَهِيَ الْجَامِلَةُ وَالْمَلَاظِفَةُ (وَجْهَكَ الْجَنَّةُ)
بِدِاقْتِبَسٍ مِنَ لَفْظِ الْحَدِيثِ حَمَتِ الْجَنَّةُ الْمَكَارِهِ ، وَحَمَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ :
فِي أَنْ وَجْهَكَ جَنَّةٌ فَلَا يَدُلُّ عَلَى مَسْئَلَةٍ مَكَارِهِ الرَّقِيبِ ، كَمَا لَا يَدُلُّ لَطَالِبُ الْجَنَّةِ
عَنِ مَشَاقِ التَّكَالِيفِ (كَقَوْلِهِ) أَي قَوْلِ ابْنِ الرَّومِيِّ ، فَإِنَّ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
تَدْبَسُ مِنَ الْفِرَاقِ الْكَرِيمِ ، لَكِنَّ مَعْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ وَادٍ لَا مَاءَ فِيهِ وَلَا نَبَاتَ ،
فِي الْبَيْتِ جَنَابٌ لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا نَفْعَ (كَقَوْلِهِ) أَي قَوْلِ بَعْضِ الْمَعَارِفِ
عِنْدَ وَفَاةِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ عُمَرَ الْخَيَّامِ

قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَا * إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ
وَأَمَّا التَّضْمِينُ : فَهُوَ أَنْ يُصَمَّنَ الشَّعْرُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِ الْغَيْرِ مَعَ التَّنْبِيهِ
عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا عِنْدَ الْبُلْغَاءِ ، كَقَوْلِهِ :

سَبَقْتُ الْعَالَمِينَ إِلَى الْعَالِي بِصَائِبِ فِكْرَةٍ وَعُلُوِّ هِمَّةٍ
وَلَا حَاجَ بِحِكْمَتِي نُورِ الْهُدَى فِي لَيَالٍ لِلضَّلَالَةِ مَذْلَمَةٍ
يُرِيدُ الْجَاهِلُونَ لِيُطْفِئُوهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّهُ

وكذلك قول القاضي منصور الهروي الأزدي :

فَلَوْ كَانَتْ الْأَسْطَلِقُ تُحْوَى وَرِائَةً وَلَوْ كَانَتْ الْآرَاهُ لَا تَتَشَعَّبُ
لَأُصْبِحَ كُلُّ النَّاسِ قَدْ ضَمَّهِمْ هَوَى كَمَا أَنَّ كُلَّ النَّاسِ قَدْ ضَمَّهِمْ أَبُ
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ كُلُّ مَيْسَرَةٍ لِمَا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ وَمُقَرَّبٌ
(عليه) أى على أنه من شعر الغير (كقوله) أى قول الحريري بحكى ما قاله
الغلام الذى عرضه أبو زيد اللبييع : والمصراع الأخير للعرجى وتمامه :

* لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ نَفَرٍ *

ومن هذا النوع قول ابن العميد :

وَصَاحِبٍ كُنْتُ مَغْبُوطًا بِصُحْبَتِهِ دَهْرًا فَعَادَرَنِي فَرْدًا بِإِلَاسَتِكُنِي
هَبَّتْ لَهُ رِيحُ إِقْبَالِ فِطَارٍ بِهَا نَحْوَ الشَّرُورِ وَالْجَانِي إِلَى الْحَزَنِ
رَأَيْتُهُ كَانَ مَطْوِيًّا عَلَى إِحْنٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي ضُرُوبِ الشَّعْرِ أَنْشَدَنِي

عَلَى أَنِّي سَأُنشِدُ عِنْدَ بَيْعِي أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا
وَأَحْسَنُهُ مَا زَادَ عَلَى الْأَصْلِ بِنُكْتَةٍ كَالْتَوْرِيَةِ وَالتَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :
إِذَا الْوَهْمُ أَبْدَى لِي لَمَاهَا وَثَغْرَهَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ
وَيَذَكِّرُنِي مِنْ قَدِّهَا وَمَدَامِي مَجْرَى عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ
. وَلَا يَضُرُّ التَّغْيِيرُ الْيَسِيرُ ، وَرُبَّمَا سُمِّيَ تَضَمِينُ الْبَيْتِ ، فَمَا زَادَ

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَأُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْتُمُّهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِينِ
والبيت لأبي تمام (كالتورية والتشبيه في قوله) أي قول ابن أبي الأصبغ ،
فالمصراعان الأخيران مطلع قصيدة لأبي الطيب ، والعذيب وبارق : موضعان ،
والعوالي : الرماح ، والسوابق : الخيل . يقول إنهم كانوا نزولاً بين هذين الموضعين
وكانوا يحرمون الرماح عند مطاردة الفرسان ويسابقون على الخيل ، فالشاعر
الثاني أراد بتضمينه بالعذيب وبارق معنيهما البعيدين ، لأنه جعل العذيب
تصغير العذب ، وعنى به شفة الحبيبية ، وبارق ثغرها الشبيه بالبرق ، وبما بينهما
ريهة ، وهذا تورية ، وشبهه تبختر قدها بتمايل الريح وجريان دمه على التابع
بجريان الخيل السوابق ، فزاد على أبي الطيب هذه التورية والتشبيه (ولا يضر
التغيير اليسير) ليدخل في معنى الكلام كقول بعض المتأخرين في يهودى (١) به
داه الثعلب (٢) :

أَقُولُ لِمَعْشَرٍ غَلَطُوا وَغَضُوا ۖ عَنِ الشَّيْخِ الرَّشِيدِ وَأَنْكَرُوهُ

(١) ذمأ له بكونه أقرع .

(٢) هو مرض يسقط الشعر من الرأس .

اسْتِعَانَةً ، وَتَضْمِينُ الْمَضْرَاعِ فَمَا دُونَهُ إِيدَاعًا وَرَفُوعًا . وَأَمَّا الْعَقْدُ : فَهُوَ أَنْ يُنْظَمَ نَثْرًا لَا عَلَى طَرِيقِ الْإِقْتِبَاسِ ، كَقَوْلِهِ :

مَا بَالُ مَنْ أَوْلَاهُ نُطْفَةً * وَجِيْفَةً آخِرُهُ يَفْخَرُ

عَقْدَ قَوْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَمَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرَ ، وَإِنَّمَا أَوْلَاهُ نُطْفَةً وَآخِرُهُ جِيْفَةٌ . وَأَمَّا الْحَلْأُ : فَهُوَ أَنْ يُنْثَرَ نَظْمٌ كَقَوْلِ بَعْضِ الْمَغَارِبَةِ : فَإِنَّهُ لَمَّا تَبَحَّتْ فَعَلَاتُهُ ، وَحَنَظَلَّتْ نَخَلَاتُهُ ، لَمْ يَزَلْ سُوءَ الظَّنِّ

هُوَ ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الشَّنَايَا مَتَى يَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُوهُ

البيت لسحيم بن وثيل وأصله :

أنا ابن رجلا وطلّاع الشنايا متى أضع العمامة تعرفوني

على طريقة التسكيم كما ترى . فغيره إلى طريقة الغيبة ليدخل في المنصود (إيداعاً) لأن الشاعر الثاني قد أودع شعره شيئاً من شعر الأول (ورفوعاً) لأنه رفاخرق شعره بشعر غيره (كقوله) أى قول أبي العتاهية . ومثله قوله أيضاً :

وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

عقد قول بعض الحكماء في الإسكندر لما مات . كان الملك أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس (وأما الحل) وشرط كونه مقبولاً شيئان أحدهما : أن يكون سبكاً مختاراً لا يتقاصر عن سبك أصله ، والثاني : أن يكون حسن الموقع مستتراً في محله غير فاق (كقول بعض المغاربة) يصف شخصاً بأنه سيء الظن لقباسه غيره على نفسه . والمعلات الأفعال وحنظلات نخلاته .

يَقْتَادُهُ ، وَيُصَدِّقُ تَوَهُمَهُ الَّذِي يَعْتَادُهُ . حَلَّ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ :
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمِهِ .
وَأَمَّا التَّلْمِيحُ : فَهُوَ أَنْ يُشَارَ إِلَى قِصَّةٍ أَوْ شِعْرٍ مِنْ غَيْرِ
ذِكْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَأَحْلَامُ نَأْمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يَوْشَعُ

صارت ثمار نخلاته كالنخيل في المرارة . ومثل هذا قول صاحب الوشى المرقوم
في حل المظلوم يصف فلم كاتب : فلا تحظى به دولة إلا نخرت على الدول ،
وغنيت به عن الخيل والخول ، وقالت أعلى الممالك ما يبني على الأقلام لا على
الأسل حل قول أبي الطيب ..

* أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسَلِ *

وكقول بعض الكتاب في وصف السيف : أورثه عشق الرقاب نحولا ،
فبكي والدمع مطر تزيد به الحدود نحولا ، حل قول أبي الطيب أيضاً :
فِي الْخُدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَيْطُ رَحِيلاً مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ نُحُولاً
وكقول في أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده : صار له دوى في كل قطر
كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر ، حلت قول أبي الطيب يخاطب علي بن أحمد
الأنطاكي :

وَتَرَكْتُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوَلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْسَاهُ الْعَشْرُ
(كقوله فوالله) هو لاني تمام وقيله :

لَجِئْنَا بِأَخْرَامِهِمْ وَقَدْ حَوَّيَهُمُ الْمَوَى قُلُوبًا نَهَدْنَا طَيْرَهَا وَهِيَ وَقَعُ

أشار إلى قصة يوشع عليه السلام واستيقافه الشمس، وكقوله :
اعمر و مع الرمضاء والنار تلتطى أرق وأحفي منك في ساعة الكرب
أشار إلى البيت المشهور :

المستجير بعمر و عند كرتبه
كالمستجير من الرمضاء بالنار

فردت علينا الشمس والليل راغم
بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى
لبيحتها ثوب السماء المجزع
الضمير في أخراهم ولهم الأجابة المرتجابين وإن لم يجر لهم ذكر في اللفظ ،
وحام الطير على الماء : دار ، وحومه غيره ، ونضا : ذهب به وأزاله ، الضمير
في ضوءها وبهجتها للشمس الطالعة من الخدر ، والدجنة : الظلمة ، وانطوى :
انضم ، والمجزع : ذو لونين ، وقوله أحلام نائم : استعظام لما رأى واستغرب
(أشار إلى قصة يوشع) على ما روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت
الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ، ويدخل السبت فلا يحل له
قتالهم ، فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم (لعمر و) هو لابي تمام ،
والرمضاء : الأرض الشديدة الحر ، وأحفي من حفي بفلان : إذا بالغ في إكراهه
وأظهر السرور والفرح (المستجير بعمر و) لهذا البيت قصة هي أن البسوس
زارت أختها الهيلة وهي أم جساس بحار لها من جرم بن زبان له ناقة وكليب
قد حمى أرضاً من العالية فلم يكن يرعاها إلا إبل جساس لمصاهرة بينهما ،
فخرجت في إبل جساس ناقة الجرمي ترعى ن حمى كليب ، فأنكرها كليب فرماها
فاختل ضرعها ، فولت حتى بركت بمناء صاحبها بضرعها يشحب دماً ولبناً وصاحت
البسوس واذلاء واغربتاه ، فقال لها جساس أيتها الحرة اهدني فوالله لأعقرن

﴿ فِضْلٌ ﴾

يَنْبَغِي لِلْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَتَأَنَّقَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كَلَامِهِ ، حَتَّى تَكُونَ
أَعْزَبَ لِقْطًا ، وَأَحْسَنَ سَبْكًَا ، وَأَصَحَّ مَعْنَى أَحَدَهَا : الْإِبْتِدَاءُ كَقَوْلِهِ :
﴿ قِنَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ﴾

فَلَا هُوَ أَعَزَّ عَلَى أُمَّةٍ مِنْهَا فَلَمْ يَزَلْ جَسَّاسٌ يَتَوَقَّعُ غُرَّةَ كَلْبٍ حَتَّى خَرَجَ وَتَبَاعَدَ
عَنِ الْحِمَى ، فَبَلَغَ جَسَّاسًا خُرُوجَهُ ، فَبَجَّحَ عَلَى فَرَسِهِ فَأَتْبَعَهُ فَرَسِي صَابِهِ ، ثُمَّ
وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا عَمْرُو أَنْتَ بَشْرَبَةُ مَاءٍ ، فَأَجْرَزَ عَلَيْهِ فَنَسَى ، وَقِيلَ الْمُسْتَجِيرُ
بِعَمْرٍو الْبَيْتِ ، وَنَسَبَ الشَّرْبَ بَيْنَ نَعْلَبِ وَبَكْرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً كَلَّمَا لِنَعْلَبِ عَمْرٍو بَكْرًا ،
وَلِهَذَا قِيلَ أَشْأَمُ مِنَ الْبَدْسُوسِ . هَذَا وَمِنَ النَّبْلِ يَجُضُّ ضَرْبٌ يَشْبَهُ الْمَغْزَ ، كَمَا رَوَى أَنَّ
تَمِيمًا قَالَ لِشَرِيكَ النَّيْرِيِّ : مَا فِي الْجَوَارِحِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْبَازِي فَقَالَ : إِذَا كَانَ
يَصِيدُ الْقَطَا . أَشَارَ التَّمِيمِيُّ إِلَى قَوْلِ جَرِيرٍ :

أَنَا الْبَازِي الْمَطْلُ عَلَى تَمِيرٍ أْتِيحَ مِنَ السَّمَاءِ أَمَّا أَنْصِبَانَا

وَأَشَارَ شَرِيكَ إِلَى قَوْلِ الطَّرْمَاحِ :

تَمِيمٌ بِطَرِيقِ الدَّوْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا (أَحَدُهَا الْإِبْتِدَاءُ) لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ السَّمْعَ ، فَإِنْ كَانَ عَذْبًا حَسَنًا
السَّمْعُ صَحِيحَ الْمَعْنَى أَفْبَلُ السَّمْعِ عَلَى الْكَلَامِ . وَهَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .
الْمِ وَحَمٍ وَطَسٍ وَطَسِيمٍ وَكَمَيْصٍ . فَيَقْرَعُ أَسْمَاعَهُمْ بِشَيْءٍ بَدِيعٍ لَيْسَ لَهُمْ بِمَثَلِهِ
عَهْدٌ لِيَكُونَ ذَلِكَ دَعَايَةً لَهُمْ إِلَى الْإِسْتِمَاعِ لَمَّا بَعْدَهُ . وَمِنْ هُنَا جَعَلَ أَكْثَرَ الْإِبْتِدَاءَاتِ
بِالْحَمْدِ لِلَّهِ لِأَنَّ النُّفُوسَ تَشْتَوِي لِلشَّاءِ عَلَى اللَّهِ ، فَهُوَ دَاعِيَةٌ إِلَى الْإِسْتِمَاعِ (كَقَوْلِهِ)
قِفَا بِيَاكُ (قِيلَ لَمَّا سَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ . قَاتِلِ اللَّهُ الْمَلِكُ

وكقوله :

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَمِيَّةٌ وَسَلَامٌ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَاهَا الْأَيَّامُ

وَأَنْ يَتَجَنَّبَ فِي الدِّيْحِ مَا يَتَطَيَّرُ بِهِ ، كقوله :

* مَوْعِدُ أَحْبَابِكَ بِالْفُرْقَةِ غَدِ *

الضليل . وقف واستوقف وبكى واستبكى . وذكر الحبيب ومنزله في مصراع واحد ، والبيت مطلع معلقة امرئ القيس وتماهه :

* بِسَقَطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَيَحْوِمَلِ *

ومن الأبتدآت الحميدة قول النابغة الجعدي :

كَلَيْفِي لَهْمٍ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَآيِلِ أُقَاسِيهِ يَطِيءُ الكَوَاكِبِ

وقول المتنبي :

أَبْرَاهَا لِكثْرَةِ الْعَشَاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي السَّاقِ

(وكقوله) أي قول أشجع السلمي (موعِد) مطلع قصيدة لابن مقاتل الضرير أنشدها للداعي العلوي ، فقال له الداعي : موعِدُ أَحْبَابِكَ يَا أَعْمَى وَلَكَ المثل السوء ، ويروى أيضاً أنه دخل عليه في يوم مهرجان وأنشد :

لَا تَقُلْ بَشْرِي وَأَكُنْ بَشْرِيَانِ غُرَّةَ الدَّاعِي وَيَوْمَ المِهْرَجَانِ

فتطير به وقال يا أعمى تبتدىء بهذا يوم المهرجان ، وقيل بطحه وضربه خمسين عصاً ، وقال لإصلاح أدبه أبلغ من ثوابه . ويروى أنه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان ، تجاس فيه وجمع أهله وأصحابه ، وأمرهم أن يخرجوا في زينتهم ، فنادى أي الناس أحسن من ذلك اليوم ، فاستأذن إسحق الموصلي المنفي

وَأَحْسَنُهُ مَا يُنَاسِبُ الْمُقْصُودَ ، وَيُسَمَّى بِرَاعَةِ الْإِسْتِهْلَالِ ، كَقَوْلِهِ

فِي التَّهْنِئَةِ :

بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالَ مَا وَعَدَا *

وقوله في المرثية :

هِيَ الدُّنْيَا تَمُوتُ بِمِلِّهِ فِيهَا حَذَارٍ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي

ش. أ. أجاد فيه . إلا أنه ابتدأه بذكر الديار وعفاها فقال :

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبِلَاءُ وَمَحَاكُ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ

فتطير المعتصم وتغامر الناس ، وعجبوا كيف ذهب على أبي إسحاق مع
قومه وعلمه وطول خدمته للبلوك ، ثم أقاموا يومهم وانصرفوا ، فما عاد منهم
إثنان إلى ذلك المجلس . وخرج المعتصم إلى سر من رأى وخرب القصر
(سرى) هو لأبي محمد الخازن ينيء ابن عباد بمولود لبنته . وأحسن منه قول
أبي تمام ينيء المعتصم بالله بفتح عمورية . وكان أهل التنجيم زعموا أنها
لا تنجح في ذلك الوقت :

الْيَقُفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حِدَّةِ الْحَدِّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

بَيْنَ الصَّفَائِحِ لِأَسْوَدِ الصَّخَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جِلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ

وقول أبي الطيب في التهنة بزوال مرض :

لَمَّا دُعُو فِي إِذْ عُوْفِيَّتَ وَالْكَرْمُ وَزَالَ مِنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ السَّقْمُ

(هي الدنيا) لأبي الفرج السامري يرى بعض ملوك بني بويه . وأحسن

قول أوس بن حجر :

وثانيها التخلُّس مما شُبِّبَ الكلامُ به ، من نسيبٍ أو غيره ،
إلى المقصود ، مع رعاية الملاءمة بينهما ، كقوله :
يقولُ في قومسٍ توَمِي وقد أخذتُ مِنَّا الشَّرِي وَخَطَا المَلَكِيَّةَ التُّودِ
أَمَطَّلَعَ الشَّمْسِ تَبْقَى أن تَوَمَّ بِنَا فقلتُ كلاً وَلَكِنْ مَطَّلَعَ الجُودِ

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
وقول أبي تمام :

كَذَا فَلْيَجَلِ الخُطْبُ وَلْيَفْذَحِ الأَمْرُ وَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤَهَا عَذْرُ
(وثانيها التخلُّص) لأن السامع يكون مترقباً للانتقال من التشبيب
إلى المقصود كيف يكون . فإذا كان حسناً متلائم الطرفين حرك من نشاط
السامع . وأعان على إصغاء ما بعده . وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر
بالعكس . هذا وكان الأحسن والأوضح للمصنف أن يقول وثانيها التخلُّص .
وهو الانتقال عما ابتدئ به الكلام به من نسيب أو غيره إلى المقصود الخ ، كما
لا يخفى على العاقل . فقوله مما شُبِّبَ الكلام به : أراد مطلق الابتداء والافتتاح
لا خصوص التشبيب الذي هو ذكر أيام الشباب والاهو والغزل والنسيب
أن يصف الشاعر جمال المرأة وحاله معها في العشق (أو غيره) كالافتخار
والهجو والشكاية (بينهما) أي بين ما شُبِّبَ أي ابتدئ به الكلام وبين
المقصود (كقوله يقول) قومس : صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل
وأخذت منا السرى : أي أثر فينا السير ليلاً ونقصت من قوانا . والمهرية : الإبل
المنسوبة إلى مهرة بن حيدان . والقود : الطوال الظهور والأعناق . والبيتان
لأن تمام في عهد الله بن طاهر هدا من بدائع التخلُّص قول زهير

وَقَدْ يُنْتَقَلُ مِنْهُ إِلَى مَالٍ يُبْلِغُهُ ، وَيُسَمَّى الْاِقْتِضَابَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ
الرَّبِّ الْأُولَى وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْمُخْضَرِّمِينَ ، كَقَوْلِهِ :

رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ خَيْرًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا
كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِي صُرُوفُ اللَّيَالِي خُلُقًا مِنْ أَبِي سَعِيدٍ غَرِيبًا

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمٌ

وقول مسلم بن الوليد :

أَجِدُكَ مَا تَدْرِينِ أَنْ رَبَّ لَيْلَةٍ كَانَ دُجَاهًا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
سَهَرَتْ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِفِرَّةٍ كَفَرَّةٍ يَحْيَى حِينَ يُذْكَرُ جَعْفَرُ

وقول المتنبي :

خَلِيلِي مَا لِي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَكَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ
لَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

(الأولى) يعني الجاهلية (من المخضرمين) وهم الذين أدركوا الجاهلية
الإسلام مثل ليبيد . قال الزمخشري : ناقة مخضرمة أي جدد نصف أذنها ، ومنه
لمخضرم الذي أدرك الجاهلية والإسلام كأنما قطع نصفه حيث كان في الجاهلية
(كقوله) أي قول أبي تمام وهو من الإسلاميين ، لأنه كان في زمن الدولة
العباسية . هذا والافتضاب في الشعر كثير والتخاص بالنسبة إليه قطرة
من بحر ، فن الافتضاب قول أبي نواس في قصيدته النونية التي أولها :

* يَا كَثِيرَ النَّوْحِ فِي الدَّمَنِ *

فَاسْتَنْيَ كَأْسًا عَلَى عَدَلٍ كَرِهَتْ مَسْمُوعَهُ أُذُنِي

وَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ التَّخْلِصِ ، كَقَوْلِكَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ : أَمَا بَعْدُ ، قِيلَ
وَهُوَ فَضْلُ الْخِطَابِ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأَبٍ ، أَيْ
الْأَمْرُ هَذَا أَوْ هَذَا كَمَا ذُكِرَ ، وَقَوْلِهِ : هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ
مَأَبٍ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْكَاتِبِ : هَذَا بَابٌ * وَثَالِثُهَا الْإِنْتِهَاءُ ، كَقَوْلِهِ :
وَإِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالْمَنَى وَأَنْتَ بِمَا أَمَلْتُ مِنْكَ جَدِيرٌ
فَإِنْ تَوْلَانِي مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّي عَازِرٌ وَشَاكِرٌ

مِنْ كُمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ خَيْرٍ مَا سَأَسْأَلَتْ فِي بَدَنِي
مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِي فَنِي فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ
تَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْأَثَارِ وَالسُّنَنِ
سَنَ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ

(قِيلَ وَهُوَ فَضْلُ الْخِطَابِ) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : وَالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ
مِنْ عِلْمَاءِ الْبَيَانِ أَنَّ فَضْلَ الْخِطَابِ هُوَ أَمَا بَعْدَ لِأَنَّ الْمَتَكَلِّمَ يَفْتَتِحُ كَلَامَهُ فِي
كُلِّ أَمْرٍ ذِي شَأْنٍ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتَحْمِيدِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ إِلَى الْغَرَضِ
الْمَسُوقِ لَهُ فَضَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ أَمَا بَعْدَ (وَثَالِثُهَا الْإِنْتِهَاءُ)
لِأَنَّهُ آخِرُ مَا يَعْهَدُ السَّمْعُ وَيَرْتَسِمُ فِي النَّفْسِ ، فَإِنْ كَانَ بِمُخْتَارٍ جَبَرَ مَا عَسَاءَ وَقَعَ
فِيهَا قَبْلَهُ مِنَ التَّقْسِيرِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُخْتَارٍ كَانَ بِمُخْتَلَفٍ ذَلِكَ ، وَرَبَّمَا أَنْسَى مُحَاسِنَ
مَا قَبْلَهُ (كَقَوْلِهِ وَإِنِّي) أَيْ قَوْلِ أَيْ نَوَاسٍ فِي الْخَصِيبِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ

وَأَحْسَنُهُ مَا آذَنَ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ ، كَقَوْلِهِ :
بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ * وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ
وَجَمِيعُ فَوَاتِحِ السُّورِ وَخَوَاتِمِهَا وَارِدَةٌ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا
يُظْهِرُ ذَلِكَ بِالتَّأَمُّلِ مَعَ التَّنَدُّكِ كَرِّمَا تَقَدَّمَ .

(بقيت) قيل إنه للمرى (واردة على أحسن الوجوه وأكملها) فإنك
إذا نظرت إلى فواتح السور جمها ومفرداتها رأيت من البراعة والتفنن وضروب
الإشارة ما قد أصاب المحز وطبق المفصل . وإذا نظرت إلى خواتمها وجدت
من الأدعية والوصايا والمواعظ والتحميد والوعد والوعيد ، وغير ذلك من
الخواتم ما لا يبقى للنفوس بعده مطمع . وما تسجد لحسنه مصانع البلاغ .
هذا آخر ما يسره الله سبحانه بما أردنا وضعه على هذا الكتاب ، في أوقات
كنا نختلسها اختلاسا من بين تشعب الاعمال وتزاحم الأشغال . فإن كنت
وفيت بما وعدت فالشكر لله سبحانه على معونته وحسن توفيقه . وإلا فأحق
الناس بقبول عذره ، وإقلال عتبه ، من وقف نفسه لصناعة التأليف في زمن
فترت فيه همم طلاب العلوم ، وخارت عزائمهم عن مساعدة المؤلفين وتنشيطهم
على الدأب في عملهم والعناية بصناعتهم . فإن فاتني إيفاء العمل حقه من الأجر ،
فإن يفوتني إن شاء الله إعطاؤه قسطه من العذر ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا
أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا .
ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

عبد الرحمن البرقوبي

فهرست التلخيص

الموضوع	صفحة
مقدمة الشارح للطبعة الأولى	٢
مقدمة الشارح للطبعة الثانية	٢١
مقدمة في الفصاحة والبلاغة	٢٤
(الفن الأول علم المعاني)	٣٧
تنبيه (في صدق الخبر وكذبه)	٣٨
أحوال الإسناد الخبري	٤٠
أحوال المسند إليه	٥٣
أحوال المسند	١٠١
أحوال متعلقات الفعل	١٢٦
القصر	١٣٧
الإنشاء	١٥١
الفصل والوصل	١٧٥
تذنيب أصل الحال	١٩٦
الإيجاز والإطناب والمساواة	٢٠٩
(الفن الثاني علم البيان)	٢٣٥
التشبيه	٢٣٨
الحقيقة والمجاز	٢٩٢

الموضوع	صفحة
فصل (في الاستعارة بالكناية)	٣٢٤
» (في مذهب السكاكي في الحقيقة والمجاز)	٣٢٨
» (فيما به تحسن الاستعارة)	٣٣٤
» (في المجاز بالحذف والزيادة)	٣٣٦
الكناية	٣٣٧
فصل « أطبق البلغاء الخ »	٣٤٦
(الفن الثالث غم البديع)	٣٤٧
المطابقة	٣٤٨
مراعاة النظر	٣٥٤
الأرضاد	٣٥٦
المشاكاة	٣٥٦
المزاوجة	٣٥٨
العكس	٣٥٨
الرجوع	٣٥٩
التورية	٣٥٩
الاستخدام	٣٦٠
الف والنشر	٣٦١
الجمع	٣٦٣

الموضوع	صفحة
التفريق	٣٦٣
التقسيم	٣٦٤
الجمع مع التفريق	٣٦٤
الجمع مع التقسيم	٣٦٥
الجمع مع التفريق والتقسيم	٣٦٦
التجريد	٣٦٨
المبالغة	٣٧٠
المذهب الكلامي	٣٧٤
حسن التعليل	٣٧٥
التفريع	٣٧٩
تأكيد المدح بما يشبه الذم	٣٨٠
تأكيد الذم بما يشبه المدح	٣٨٢
الاستتباع	٣٨٣
الإدماج	٣٨٣
التوجيه	٣٨٤
الهزل الذي يراد به الجد	٣٨٥
تجاهل المعارف	٣٨٥
القول بالموجب	٣٨٦

الموضوع	صفحة
الاطراد	٣٨٧
الجناس	٣٨٨
رد العجز على الصدر	٣٩٣
السجع	٤٠٤
الموازنة	٤٠٤
القلب	٤٠٤
التشريع	٤٠٥
لزوم مالا يلزم	٤٠٦
خاتمة في السرقات وما يتصل بها	٤٠٨
فصل ينبغى للمتكلم أن يتأنق	٤٢٩
في ثلاثة مواضع	

نم الحارة الرفع بواسطه

مكتبة عمكر

ask2pdf.blogspot.com